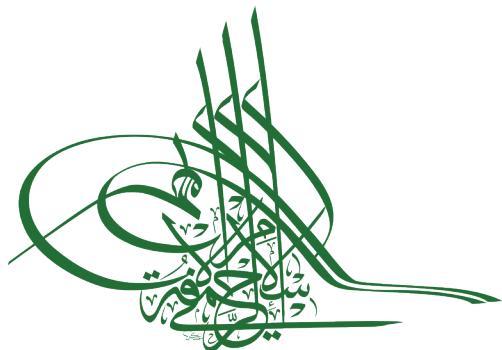




المملكة العربية السعودية  
وزارة التعليم  
جامعة الملك سعود  
كلية التربية  
قسم الدراسات الإسلامية



بِحُكْمِ رَبِّهِ

الْمُؤْمِنُ الدُّرْدُلُونَ الْحَمْرَةُ فِي الْإِسْلَامِ

The International Conference on Mercy in Islam

الجزء الثالث



بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ  
الْحٰمِدُ لِلّٰهِ الْعَظِيْمِ



اسم الله «الرحمن»  
في القرآن الكريم  
جَمْع ودراسة

إعداد:

د. محمود محروس محمود إبراهيم

المؤتمر الدولي في الحكمة في الإسلام

The International Conference on Mercy in Islam  
قسم الدراسات الإسلامية - كلية التربية



٦



المؤتمر الدولي في الحكمة في الإسلام

## المقدمة

هذا البحث هو دراسة بيانية لفردة قرآنية.

أهدافها:

تُطمح الدراسة إلى الوقوف على بعض دلالات اقتران اسم الله (الرحمن) باسمه (الرحيم) في الموضع التي اقترن فيها الأسماء الكريمة في القرآن الكريم، وإلى محاولة تجلية شيء من حكم اختيار اسم الله “الرحمن” في الموضع التي ورد فيها منفردًا؛ إسهاماً في دراسة البيان القرآني، وتأصيلاً لخلق الرحمة في الإسلام.

إشكاليتها:

محاولة الإجابة عن السؤالين التاليين: من خلال السياق القرآني، ما دلالات اقتران اسم الله (الرحمن) باسمه (الرحيم) في الموضع التي اقترن فيها الأسماء الكريمة في القرآن الكريم؟ ولِمَ كان اختيارُ اسمه (الرحمن) في الموضع التي ورد فيها منفردًا؟

منهجها:

انتهت الدراسة منهجاً يقوم على استقراء الموضع التي ورد فيها اسم

الله (الرحمن) في القرآن استقراءً كاملاً، وتتبّع وتحليل كلام العلماء<sup>(١)</sup> في هذه الموضع، و اختيار ما يتناسب منها مع تجليات هذا الاسم من خلال السياق القرآني، لاسيما مع ضعف أغلب الآثار التي اعتمد عليها كثير من المفسرين في تفسير هذا الاسم الكريم، كما أثبته العلامة أحمد شاكر في تحقيقه لتفسير ابن حجر الطبرى.

### خُطتها:

قد تألفت الدراسة من مقدمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة: جعلت المقدمة لبيان أهداف البحث ومنهجه وإطاره النظري، وكان المبحث الأول للتأصيل اللغوي لكلام المفسرين عن هذا الاسم الكريم، وفي الحواشى كان التأصيل لاسمه (الرحيم)، وكان المبحث الثاني للحديث عن بعض لطائف اقتران اسم الله الرحمن باسمه الرحيم في الموضع الستة التي اقترن فيها الأسمان الكريمان في القرآن الكريم، وكان المبحث الثالث للوقوف على بعض لطائف اختيار اسم الله (الرحمن) في كل موضع ورد فيه الاسم الكريم منفرداً، وأخيراً كانت الخاتمة لإجمال أهم نتائج البحث وتوصياته، تلها مسرد بما اعتمدت عليه الدراسة من مصادر ومراجع.



(١) كلام العلماء الذي نتبّعه في هذه الدراسة إنما هو دقائق لغوية أو لطائف بيانية أو إشارات تفسيرية، نراعي في اختيارها ألا تتعارض من الناحية المقدّية مع ما كان عليه رسول الله ﷺ وصحبه الكرام ﷺ وتابعوهم بإحسان إلى يوم الدين، ونبأ إلى الله ﷺ من كل ما يخالف معتقد سلفنا الصالح.

## المبحث الأول الدراسة اللغوية

لَمَّا كَانَ اسْمُ اللَّهِ «الرَّحْمَنُ» عَلَمًا لَدْلَالْتَهُ عَلَى الْبَارِي نَفْسِهِ ﷺ،  
وَوَصْفًا لَدْلَالْتَهُ عَلَى اتِّصَافِهِ ﷺ بِالرَّحْمَةِ<sup>(١)</sup>، وَلَمَّا كَانَ هَذَا الْاسْمُ الْكَرِيمُ  
عَلَى بَنَاءِ (وَزْنِ) «فَعْلَانٌ»، وَلَمَّا كَانَ لَهُ تَمِيزٌ فِي الرِّسْمِ الْإِملَائِيِّ - كَانَ  
الْكَلَامُ عَنْ بَنَاءِ فَعْلَانٌ عَلَمًا، وَعَنْهُ وَصْفًا، وَعَنِ الرِّسْمِ الْإِملَائِيِّ لِاسْمِ اللَّهِ  
(الرَّحْمَنِ)، فَانْتَظَمَ بِذَلِكَ هَذَا الْمَبْحُثُ ثَلَاثَ مَسَائِلَ :

### الأولى: في نوع بناء «فعلان» وصفاً:

للعلماء في تحديده اتجاهان، يتكاملان في توضيح كلام المفسرين  
حول هذا الاسم الكريم:

#### الاتجاه الأول:

(رحمـن) صفة مشبهة من الفعل «رَحِمَ يرَحِمُ» المتعدي إلى مفعول به واحد، ”لـكن بعد العدول به إلى «فَعْلٌ» بضم العين (بغرض المدح)<sup>(٢)</sup>، أو

(١) ما قيل عن «الرحمن» ينطبق على «الرحيم»، فهو قاعدة مطردة تسحب على كل أسماء الله الحسنى، ومن لم يفطن إليها ظن «الرحمن»، أو «الرحيم»، أو غيرهما من الأسماء الحسنى أعلاً فقط، أو صفات ليس إلا. يُنظر في هذه القاعدة: ابن القيم: بدائع الفوائد: ٢٤/١، وابن عثيمين: القواعد المثلى ص ١١.

(٢) يقول السيوطي في نواهد الأكابر ١٤٦/١ «الفعل المتعدي قد يجعل لازماً بمنزلة الغرائز، فيُنقل إلى فعل بضم العين، ثم تُشقق منه الصفة المشبهة، وهذا مطرد في باب المدح والذم». والعدول بالكلمة عن بنائها إلى بناء آخر لغرض بلاغي، كالبالغة، أو التعظيم، أو التعجب، هو من سنن العرب في كلامها، ينظر في ذلك: ابن جرير الطبرى: تفسيره ١٢٦/١، وابن جنى: الخصائص ٢٧١، ٢٧٠/٣، وابن فارس: الصاحبي ص ٥١.

بعد تنزيل الفعل المتعدي منزلة اللازم...؛ لأنّ الصفة المشبهة لا تصاغ من متعدّ<sup>(١)</sup>، و”الصفة المشبهة تدل على ثبوت الصفة لصاحبها ثبوتاً زمنياً عاماً، يشمل الماضي والحاضر والمستقبل، وعلى دوام ذلك الثبوت أو ما يشبه الدوام، دواماً يقتضي أنَّ ثبوت الصفة لصاحبها ليس أمراً حادثاً الآن، ولا طارئاً ينقضي بعد زمن يسير، وإنما هو أمر دائم ملازم لصاحبه طول حياته أو أطول مدة فيها، حتى يكاد يكون بمنزلة الدائم“<sup>(٢)</sup>. ومن معاني «فعلان» التي يمكن حمل اسم الله (الرحمن) عليها:

١. الامتلاء والسعنة: يقول الزجاجي: ”يقال: غضبان للممتليء غضباً، وعطشان للممتليء عطشاً، وكذلك (الرحمن) ذو النهاية في الرحمة، الذي وسعت رحمتهُ كلَّ شيء“<sup>(٣)</sup>، ويقول ابن عطية عن «فعلان»: ”ومعناها أنه انتهى إلى غاية الرحمة، كما يدل على الانتهاء «سکران» و«غضبان»<sup>(٤)</sup>، ويقول ابن القيم ”مع ما في اسم الرحمن الذي هو على وزن فعلن من سعة هذا الوصف، وثبتت جميع معناه للموصوف به، ألا ترى أنهم يقولون: غضبان للممتليء غضباً؟... فبناء فعلن للسعنة والشمول“<sup>(٥)</sup>، ويقول الشيخ خالد: ””فعلان“... فيما دل على الامتلاء... كـ«شبعان»، و«ريان»<sup>(٦)</sup>، ويقول أبو البقاء الحنفي: ””فعلان“ مبالغة في كثرة الشيء“<sup>(٧)</sup>.

(١) ما قيل في «الرحمن» من الاشتقاء والنقل (العدول)، يقال في «الرحيم». ينظر في ذلك: الشيخ خالد الأزهري: شرح التصريح ٧/١. وهذا القول يكون رحمنا ورحيم صفة مشبهة هو الرأي الأشهر، يقول الألوسي في روح المعاني ٦١/١ ”الرحمن الرحيم المشهور أنهما صفتان مشببتان، بنيتا لإفادة المبالغة، وأنهما من رحم مكسور العين، نقل إلى رحم مضمومها بعد جعله لازماً، وهذا مطرد في باب المدح والذم“.

(٢) ينظر في معنى الصفة المشبهة: الأستاذ عباس حسن، النحو الوافي ٣/٢٨٣ - ٢٨٤.

(٣) الزجاجي: اشتاق أسماء الله الحسني ص ٤٠.

(٤) ابن عطية: المحرر الوجيز ١/٦٣.

(٥) ابن القيم: مدارج السالكين ١/٥٦، ٥٧.

(٦) الشيخ خالد: شرح التصريح ٢/٤٠، وينظر: السيوطي: الهمج ٣/٣٢٧.

(٧) أبو البقاء الحنفي: الكليات ٤٦٨.

٢. الاستمرار المتجدد: ويقصد به "الأوصاف التي لا تفارق صاحبها، ولكن آثارها لا تظهر إلا في مناسبات خاصة بها، فمثلاً يطرأ ويزول، ثم يتجدد... ومن هذا النوع كثير من العادات والسمجيات، كالفرح والغضب والشبع... فهذه صفات تظهر في مناسباتها...."<sup>(١)</sup> يقول الراغب: "فالرحمن هو الذي كثرت رحمته، وتكررت، ووسع كل شيء، ولذلك فسر بأنه الذي يكون منه تعطف بعد تعطف"<sup>(٢)</sup>، ويقول الأستاذ محمد عبده: "إن صيغة فعلان تدل على وصف فيه معنى المبالغة... وهو في استعمال اللغة للصفات العارضة، كعطشان وغرثان وغضبان"<sup>(٣)</sup>.

• وهذا التأصيل يوضح بعض أسرار الجمع بين اسم الله (الرحمن)، و(الرحيم)، ومنها أن "صيغة فعلان تفيد الحدوث والتجدد، وصيغة فعل تفيد الثبوت، فجمع الله ﷺ لذاته الوصفين؛ إذ لو اقتصر على (الرحمن) لظن ظان أن هذه صفة طارئة قد تزول، كعطشان وريان، ولو اقتصر الوصفين؛ إذ لو اقتصر على (الرحمن) لظن ظان أن هذه صفة طارئة قد تزول، كعطشان وريان، ولو اقتصر على رحيم، لظن أن هذه صفة ثابتة، ولكن ليس معناها استمرار الرحمة وتجددها، إذ قد تمر على الكريم أوقات لا يكرّم فيها، وقد تمر على الرحيم أوقات

(١) الاستاذ عباس حسن: النحو الوافي ٢٨٣ / ٣ حاشية.

(٢) الراغب: تفسير الراغب ٤٠٠ / ١

(٣) محمد رشيد رضا: تفسير المنار ٣٩ / ٣٩. أما معنى بناء «فعل» الذي جاء عليه اسم الله الرحيم مع اعتباره صفة مشبهة، فهو "من أبنية الغرائز والسمجيات اللازمة، كـكبُرُ، وصُفُرُ، وحُسْنُ، وليُطَافُ،

وَلَحْوُ ذَلِكَ. وَلَهُذَا كَانَ حَبِيبٌ أَبْلَغَ مِنْ مَحْبُوبٍ؛ لِأَنَّ الْحَبِيبَ الَّذِي حَصَّلَ فِيهِ الصَّفَاتُ وَالْأَفْعَالُ

الَّتِي يُحِبُّ لِأَجْلِهَا، فَهُوَ حَبِيبٌ فِي نَفْسِهِ، وَإِنْ قَدْرَ أَنْ غَيْرُهُ لَا يُحِبُّهُ، لِعَدْمِ شَعُورِهِ بِهِ، وَأَمَّا حَبِيبٌ فَهُوَ

حَبِيبٌ بِذَاتِهِ وَصَفَاتِهِ، تَعْلَقُ بِهِ حُبُّ الْغَيْرِ أَوْ لَمْ يَتَعْلَقْ، وَهَذَا الْحَمِيدُ وَالْمَحْمُودُ، فَالْحَمِيدُ هُوَ الَّذِي

لَهُ مِنَ الصَّفَاتِ وَأَسْبَابِ الْحَمْدِ مَا يَقْتَضِي أَنْ يَكُونَ مَحْمُودًا، وَإِنْ لَمْ يَحْمِدْ غَيْرَهُ، فَهُوَ حَمِيدٌ فِي

نَفْسِهِ، وَالْمَحْمُودُ مَنْ تَعْلَقَ بِهِ حَمْدُ الْحَامِدِينَ" ابن القيم: جلاء الأفهام ٣٦.

كذلك، والله ﷺ متصف بأوصاف الكمال، فجمع بينهما حتى يعلم العبد أن صفتة الثابتة هي الرحمة، وأن رحمته مستمرة متتجدة لا تقطع، حتى لا يستبد به الوهم بأن رحمته تعرض ثم تقطع، أو قد يأتي وقت لا يرحم فيه ﷺ، فجمع الله كمال الاتصاف بالرحمة لنفسه<sup>(١)</sup>.

وقد يدل هذا التأصيل أيضًا على أنَّ اسم الله (الرحمن) يجمع بين الجمال والجلال، خلافاً لما قد يتبدّل للذهن من كون (الرحمن) من صفات الجمال<sup>(٢)</sup> فقط، وهذا ربما يفسّر لنا سرًا من أسرار ذكر اسم الله (الرحمن) في سياقات الجلال والعظمة، مثل قوله تعالى: ﴿فُورِيْكَ لَنَحْسِرُهُمْ وَالشَّيَّطِينَ ثُمَّ لَنَحْصِرَهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمْ حِتَّيَا ۖ ثُمَّ لَنَزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُ عَلَى الرَّحْمَنِ عِنِّيَا ۖ﴾ [مريم] ونحو قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلِئَكَةُ صَفَّاً لَا يَتَكَبَّرُونَ إِلَّا مَنْ أَذَنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا ۚ﴾ [النَّبَأُ]، وهو أمر يشبه فيه اسمُ الله (الرحمن) اسمه "الله"، فكلاهما يدل على الجلال والجمال معاً، ربما يؤيد ذلك قولُ البقاعي: "ولمَّا كان في (الرحمن) جمالٌ ظاهرٌ و<sup>(٣)</sup> في باطنه جلال... كان لذلك جامعاً لجميع الأسماء الحسنى والصفات العلى"<sup>(٤)</sup>، وقول السيوطي: "و(الرحمن) أبلغ من (الرحيم)، فإنه أي: (الرحيم) مُشَعِّرٌ باللطف والرفق، كما أنَّ (الرحمن) مُشَعِّرٌ بالفخامة والعظمة"<sup>(٥)</sup>.

(١) د. فاضل صالح السامرائي: معاني الأبنية، ص ٨١. وينظر في هذا المعنى ما نقله الأستاذ محمد رشيد رضا عن الإمام محمد عبده في تفسير المنار /٤٠، وقد سبق إلى هذا أبو البقاء الحنفي في الكليات ص ٦٨٤، وقد سبقه ابن جماعة في كشف المعاني ص ٨٥.

(٢) يقول الشيخ الشعراوي: "له ﷺ صفات جمال وصفات جلال، صفات الجمال، كالرحمن، والرحيم، والباسط.... وصفات الجلال، كالقهار والجبار وغيرها، مما نخاف منه". ينظر في ذلك: تفسير الشعراوي ٩٦٨٦/١٩.

(٣) لابد من هذه الواو كي يستقيم المعنى، وإن لم تكن في الكتاب المطبوع.

(٤) البقاعي:نظم الدرر ٥٣٨/١١

(٥) السيوطي: معرك الأقران ٢٩٦/١

## الاتجاه الثاني:

وذهب فريق آخر من العلماء إلى أن بناء « فعلان » هو من أبنية المبالغة، يقول ابن الشجري: ” وعدلوا عن « فاعل » إلى « فعلان » في قولهم: الرحمن، فالرحمن أبلغ في الوصف بالرحمة من الرحيم، والرحيم أبلغ من الرحيم، فلشدة المبالغة في الرحمة اختص بالرحمن القديم ﷺ<sup>(١)</sup>، ويقول السهيلي: ” (الرحمن) من أبنية المبالغة كفظبان ونحوه، وإنما دخله معنى المبالغة من حيث كان في آخره ألف ونون كالتشيية، فإن التشيهية في الحقيقة تضعييف ”<sup>(٢)</sup>، وفي اللسان: ” فعلان بناء من أبنية المبالغة ”<sup>(٣)</sup>، ويقول الألوسي، قاصداً الرحمن والرحيم: ” الأصح أنهما من أبنية المبالغة الملقة باسم الفاعل، وأخذنا من فعل متعدد ”<sup>(٤)</sup>، ويقول الإمام محمد عبده: ” والذي أقول: إن صيغة فعلان تدل على وصف فيه معنى المبالغة كـ « فَعَال » ”<sup>(٥)</sup>.

- اسم الله (الرحمن) على وزن فعلان، و(رحمن) وصفاً ممنوعًّ من الصرف على الأرجح<sup>(٦)</sup> - ومن خصائص هذا الاسم أنَّ العرب لم يضعوا له مؤنثاً على « فعلى »، ولا على « فعلانة »، خلافاً لما هو غالباً في بابه، يقول البيضاوي: ” والأظهر أنه غير مصروف، وإن حظر اختصاصه ”

(١) ابن الشجري: أمالى ابن الشجري ٤٦٢  
” وبناء « فعيل ».... في المبالغة يدل على معاناة الأمر وتكراره، حتى أصبح كأنه خلقة في صاحبه وطبيعة فيه ” (السامرائي: معاني الأبنية ١٠٣). وقد تتفاوت صيغ المبالغة الخمس المشهورة في المبالغة، ” فـ « فعول » من كثر منه الفعل، وـ « فَعَال » من صار له كالصناعة، وـ « مَفْعَال » من صار له كالآلة، وـ « فَعِيل » من صار له كالطبيعة وـ « فَعُل » من صار له كالعادة ” (الهمع ٧٦/٢).

وـ « فعيل » تعلم عمل الفعل المضارع عند سيبويه، خلافاً للكوفيين ولجمهور البصريين. (ينظر في هذه المسألة: السيوطي الهمع ٧٥/١ وفي تفصيل الكلام فيها ينظر: الزجاجي: اشتاق أسماء الله الحسني ص ٤٠).

(٢) السهيلي: نتائج الفكر ص ٤٢.

(٣) ابن منظور: اللسان باب الميم فصل الراء مع الحاء ١٢/٢٣٠، وفيه أنَّ رحيم منها أيضاً فهو « فعيل » بمعنى فاعل ” (٢٣٠/١٢).

(٤) الألوسي: روح المعاني ١/٦٣.

(٥) محمد رشيد رضا: تفسير المنار ١/٣٩.

(٦) ينظر في الخلاف في هذه المسألة: السيوطي: نواهد الأباء ١/١٥٣، والهمع ١/١١١.

بالله ﷺ أن يكون له مؤنث على « فعلى »، أو « فعلاة »، إلحاقاً له بما هو الغالب في بابه<sup>(١)</sup>، ويقول الرضي عن العرب: ” لأنهم خصصوا هذا اللفظ بالباري ﷺ ، فلم يطلقوه على غيره، ولم يضعوا منه مؤنثاً ، لا من لفظه بالباء ، ولا من غير لفظته ، أعني « فعلى » – فيجب أن يكون غير منصرف<sup>(٢)</sup> ، مع أنَّ ” (رَحْمَن) بغير الْفَ وَلَام ، وَدُون نَدَاء ، وَلَا إِضَافَة غَيْرُ مُسْتَعْمَل ”<sup>(٣)</sup> .

- و(أ) الدخلة على (رحمن) باعتباره وصفاً تفيد الاستغراق والوعيد<sup>(٤)</sup>.

الثانية: في بناء فعلان علمًا:

- يذهب جمهور العلماء القائلين بعلمية بناء «فulan» إلى أنه علم بالغلبة، مشتقٌ من الرحمة، لم يستعمل في غير (الله) ﷺ، جاء على بناء لا يكون في النعوت، ويدل على علميته وروده غير تابع لاسم قبله في القرآن الكريم، ونسب أبو حيان هذا القول للأعلم الشنتمري<sup>(٥)</sup>، وهو قول الزمخشري في الكشاف<sup>(٦)</sup>، وابن مالك،<sup>(٧)</sup> وأبي القاسم السهيلي<sup>(٨)</sup>.

- واستعمال هذا البناء علماً يبدو أنه كان من الأمور النادرة عند العرب قبل الإسلام؛ ”قال ابن خالويه: لم نجد في كلام العرب لـ«ندمان» نظيرًا

(١) البيضاوي: تفسير البيضاوي ٢٦/١.

(٢) الرضي: شرح كافية ابن الحاجب ١/١٧٢، طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود.

<sup>(٣)</sup> ابن مالك: شرح الكافية الشافية ١/٩٨.

(٤) القرطبي: الأنسى في شرح أسماء الله الحسني ص ١٢٦. وهو نفس معنى (أول) الدالخة على «رَحِيم».

(٥) أبو حيان: البحر المحيط ١/٣٠

الزمخشري: الكشاف ١/٧

(٧) كما نسبه له ابنُ هشام فِي المَغْنِي . ٦٠٢ / ١

(٨) السهيلي: نتائج الفكر ص ١٦١ - ١٦٠، وي

(٨) السهيلي: نتائج الفكر ص ١٦٠ - ١٦١، ويراه بعضهم معرجاً أعمجي الأصل، ينظر في تفصيل ذلك: الزجاجي: اشتراق أسماء الله الحسني ص ٤١. وينظر في هذا المعنى القرطبي: تفسير القرطبي / ١٠٤. ويراه آخرون عربياً إلا أنه جامد غير مشتق، ينظر في تفصيل

ذلك: القرطبي: تفسير القرطبي ١٠٤، والرازي: مفاتيح الغيب ١/٦٠.

إلا أربعة أحرف، يقال: نديم وندمان، وسليم و سالم وسلمان،  
ورحيم و راحم و رحمن، و حميد و حامد و حمدان، وهذا نادر<sup>(١)</sup>.

- (رحمن) عَلَمًا ممنوعٌ من الصرف - على الأرجح - كحاله وصفاً، يقول ابن يعيش: ”وَأَمّا الْأَعْلَامُ، نَحْوُ (مَرْوَانَ)، وَ(عَدْنَانَ)، وَ(غِيَلانَ)، فَهِيَ أَسْمَاءٌ لَا تَتَصَرَّفُ لِلتَّعْرِيفِ وَزِيادةِ الْأَلْفِ وَالنُّونِ“<sup>(٢)</sup>. أما البناء نفسه (الوزن) ممنوع من الصرف - على الأرجح - سواه أكان وزناً لوصف أم لعلم؛ لأنَّ الأبنية (الأوزان) تأخذ نفس أحكام موزوناتها<sup>(٣)</sup>.
- (آل) في بناء «فعلان» عَلَمًا بالغلبة، هي (آل) التي للغلبة، وهي نوع من أنواع (آل) الزائدة، إلا أنها لازمة، لا تفارق الاسم الذي دخلت عليه إلا لنداء أو إضافة<sup>(٤)</sup>.

### الثالثة: حول الرسم الإملائي لاسم الله (الرحمن):

أولاً: من الأمور التي اتفق فيها اسم الله (رحمن) واسمه (الله)  
حَذْفُ الْأَلْفِ تخفيفاً لكثره الاستعمال في البسملة وغيرها<sup>(٥)</sup>،  
وشرط صحة هذا الحذف في اسم الله (رحمن) ”ألا يتجرد من  
الْأَلْفِ وَاللَّامِ، فَإِنْ جُرِدَ مِنْهُمَا كَتُبَ بِالْأَلْفِ“، نحو: رحمن الدنيا  
والآخرة<sup>(٦)</sup>، ”وَلَا يُجُوزُ حذف الياء من الرحيم؛ لأنَّ حذف الْأَلْفِ  
من الرحيم لا يُخلُ بالكلمة، ولا يحصل فيها التباس، بخلاف  
حذف الياء من الرحيم“<sup>(٧)</sup>.

(١) السيوطى: المزهر/٢، ٩٤، وينظر فيه أيضًا ٧٢/٢.

(٢) ابن يعيش شرح المفصل/١، ١٨٧، وينظر في الخلاف في هذه المسألة: الرضي: شرح الكافية/١

١٦٩ - ١٧٤ طبعة جامعة الملك محمد بن سعود.

(٣) ينظر في هذه القاعدة: السيوطى: نواهد الأباء/١ ١٥٢/١.

(٤) ينظر في هذا المعنى الاستاذ عباس حسن: النحو الوافي/١ ٤٣٥/٤.

(٥) الرضي: شرح الشافية ١٢٨/٢.

(٦) السيوطى: الهمج ٥٢٠/٣.

(٧) الرازى: مفاتيح الغيب/١ ١٠٤/١.

ثانيًا: يتكون هذا الاسم من ناحية الرسم الإملائي من الحروف المقطعة في أوائل بعض السور، وتقع في ثلاثة مقاطع، هي: الرحمن، ن، ونُسب هذا الملحوظ إلى ابن عباس<sup>(١)</sup>، وسعيد بن جبير رضي الله عن جميع الصحابة الكرام<sup>(٢)</sup>، ومن الجدير باللاحظة أنَّ ترتيب هذه المقاطع في اسم الله الرحمن موافق لترتيبها في كتابه القرآن، والجدول التالي يوضح ذلك:

ن	حم	الر	المقطع
٦٨ - القلم	٤٠ - غافر ٤١ - فصلت ٤٢ - الشورى ٤٣ - الزخرف ٤٥ - الدخان ٤٦ - الجاثية ٤٧ - الأحقاف	١٠ - بونس ١١ - هود ١٢ - يوسف ١٥ - الحجر	رقم السورة الوارد فيها المقطع وفق ترتيب المصحف، وأسمها
٢ - جزء من آية. ٢ - وارد في سورة واحدة، بعد سور المقطع الثاني.	١ - آية مستقلة. ٢ - وارد في صدور سور متتالية، وواقعة بعد سور المقطع الأول، وقبل سور المقطع الثالث.	١ - جزء من آية. ٢ - وارد في صدور سور متقاربة، ومتقدمة عن سور المقطع الثاني.	ملاحظات حول المقطع



(١) البيضاوي: تفسيره ١٥/٣٤.

(٢) الرازى: مفاتيح الغيب ٢/٢٥٢.

## المبحث الثاني مواضع اقتران اسم الله ”الرحمن“ باسمه ”الرحيم“

١. قوله تعالى ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة]:  
فيه خمس مسائل:

الأولى: في الفرق المعنوي بين الأسمين الكريمين:

يرى الطبرى أنَّ الرحمن أشد مبالغة من الرحيم؛ لأنَّه أشد عدولاً عن بناء فعله (فُعل يفعَل)، فهو أقوى في إفادة المدح من الرحيم<sup>(١)</sup>، ويرى الراغب أنَّ الرحمن يدل على كثرة الرحمة وتكرارها، فهو الذي يكون منه تعطف بعد تعطف، وتنقضل بعد تفضيل، ولا يطلق على غيره، كلفظ «الله»، فإنَّهما اسمان اختص بهما الباري ﷺ. والرحيم يدل على كثرة الرحمة، ويسمى به غيره<sup>(٢)</sup>، ويقول الغزالى: ”الرحمن هو المنعم بما لا يتصور صدور جنسه من العباد، والرحيم هو المنعم بما يتصور صدور جنسه من العباد“<sup>(٣)</sup>، ويرى الزمخشري أنَّ الرحمن أشد مبالغة من الرحيم؛ لزيادة المبني في الرحمن عنه في الرحيم، ولدلالة بناء فعلان على الامتلاء، كما أنَّ الرحمن لم يستعمل علماً مع غير الله ﷺ<sup>(٤)</sup>، ويقول ابن عطية: ”الرحمن صفة مبالغة

(١) الطبرى: تفسير الطبرى . ١١٤/١ .

(٢) الراغب: تفسير الراغب . ٥٠/١ .

(٣) الغزالى: المقصد الأستنى ص .٦٣ ، والرازى: مفاتيح الغيب . ٢٠١/١ .

(٤) الزمخشري: الكشاف . ٧/١ ، وابن عاشور: التحرير . ٢١٠/١ . ونسبة الأخير للجمهور.

من الرحمة، و معناها أنه انتهى إلى غاية الرحمة... وهي صفة تختص بالله، ولا تطلق على البشر، وهي أبلغ من فعل، و فعل أبلغ من فاعل؛ لأنَّ راحماً يقال له رحم ولو مرة واحدة، و رحيمًا يقال له كثرة ذلك<sup>(١)</sup>، ويرى ابن جماعة أنَّ الرحمن يدل على عظمة الرحمة، ولكن لا يدل على دوامها، بينما الرحيم يدل على دوام الرحمة<sup>(٢)</sup>، ويرى أبو حيان أنَّ جهة مبالغة "فعلان" من حيث الامتلاء والغلبة، بينما جهة مبالغة فعل من حيث التكرار والوقوع بمحال الرحمة، ولذلك لا يتعدَّى فعالان، ويَتَعَدَّ فَعِيل<sup>(٣)</sup>، ويقول السيوطي: "الرحمن أبلغ من الرحيم؛ فإنه (الرحيم) مشعر باللطف والرفق، كما أنَّ الرحمن مشعر بالفخامة والعظمة"<sup>(٤)</sup>، ويقول الإمام محمد عبد الرحمن الدال على منتهي الكمال في اتصافه بها، واسم الرحيم الدال على أنها من الصفات النفسية المعنوية مع تعلُّقها بالحق تعلقاً تجيزياً، كقوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَّحِيمًا﴾ [النساء: ٢٩] و﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَّحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٣]<sup>(٥)</sup>.

## الثانية: في لطائف اشتتمال البسملة على الاسمين الكريمين:

نقل عن المبرد أنَّ البسملة أمان ورحمة<sup>(٦)</sup>، لهذا لم تبدأ بها سورة براءة، ونقل القرطبي عن بعض العلماء أنَّ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ قسمٌ من ربنا أنزله عن رأس كل سورة، يقسم لعباده: إنَّ هذا الذي وضعت لكم يا عبادي في هذه السورة حق، وإنِّي أوفي لكم بجميع ما ضمَّنتُ في هذه السورة من وعدٍ ولطفٍ وبرٍّ<sup>(٧)</sup>، ويقول البيضاوي: "إنما خص البسملة بهذه الأسماء ليعلم العارف:

(١) ابن عطية: المحرر الوجيز ١/٦٢.

(٢) ابن جماعة: كشف المعاني ٨٥، محمد عبد الرحمن: المنار ٣٩/١، والقاسمي: محسن التأويل ٢٢٦/١، والعكبري: الكليات ٤٦٨/١.

(٣) أبو حيان البحر المحيط ٢٢/١.

(٤) السيوطي: معتبر الأقران ٢٩٦/١.

(٥) محمد رشيد رضا: المنار ٦٣/١.

(٦) ونسب لعلى بن أبي طالب، وابن عباس من الصحابة، كما نسب لسفیان بن عيينة من التابعين.

القرطبي: تفسير القرطبي ٦٣/٨.

القرطبي: تفسير القرطبي ٩١/١.

أن المستحق لأن يستعان به في مجتمع الأمور هو المعبود الحقيقي المولى النعم كلها، عاجلها وآجلها، جليلها وحقرها<sup>(١)</sup>، ويقول ابن جماعة سائلاً ومجيباً: ”لم اختص البسمة بهذه الأسماء الثلاثة [الله، والرحمن، والرحيم]<sup>(٢)</sup>? أما الأول: فلأنه اسم المعبود المستحق للعبادة دون غيره، والموجد لعباده، والثاني والثالث: تبليه على المقتنى لسؤال الاستعانة به، وهو سعة رحمته لعباده“<sup>(٣)</sup>، ويقول ابن القيم ”وأما الرحمة، فهي التعلق والسبب الذي بين الله وبين عباده، فالتأليه منهم له، والريوبية منه لهم، والرحمة سبب واصل بينه وبين عباده، بها أرسل إليهم رسلاه، وأنزل عليهم كتبه، وبها هداهم، وبها أسكنهم دار ثوابه، وبها رزقهم وعافاهم وأنعم عليهم، فبينهم وبينه سبب العبودية، وبينه وبينهم سبب الرحمة“<sup>(٤)</sup>، ويقول الإمام محمد عبد الله عن البسمة: ”القرآن إمامنا وقدوتنا، فافتتاحه بهذه الكلمة إرشاد لنا بأن نفتح أعمالنا بها، فما معنى هذا؟ ليس معناه أن نفتح أعمالنا باسم من أسماء الله ﷺ، بل أن نذكره على سبيل التبرك أو الاستعانة به، بل أن نقول هذه العبارة ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ فإنها مطلوبة لذاتها“<sup>(٥)</sup>، ويقول محمد رشيد رضا: ”بدء كل سورة بالبسملة التي لم يوصف اسم الذات (الله) فيها بغير الرحمة الكاملة الشاملة هو إعلام منه ﷺ بأنه أنزله رحمة للعالمين، كما قال مخاطباً من أنزله عليه ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِين﴾ [الأنبياء: ١٠٧]“<sup>(٦)</sup>. وافتتاح القرآن الكريم بهذين الأسمين الكريمين فيه من حسن الابتداء، وبراعة الاستهلال<sup>(٧)</sup> ما لا يخفى.

### الثالثة: في فوائد اقتران الأسمين الكريمين:

يقول المبرد عن فائدة الجمع بينهما: ”إنه تفضل بعد تفضل وإنعام“

(١) البيضاوي: تفسير البيضاوي ٢٦/١

(٢) ابن جماعة: كشف المعاني ٨٤

(٣) ابن القيم: مدارج السالكين ١/٥٨

(٤) محمد رشيد رضا: المنار ٣٤/١

(٥) محمد رشيد رضا: المنار ٦٣/٦٤

(٦) ينظر في معنى كل من المصطلحين والفرق بينهما: البغدادي: خزانة الأدب، مقدمة الكاتب ١، ١٩/١، ٢٠، وما بعد كل منها على الترتيب.

بعد إنعام، وتقوية لمطامع الراغبين<sup>(١)</sup>، ويقول ابن جماعة: ”فَكَأْنَه قَيْلٌ: الْعَظِيمُ الرَّحْمَةُ الدَّائِمُهَا“<sup>(٢)</sup>، ويقول ابن القيم: ”وَأَمَّا الْجَمْعُ بَيْنَ (الرَّحْمَنِ)، وَ(الرَّحِيمِ)، فَقَيْهُ مَعْنَى... أَنَّ (الرَّحْمَنَ) دَالٌ عَلَى الصَّفَةِ الْقَائِمَةِ بِهِ ﷺ، وَ(الرَّحِيمَ) دَالٌ عَلَى تَعْلِقَهَا بِالْمَرْحُومِ، فَكَانَ الْأُولُّ لِلْوُصْفِ، وَالثَّانِي لِلْفَعْلِ، فَالْأُولُّ دَالٌ عَلَى أَنَّ الرَّحْمَةَ صَفَتُهُ، وَالثَّانِي دَالٌ عَلَى أَنَّهُ يَرْحِمُ خَلْقَهُ بِرَحْمَتِهِ“<sup>(٣)</sup>، ويقول البقاعي: ”وَالْمَرادُ بِهِمَا هُنَّا أَنَّهُ ﷺ يَسْتَحِقُ الاتِّصَافَ بِهِمَا لِذَاتِهِ“<sup>(٤)</sup>، ويقول ابن عاشور: ”(الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ) يُشَمِّلُ أَصْوَلَ التَّشْرِيعِ الرَّاجِعَةِ لِلْمَكْلُوفِينَ“<sup>(٥)</sup>.

**الرابعة: في دلالات تقديم لفظ الجلالة (الله) على (الرحمن الرحيم):**

يقول الرازى ”(الله) إشارة إلى القهر والقدرة والعلو، ثم ذكر عقيبه (الرحمن الرحيم)، وذلك يدل على أن رحمته أكثر وأكمل من قهره“<sup>(٦)</sup>، ويقول البقاعي ”وَلَمَّا كَانَ اسْمُ الْجَلَالَةِ عَلَمًا، وَكَانَ جَامِعًا لِجَمِيعِ مَعَانِي الْأَسْمَاءِ الْحَسَنِيِّ، أُولَئِيَّهُ (الرَّحْمَنَ) مِنْ حِيثِ كَانَ كَالْعَلَمِ فِي أَنَّهُ لَا يُوصَفُ بِغَيْرِهِ، وَمِنْ حِيثِ إِنَّهُ أَبْلَغُ مِنَ الرَّحِيمِ، فَأَوْلَى الْأَبْلَغَ الْأَبْلَغَ“<sup>(٧)</sup>.

**الخامسة: في أسباب تقديم (الرحمن) على (الرحيم):**

يقول ابن جُزَى: ”إِنَّمَا قَدِمَ «الرَّحْمَنُ» لِوَجْهِيْنِ اخْتِصَاصِهِ بِاللهِ، وَجَرِيَانِهِ مَجْرِيَ الْأَسْمَاءِ الَّتِي لَيْسَتْ بِصَفَاتٍ“<sup>(٨)</sup>، ويقول ابن عاشور:

(١) القرطبي: تفسير القرطبي / ١٠٥.

(٢) ابن جماعة: كشف المعاني ص ٨٥، وأبو البقاء الحنفي: الكليات / ٤٦٨.

(٣) ابن القيم: بدائع الفوائد / ٢٤.

(٤) البقاعي: نظم الدرر / ٢٦.

(٥) ابن عاشور: التحرير والتتوير / ١٢٤.

(٦) الرازى: مفاتيح الغيب / ١٥٣.

(٧) البقاعي: نظم الدرر / ٢٥، ٢٦. وينظر في هذا المعنى: ابن خالويه: إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم ص ١٣، الرازى: مفاتيح العتب / ١٥٣، وابن كثير: تفسير ابن كثير / ١٢٦.

(٨) ابن جزى: التسهيل / ٤٩، وينظر في هذا المعنى: ابن خالويه: إعراب ثلاثين سورة ص ١٣، ١٤، والقرطبي:

تفسير القرطبي / ١٠٦، والشيخ زكريا الانصاري: فتح الرحمن / ٩، والألوسي: روح المعاني / ٤٧.

”وتقديم الرحمن على الرحيم؛ لأنَّ الصيغة الدالة على الاتصاف الذاتي أولى بالتقديم في التوصيف من الصفة الدالة على كثرة متعلقاتها“<sup>(١)</sup>.

## ٢. قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [الفاتحة: ٣]

فيه ثلاثة مسائل:

**الأولى: في لطائف تكرار (الرحمن الرحيم):**

بيَّنَ الرَّازِي أَنَّ الْحَقَّ كَرَرَ فِي الْفَاتِحَةِ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ مَرْتَيْنِ، وَلَمْ يَكُرِّرْ الْأَسْمَاءُ الْثَّلَاثَةُ الْأُخْرَى الْوَارَدَةُ فِيهَا؛ اللَّهُ، وَرَبُّ الْعَالَمِينَ، وَمَالِكُ يَوْمِ الدِّينِ، وَذَلِكَ: ”كَانَهُ قِيلَ: اذْكُرْ أَنِّي إِلَهٌ وَرَبٌّ مَرَّةً وَاحِدَةٍ، وَادْكُرْ أَنِّي رَحْمَنُ رَحِيمٌ مَرْتَيْنِ، لِتَعْلَمْ أَنَّ الْعِنَاءَ بِالرَّحْمَةِ أَكْثَرُ مِنْهَا بِسَائِرِ الْأَمْورِ، ثُمَّ لَمَّا بَيَّنَ الرَّحْمَةَ الْمُضَاعِفَةَ، فَكَانَهُ قَالَ: لَا تَفْتَرُوا بِذَلِكَ، فَإِنِّي مَالِكُ يَوْمِ الدِّينِ“<sup>(٢)</sup>، وَيَقُولُ أَبُو حِيَانُ: ”وَفِي تَكْرَارِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ... تَبَيَّنَ عَلَى عَظِيمِ قَدْرِ هَاتِيْنِ الصَّفَتَيْنِ، وَتَأكِيدِ أَمْرِهِمَا... وَالتَّرْتِيبُ الْقُرْآنِيُّ جَاءَ فِي غَايَةِ الْفَصَاحَةِ؛ لَأَنَّهُ ﴿وَصَفَ نَفْسَهُ بِصَفَةِ الرِّبُوبِيَّةِ وَصَفَةِ الرَّحْمَةِ، ثُمَّ ذَكَرَ شَيْئَيْنِ: أَحَدُهُمَا مَلِكُهُ يَوْمُ الْجَزَاءِ، وَالثَّانِي الْعِبَادَةُ، فَنَاسَبَ الرِّبُوبِيَّةَ الْمَلِكُ، وَالرَّحْمَةُ الْعِبَادَةُ، فَكَانَ الْأُولُى لِلْأَوَّلِ وَالثَّانِي لِلثَّانِي“<sup>(٣)</sup>، وَيَقُولُ ابْنُ الْقِيمِ: ”وَكَرَرَ إِيَّا نَا بِثِبَوتِ الْوَصْفِ وَحْصُولِ أَثْرِهِ وَتَعْلِقَتِهِ بِمَتَعَلَّقَاتِهِ“<sup>(٤)</sup>، وَيَقُولُ الشَّيْخُ زَكَرِيَاُ الْأَنْصَارِيُّ ”ذَكَرَ فِي الْآيَةِ الْأُولَى [البِسْمِلَةِ] الْمُنْعَمِ دُونَ الْمَنْعَمِ عَلَيْهِمْ، فَأَعْدَادُهَا مَعْ ذَكْرِهِم بِقَوْلِهِ ﴿رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾<sup>(٥)</sup>، وَقَالَ مُحَمَّدُ رَشِيدُ رَضَا: ”وَقَدْ كَرَرَهَا مَرَّةً ثَانِيَّةً، تَبَيَّنَ لَنَا عَلَى أَمْرِهِ إِيَّا نَا بِتَوْحِيدِهِ وَعِبَادَتِهِ؛ رَحْمَةً مِنْهُ ﴿بَنَا﴾؛ لَأَنَّهُ مَصْلَحَتُنَا وَمَنْفَعَتُنَا“<sup>(٦)</sup>.

(١) ابن عاشور: التحرير والتوبيخ /١٢١٠.

(٢) الرَّازِي: مفاتيح الغيب /١٢٠٨.

(٣) أَبُو حِيَانُ: الْبَحْرُ الْمُحِيطُ /٢٥٣، ٣٦٠.

(٤) ابْنُ الْقِيمِ: مَذَارِجُ السَّالِكِينَ /١٥٧.

(٥) الشَّيْخُ زَكَرِيَاُ الْأَنْصَارِيُّ: فَتْحُ الرَّحْمَنِ، صِ: ٩.

(٦) مُحَمَّدُ رَشِيدُ رَضَا: الْمَنَارُ /١٣٢.

## الثانية: في فوائد اقتران ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ بـ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾:

يقول ابن جماعة: ”فائدة إعادتها بعد الحمد التبيه على الصفات المقتضية لحمده وشكره، وهي سعة رحمته ﷺ لعباده“<sup>(١)</sup>، ويقول ابن القيم ”اقتران ربوبيته برحمته، كاقتران استوائه على عرشه برحمته، ف ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ أَسْتَوَى﴾ [طه] مطابق لقوله ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾؛ فإنَّ شمول الربوبية وسعتها، بحيث لا يخرج شيء منها أقصى شمول، [كشمول]<sup>(٢)</sup> الرحمة وسعتها فوسع كل شيء برحمته وربوبيته“<sup>(٣)</sup>، ويقول ابن عاشور ”إجراء هذين الوصفين العليين على اسم الجلالة بعد وصفه بأنه رب العالمين، لمناسبة ظاهرة للبلوغ؛ لأنه بعد أن وُصف بما هو مقتضى استحقاقه الحمد من كونه رب العالمين، أي مدبر شؤونهم ومبلغهم إلى كمالهم في الوجودين الجثماني والروحياني، ناسب أن يُتبع ذلك بوصفه بالرحمن، أي الذي الرحمة له وصف ذاتي تصدر عنه آثاره بعموم واطراد، فلما كان ربًا للعالمين، وكان ترقيهم إليها من الموصوف بها بالذات ناجحًا.... فكانت الربوبية نعمة، والنعمة قد تحصل بضرب من الشدة والأذى، فتأتي ذلك بوصفه بالرحمن، تبيهاً على أن تلك النعم الجليلة وصلت إلينا بطريق الرفق واليسير، ونفي الحرج حتى في أحکام التكاليف والمناهي والزواجر، فإنها مرفوقة“<sup>(٤)</sup>.

## الثالثة: في دلالات اقتران ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ بـ ﴿مَلِكُ يَوْمِ الدِّينِ﴾:

يقول ابن الزبير الغرناطي: ”إنه ﷺ خصص هذه الأمة بخصائص الاعتكاء والتكريم، وقال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجْتُ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وجعل

(١) ابن جماعة: كشف المعاني ص ٨٤، والبقاعي: نظم الدرر ٢٨/١.

(٢) لابد من هذه الزيادة كي يستقيم المعنى.

(٣) ابن القيم: مدارج السالكين ٥٨/١.

(٤) ابن عاشور: التحرير والتواتير ١/٢١٠، ٢١٠، ٢٢٧، ٦٣، ٦٢، ومحمد رشيد رضا: المنار ٤٤/١.

نبينا ﷺ سيد ولد آدم، والمصطفى من كافة الخلق، والتابعُ مُشَرِّفٌ بشرف المتبوع، وقد خاطبه ﷺ بخطاب الرحمة والتلطف والاعتناء، فقال تعالى **عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَا أَذْنَتْ لَهُمْ** [التوبه:٤٢]، فقدم العفو بين يدي ما صورته العتب، لئلا يتتصدع قلبه ﷺ، فكذلك تلطف لعباده من أمة هذا النبي الكريم، وأمنهم من خوفهم، وإشفاقهم من عرض أعمالهم وحسابهم، فقال: **بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۖ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۖ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ مَلِكُ يَوْمِ الدِّينِ ۖ** [٤٢: إبراهيم]، لما كان ﷺ قد وصف هذا اليوم بأنه: **تَشَخَّصُ فِيهِ الْأَبْصَرُ** [٤٢: إبراهيم]، **وَتَقْسَعُ كُلُّ ذَاتٍ حَمِيلٍ حَمِيلًا وَتَرَى النَّاسَ شُكْرًا وَمَا هُمْ بِشُكْرَى** [٢: الحج]، قدم هنا تعريفهم بأنه هو الرحمن الرحيم، وأنه ملك ذلك اليوم، فأنس هذه الأمة، كما آنس نبيها، وذلك أبين شيء<sup>(١)</sup>، ويقول ابن القيم: ”في ذكر هذه الأسماء **الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ مَلِكُ يَوْمِ الدِّينِ**“ بعد الحمد، وإيقاع الحمد على مضمونها ومقتضاها، ما يدل على أنه محمود في ربوبيته، محمود في رحمانيته، محمود في ملكه، وأنه إله محمود، ورب محمود، ورحمن محمود، وملك محمود، فله بذلك، جميع أقسام الكمال، كمال من هذا الاسم بمفرده، وكمال من الآخر بمفرده، وكمال من اقتران أحدهما الآخر“<sup>(٢)</sup>.

٣. قوله تعالى: **وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهٌ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ** [١٦٣: البقرة]: يقول الفخر الرازي: ”وَاعْلَمَ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ إِنَّمَا خَصَّ هَذَا الْمَوْضِعُ بِذِكْرِ هَاتِيْنِ الصِّفَتَيْنِ لِأَنَّ ذِكْرَ الْإِلَهِيَّةِ وَالْفَرَدَانِيَّةِ يُقْيِدُ الْقَهْرَ وَالْعُلوُّ فَعَفَّ بَهُمَا بِذِكْرِ هَذِهِ الْمُبَالَغَةِ فِي الرَّحْمَةِ تَرْوِيحاً لِلقلوبِ عَنْ هَيْبَةِ الْإِلَهِيَّةِ، وَعِزَّةِ الْفَرَدَانِيَّةِ وَإِشْعَاراً بِأَنَّ رَحْمَتَهُ سَبَقَتْ غَضَبَهُ، وَأَنَّهُ مَا خَلَقَ الْخَلْقَ إِلَّا لِلرَّحْمَةِ وَالْإِحْسَانِ“<sup>(٣)</sup>، ويقول أبو حيان: ”ذَكَرَ هَاتِيْنِ الصِّفَتَيْنِ مُنْبِهًا بِهِمَا عَلَى

(١) ابن الزبير الغناطي: مالك التأويل /١٩٠، وينظر في إيجاز ذلك المعنى: ابن جزي: التسهيل /١٦٥٥.

(٢) ابن القيم: مدارج السالكين /١٥٨.

(٣) الرازي: مفاتيح الغيب /٤١٥٢، والقاسمي: محاسن التأويل /١٤٥٧.

استحقاق العبادة له؛ لأنَّ مَنْ ابتدأك بالرحمة إنشاءً بشرًا سوياً عاقلاً، وتربيَّةً في دار الدنيا، موعوداً الوعد الصدق بحسُن العاقبة في الآخرة - جديرٌ بعبادتك له، والوقوف عند أمره ونهيه، وأطمعك بهاتين الصفتين في سعة رحمته، وجاءت هذه الآية عقِيب آية مختومة باللغنة والعداب لمن مات غير موحد له ﷺ<sup>(١)</sup>، إذ غالب القرآن أنه إذا ذكرت آية عذاب، ذكرت آية رحمة، وإذا ذكرت آية رحمة ذكرت آية عذاب<sup>(٢)</sup>، ويقول ابن عاشور ”قوله ”الرحمن الرحيم“ ... وهما وصفان لل مدح، وفيهما تلميح لدليل الألوهية والانفراد بها؛ لأنَّه منعم، وغيره ليس بمنعم. على أنَّ في ذكر صفة الرحمن إغاظة للمشركين، فإنهم أبوا وصف الله بالرحمن، كما حكى الله عنهم بقوله: ﴿فَالْوَلِوْمَا الرَّحَمَن﴾ [الفرقان: ٦٠]<sup>(٣)</sup>.

٤ - قوله تعالى حكاية لكلام ملكة سباً: ﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [النمل: ٢٠]: يقول ابن عاشور "افتتاح الكتاب بجملة البسمة يدل على أنَّ مرادفها كان خاصاً بكتب النبي سليمان، أن يُتَبَعَ اسم الجلالـة بوصفي الرحمن الرحيم، فصار ذلك سنة لافتتاح الأمور ذوات البال في الإسلام، ادخره الله لل المسلمين من بقایا سنة الأنبياء بعد أن تتوسي ذلك، فإنه لم يُعرف أنَّ بنى إسرائيل افتتحوا كتبهم باسم الله الرحمن الرحيم" <sup>(٤)</sup>.

٥. قوله تعالى: ﴿ حَمْ ۚ تَبَرِّزُ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۚ ﴾ [فصلت: ٢-١] يقُولُ الرَّازِيُّ: ”كَوْنُ ذَلِكَ التَّبَرِيزُ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ يَدْلُّ عَلَى كَوْنِ ذَلِكَ التَّبَرِيزُ نَعْمَةً عَظِيمَةً مِنَ اللَّهِ تَعَالَى: لِأَنَّ الْفَعْلَ الْمُقْرَونَ بِالصَّفَةِ لَا يَدْلُّ وَأَنَّ يَكُونَ مَنْاسِبًا لِتَلْكَ الصَّفَةِ، فَكَوْنُهُ رَحْمَانًا رَحِيمًا صَفْتَانَ دَالِتَانَ عَلَى كَمَالٍ

(١) هي قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مَا لَوْا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَيَّبُوهُمْ لِنَهَا اللَّهُ وَالْمُلْكُ لَهُ وَأَنَّا إِنَّا جَمِيعُنَا﴾ [آل عمران: ٢٣] [البقرة: ١٥٦].

(٣) ابن عاشور: التحرير والتوبيخ، ٧٥/٢، ٧٦.

(٤) ابن عاشر: التحرير والتنوير ١٩/٢٦٠.

الرحمة، فالتزيل المضاف إلى هاتين الصفتين لابد وأن يكون دالاً على أعظم وجوه النعمة<sup>(١)</sup>، ويقول ابن عاشور: ”وإيثار الصفتين ”الرحمن الرحيم“ على غيرهما من الصفات العلية للإيماء إلى أنَّ هذا التزيل رحمةٌ من الله بعباده... والجمع بين صفتى الرحمن الرحيم... إيماء إلى استحماق الذين أعرضوا عن هذا الكتاب بأنهم أعرضوا عن رحمة“<sup>(٢)</sup>.

٦. قوله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَدَةُ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [الحشر: ٢٢]

يقول ابن عاشور: ”وضمير هو الرحمن الرحيم ضمير فصل يفيد قصر الرحمة عليه ﷺ، لعدم الاعتداد برحمة غيره لقصورها...، ووجه تعقيب صفة عموم العلم بصفة الرحمة - أنَّ عموم العلم يقتضي أنَّ لا يغيب عن علمه شيء من أحوال خلقه و حاجتهم إليه، فهو يرحم المحاجين إلى رحمته، ويمهل المعاندين إلى عقاب الآخرة... وقد كثر اتباع اسم الجلالة بصفتي الرحمن الرحيم في القرآن، كما في الفاتحة“<sup>(٣)</sup>.



(١) الرازى: مفاتيح الغيب /٢٧، ٥٣٧، ٥٣٨.

(٢) ابن عاشور: التحرير والتتوير /٢٤، ٢٣٠.

(٣) ابن عاشور: التحرير والتتوير /٢٨، ١٢٠.

## المبحث الثالث مواضع انفراد اسم الله "الرحمن"

١. قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ أَرْسَلْنَا فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَّمٌ لِتَتَّلَوْا عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكُمْ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّ الْإِلَهِ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوْكِيدٌ وَإِلَيْهِ مَتَابٌ﴾ [الرعد:٢٠]: يقول البقاعي: ”قوله (بالرحمن) إشارة إلى كثرة حلمه وطول أناته، وتصوير لقبح حالهم في مقابلتهم الإحسان بالإساءة، والنعمه بالكفر بأوضح صورة، وهم يدعون أنهم أشكر الناس للإحسان وأبعدهم عن الكفران، ولما تضمن كفرهم بالرحمن كفرهم بالقرآن ومن أنزل عليه، وكان الكفر بالنعم في غاية القباحة، كان بأنه قيل: فماذا أفعل حينئذ أنا ومن اتبعني؟ فقيل: لا نتمني إجابتهم إلى مقترحاتهم إلا رجاء إيمانهم“<sup>(١)</sup>، ويقول القاسمي: ”وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ... أَيْ يَكْفُرُونَ بِالْبَلِيجِ الرَّحْمَةِ، وَالَّذِي وسَعَ رَحْمَتَهُ كُلَّ شَيْءٍ، وَالْعَدْوُ إِلَى الْمُظَاهَرِ الدَّالِّ عَلَى الرَّحْمَةِ، إِشَارَةً إِلَى أَنَّ الْإِرْسَالَ نَاسِئٌ مِنْهَا، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٧]“، وإلى أنه لم يشكروا نعمة هذا الوحي، الذي هو مدار المنافع الدينية والدنيوية، وإلى أن الرحمن من أسمائه الحسنى، ونعته العليا وقد كانوا يتجادلون بهذا الاسم الكريم... وقالوا: ما ندرى ما الرحمن“<sup>(٢)</sup>.

٢ . قوله تعالى: ﴿قُلْ أَدْعُوكُمْ أَوْ أَدْعُوكُمْ رَحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فِلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَبَثْخَنْ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ١١٠] يقول البقاعي: ”كان المعاندين من العرب... بعد ما قام من الأدلة، قالوا: آمنا، فعلمنا كيف ندعوه؟ وبأي اسم نهتف؟ ولما كان الجلال هو الاسم الجامع لجميع معاني الأسماء الحسنى... وكانت الرحمة دنيوية وأخروية... قد كررت في هذه السورة<sup>(١)</sup>... وكان ذلك ظاهراً في إرادة عمومها، فكان اسم (الرحمن) به أليق - وقع الجواب بقوله تعالى: ﴿أَوْ أَدْعُوكُمْ رَحْمَنَ﴾، في معنى استغراقه بالرحمة... فاهتفوا بهذا الاسم الدال على الجلال واستحقاق مسماه الدعاء لذاته، أو بهذا الاسم الدال على الجمال، واستحقاقه الدعاء لإنعامه<sup>(٢)</sup>، ثم بين رحمه الله: لم جاء اسم الله الرحمن في معادلة اسمه (الله) في هذا الموضوع؟ فقال: ”لما كان في (الرحمن) جمال ظاهر، [و]<sup>(٣)</sup>، في باطنـه جلال... فكان لذلك جاماً لجميع الأسماء الحسنى والصفات العلى سبب عن ذكر كل من الاسمين: العلم الجامع والوصف الواقع موقعه“<sup>(٤)</sup>.

فائدة: في كثرة ورود اسم الله (الرحمن) في سورة مريم: قال ابن جماعة: ”وأما تكرار لفظ الرحمن في هذه السورة... فإنه لمّا افتتح أول السورة بقوله تعالى: ﴿ذَكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ رَزَكَرِيَّا﴾ [مريم: ٢] – نبه بتكرار لفظ الرحمن على عظم رحمته وعمومها، وأن ذلك ليس خاصاً بأنبيائه وخواصه<sup>(٥)</sup>، ويقول ابن عاشور: ”وقد تكرر في هذه السورة صفة الرحمن ست عشرة مرة، وذكر اسم الرحمة أربع مرات،

(١) كما في قوله تعالى: ﴿عَنِ رَبِّكُمْ أَنْ يَرْحَمُكُم﴾ [الإسراء: ٨]، و﴿جَنَاحَ الْذُلُّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ [الإسراء: ٢٤]، و﴿وَقُلْ رَبِّ أَرْجُهُمَا﴾ [الإسراء: ٤٤]، و﴿الْيَتَمَّةُ رَحْمَةٌ مِّنْ رَبِّكَ﴾ [الإسراء: ٢٨]، و﴿رَبِّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنَّمَا يَشَاءُ يَرْحَمُكُم﴾ [الإسراء: ٥٤]، و﴿إِنَّهُ كَانَ يَنْهَا رَحِيمًا﴾ [الإسراء: ٨٧]، و﴿الْأَرْضُ رَحْمَةٌ مِّنْ رَبِّكَ﴾ [الإسراء: ٨٧]، و﴿أَخْرَجَنَ رَحْمَةً رَبِّكَ﴾ [الإسراء: ١٠٠].

(٢) البقاعي: نظم الدرر ١١ / ٥٣٧، ٥٣٨.

(٣) لابد منها ليستقيم المعنى، وليست في الكتاب المحقق.

(٤) البقاعي: نظم الدرر ١١ / ٥٣٨.

(٥) ابن جماعة: كشف المعاني ٢٤٨.

فأنبأَ بِأَنَّ مِنْ مَقاصِدِهَا تَحْقِيقُ وَصْفَ اللَّهِ بِصَفَةِ الرَّحْمَنِ، وَالرَّدُّ عَلَى الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ تَعَقَّرُوا بِإِنْكَارِ هَذَا الْوَصْفِ، كَمَا حَكَى اللَّهُ عَنْهُمْ فِي سُورَةِ الْفَرْqَانِ<sup>(١)</sup><sup>(٢)</sup><sup>(٣)</sup>.

٣. قوله تعالى: **﴿قَالَتْ إِلَيْهِ أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا﴾** [مريم: ١٨]: يقول الآلوسي: ” وإنما ذكرته **بِالرَّحْمَةِ**“ بعنوان الرحمانية؛ تذكيراً لمن رأته بالرحمة؛ ليرحم ضعفها وعجزها عن دفعه، أو مبالغة لعيادة به **بِالرَّحْمَةِ**، واستجلاباً لآثار الرحمة الخاصة، التي هي العصمة مما دهمها“<sup>(٤)</sup><sup>(٥)</sup>.

٤. قوله تعالى: **﴿فَلَكِي وَأَشَرِي وَقَرِي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيْنَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِرَحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أَكَلِمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾** [مريم: ٢٦]: فيه إيماءً إلى أنّ ما هي فيه، إنما هو نعمة من الرحمن: الذي عمّت رحمته، فأدخلها فيها على ضعف قواها، وخصها بهذه الكرامات<sup>(٦)</sup>.

٥. قوله تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام: **﴿يَأَيُّهَا لَنَا تَبَدِّلُ الشَّيْطَانُ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِرَحْمَنِ عَصِيًّا﴾** [مريم: ٤٤]: يقول ابن جماعة: ” فيه تعظيم أمر الكفر، الذي كان عليه أبوه؛ لأنّ مَنْ عظمت رحمته وعمت لا يُعذَّبُ إلا على أمر عظيم بالغ في القبح، فتبه على عظم ما عليه أبوه من الكفر، ورجاء قبول توبته من الرحمن“<sup>(٧)</sup>، ويقول أبو حيان: ” وكان لفظ (الرحمن) هنا تبيئاً على سعة رحمته، وأنّ مَنْ هذا وصفه هو الذي ينبغي أن يعبد ولا يُعصي، وإعلاماً بشقاوة الشيطان حيث عصى مَنْ هذه صفتة، وارتكب بذلك ما طرده من هذه الرحمة“<sup>(٨)</sup>.

٦. قوله تعالى: **﴿يَأَيُّهَا أَخَافُ أَنْ يَمْسَكَ عَذَابًا مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ**

(١) في قوله تعالى: **﴿وَلَذَا قَبَلَ لَهُمْ أَسْجَدُوا لِرَحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ﴾** [الفرقان: ٦٠].

(٢) ابن عاشور: التحرير والتواتر ١٦، ٥٩ / ٦٠.

(٣) الآلوسي: روح المعاني ٨ / ٢٥٩.

(٤) ينظر في هذا المعني: البقاعي: نظم الدرر ١٩١ / ١٢.

(٥) ابن جماعة: كشف المعاني ص ١٤٨، ابن عاشور: التحرير والتواتر ١٦، ١١٧ / ١١٨.

(٦) أبو حيان: البحر المحيط ٧ / ٢٦٩.

وليتا [مريم:٤٥]: يقول الآلوسي: "إنما قال من الرَّحْمَن؛ لقوله أولاً: كان للرَّحْمَن عَصِيَا، وللَّدَلَالَة عَلَى أَنَّه لَيْسَ عَلَى وَجْهِ الانتقام بِلَذِكَرِ أَيْضًا رَحْمَةً مِنَ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ، وَتَبَيْهَ عَلَى سُبْقِ الرَّحْمَةِ الْفَضْبَ، وَأَنَّ الرَّحْمَانِيَّةَ لَا تَتَافِي بِالْعَذَابِ"<sup>(١)</sup>.

٧. قوله تعالى: ﴿أَوْلَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِنَ النَّبِيِّنَ مِنْ ذُرِّيَّةِ أَدَمَ وَمِنْ حَمَدَنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِنْ هَدَنَا وَجَهَنَّمَ إِذَا نُثَلَ عَلَيْهِمْ أَيْنَتُ الرَّحْمَنِ خَرُوا سُجَّدًا وَبِكَارًا﴾ [مريم:٥٨]: "وَالْمُرَادُ بِآيَاتِ اللَّهِ مَا خَصَّهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ مِنَ الْكُتُبِ الْمُنَزَّلَةِ عَلَيْهِمْ"<sup>(٢)</sup>، وذِكْرُ الرَّحْمَنِ هُنَا مَنْاسِبٌ لِمَا أَفَاضَ عَلَيْهِمْ مِنْ جَلَائِلِ النِّعَمِ، الَّتِي ذُكِرَتْ فِي الْآيَاتِ السَّابِقَةِ [مريم:٤١-٥٨]، فَإِنَّهَا مِنْ فِيضِ رَحْمَانِيَّتِهِ، وَفِيهِ بَشَارَةٌ بِمَا أَعْدَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ مِنْ كَرِيمِ الْجَزَاءِ.

٨. قوله تعالى: ﴿جَنَّتِي عَدَنِي الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ، يَا لَعِيْبَ إِنَّهُ كَانَ وَعَدَهُ، مَأْتَيَا﴾ [مريم:٦١]: وصفُ الجَنَّاتِ "بِ" وَعَدَ الرَّحْمَنَ عِبَادَهُ؛ لِزِيَادَةِ تَشْرِيفِهَا وَتَحْسِينِهَا"<sup>(٣)</sup>. وَاختِيارُ اسْمِ الرَّحْمَنِ هُنَا فِيهِ إِيمَاءٌ إِلَى أَنَّ وَعْدَهُمُ الْمُحْقِقُ بِجَنَّاتِ عَدَنِ، وَقَبُولُ توبَتِهِمْ بَعْدَ إِضَاعَتِهِمُ الصَّلَاةَ، وَاتِّبَاعِهِمُ الشَّهْوَاتِ، إِنَّمَا هُوَ مِنْ فِيضِ رَحْمَانِيَّتِهِ.

٩. ﴿أَشَدُ عَلَى الرَّحْمَنِ عِيَّنَا﴾ [مريم:٦٩]: "وَذِكْرُ صَفَةِ الرَّحْمَنِ هُنَا لِتَقْظِيعِ عُتُوهِمْ؛ لِأَنَّ شَدِيدَ الرَّحْمَةِ بِالْخَلْقِ حَقِيقٌ بِالشُّكْرِ لِهِ وَالْإِحْسَانِ، لَا بِالْكُفْرِ بِهِ وَالْطُّغْيَانِ"<sup>(٤)</sup>؛ فَفِيهِ إِيمَاءٌ إِلَى أَنَّ مَا بِهِمْ مِنْ قُوَّةٍ إِنَّمَا هُوَ مِنْ فِيضِ رَحْمَانِيَّتِهِ، وَهُوَ الَّذِي رَحْمَهُمْ "بِإِنْزَالِ الْكِتَابِ وَإِرْسَالِ الرَّسُلِ وَتَعْرِيفِ مَضَارِ الشَّهْوَاتِ بِالْعُقْلِ وَالنَّقلِ"<sup>(٥)</sup>، وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ

(١) الآلوسي: روح المعاني .٤١٥/٨

(٢) الرازى: مفاتيح الغيب .٥٥١/٢١

(٣) ابن عاشور: التحرير والتبيير .١٣٦/١٦

(٤) ابن عاشور: التحرير والتبيير .١٤٨/١٦

(٥) القاسمى: محسن التأويل .١٠٨/٧

آثروا الشهوات، وخالفوا رسله، فاستحقوا الجُنُون في جهنم، ومع ما للرحمٰن من واسع الرحمة، إلا أنه يعذب مَنْ يستحق العذاب، وفي ذلك إشارة إلى أنَّ (الرحمن) دَالٌ على الجمال والجلال معاً.

١٠. **﴿فَلِمَدَدَهُ الرَّحْمَنُ مَدَداً﴾** [مريم: ٧٥]: “أي: فليدعه في ضلالته، وليمله في غيه”<sup>(١)</sup>، وفي لفظ الرحمن إشارة ”إلى التحلٰي لهم بصفة الإحسان... في العاجلة بالبساط في الآثار، والسعنة في الديار، والطول في الأعمار، وإنفاقها فيما يستلزم من الأوزار الكبار، فيزيده العزيز الجبار بذلك ضلالاً”<sup>(٢)</sup>، فما هم فيه من إمهال في النعم مع انغماسهم في الغي والضلال إنما هو من فيض رحمانيته، وهي لا تتعارض مع استدرج الغارق في الضلال، فهي صفة جلال وجمال. ويقول الألوسي ”وال تعرض لعنوان الرحمانية لما أَنَّ المَدَّ من أحكامها“<sup>(٣)</sup>.

١١. قوله تعالى: **﴿أَفَرَبِتَ الَّذِي كَفَرَ بِعِيَاتِنَا وَقَالَ لَا وَتَيَّبَ مَالًا وَوَلَدًا ﴾**<sup>(٤)</sup> **﴿أَطْلَعَ الْغَيْبَ أَمْ أَخْذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾** [مريم: ٧٨-٧٧]: يقول الألوسي: ”والعرض لعنوان الرحمانية؛ للإشعار بعلية الرحمة لإيتاء ما يدعيه“<sup>(٥)</sup>، ويقول ابن عاشور: ”واختير هنا من أسمائه الرحمن؛ لأنَّ استحضار مدلوله أجدر في وفائه بما عهد به من النعمة المزعومة لهذا الكافر، ولأنَّ في ذكر هذا الاسم توركاً<sup>(٦)</sup>، على المشركين الذين قالوا: **﴿وَمَا الرَّحْمَنُ﴾** [الفرقان: ٦٠]<sup>(٧)</sup>“.

(١) بيان الحق: باهر البرهان ٢/٨٩٥. وينظر في أقوال المفسرين في هذه الآية: القاسمي: محاسن التأويل ٧/١١٠.

(٢) البقاعي: نظم الدرر ١٢/٢٣٩.

(٣) الألوسي: روح المعاني ٨/٤٤٢.

(٤) الألوسي: روح المعاني ٨/٤٤٦.

(٥) إفحاماً لهم، وإقامة للحججة عليهم، يقول ابن منظور في اللسان، باب الكاف، فصل الواو مع الراء ١٠/٥١٢: ”والتوريك: توريك الرجل ذئبه غيره كأنه يلزمه إياه، وورك فلان ذئبه على غيره توريك إذا أضافه إليه وقرقه به. وإنَّ لم يُرَك في هذا الأمر، أي ليس له فيه ذنب. وورك الذنب عليه: حمله“.

(٦) ابن عاشور: التحرير والتبيير ١٦/١٦١.

١٢. **﴿يَوْمَ تُخْشَرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفَدًا﴾** [مريم:٨٥]: يقول أبو حيان: ”وَعُدِّي (نحشر) بـ (إلى الرحمن): تعظيمًا لهم وتشريفًا، وذكر صفة الرحمانية التي خصهم بها كرامةً؛ إذا لفظ الحشر<sup>(١)</sup>، فيه جمعٌ من أماكن متفرقة وأقطار شاسعة على سبيل القهر، فجاءت لفظة الرحمن مؤذنةً بأنهم يحشرون إلى مَنْ يرحمهم“<sup>(٢)</sup>، ويقول السيوطي: ”ولما كان الرضوان والسلام والرؤبة والخلود للمتقين، وهو أكبر من الجنة خصّهم بذكر الرحمن؛ لأنّ شوقهم إليه ورجاءهم فيه، فدلّهم عليه لتسكن نفوسهم“<sup>(٣)</sup>.

١٣. قوله تعالى: **﴿لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعةَ إِلَّا مَنْ أَنْجَدَ الرَّحْمَنُ عَهْدًا﴾** [مريم:٨٧]: إيماء إلى أنَّ الإذن في الشفاعة إنما هو من فيض رحمانيته، وإشارة إلى شيء من عظمة وجلال الرحمن الذي كفر به مشركون مكة.

١٤. ١٥. ١٦. ١٧. **﴿وَقَالُوا أَنْجَدَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ﴾**<sup>١٨</sup> **﴿لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا ﴾**<sup>١٩</sup> **﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْفَطَرُنَّ مِنْهُ وَتَنْشَقُ الْأَرْضُ وَتَنْخَرُ الْجِبَالُ هَذَا ﴾**<sup>٢٠</sup> **﴿أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ﴾**<sup>٢١</sup> **﴿وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَنْجِدَ وَلَدًا ﴾**<sup>٢٢</sup> **﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا أَتَى الرَّحْمَنَ عَبْدًا﴾** [مريم:٨٨-٩٣]: يقول الزمخشي: ”وفي اختصاص الرحمن وتكريره مرات من الفائدة أنه هو الرحمن وحده، لا يستحق هذا الاسم غيره، من قبل أنَّ أصول النعم وفروعها منه“<sup>(٤)</sup>، ويقول ابن عاشور ”وتكرير اسم الرحمن أربع مرات إيماء على أنَّ وصفه الرحمن الثابت لله، والذي لا ينكر المشركون ثبوت حقيقته لله، وإنْ أنكروا لفظه - ينافي ادعاء الولد؛ لأنَّ (الرحمن) وصف يدل على عموم الرحمة وتکثرُها، ومعنى ذلك، أنها شاملة لكل

(١) أري لفظ الحشر في هذه الآية فيه بشارة بكثرة عدد الفائزين.

(٢) أبو حيان: البحر المحيط ٢٩٨/٧.

(٣) السيوطي: معتبر الأقران ٢/٥٤٧.

(٤) الزمخشي: الكشاف ٢/٤٥، وينظر في هذا المعنى: الرازي: مفاتيح الغيب ٢١/٥٦٧، وأبو حيان:

البحر المحيط ٧/٢٠٣.

موجود، فذلك يقتضي أنَّ كل موجود مفتقر إلى رحمة الله ﷺ، ولا يتقوَّم ذلك إلا بتحقق العبودية فيه؛ لأنَّه لو كان بعض الموجودات ابنة لله ﷺ، لاستغنى عن رحمته؛ لأنَّه يكون بالنبوة مساوياً في الإلهية المقتصية الغنى المطلق؛ ولأنَّ اتخاذ الابن يتطلب به متخذه براً لابن به ورحمته له؛ وذلك ينافي كون الله مفيض كل رحمة. فذكرُ هذا الوصف عند قوله: «وَمَا يَنْبَغِي لِرَحْمَنَ أَنْ يَتَخَذَ وَلَدًا» [١٣] [مريم]، وقوله: «أَنْ دَعَوْا لِرَحْمَنِ وَلَدًا» [١١] [مريم]، تسجِيلٌ لغباؤتهم. وذكره عند قوله: «وَمَا يَنْبَغِي لِرَحْمَنِ أَنْ يَتَخَذَ وَلَدًا» [١٥] [مريم]، إيماءٌ إلى دليل عدم لياقة اتخاذ الابن بالله. وذكره عند قوله: «إِلَّا إِقْرَارًا لِرَحْمَنِ عَبْدًا» [٩٣] [مريم]، استدلالٌ على احتياج جميع الموجودات إليه، وإقرارها له بملكه إليها»<sup>(١)</sup>.

١٨. «سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وَدًا» [٤٦] [مريم]: المعنى عند الجمهور "أنَّه تَعَالَى سَيُحْدِثُ لَهُمْ فِي الْقُلُوبِ مَوَدَّةً وَيَزِرُّهُمْ فِيهَا مِنْ غَيْرِ تَوْدُدٍ مِنْهُمْ، وَلَا تَعْرُضُ لِلأَسْبَابِ الَّتِي يَكْتَسِبُ النَّاسُ بِهَا مَوَدَّاتِ الْقُلُوبِ؛ مِنْ قَرَابَةٍ أَوْ صَدَاقَةٍ أَوْ اصْطِنَاعٍ مَعْرُوفٍ أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ، وَإِنَّمَا هُوَ اخْتِرَاعٌ مِنْهُ تَعَالَى وَابْتِدَاءٌ تَخْصِيصًا لِأُولَئِيَّاهُ بِهَذِهِ الْكَرَامَةِ كَمَا قَدَّفَ فِي قُلُوبِ أَعْدَائِهِمُ الرُّعبَ وَالْهَيْبَةَ إِعْظَاماً لَهُمْ وَإِجْلَالاً لِمَكَانِهِمْ»<sup>(٢)</sup>، "والعرض لعنوان الرحمانية لما أَنَّ الموعود من آثارها"<sup>(٣)</sup>.

١٩. قوله تعالى: «الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ أَسْتَوَى» [٥] [طه]: يقول ابن القيم: "استوى على عرشه باسم الرحمن؛ لأنَّ العرش محاط بالملائكة قد وسعها، والرحمة محطة بالخلق واسعةٌ لهم... فاستوى على أوسع الملائكة بأوسع الصفات"<sup>(٤)</sup>، ويقول ابن عاشور قاصداً اسم الله (الرحمن):

(١) ابن عاشور: التحرير والتتوير/١٦/١٧٣.

(٢) الرازى: مفاتيح الغيب/٢١/٢٦٧.

(٣) الآلوسى: روح المعانى/٨/٤٥٨.

(٤) ابن القيم: مدارج السالكين/١/٥٧.

”وَاحْتِرِ وَصُفُّ الرَّحْمَن لِتَعْلِيمِ النَّاسِ بِهِ؛ لَأَنَّ الْمُشْرِكِينَ أَنْكَرُوا تَسْمِيَتَهِ تَعَالَى الرَّحْمَن... وَفِي ذِكْرِهِ هُنَّا، وَكَثْرَةُ التَّذْكِيرِ بِهِ فِي الْقُرْآنِ بَعُثَّ عَلَى إِفَرَادِهِ بِالْعِبَادَةِ؛ شَكَرًا عَلَى إِحْسَانِهِ بِالرَّحْمَةِ الْبَالِغَةِ“<sup>(١)</sup>.

٢٠. قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَرُونُ مِنْ قَبْلُ يَقُولُونَ إِنَّمَا فَتَنْتَرِبُ إِلَيْهِ وَإِنَّ رَبَّكُمْ الرَّحْمَنُ فَلَا يَعُوْنِي وَلَا يُطِيعُونِي أَمْرِي﴾ [طه:٩٠]: يقول الرازي: ” وإنما قال: « وإن ربكم الرحمن »، فخص هذا الموضع باسم الرحمن؛ لأنَّه كأنَّه ينبعُهم بِأَنَّهُمْ مَتَّ تَابُوا قَبْلَ اللَّهِ تَوْبَتُهُمْ؛ لَأَنَّهُ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ“<sup>(٢)</sup>.

٢١. قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَبَعَّوْنَ الدَّاعِيَ لَأَعْوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ [طه:١٠٨]: وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ، أي: ” ارتحت وخفيت وخفضت وتطامنت لخشوع أهلها“<sup>(٣)</sup>، وفي اختيار لفظ (الرحمن) إشارة إلى شيء من مظاهر جلاله، فالخلق مجتمعون لا يستطيعون الجهر بالكلام فيما بينهم، مع توافر دواعيه، من فرط مهابتهم له ﷺ، وفيه تعريض بمشتركي العرب، إذ قالوا كفراً وعناداً: وما الرحمن، وفيه إيماءً إلى أنَّ (الرحمن) صفة جلال وجمال معاً.

٢٢. قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعةُ إِلَّا مَنْ أَذْنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾ [طه:١٠٩]: فيه إيماءً إلى أنَّ الإذن بالشفاعة ذلك اليوم إنما هو من فيض رحمانيته<sup>(٤)</sup>.

٢٣. قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا أَنْخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ، بَلْ عِبَادُ مُكْرَمُونَ﴾ [الأنبياء:٢٦]: اختيار اسم الله (الرحمن) هنا، هو ”حكاية لجناية فريق من المشركين لإظهار بطلانها وبيان تزهُّه ﷺ عن ذلك، إثر بيان

(١) ابن عاشور: التحرير والتتوير ١٨٦/١٦.

(٢) الرازي: مفاتيح الغيب ٩٣/٢٢.

(٣) البقاعي: نظم الدرر ٣٤٧ / ١٢.

(٤) لمزيد من التفصيل ينظر الموضع الأخير من هذا البحث.

تزهه ﷺ عن الشركاء على الإطلاق، وهم حي من خزاعة قالوا:  
الملائكة بنات الله ﷺ<sup>(١)</sup>.

٢٤. ﴿وَلِإِذَا رَأَكُوكُمْ كَفَرُوا إِن يَتَخَذُونَكُمْ إِلَّا هُزُوا أَهَنَّا أَلَذِي  
يَذْكُرُ إِلَهَتُكُمْ وَهُمْ بِذِكْرِ الرَّحْمَنِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٦]:  
”روي أنها نزلت حين أنكروا لفظ الرحمن“<sup>(٢)</sup>، وقال ابن عاشور:  
”وعبر عن الله ﷺ باسم الرحمن توركاً عليهم، إذ كانوا يأتون أن  
يكون الرحمن اسمًا لله ﷺ“<sup>(٣)</sup>.

٢٥. قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن يَكْلُمُكُمْ بِأَلْيَلٍ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ بَلْ هُمْ عَنْ  
ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعَرِّضُونَ﴾ [الأنبياء: ٤٢]: ”معنى من الرحمن: من بأسه  
وَعَذَابِهِ“<sup>(٤)</sup>، وفي تعليل اختيار (الرحمن)، يقول الرازي: ”إنما خص  
هذا اسم ”الرحمن“ بالذكر تلقيناً للجواب، حتى يقول العاقل، أنت  
الكالئ يا إلهنا لكل الخلائق برحمتك، كما في قوله: ﴿يَأَيُّهَا إِلَانِسْنُ مَا  
غَرَّكَ بِرِبِّكَ الْكَرِيمِ﴾<sup>(٥)</sup> [الانتصار]، إنما خص اسم الكريم بالذكر تلقيناً  
للجواب“<sup>(٦)</sup>، ”وقيل: إنه إيماء إلى شدته، كفضب الحليم، وتنديم  
لهم حيث عذبهم من غلت رحمته. ودلالة على شدة خبثهم“<sup>(٧)</sup>.

٢٦. قوله تعالى: ﴿قُلْ رَبِّ الْحُكْمُ يَالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَنُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾  
[الأنبياء: ١١٢]: يقول ابن عاشور: ”(الرحمن)... المراد به هنا الاسم (العلم)  
لا الوصف، توركاً على المشركين؛ لأنهم أنكروا اسم الرحمن“<sup>(٨)</sup>.

(١) الآلوسي: روح المعاني ٢٢/٩.

(٢) أبو حيان: البحر المحيط ٧/٤٣٠، وابن عطية: المحرر الوجيز ٤/٨٢.

(٣) ابن عاشور: التحرير والتواتير ١٧/٦٦.

(٤) ابن عاشور: التحرير والتواتير ١٧/٧٤، وهذه العبارة يجاز لضمون ثلاثة أوجه، ذكرها الرازي في مفاتيح الغيب ٢٢/١٤٦.

(٥) الرازي: مفاتيح الغيب ٢٢/١٤٦، وأبو حيان: البحر المحيط ٧/٤٣٠ وابن عطية: المحرر الوجيز ٤/٨٢.

(٦) القاسمي: محاسن التأويل ٧/١٩٦، والبيضاوي تفسير البيضاوي ٤/٥٢.

(٧) ابن عاشور: التحرير والتواتير ١٧/١٦٧.

٢٧. قوله تعالى: ﴿الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحُقُّ لِرَحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكُفَّارِ عَسِيرًا﴾ [الفرقان: ٢٦]: اختيار (الرحمن) للإيماء إلى أنه "العام" الرحمة في

الدارين، ومن عموم رحمته... أن يسر قلوب أهل وده بتعذيب أهل عداوته، الذين عادوهم فيه، لتضييعهم الحق باتباع الباطل، ولولا اتصافه بالرحمة لم يدخل أحد الجنة<sup>(١)</sup>.

٢٨. ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا يَنْهَا مِنْ سِتَّةِ أَيَّارٍ ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الفرقان: ٥]

قوله تعالى: ﴿الَّرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ أَسْتَوَى﴾ يقول الزمخشري: "وقيل: الرحمن اسم من أسماء الله مذكور في الكتب المتقدمة، ولم يكونوا يعرفونه، فقيل: فسل بهذا الاسم من يخبرك من أهل الكتاب حتى يعرف من ينكره، ومن ثمة كانوا يقولون: ما نعرف الرحمن إلا الذي باليمامية، يعنيون مسيلامة، وكان يقال له: رحمن اليمامه"<sup>(٢)</sup>.

٢٩. قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَسْجُدُوا لِرَحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَسْجُدُ لِمَا

تَأْمُرُنَا وَزَادُهُمْ تُفُورًا﴾ [الفرقان: ٦٠]: يقول الرازي: "أما قوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَسْجُدُوا لِرَحْمَنِ﴾ فهو خبر عن قوم قالوا هذا القول. ويحمل أنهم جهلو الله ﷺ، ويحمل أنهم وإن عرفوه لكنهم جدوه، ويحمل أنهم وإن اعترفوا به لكنهم جهلوه لأن هذا الاسم من أسماء الله ﷺ، وكثير من المفسرين على هذا القول الآخر<sup>(٣)</sup>... والأقرب أن المراد إنكارهم لله لا للاسم؛ لأن هذه اللفظة عربية، وهم كانوا يعلمون أنها تفيد المبالغة في الإنعام...".<sup>(٤)</sup>

٣١. قوله تعالى: ﴿وَعَبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هُونَا وَإِذَا حَاطَبُوكُمْ

(١) البقاعي:نظم الدرر /١٣ .٢٧٣.

(٢) الزمخشري: الكشاف ،٢٨٩/٣ ، وينظر في هذا المعنى: الآلوسي: روح المعاني /١٠ .٢٨.

(٣) منهم: البيضاوي في تفسيره ٤/٢١٦، وابن جزي في التسهيل لعلوم التنزيل ٢ .٨٥/٢.

(٤) الرازي: مفاتيح الغيب ٢٤ .٤٧٩.

**الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَّمًا** ﴿الفرقان: ٦٢﴾: يقول ابن عطية: ”لَمَّا جعلَ قريش سُؤالها عن الله ﷺ وعن اسمه الذي هو الرحمن سُؤالاً عن مجهول، نزلت هذه الآية مصراحةً بصفاته التي تُعرَفُ به، وتوجب الإقرار بربوبيته“<sup>(١)</sup>.

٣٢. قوله تعالى: ﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِنْ ذِكْرٍ مِنَ الرَّحْمَنِ مُحَدِّثٌ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعَرِّضِينَ﴾ [الشعراء: ٥٠]: يقول ابن الزبير الغرناطي: ”هذه الآية مبنية على تأنيس النبي ﷺ، وإعلامه أنَّ توقف قومه عن الإيمان إنما هو بقدرته ﷺ عليهم ولو شاء لأنَّا لهم آية تبهرهم، كشق الجبل فوق بني إسرائيل، وإلى هذه الإشارة بقوله ﴿إِنَّ شَائِنَ نَزَّلَ عَلَيْهِم مِنَ السَّمَاءِ إِلَيْهِ فَظَلَّتْ أَعْنَقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾ [الشعراء: ٤٤]، ثم رجع الكلام إلى تعنيف المكذبين، فلما كان بناء الآية على التأنيس والتلطيف بنبينا ﷺ، وإعلامه بأنَّ تأخير العذاب عنهم إنما هو إيفاء منه ﷺ، ليستجيب مَنْ قدر له الإيمان منهم، فأشار إلى هذا، وناسبه اسمه الرحمن، فقال تعالى: ﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِنْ ذِكْرٍ مِنَ الرَّحْمَنِ مُحَدِّثٌ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعَرِّضِينَ﴾<sup>(٢)</sup>.

٣٣. قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا تُنذرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَسِنَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ فَبِشِّرُهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾ [يس: ١١]: يقول الفخر الرازي: ”**وَخَسِنَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ**“ فيه لطيفة، وهي أنَّ الرحمة تورث الاتكال والرجاء، فقال: مع أنه رحمان ورحيم، فالعالق لا ينبغي أنْ يترك الخشية؛ فإنَّ كلَّ مَنْ كانت نعمته بسبب رحمته أكثر فالخوف منه أَنْتم، مخافة أنْ يقطع عنه النعم المتواترة<sup>(٣)</sup>، ويقول ابن عاشور: ”والتعبير بوصف الرحمن دون اسم



(١) ابن عطية: المحرر الوجيز /٤، ٢١٧، وأبو حيان: البحر المحيط /٨، ١٢٤.

(٢) الغرناطي: مالك التأويل /٢، ٣٤٥، ٣٤٦، وينظر قريباً من هذا المعنى: الخطيب الإسكافي: درة التنزيل، ٢٦٩، ٩٦٣، والكرمانى: البرهان /١، ١٧٧، الفيروزآبادى: بصائر ذوى التمييز /١، ٣١٩.

وابن عاشور: التحرير والتتوير /٩٨، ١٩.

(٣) الرازي: مفاتيح الغيب /٢٢٧، ٢٦.

الجلالة لوجهين: أحدهما: أنَّ المشركين كانوا ينكرون اسم الرحمن، كما قال تعالى: **﴿قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ﴾** [الفرقان: ٦٠]، والثاني: الإشارة إلى أنَّ رحمته لا تقتضي عدم خشيته، فالمؤمن يخشى الله مع علمه برحمته<sup>(١)</sup>.

٢٤. قوله تعالى: **﴿قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ﴾** [يس: ١٥]: يقول الرازبي: ”(الرحمن) إشارة إلى الرد عليهم، لأنَّ الله لَمَّا كان رحمن الدنيا، والإرسال رحمة، فكيف لا ينزل رحمته وهو رحمن؟“<sup>(٢)</sup>.

٢٥. قوله تعالى: **﴿إِنَّمَا تَخَذُّلُهُ مِنْ دُونِهِ إِلَّا هَكَّةً إِنْ يُرِيدُنَ الرَّحْمَنُ بِصُرُّ لَا تُعْنِي عَيْنَ شَفَاعَتِهِمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقَدُونَ﴾** [يس: ٢٢]: يبين الرازبي أنه اختيار (الرحمن) هنا؛ لأنَّ السياق الذي وردت فيه الآية سياق رحمة؛ إذ قد سُبّقت بقوله تعالى: **﴿وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَ﴾** [يس: ٢٢]، فالخلق (الفطر) ”نعمَّ هي شرط سائر النعم“<sup>(٣)</sup>، وفيه إيماء إلى أنَّ الرحمن هو المنعم بالعافية، والكافش للضر، لا آله لهم.

٢٦. قوله تعالى: **﴿قَالُوا يَوْمَ لَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾** [يس: ٥٢]: على قول منْ قال: إنَّ قوله تعالى: ”هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ“، حكاية لكلام الملائكة يكون الغرض من اختيار لفظ الرحمن هو التبكيت والتوبیخ لمنكري البعث<sup>(٤)</sup>. وعلى قول منْ قال من المفسرين: إنه حكاية لكلام منكري البعث، يكون الغرض التحسير لهم، يقول ابن عاشور: ”وَأَتَوْا فِي التَّعْبِيرِ عَنْ اسْمِ الْجَلَالَةِ بِصَفَةِ الرَّحْمَنِ إِكْمَالًا لِلتَّحْسِرِ عَلَى تَكْذِيبِهِمْ بِالْبَعْثِ، بِذِكْرِ مَا كَانَ مَقَارِنًا لِلْبَعْثِ فِي تَكْذِيبِهِمْ، وَهُوَ إِنْكَارُ هَذَا الْاسْمِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ﴾“<sup>(٥)</sup>.

(١) ابن عاشور: التحرير والتتویر ٢٢/٣٥٤.

(٢) الرازبي: مفاتيح الغيب ٢٦/٢٦١.

(٣) الرازبي: مفاتيح الغيب ٢٦/٢٦٧.

(٤) ينظر في هذا المعنى: الشيخ ذكرياء الأنصاري: فتح الرحمن ٤٧٤.

(٥) ابن عاشور: التحرير والتتویر ٢٣/٣٨.

٣٧. قوله تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنَ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ، مُسْوِدًا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ [الزخرف: ١٧]: يقول البقاعي: ”عدل عن الوصف بالريبوية؛ لأنَّه قد يُدعى المشاركة في مطلق التربية، إلى الوصف الدال على عموم الرحمة، فتأمِّله بمجرده كافٍ في الزجر عن سوء قولهم، فقال: ﴿لِلرَّحْمَنِ﴾ أي الذي لا نعمة على شيء من الخلق إلا وهي منه“<sup>(١)</sup>.

٣٨. قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ إِنَّا أَشَهَدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكَتَّبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ﴾ [الزخرف: ١٩]: ”الإضافة إلى اسم الرحمن تقييد تشريفهم، قال تعالى: ﴿بَلْ عِبَادُ مُكَرَّمُونَ﴾ [الأنياء: ٢٦]“<sup>(٢)</sup>.

٣٩. قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدَنَاهُمْ مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ [الزخرف: ٢٠]: اختيار اسم (الرحمن) هنا في قول المشركين ﴿لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدَنَاهُمْ﴾ تعزيز لاحتاجتهم الباطل بالقدر في تسويع عبادتهم الأصنام، يقول ابن الزبير الغرناتي: ”اختصاصهم من أسمائه (الرحمن) عَضْدٌ لتعلّقهم وتقويّة لما رأوا الاحتجاج به، وكأنهم قالوا: إذا كان متصفًا بالرحمة، ولا استبداد لأحد من الخلق بشيء من أفعالهم، وإنما يجري ما يصدر عنهم بحسب مشيئته وإرادته، وقد جرى منها ما نحن عليه من عبادة أصنامنا وما اتخذناه من معبداتنا، وليس لنا استبداد بما يصدر عننا، فهو مراد له وبمشيئته وهو رحمة لأنَّه الرحمن، لا يكون منه إلا ما هو رحمة، وإنما الفعل له لا لنا، فلو شاء لا نعبد ما عبدناها، فلما تعلّقوا بما يبدو منه أنه لديهم عِلْمًا، أخبر ﷺ أنه لا علم عندهم، ولا قالوا ذلك عن معتقد تركن إليه قلوبهم، إنما هو تخرص قولي لا علم وراءه، ومن وحي الشياطين لأنَّهم أولياؤهم... إذ الكلام في القدر وأحكامه، وإنَّ

(١) البقاعي: نظم الدرر ٤٠١/١٧.

(٢) ابن عاشور: التحرير والتتوير.

الإرادة تخالف الرضا، وإنَّ الأمر قد يأمر بما لا يريد، وإنَّه قد يريد إيقاع ما لا يرضاه<sup>(١)</sup>.

٤٠. قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقْفًا مِنْ فَضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾ [الزخرف: ٢٢]: اختيار اسم الله (الرحمن) هنا توبیخ وتقریع لمشركی مكة؛ لأنکارهم هذا الاسم، ﴿قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ﴾<sup>(٢)</sup>.

٤١. قوله تعالى ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُفَيَّضُ لَهُ شَيْطَنًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ [الزخرف: ٣٦]: إضافة الذکر الذي هو القرآن<sup>(٣)</sup> إلى اسمه ﴿الرحمن﴾ هي إضافة تشریف، ومزيد من الشاء على القرآن الكريم<sup>(٤)</sup>، وفيها إيماءً إلى أنَّ "نزوله رحمة للعالمين"<sup>(٥)</sup>.

٤٢. قوله تعالى: ﴿وَسَأَلَ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِلَهًا يُعْبَدُونَ﴾ [الزخرف: ٤٥]: من حکم اختيار اسم الله (الرحمن) هنا توبیخ وتقریع مشركی مكة، كما يدل عليه سیاق الآیة، بما اشتملت عليه من همزة الاستفهام الاستتکاري التوبیخي، ومن الظرف "دون"، الدال على حقارة كل معبد غير الله ﴿الله﴾.

٤٣. قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ كَانَ لِلَّرَحْمَنِ وَلَدٌ فَإِنَّا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾ [الزخرف: ٨١]: اختيار اسم الله (الرحمن) هنا هو استمرار لتبکیت مشركی مكة وتقریعهم، ختم به السورة، كما بدأ به واستمر عليه؛ فقد "تقدَّم أول السورة تبکیتهم والتعجب منهم في ادعائهم لله ولدًا من الملائكة وهددتهم بقوله تعالى: ﴿سَتَكْبَبُ شَهَدَتِهِمْ وَيُسْتَكْوَنُ﴾، وذكر

(١) ابن الزبیر الغرناطي: ملاک التأویل ٤٣٩/٢.

(٢) ينظر في هذا المعنى: ابن عاشور: التحریر والتتویر ٢٠٥، ٢٠٤/٢٥.

(٣) وقيل: ذکر الرَّحْمَن مصدرٌ أضيف إلى فاعله. الألوسي: روح المعانی ٨٠/١٢.

(٤) ينظر في هذا المعنى: ابن عاشور: التحریر والتتویر ٢٠٩/٢٥.

(٥) الألوسي: روح المعانی ٨٠/١٢.

شُبِّهُمْ فِي قَوْلِهِ: ﴿لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَذَّبَنَاهُمْ﴾، وَجَهَّلُهُمْ فِيهَا بِقَوْلِهِ:  
 ﴿مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنَّهُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ وَنَفَى أَنْ يَكُونُ لَهُمْ عَلَى  
 ذَلِكَ دَلِيلٌ سَمِعِي بِقَوْلِهِ مُنْكَرًا مُوبِخًا ﴿أَمْ ءَايَتِنَاهُ كِتَابًا﴾، وَمَرَّ فِي  
 تَوْهِيَةِ أَمْرِهِمْ فِي ذَلِكَ وَغَيْرِهِ بِمَا لَأَحَمَّ بَعْضُهُ بَعْضًا<sup>(١)</sup>.

٤٤. قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ﴾ [ق: ٢٢]: يَقُولُ  
 الرَّازِي: ”قَالَ تَعَالَى هَاهُنَا ﴿خَشِيَ الرَّحْمَنَ﴾ مَعَ أَنَّ وَصْفَ الرَّحْمَةِ  
 غَالِبًا يَقْابِلُ الْخُشْيَةَ - إِشَارَةً إِلَى مَدْحِ الْمُتَقِّيِّ، حِيثُ لَمْ تَمْنَعْ الرَّحْمَةُ  
 مِنَ الْخُوفِ بِسَبِّبِ الْعَظَمَةِ... وَإِشَارَةً إِلَى ذَمِ الْكَافِرِ، حِيثُ لَمْ تَحْمِلْهُ  
 الْأَلْوَهِيَّةُ الْمُبَئِّنَةُ عَنْهَا لِفَظَةُ (الله)“<sup>(٢)</sup>، وَنَقْلُ الْبَقَاعِيِّ عَنِ الْقَشِيرِيِّ  
 مَلْمَحًا آخَرَ لِلتَّعْبِيرِ بِاستِخْدَامِ اسْمِ اللهِ (الرَّحْمَن): ”وَالتَّعْبِيرُ بِذَلِكِ  
 لِإِشَارَةِ عَلَى أَنَّهَا خُشْيَةٌ مَقْرُونَةٌ بِالْأَنْسِ، يَعْنِي الرَّجَاءِ، كَمَا هُوَ  
 الْمُشْرُوعُ... وَلَذِلِكَ لَمْ يَقُلْ: (الْجَبَارُ) أَوْ (الْقَهَّارُ)<sup>(٣)</sup>، ”وَفِيهِ تَعْرِيْضٌ  
 بِالْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ أَنْكَرُوا اسْمَهُ (الرَّحْمَن) ﴿قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ﴾<sup>(٤)</sup>.

٤٥. قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿الرَّحْمَنُ ١ عَلَمَ الْقُرْءَانَ﴾ [الرَّحْمَن]: يَقُولُ الرَّازِيُّ  
 مُبِينًا مَنْاسِبَةَ هَذِهِ السُّورَةِ لِسُورَةِ الْقَمَرِ قَبْلَهَا، شَارِحًا لِوَجْهِ  
 افْتِتَاحِهَا بِهَذَا الْاسْمِ الْجَلِيلِ فِي مَلْحوِظَتَيْنِ: الْأَوَّلُ أَنَّهُ ﴿فَتَّحَ﴾ ”أَفْتَحَ”  
 هَذِهِ السُّورَةَ بِذِكْرِ مَعْجَزَةٍ تَدُلُّ عَلَى الرَّحْمَةِ وَالرَّحْمَوْتِ، وَهُوَ الْقَرْآنُ  
 الْكَرِيمُ، ثَانِيًّا: أَنَّهُ ﴿ذَرَ﴾ ذَرَ فِي السُّورَةِ الْمُتَقْدِمَةِ ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِيُّ  
 وَنَذِيرٌ﴾ [الْقَمَر] غَيْرَ مَرَّةٍ، وَذَرَ فِي هَذِهِ السُّورَةِ ﴿فَإِنَّمَا أَلَّا رَبِّكُمَا  
 تُكَذِّبَانِ﴾ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ، لَمَّا بَيَّنَا أَنَّ تَلْكَ السُّورَةَ إِظْهَارُ الْهَيْبَةِ.

(١) الْبَقَاعِيُّ: نَظَمَ الدَّرْرَ ٤٨٧/١٧.

(٢) الرَّازِيُّ: مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ ٢٨/٢٨، ١٤٦/١٤٧، ١٤٧، وَيُنْظَرُ: أَبُو حِيَانُ: الْبَحْرُ الْمَحِيطُ ٩/٥٤٠.

(٣) الْبَقَاعِيُّ: نَظَمَ الدَّرْرَ ١٨/١٨، ٤٣٢، وَيُنْظَرُ: الْقَشِيرِيُّ: لِطَائِفَ الْإِشَارَاتِ ٣/٤٥٤، تَحْقِيقُ: إِبْرَاهِيمُ الْبَسِيُونِيُّ، الْهَيْئَةُ الْمَصْرِيَّةُ الْعَامَّةُ لِكِتَابِ الْقَمَرِ، الطَّبْعَةُ الْثَّالِثَةُ.

(٤) ابْنُ عَاشُورَ: التَّحْرِيرُ وَالتَّوْبِيرُ ٢٦/٣٢٠.

وهذه السورة سورة إظهار الرحمة، ثم إنَّ أول هذه السورة مناسبٌ لآخر ما قبلها، حيث قال في آخر تلك السورة: «عَنْدَ مَلِيكٍ مُّقْنَدِيرٍ» [القمر: ٥٥]، والاقتدار إشارة إلى الهيبة والعظمة، وقال ها هنا: الرحمن، أي: عزيزٌ شديدٌ منتقِمٌ مقتدرٌ بالنسبة إلى الكفار والفجار، رَحْمَنْ مَنْعِمٌ غَافِرٌ لِلأَبْرَارِ»<sup>(١)</sup>.. ويقول البقاعي: ”لَا خَتَمَ اللَّهُ سُورَةَ الْقَمَرِ بِعَظَمَيِّ الْمَلِكِ وَبِلَيْغِ الْقَدْرَةِ، وَكَانَ الْمَلِكُ الْقَادِرُ لَا يَكُمِلُ مَلْكَهُ إِلَّا بِالرَّحْمَةِ، وَكَانَ الرَّحْمَةُ لَا تَتَمَّ إِلَّا بِعُمُومِهَا، قَصْرُ هَذِهِ السُّورَةِ عَلَى تَعْدَادِ نَعْمَهُ عَلَى خَلْقِهِ فِي الدَّارِينِ... وَصَدَرَهَا بِالْإِسْمِ الدَّالِّ عَلَى عُمُومِ الرَّحْمَةِ؛ بِرَاعَةً لِلْأَسْتَهْلَاكِ وَمَوَازِنَةً لِمَا حَصَلَ بِالْمَلِكِ وَالْقَادِرِ مِنْ غَایَةِ التَّبَرُّکِ وَالظَّهُورِ وَالْهَیَّةِ»<sup>(٢)</sup>، ويقول ابن عاشور: ”من بديع أسلوبها افتتاحها الباهر باسمه (الرحمن)، وهي السورة الوحيدة المفتتحة باسم من أسماء الله لم يتقدمه غيره“<sup>(٣)</sup>.

٤٦. قوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبَعَ سَمَاوَاتٍ طَيَّابًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَوُتٍ فَأَرْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ﴾ [الملك: ٣]: يقول الزمخشري: ”وضع مكان الضمير قوله ﴿خَلْقِ الرَّحْمَنِ﴾<sup>(٤)</sup>، تعظيمًا لخلقهم [السماءات] وتبيينًا على سبب سلامتهن من التفاوت، وهو أنه خلق الرحمن، وأنه بباهر قدرته هو الذي يخلق ذلك الخلق المناسب“<sup>(٥)</sup>، ويقول ابن عاشور: ””والتعبير بوصف الرحمن دون اسم الجلاله إيماءً إلى أنَّ هذا النَّظام

(١) الرازى: مفاتيح الغيب ٢٩/٢٢٥، وينظر: أبو حيان: البحر المحيط ١٠/٥٤، وذكر فيه وجهاً أجمل للربط بين ﴿مَلِيكٍ مُّقْنَدِيرٍ﴾ في آخر القمر، و﴿الرَّحْمَن﴾ هنا، قال: ”لَا خَتَمَ اللَّهُ سُورَةَ الْقَمَرِ بِعَظَمَيِّ الْمَلِكِ وَبِلَيْغِ الْقَدْرَةِ فَأَبْرَزَ هَاتِينِ الصَّفَتَيْنِ بِصُورَةِ التَّكِيرِ، فَكَانَهُ قَيِّلٌ مِنَ الْمُتَصَفِّ بِذَلِكَ، فَقَالَ ﴿الرَّحْمَنُ ۖ عَلَمَ الْقُرْآنَ﴾ فَذَكَرَ مَا نَشَأَ عَنْ صَفَةِ الرَّحْمَةِ، وَهُوَ تَعْلِيمُ الْقُرْآنِ“.

(٢) البقاعي: نظم الدرر ١٩/١٤١.

(٣) ابن عاشور: التحرير والتبيير ٢٧/٢٢٩.

(٤) لو كان الكلام خارج القرآن لقيل: ما ترى فيهن.

(٥) الزمخشري: الكشاف ٤/٥٧٦، وينظر: الرازى مفاتيح الغيب ٣٠/٢٢، أبو حيان: البحر المحيط ١٠/٢٢١.

مما اقتضته رحمته بالناس، لتجري أمرهم على حالة تلائم نظام عيشهم، لأنه لو كان فيما خلق الله تفاوت، لكان التفاوت سبباً لاختلال النظام فيتعرض الناس بذلك لأهوال ومشاق... وأيضاً في ذلك الوصف ترك على المشركين، عندما أنكروا اسمه ﷺ الرحمن<sup>(١)</sup>.

٤٧. قوله تعالى: «أَوْلَئِرِبَا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقُهُمْ صَنَقَتْ وَيَقِضِّنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ يُكْلِ شَيْءٍ بَصِيرٌ» [الملك: ١٩]: من حكم اختيار (اسم الله الرحمن) في هذه الآية أنها "لَمَّا انطوتَ على ذكر حالين للطائر من صَفَ جناحيه وقبضهما، وهم حالتان يستريح إليهما الطائر، فتارة يَصُفُ جناحيه كأنه لا حركة به، وتارة يقبضهما إلى جنبيه حتى يلزقهما بهما، ثم يسيطرهما ويقبضهما موالة بسرعة، كما يفعل السابع، فتناسب هذا الإنعام منه ﷺ ورود اسمه (الرحمن)<sup>(٢)</sup>، "وفي هذا إيماء إلى أنَّ الذي أمسك الطير عن الهُوي المفضي إلى الهلاك، هو الذي أهلك الأمم الذين من قبل هؤلاء، ولو لم يشركوا به، ولو التزموا بطاعته لأنجاهم من الهلاك، كما أنجى الطير من الهُوي"<sup>(٣)</sup>.

٤٨. قوله تعالى: «أَمَنَ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَّكُمْ يَصْرُكُمْ مِّنْ دُونَ الرَّحْمَنِ إِنَّ الْكُفَّارَ إِلَّا فِي غُرُورٍ» [الملك: ٢٠]: ومن لطائف اختيار اسم الرحمن في هذه الآية الكريمة، تهديد الكافرين وتقريرهم بالإشارة إلى علو صاحب هذا الاسم عن كل شيء، وظهوره على كل شيء، فإنه "لَمَّا كانت المراتب متضائلة عن جنابه، متکثرة جداً، قال ﷺ مشيراً بالحرف **مِنْ** والظرف **دُونَ** إلى ذلك، منبهًا على ظهوره ﷺ فوق كل شيء، ولم يقدر أحد ولا يقدر أن يناظره في ذلك، ولا في أنه مستغرق لكل ما

(١) ابن عاشور: التحرير والتتوير ١٨/٢٩.

(٢) ملاك التأويل ٢، ٣٠٦، ٣٠٥/٢، وينظر في نفس المعنى الرازبي: مفاتيح الغيب ٣٩٣/٣٠.

(٣) ابن عاشور: التحرير والتتوير ٢٩، ٣٩/٢٩، وينظر قريباً من هذا المعنى: بيان الحق: باهر البرهان ١٥٨٤/٣.

دونه من المراتب. قال: ﴿مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ﴾ إنَّ أَرْسَلَ عَلَيْكُمْ عِذَابًا، وَأَظْهَرَ  
وَلَمْ يَضْمِرْ بَعْثًا عَلَى اسْتِحْضَارِ مَا لَهُ مِنْ شَمْوَلٍ الرَّحْمَةِ، وَتَلْوِيْجًا إِلَى  
الْتَّهْدِيدِ بِأَنَّهُ لَوْ قَطَعُهَا عَنْ أَحَدٍ مِّنْ أَوْجَدِهِ، عَمَّهُ الْفَضْبُ كَلَّهُ﴾<sup>(١)</sup>،  
فَلَوْلَا رَحْمَتُهُ ﷺ بِالْعَاصِي فَضْلًا عَنِ الطَّائِعِ مَا نَجَا مِنَ الْهَلاَكِ أَحَدٌ،  
وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ يَقُولُونَ كَبَرًا وَعَنَادًا: ﴿وَمَا الرَّحْمَنُ﴾، ”فَمَنْ جَمَّلَهُمْ عَنْهُمْ  
إِنْكَارُهُمْ اسْمَ الرَّحْمَنِ، فَلَمَّا لَمْ يَرْعُوْهُمْ عَمَّا هُمْ عَلَيْهِ ذُكْرٌ وَصَفُّ  
الْرَّحْمَنِ فِي هَذِهِ السُّورَةِ أَرْبَعَ مَرَاتٍ“<sup>(٢)</sup>.

٤٩. قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ أَمَانًاٰ لَهُ، وَعَلَيْهِ تَوَكَّلَنَا فَسَتَّعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [الملك: ٢٩]: مناسبة هذا الاسم الجليل هنا واضحة، ومنها أنَّ  
الذين ”آمنوا بالرحمن فهم مطمئنون أنَّ تتعلق بهم هذه الصفة، فيرحمهم  
الله في الدنيا والآخرة، فيعلم المشركون علم اليقين أيَّ الفريقين في  
ضلال، حين يرون أثر الرحمة على المسلمين وانتفاءها عن المشركيين  
في الدنيا وخاصةً في الآخرة“<sup>(٣)</sup>، وفي اختيار هذا الاسم دعوة للذين  
قالوا: ﴿وَمَا الرَّحْمَنُ﴾ ليؤمنوا به، فالرحمن برحمته وحده هو القادر على  
أن يعمهم بنعمه في الدنيا، وأن ينجيهم من عذابه في الآخرة“<sup>(٤)</sup>.

٥٠. قوله تعالى: ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ لَا يَلِكُونَ مِنْهُ خَطَابًا﴾ [النَّبِيَا: ٢٧]: خُصَّ اسم الله الرحمن بالذكر في هذه الآية دون غيره  
من أسمائه الحسنى، لأنَّ في معناه إيماءً إلى أنَّ ما يفيضه من  
خير على المتلقين في الجنة هو عطاء رحمة لهم، وفيه تعريضاً  
بالمشركيين، إذ أنكروا اسم الرحمن<sup>(٥)</sup>، وفيه تعليماً لهؤلاء الجاحدين

(١) البقاعي: نظم الدرر ٢٥٥/٢٠.

(٢) ابن عاشور: التحرير والتبيير ٤٠/٢٩.

(٣) ابن عاشور: التحرير والتبيير ٢٩/٥٤.

(٤) ينظر في هذا المعنى: البقاعي: نظم الدرر ٢٥٩/٢٠.

(٥) ابن عاشور: التحرير والتبيير ٤٩/٣٠.

بأنَّ الرَّحْمَنَ الَّذِي كَفَرْتُمْ بِهِ هُوَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا  
بَيْنَهُمَا، وَأَنْكُمْ أَنْتُمْ وَمَنْ هُمْ ﴿أَشَدُّ مِنْكُمْ فُوَّةً وَأَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا﴾  
[التوبه:٦٩]، لَا تَمْلِكُونَ خَطَابًا.

٥١ - قوله تعالى: ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ لَا يَنْكُونُ مِنْهُ  
خَطَابًا﴾<sup>٢٧</sup> يومَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلِئَكَةُ صَفًا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ  
وَقَالَ صَوَابًا﴾<sup>٢٨</sup> [النَّبِيُّ] في اختيار اسم الله (الرحمن) "إيماءً إلى  
أَنَّ إِذْنَ اللَّهِ لِمَنْ يَتَكَلَّمُ - فِي الْكَلَامِ أَثْرٌ مِنْ آثَارِ رَحْمَتِهِ، لَأَنَّهُ إِذْنُ  
فِيمَا يَحْصُلُ بِهِ نَفْعٌ لِأَهْلِ الْمَحْشِرِ مِنْ شَفَاعَةٍ أَوْ اسْتَغْفَارٍ﴾<sup>(١)</sup>، وَفِيهِ  
إِشْعَارٌ بِأَنَّ (الرحمن) دَالٌّ عَلَى الْجَلَالِ، كَمَا أَنَّهُ دَالٌّ عَلَى الْجَمَالِ،  
فَلَا تَعْرُضْ بَيْنَ رَحْمَانِيَّتِهِ وَبَيْنَ عَرْضِهِ النَّاسِ لِلحسابِ، ﴿فَمَنْ  
يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ حَيْرًا يَرَهُ﴾<sup>٧</sup> وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرَّا  
يَرَهُ﴾<sup>٨</sup> [الزلزلة: ٧-٨].



## الخاتمة

وبعد، فقد توصل الباحث لنتائج منها:

١. توضيح معاني البناء الصرفي الذي عليه اسم الله (الرحمن) وصفاً، وعلماً، واستنتاج أنَّ (الرحمن) قد يكون صفة جلال كما أنه صفة جمال.
٢. إثبات أنَّ: أحرف اسم الله (الرحمن) من ناحية الرسم الإملائي، ينتظمها ثلاثة مقاطع، ”هذه المقاطع ترتيبها في اسم الله (الر) (حم) (ن) هو نفس ترتيبها في كتاب الله القرآن.
٣. إظهار الكثير من الفروق بين الاسمين الكريمين.
٤. بيان الكثير من فوائد اقتران الاسمين الكريمين.
٥. بيان بعض لطائف تقديم (الرحمن) على (الرحيم).
٦. توضيح بعض بدائع تكرار الاسمين الكريمين تارةً أخرى في الآية الثالثة من سورة الفاتحة.
٧. إظهار بعض دلائل اقتران الاسمين الكريمين بـ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.
٨. توضيح بعض فوائد اقتران الاسمين الكريمين بـ ﴿مَالِكِ يَوْمَ الدِّين﴾.
٩. تقديم تفسيرات لاختيار اسم الله (الرحمن) في كل موضع من

المواضع التي ورد فيها منفرداً في القرآن الكريم.

وأخيراً يتقدم الباحث ببعض التوصيات للمجتمعات المسلمة، أفراداً، ومؤسسات؛ لعلها تسهم في انتشار حُلُق الرحمة فيها:

١. المزيد والمزيد من العناية بالقرآن الكريم؛ حفظاً، وتحفيظاً، وترتيلًا، وتفسيراً، واستباطاً لتشريعات، وإثباتاً للإعجاز، واستخراجاً للعبر والعظات، فإنه كتاب رحمة، **﴿تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾**، وإن العلم المستنبط من مشكاته لهو العلم المؤدي إلى الرحمة، وكلما ازداد العبد منه علمًا ازداد رحمةً، لذلك كان أبو بكر الصديق **رض** أرحم هذه الأمة<sup>(١)</sup>.

٢. عرض جميع النظريات التربوية التي مصدرها العالم الغربي على الشريعة الإسلامية، فما قبلته منها أخذناه، وما رفضته لفظناه، وما أرشدت إلى تعديله هذبناه، فإنّ أصول التربية في هذه الشريعة الغراء مستمدّة من اقتران اسمه **عز وجل** (الرب) بالاسمين الجليلين مجتمعين (الرحمن الرحيم)، فهي تقوم على الثواب والعقاب المستمدّين من اسمه (الرب) وعلى الرحمة المضاعفة المستمدّة من (الرحمن الرحيم)، على أنّ (الرحمن) من رحمانيته عقاب المسيء، كما أنّ منها إثابة المحسن.

٣. العمل على تحقيق التوحيد، فهو مفتاح الرحمة، بدليل اقترانه بها في قوله تعالى **﴿وَإِنَّهُمْ إِلَّا إِنَّهُ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾** [البقرة: ١٦٣]، وفي قوله تعالى **﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَدَةُ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾** [الحشر: ٢٢].



(١) ينظر في هذا المعنى: ابن القيم: إغاثة اللهفان ١٧٣/٢.

## فهرس المصادر والمراجع

١. الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني (المتوفى: ١٢٧٠ هـ): روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: علي عبدالباري عطية، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ.
٢. الأشموني، على بن محمد بن عيسى، أبو الحسن، نور الدين، (المتوفى: ٩٠٠ هـ): شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.
٣. أبو البقاء الحنفي: أيوب بن موسى الحسيني القرمي الكفوبي، أبو البقاء الحنفي (المتوفى: ١٠٩٤ هـ): الكليات معجم في المصطلحات والفرق اللغوية، تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري، مؤسسة الرسالة - بيروت.
٤. البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباطي بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: ٨٨٥ هـ): نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي - القاهرة.
٥. البيضاوي: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥ هـ) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ.
٦. بيان الحق، محمود بن أبي الحسن (علي) بن الحسين النيسابوري الغزني، أبو القاسم، الشهير بـ(بيان الحق) (المتوفى: بعد ٥٥٣ هـ): باهر البرهان في معاني مشكلات القرآن، تحقيق سعاد بنت صالح ابن سعيد بابقي، جامعة أم القرى - مكة المكرمة، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.

٧. ابن جرير الطبرى، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملى، أبو جعفر الطبرى (المتوفى: ١٠٣١هـ)؛ جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
٨. ابن جُزى، أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبى الغرناطي (المتوفى: ٦٧٤١هـ)؛ التسهيل لعلوم التزيل، تحقيق: د. عبدالله الخالدى، شركة دار الأرقام بن أبي الأرقام - بيروت، الطبعة الأولى - ١٤١٦هـ.
٩. ابن جماعة، أبو عبدالله، محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكناني الحموي الشافعى، بدر الدين (المتوفى: ٧٣٣هـ)؛ كشف المعانى فى المتشابه من المثانى، تحقيق: الدكتور عبد الجود خلف، دار الوفاء المنصورة، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.
١٠. ابن جنى، أبو الفتح عثمان بن جنى الموصلى (المتوفى: ٣٩٢هـ)؛ الخصائص، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الرابعة.
١١. أبو حيان، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسى (المتوفى: ٧٤٥هـ)؛ البحر المحيط في التفسير، تحقيق: صدقى محمد جميل، دار الفكر - بيروت، ١٤٢٠هـ.
١٢. ابن خالويه، الحسين بن أحمد بن خالويه، أبو عبدالله (المتوفى: ٣٧٠هـ)؛ كتاب إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم، مطبعة دار الكتب المصرية (١٣٦٠هـ - ١٩٤١م).
١٣. الشيخ خالد الأزهري، خالد بن عبد الله بن أبي بكر بن محمد الجرجاوي الأزهري، زين الدين المصري، (المتوفى: ٩٠٥هـ)؛ شرح التصریح علی التوضیح او التصریح بمضمون التوضیح فی النحو، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، الطبعة الأولى - ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

١٤. الخطيب الإسکافي، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الأصبهاني المعروف بالخطيب الإسکافي (المتوفى: ٢٠٤٢هـ) : درة التنزيل وغرة التأویل، دراسة وتحقيق وتعليق: د. محمد مصطفى آيدین، جامعة أم القرى، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

١٥. الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد (المتوفى: ٥٠٢هـ).

- تفسير الراغب الأصفهاني، جزء ١ : المقدمة وتفسير الفاتحة والبقرة، تحقيق ودراسة: د. محمد عبدالعزيز بسيوني، كلية الآداب - جامعة طنطا، الطبعة الأولى: ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

- المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، الطبعة الأولى - ١٤١٢هـ.

١٦. الرضي الإسترابادي، محمد بن الحسن، نجم الدين (المتوفى: ٦٨٦هـ).

- شرح الرضي لكافية ابن الحاجب، تحقيق د. حسن بن محمد إبراهيم الحفظي، طبعة: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

- شرح شافية ابن الحاجب، تحقيق الأساتذة: محمد نور الحسن، ومحمد الزفراوى، ومحمد محيى الدين عبدالحميد، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان

١٧. الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ) : مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الثالثة - ١٤٢٠هـ.

١٨. الشيخ زكريا الأنباري، زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنباري، زين الدين أبو يحيى السنبكي (المتوفى: ٩٢٦هـ) : فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن، تحقيق: محمد علي الصابوني، دار القرآن الكريم، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ.

١٩. ابن الزبيير الغرناطي، أحمد بن إبراهيم بن الزبيير الثقفي الغرناطي، أبو جعفر (المتوفى: ٧٠٨هـ)؛ ملوك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه لله لفظ من آي التنزيل، وضع حواشيه: عبدالغني محمد على الفاسي، دار الكتب العلمية، بيروت.
٢٠. الزجاجي، عبد الرحمن بن إسحاق البغدادي النهاوندي الزجاجي، أبو القاسم (المتوفى: ٣٣٧هـ)؛ اشتقاد أسماء الله الحسنى، تحقيق: د. عبدالحسين المبارك، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، ٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
٢١. الزمخشري، د. أبو القاسم محمود بن عمر بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)؛ الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي - بيروت، ط٣ - ٤٠٧هـ.
٢٢. السامرائي، فاضل صالح السامرائي (الدكتور)؛ معاني الأبنية في العربية، دار عمار، الأردن، الطبعة، ٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.
٢٣. السهيلي، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي (المتوفى: ٥٨١هـ)؛ دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى: ١٤١٢-١٩٩٢م.
٢٤. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)؛
  - معرك الأقران في إعجاز القرآن، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، ط١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
  - المزهر في علوم اللغة وأنواعها تحقيق: فؤاد على منصور، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.
  - نواهد الأبكار وشوارد الأفكار = حاشية السيوطي على تفسير البيضاوي، جامعة أم القرى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٥م.

- ٢٥. همع الهوامع في شرح جمع الجواب، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، المكتبة التوفيقية - مصر.
- ٢٦. ابن الشجري، ضياء الدين أبو السعادات هبة الله بن على بن حمزة، (المتوفى: ٥٤٢هـ)؛ أمالی ابن الشجري، تحقيق: الدكتور محمود محمد الطناحي، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.
- ٢٧. الشعراوي، محمد متولى الشعراوي (المتوفى: ١٤١٨هـ)؛ تفسير الشعراوي، مطابع أخبار اليوم، ١٩٧٧م.
- ٢٨. ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)؛ التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر - تونس، ١٩٨٤هـ.
- ٢٩. عباس حسن (المتوفى: ١٣٩٨هـ)؛ النحو الوفي، دار المعارف، ط١٥.
- ٣٠. ابن عثيمين، محمد بن صالح بن محمد ابن عثيمين (المتوفى ١٤٢١هـ)؛ القواعد المثلثة في صفات الله وأسمائه الحسنة، تحقيق: أشرف بن عبدالمقصود بن عبد الرحيم، مصر، ١٤١٠هـ.
- ٣١. ابن عطية، أبو محمد عبدالحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام ابن عطية الأندلسي المحاري (المتوفى: ٥٤٢هـ)؛ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبدالسلام عبدالشافي محمد، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى - ١٤٢٢هـ.
- ٣٢. الغزالى، أبو حامد محمد بن محمد الغزالى الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ)؛ المقصد الأسمى في شرح معاني أسماء الله الحسنة، تحقيق: بسام عبدالوهاب الجابي، الجفان والجابي - قبرص، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- ٣٣. ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين

(المتوفى: ٣٩٥هـ) : الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

٣٣. الفيروزآبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (المتوفى: ٨١٧هـ) : بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تحقيق: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة.

٣٤. القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: ١٢٣٢هـ) : محسن التأويل، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى - ١٤١٨هـ.

٣٥. القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج الانصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)

- تفسير القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

- الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى وصفاته العلي، تحقيق: الشحات الطحان، مكتبة فياض - المنصورة - مصر، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

٣٦. ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) :

- إغاثة اللھفان من مصايد الشیطان، تحقيق: محمد حامد الفقی، مکتبة المعارف، الریاض، المملکة العربیة السعوڈیة

- جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وعبدالقادر الأرناؤوط، دار العروبة - الكويت، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

- ٣٧. بدائع الفوائد، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.
- ٣٨. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.
- ٣٩. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، تفسير القرآن العظيم (ابن كثير)، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون - بيروت، الطبعة الأولى - ١٤١٩هـ.
- ٤٠. الكرماني، محمود بن حمزة بن نصر، أبو القاسم برهان الدين الكرماني (المتوفى: نحو ٥٠٥هـ): البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان، تحقيق: عبدالقادر أحمد عطا، مراجعة وتعليق: أحمد عبد التواب عوض، دار الفضيلة.
- ٤١. ابن مالك، محمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي الجياني، أبو عبد الله، جمال الدين (المتوفى: ٦٧٢هـ): شرح الكافية الشافية، تحقيق: د. عبد المنعم أحمد هريدي، جامعة أم القرى - مكة المكرمة، الطبعة الأولى.
- ٤٢. محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين ابن ملا علي خليفة القلموني الحسيني (المتوفى: ١٣٥٤هـ): تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م).
- ٤٣. ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الانصاري الرويسي الإفريقي (المتوفى: ٧١١هـ): لسان العرب، دار صادر - بيروت، ط٣ - ١٤١٤هـ.
- ٤٤. أبوهلال العسكري، الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ): الفروق اللغوية، حققه

وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع،  
القاهرة - مصر.

٤٣ . ابن هشام، عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو  
محمد، جمال الدين، ابن هشام (المتوفى: ٧٦١هـ)، مغني الليبب عن  
كتب الأعاريب، تحقيق: د. مازن المبارك / محمد علي حمد الله، دار  
الفكر - دمشق، الطبعة السادسة، ١٩٨٥م.

٤٤ . ابن يعيش، يعيش بن على بن يعيش ابن أبي السرايا محمد بن علي،  
أبو البقاء، موفق الدين الأسداني الموصلي، (المتوفى: ٦٤٣هـ): شرح  
المفصل للزمخشري، قدم له: الدكتور إميل بديع يعقوب، دار الكتب  
العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

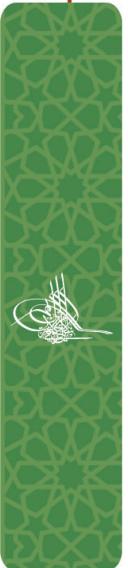
الرحمة بالأطفال  
وآثارها التربوية  
من خلال السنة النبوية

إعداد:

محمد عباس محمد عرابي

# المؤتمر الدولي في الرحمة في الإسلام

The International Conference on Mercy in Islam  
قسم الدراسات الإسلامية - كلية التربية



## المبحث الأول الإطار العام للدراسة

### مقدمة

الحمد لله رب العالمين، القائل في كتابه الكريم ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا  
رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنباء] والصلوة والسلام على نبي الرحمة محمد  
ﷺ القائل (إنما بعثتُ رحمة) <sup>(١)</sup> وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد، فحربي  
بكل مجتمع مسلم يسعى لتشيئه أبنائه تشيئاً صالحة، وتربيتهم تربية  
راشدة، أن يقتفي أثر منهجه ﷺ، ويتخذ من رحمته الآخرين، وخاصة  
الأطفال دستوراً يمشي عليه، ويسير على هداه؛ ليغرس معاني التقوى  
والفضيلة في نفوسهم وأرواحهم، وتصبح تلك المعانى سجية لهم، ومعلماً  
أصيلاً لشخصيتهم <sup>(٢)</sup>.

وإن من المشاعر النبيلة التي أودعها الله في قلبي الأبوين، شعور  
الرحمة بالأولاد، والرأفة بهم، والعطف عليهم، وهو شعور كريم، له في  
تربيه الأطفال وفي إعدادهم وتكوينهم أفضل النتائج، وأعظم الآثار؛  
لهذا نجد الشريعة الفراء قد رسخت في القلوب (الرحمة)، وحضرت  
الكبار من آباء ومعلمين ومسؤولين على التحلي بها والتخلق بأخلاقها،

(١) أخرجه الإمام مسلم في «صحيحة» برقم (٢٥٩٩) من حديث أبي هريرة رض  
(٢) طرابيش، علي ناجي: الأساليب التربوية النبوية في التعامل مع الأطفال وتطبيقاتها في المرحلة  
ابتدائية، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، كلية التربية، ١٤٢٩، ص ١٤

والرحمة إذا حلت قلب الآباء، وترسخت في نفسيهما قاما بما يترتب عليهما من واجب، وأديا ما عليهم من حق تجاه من أوجب الله عليهم حق الرعاية، وواجب المسؤولية، ألا وهم الأطفال<sup>(١)</sup>.

ولقد استغرق الأطفال مكاناً واسعاً من السنة النبوية، فقد اعتنى علماء الحديث الجامعون للسنة المطهرة بهذا الجانب، فاهتموا بالأحكام والآداب الخاصة بالطفل في مؤلفاتهم.

ومنهج السنة النبوية هو أفضل المناهج في التعامل مع الطفولة، ذلك أنها تربية ربانية المصادر إلهية المبادئ، فقد أرسل الله الرسل، وأنزل الكتب، وسن الشرائع، ليهدى الناس إلى النجدين: طريق الخير وطريق الشر، ويعلّمهم ويزكيهم، ويربيهم على الهدى والتقوى والصلاح. إنها تتميز بشموليتها لجوانب شخصية الإنسان، وهي أيضاً ذات خصوصية في غاياتها وأهدافها وأساليبها ذلك أنها تتطرق من منطلقات ربانية، وتسير في منهجية إسلامية دعمتها الكتاب والسنة<sup>(٢)</sup>.

فالآحاديث النبوية مليئة بالدروس وال عبر، التي كان يتمثلها النبي ﷺ سلوكاً حيّاً أمام الصحابة الكرام ﷺ، كي يستقيدوا منها في تربية أبنائهم وتعليمهم تعاليم الدين الحق، وأن يكون ذلك نبراساً لهم في تعليشهم مع أهليهم، ومع مجتمعهم والمجتمعات الأخرى، ومعاملتهم برفق ولين ورحمة، وخاصة في الوقت الراهن، الذي كثرت فيه ظاهرة العنف في التعامل مع الأطفال.

### مشكلة الدراسة

من بين كل القيم التي تشتمل عليها منظومة القيم الأخلاقية الإسلامية

(١) علوان، عبدالله ناصح: تربية الأولاد في الإسلام، ط١٩٠، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٠، ج١/ص ٤٥.

(٢) العلوى، محمد صالح: خطاب النبي ﷺ للطفل المسلم وتطبيقاته التربوية، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، كلية التربية، ١٤٢١، ص (ج)

قيمة رفيعة القدر، باللغة الأهمية، تتصدر هذه المنظومة، وترتفع فوق قمتها، ألا وهي قيمة الرحمة، ولكننا نفتقد هذه القيمة العظيمة في كثير من تعاملاتنا اليومية، فالقصوة قد حل محل الرحمة في كثير من علاقات الناس اليومية، وتعاملاتهم الحياتية، والأمثلة على ذلك كثيرة، منها: الأب الذي يقسوا على أبنائه<sup>(١)</sup>. ومن الأمور التي يكاد يجمع عليها علماء التربية، أن الطفل إذا عومل من قبل أبويه ومربيه المعاملة القاسية، وأدب من قبلهم بالضرب الشديد والتوبیخ القارع، وكان دائمًا الهدف في التحقيق والازدراء، والتشهير والسخرية، فإن ردود الفعل ستظهر في سلوكه وخلقه، وإن ظاهرة الخوف والانكماش ستبدو في تصرفاته وأفعاله<sup>(٢)</sup>.

وتُعد ظاهرة العنف ضد الأطفال في البيت والمدرسة والشارع من أبرز الظواهر الاجتماعية، التي انتشرت بصورة كبيرة في الآونة الأخيرة، وسببت العديد من الآثار السلبية على الأطفال، مما يفرض على كل من يتعامل مع الأطفال البعد عن العنف؛ فالإسلام يأمر كل من في عنقه مسؤولية التوجيه وال التربية، ولاسيما الآباء والأمهات منهم، يأمرهم جميعاً بأن يتخلوا بالأخلاق العالية، والملائفة الرصينة، والمعاملة الرحيمة، حتى ينشأ الأطفال على الاستقامة، ويتربيوا على الجرأة واستقلال الشخصية. ومن ثم يشعرون أنهم ذوو تقدير واحترام وكرامة، لذا يجب معاملة الأطفال بأساليب تربوية تقوم على الرفق واللين والرحمة، والإسلام بتعاليمه القوية الخالدة، والسنن النبوية مليئة بهذه الأساليب، وبياناً لهذه الأساليب كانت هذه الدراسة المعروفة بـ(الرحمة بالأطفال وآثارها التربوية من خلال السنة النبوية).

(١) زقزوق، محمود حمدي: الإنسان والقيم في التذوق الإسلامي، مجمع البحوث الإسلامية، القاهرة، رمضان ١٤٣٦هـ، ص ١٥٩.

(٢) علوان، عبدالله ناصح: تربية الأولاد في الإسلام، مرجع سابق، ج ١/ ص ١٣٥.

## أهداف الدراسة: تهدف هذه الدراسة إلى:

١. التعرف على مظاهر الرحمة بالأطفال في السنة النبوية.
٢. بيان التطبيقات التربوية المستفادة من الرحمة بالأطفال في السنة النبوية.

## أسئلة الدراسة:

تحاول هذه الدراسة الإجابة عن السؤالين التاليين:

١. ما مظاهر الرحمة بالأطفال في السنة النبوية؟
٢. ما التطبيقات التربوية المستفادة من الرحمة بالأطفال في السنة النبوية؟

## منهج الدراسة:

استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي: "هو المنهج الذي يقوم على دراسة الواقع أو الظاهرة كما هي، وذلك بوصفها وصفاً دقيقاً، والتعبير عنها كمياً أو كييفياً، أو كلاهما معاً"<sup>(١)</sup>. فهو منهج يقوم فيه الباحث ببذل أقصى جهد عقلي ونفسي عند دراسة النصوص، بهدف استخراج مبادئ تربوية مدعمة بالأدلة الواضحة، وفي ضوء هذا المنهج قام الباحث بوصف وتحليل ما ورد في السنة النبوية بخصوص جوانب الرحمة في السنة النبوية، ومظاهر الرحمة بالأطفال في السنة النبوية، وقام باستنباط التطبيقات التربوية المستفادة من الرحمة بالأطفال في السنة النبوية من خلال اعتماده على الطريقة الاستنباطية، التي هي محاولة لاستنباط «المبادئ والأحكام والأراء والقيم وال عبر والأساليب والوسائل التربوية من الأحاديث النبوية»<sup>(٢)</sup>.

(١) عبيادات، ذوقان، وأخرون: البحث العلمي، «مفهومه وأدواته وأساليبه» ، دار أسامة، الرياض، ٢٤٢٤هـ، ص ٢٤٧.

(٢) يالجن، مقداد: مناهج البحث وتطبيقاتها في التربية الإسلامية، دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، ١٤١٩، ص ٣٤.

## مصطلحات الدراسة:

**الرحمة:** يعرفها علوان بأنها: (رقة في القلب، وحساسية في الضمير، وإرهاف في الشعور تستهدف الرحمة بالآخرين، والتالم لهم، والعطف عليهم، وكفكة دموع أحزانهم وألامهم، وهي التي تهيب بالمؤمن أن ينفر من الإيذاء، وينبو عن الجريمة، ويصبح مصدر خير وبر وسلام للناس أجمعين) <sup>(١)</sup>.

**الرحمة بالأطفال:** يعرفها الباحث تعريفاً إجرائياً بأنها: سمة يتسم بها الآباء والمربيون في تعاملهم مع الأطفال، وتتمثل مظاهرها في السنة النبوية في العديد من الجوانب منها: تقبيل الأطفال، ملاطفتهم، الدعاء لهم، عدم الدعاء عليهم، العدل بينهم، الإنفاق عليهم، وتركهم أغنياء، والسلام والعطف عليهم، الرفق بهم، والرحمة بالأطفال اليتامي.

**السنة النبوية:** كل ما أثر عن النبي ﷺ من أقواله وأفعاله، وتقريراته، وهيئاته، وصفاته الخلقية، وشمائله، وكل ما نسب إلى النبي ﷺ قبل الرسالة أو بعدها، سواء أثبتت حكماً شرعياً أم لم تثبت. <sup>(٢)</sup>

## مباحث الدراسة:

تشتمل دراسة الرحمة بالأطفال وأثارها التربوية من خلال السنة النبوية، على ثلاثة مباحث وختمة، تتضمن نتائج الدراسة وتوصياتها، وجاءت مباحث الدراسة على النحو التالي:

**المبحث الأول: الإطار العام للدراسة.**

**المبحث الثاني: مظاهر الرحمة بالأطفال في السنة النبوية، وهو يجيب عن السؤال الأول من أسئلة الدراسة.**

(١) علوان، عبدالله ناصح: تربية الأولاد في الإسلام، مرجع سابق، ج ١/ ص ٣٦١.

(٢) إسماعيل، شعبان محمد: مصادر التشريع الإسلامي وموقف العلماء منها، دار المريخ، الرياض، السعودية، ١٤٠٥، ص ١٧٣.

المبحث الثالث: التطبيقات التربوية المستفادة من الرحمة بالأطفال في السنة النبوية، وهو يجيب عن السؤال الثاني من أسئلة الدراسة.

### الدراسات السابقة:

تناول العديد من الباحثين السنة النبوية، وذلك لاستباط التطبيقات التربوية المستفادة منها، التي تساعد على حسن التعامل مع الأطفال، وتربيتهم تربية سوية.

ومن هذه الدراسات: دراسة بانبيلة (١٤٠٨هـ)<sup>(١)</sup>، وفيها تناول بعض القيم والأساليب التربوية من الخطب النبوية وأهميتها، وأنها من أشد أنواع الإقناع تأثيراً، ويلاحظ أن الباحث استخدم وتناول جانباً واحداً وهو استخدام الرسول ﷺ الأساليب التربوية والتوجيه من خلال الخطب فقط، ووضح الباحث أنواع الخطب، وأن للخطابة أثراً مهماً في حياة المجتمعات؛ لأن الغاية منها إرشاد الناس إلى الحقائق، ثم ذكر بعض القيم التي تتناولها الخطب منها قيم الطاعة والمحبة وقيمة الإيمان بكرامة الإنسان، وقيم الحياة الزوجية، وذكر الباحث بعض القيم المعنوية، ومنها: قيمة الصدق والأمانة والحياة.

ومن الأساليب التربوية في خطبه ﷺ كما ذكرها الباحث بانبيلة، توجيهه للهمم إلى معالى الأمور والإصلاح العملي لنموذج سلوكي منحرف، وكذلك الحوار، والتوازن بين متطلبات الروح والجسد، كما بين بانبيلة موقف الرسول ﷺ من العلم والمتعلم.

وأجرى حسن دراسة (١٤١٠هـ)<sup>(٢)</sup> تناولت الأساليب التالية: أسلوب

(١) بانبيلة، حسين عبدالله: بعض القيم والأساليب التربوية المستبطة من خطب المصطفى ﷺ، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٠٨هـ.

(٢) حسن، محمد حسن: الأساليب التربوية في السنة النبوية، رسالة ماجستير، كلية التربية، الأزهر، القاهرة، مصر، ١٤١٠هـ.

القدوة، وأسلوب التربية العملية، وأسلوب الأمثال، وأسلوب القصة، واستخدمت منهج البحث الوصفي التحليلي، وتوصلت إلى عدة نتائج منها: إبراز أسلوب القدوة من خلال السنة النبوية في التربية وفي دروس العلم، واعتبرت الدراسة أسلوب التربية العملية من أهم أساليب التربية؛ لأنها يعتمد على النشاط الذاتي للفرد، وبه يكتسب الفرد المعارف والمهارات والخبرات الالزامية للتعلم.

ونفذ أبو دف (١٤١٧هـ) دراسة هدفت إلى الكشف عن بعض الأساليب التربوية التي تضمنتها السنة النبوية المطهرة، وقد حدد الباحث الأساليب التربوية، كما جاءت في السنة النبوية في ثلاثة أساليب، هي: أساليب متعلقة بوظائف المربى، وأساليب متعلقة بآراء المربى، وأساليب متعلقة بعلاقة المعلم بالتعلم، وقد استخدم المنهج الوصفي التحليلي، وقد توصلت إلى ضرورة الاقتداء بالرسول ﷺ في مجال التربية، وتعدد وتنوع الأساليب التربوية التي كان يستعملها الرسول ﷺ في تربيته وشمولها لجميع جوانب الحياة.<sup>(١)</sup>

وأما دراسة دبابش (١٤٢٩هـ) فقد كان الهدف منها توضيح الأساليب التربوية التي استخدمها ﷺ في تربيته لأصحابه من خلال سيرته النبوية، تقديم تصور مقترن للاستفادة من منهج الرسول التربوي، وقد استخدمت الباحثة المنهج الوصفي التحليلي، وكان من أهم نتائج الدراسة ما يلي: أن أساليب تربية النبي ﷺ لأصحابه تميزت بالتنوع والمرونة والتكامل والشمول مما جعلها صالحة لكل زمان ومكان ولكل فئات البشر، ومن هذه الأساليب (التربية بالقدوة والتربية بالقصة، والتربية بالأحداث، والتعليم بضرب الأمثال).<sup>(٢)</sup>

(١) أبو دف، محمود: بعض الأساليب التربوية المستنبطة من خلال السنة النبوية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الأزهر، مصر، ١٤١٧هـ.

(٢) دبابش، منال موسى: منهج الرسول في التربية من خلال السنة النبوية، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية بغزة، كلية التربية، ١٤٢٩هـ.

وقام العلوي (١٤٣١هـ) بدراسة هدفت إلى التعرف على معالم خطاب النبي ﷺ للطفل المسلم، وبيان كيفية توظيف خطاب النبي ﷺ للطفل المسلم تربوياً، واستخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي، والطريقة الاستباطية. وقد توصلت إلى أنه: تضمنت السنة النبوية نصوصاً صريحة لخطاب النبوي الموجه للطفل فشكلت بمضامينها قيماً وأساليب ل التربية الطفل المسلم وتوجيهه سلوكه.<sup>(١)</sup>

وقام طرابيشي (١٤٢٩هـ) بدراسة هدفت إلى التعرف على الأساليب التربوية النبوية في صورة عملية تساعد معلم المرحلة الابتدائية في رفع مستوى تعامله مع أبنائه الطلاب، وفق منهجية إسلامية صحيحة، وتقديم تطبيقات تربوية يمكن الإفادة منها في المرحلة الابتدائية، واستخدمت المنهج الوصفي، وقد توصلت لعدة نتائج أبرزها: أن السيرة النبوية غنية بالأساليب التربوية التي تقييد المربين والمعلمين، والتي تهتم بتربية جميع جوانب الإنسان وصقلها، تعدد الأساليب التربوية التي مارسها الرسول ﷺ مع الأطفال من خلال ميادين عدة، شملت جوانب شخصية الطفل.

التعليق على الدراسات السابقة: تتفق الدراسة الحالية مع الدراسات السابقة في تناولها تربية الأطفال في ضوء السنة النبوية، وفي منهج الدراسة: المنهج الوصفي التحليلي، والطريقة الاستباطية، وتحتلت عنها في موضوع الدراسة، حيث إن هذه الدراسة تتناول الرحمة بالأطفال وآثارها التربوية من خلال السنة النبوية، بينما ركزت معظم الدراسات السابقة على الأساليب التربوية التي استخدمتها ﷺ في تربيته لأصحابه: كدراسة حسن دراسة (١٤١٠هـ) ودراسة أبو دف (١٤١٧هـ)، ودراسة طرابيشي (١٤٢٩هـ)، ودراسة دبابش (١٤٢٩هـ)، وأما دراسة العلوي

(١) العلوي، محمد صالح: خطاب النبي ﷺ للطفل المسلم وتطبيقاته التربوية، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، كلية التربية، ١٤٣١.

(١٤٣١هـ)، فقد تناولت معالم خطاب النبي ﷺ للطفل المسلم، وأما دراسة بانبيلة (١٤٠٨هـ)، فقد تناولت بعض القيم والأساليب التربوية من الخطب النبوية، ولكنها لم تتناول قيمة الرحمة، حيث تناولت قيم الطاعة والمحبة، وقيمة الإيمان بكرامة الإنسان، وقيم الحياة الزوجية، وقيمة الصدق والأمانة والحياء، وقد استفادت الدراسة الحالية من الدراسات السابقة في منهج الدراسة، وخطواتها الإجرائية.



## المبحث الثاني مظاهر الرحمة بالأطفال في السنة النبوية

الأحاديث النبوية هي المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي؛ لكونها جاءت وحيًا من الله ﷺ، أجراه على لسان رسوله ﷺ، ولقد تحقق في شخصية النبي ﷺ المثل الأعلى والنموذج الأسمى للكمال الإنساني، وهذه الشخصية المعجزة الخاتمة التي جمعت تمام القيم وعظمي المثل تظل دومًا قدوةً مُثلٍ ونموذجًا يُحتذى وأسوة حسنة في شتى مجالات التربية وجوانب التنشئة.

فشخصية النبي ﷺ تمثل وتُجسد تعاليم وتربيبة الإسلام قولًا وأداءً وتعاملاً في مختلف شئون حياته من عباداتٍ ومعاملاتٍ؛ سواءً أكان ذلك الأداء قوليًّا، أو فعليًّا، أو موافقةً منه ﷺ لما صدر عن بعض أصحابه رض من الأقوال والأفعال؛ فإن هذا يعني أنه ﷺ بمثابة "المثال الإنساني المفرد، الذي يُعدُّ اتباعُه والتأسي به جزءًا أساسياً من التكليف الإلهي المتكامل الوارد في الكتاب والسنة، سواءً في أثناء بعثته، أو بعد موته، وإلى يوم القيمة.. وهو المثال الذي ينبغي أن يُحتذى في كل ما ثبتَ أنه فعله، أو قاله، أو قرَّره، دون أن يطمح أحدٌ في بلوغ مرتبته، سواءً في الأداء، أو في الإحسان، أو في الثواب" <sup>(١)</sup>.

(١) رمزي، عبد القادر هاشم: النظرية الإسلامية في فلسفة الدراسات الاجتماعية التربوية، دار الثقافة، الدوحة، ١٤٠٤، ص. ٥٨.

وشخصية النبي ﷺ؛ هي الشخصية الإنسانية المثالية التي يجد فيها الإنسان مربياً عظيماً ذا أسلوب تربوي فذٌ، يُراعي حاجات الطفولة وطبيعتها، ويأمر بمخاطبة الناس على قدر عقولهم، أي يراعي الفروق الفردية بينهم، كما يُراعي مواهبهم واستعداداتهم وطبائعهم، يُراعي في المرأة أنوثتها، وفي الرجل رجولته، وفي الكهل كهولته، وفي الطفل طفولته، ويلتمس دوافعهم الغريزية.<sup>(١)</sup>

ولقد قام علماء الأمة بمحاولة تصنيف الأحاديث النبوية، وجمع ما كان له علاقة بالجانب التربوي في عدد من الكتب والمؤلفات التي تتحدث عن بعض الملامح والتوجيهات والدروس المستفادة من هدي التربية النبوية، وأهدافها السامية، وأساليبها المتعددة في جوانب مختلفة من الحياة.

وليس هذا فحسب؛ فهناك كثيرٌ من الدراسات والاجتهدات التي ركّزت على المضامين والمفاهيم والأبعاد والآداب والدروس التربوية النبوية؛ فكتب الكتب وألقت المؤلفات، وأعدَّت الدراسات المتعددة التي توضح بما لا شك فيه أن السنّة النبوية المطهرة مصدرٌ تربويٌّ رئيسٌ وزاخرٌ بالكثير من المبادئ والقيم والأهداف والأساليب والمضامين والدروس، ذات العلاقة بحياة الإنسان والمجتمع المسلم<sup>(٢)</sup>، ومن أبرزها قيمة الرحمة: عن عبد الله بن عمرو رض عن النبي ﷺ قال: «من لم يرحم صغيرنا، ويعرف حق كبارنا»<sup>(٣)</sup> وعن أبي قتادة الأنصاري رض أن رسول الله ﷺ كان يصلي وهو حامل أمامة بنت زينب رض بنت رسول الله ﷺ.

(١) النحلاوي، عبد الرحمن: أصول التربية الإسلامية وأساليبها. ط (٢٢). دار الفكر، دمشق، ١٤٢٦هـ، ص ٢٦-٢٧.

(٢) عرابي، محمد عباس: دور الخطاب الديني النبوى فى علاج مشكلات الشباب، دار الهدى، مصر، ١٤٣٢هـ، ص ٢٩.

(٣) أخرجه أبو داود (٤٩٤٣)، وهو في «صحيحة الجامع» (٦٥٤٠).

فإذا سجد وضعها، وإذا قام حملها<sup>(١)</sup> وعن أنس رض عن النبي صل قال:  
«ما من الناس من مسلم يتوفى له ثلاثة لم يبلغوا إلا أدخله الله الجنة،  
بفضل رحمته إياهم».<sup>(٢)</sup>

ومظاهر الرحمة بالأطفال في السنة النبوية كثيرة، فقد كان النبي صل أرحم الناس بالأطفال، وقد ثبتت عنه أحاديث كثيرة في الرحمة بالأطفال ذكوراً وإناثاً، وتمثل مظاهر الرحمة بالأطفال في السنة النبوية في العديد من الجوانب منها: تقبيل الأطفال، ملاطفتهم، الدعاء لهم، عدم الدعاء عليهم، العدل بينهم، الإنفاق عليهم، وتركهم أغنياء، السلام والعطاف عليهم، الرفق بهم، والرحمة بالأطفال اليتامي، وفيما يلي عرض موجز لهذه الجوانب:

#### • تقبيل الأطفال:

فمن الأحاديث التي وردت بشأن تقبيل الأطفال، ما رواه أبو هريرة رض أن الأقرع بن حابس رض أبصر النبي صل يقبل الحسن، فقال: إن لي عشرة من الولد ما قبلت واحداً منهم، فقال رسول الله صل: «إنه من لا يرحم لا يُرحم».<sup>(٣)</sup>

ومن عائشة رض قالت: قدم ناس من الأعراب على رسول الله صل فقالوا: أتُقبلون صبيانكم؟ فقالوا: نعم، فقالوا: لكن - والله - ما تُقبل، قال رسول الله صل: «أو أملك إن كان الله نزع منكم الرحمة»!<sup>(٤)</sup>

#### • ملاطفة الأطفال:

وورد في هذه الملاطفة أنه كان رسول الله صل يصلّي، فإذا سجد

(١) أخرجه البخاري (٥١٦).

(٢) أخرجه البخاري (١٣٨١).

(٣) أخرجه البخاري (٥٩٩٧)، ومسلم (٢٣١٨).

(٤) أخرجه البخاري (٥٩٩٨)، ومسلم (٢٢١٧).

وَثَبَ الْحَسْنُ وَالْحَسِينُ عَلَى ظَهْرِهِ، إِذَا أَرَادَ النَّاسُ أَنْ يَمْنَعُوهُمَا؛  
أَشَارَ إِلَيْهِمَا أَنْ دَعَوْهُمَا، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: كَنَا نَصْلِي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ  
الْعَشَاءَ فَكَانَ يَصْلِي، إِذَا سَجَدَ وَثَبَ الْحَسْنُ وَالْحَسِينُ عَلَى  
ظَهْرِهِ، وَإِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ أَخْذَهُمَا بِيَدِهِ مِنْ خَلْفِهِ أَخْذَا رَفِيقًا فَوَضَعُوهُمَا  
وَضِعْفًا رَفِيقًا، إِذَا عَادَ عَادَا فَلَمَا صَلَّى وَضَعُوهُمَا عَلَى فَخْذِيهِ جَعَلَ  
وَاحِدًا هَاهُنَا وَوَاحِدًا هَاهُنَا..! قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَجَئْتَهُ فَقُلْتَ: يَا  
رَسُولَ اللَّهِ أَلَا أَذْهَبُ بِهِمَا إِلَى أَمْهَمَهُمَا؟ قَالَ: «لَا»..!<sup>(١)</sup>.

وَعَنْ أَنْسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَحْسَنُ النَّاسِ خَلْقًا،  
وَكَانَ لِي أَخٌ يُقَالُ لَهُ أَبُو عَمِيرٍ، فَكَانَ إِذَا جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَرَأَهُ  
قَالَ «أَبَا عَمِيرٍ مَا فَعَلَ النَّفِيرُ؟»<sup>(٢)</sup>.. وَالنَّفِيرُ طَائِرٌ صَغِيرٌ كَانَ أَبُو  
عَمِيرٍ يَلْعَبُ مَعَهُ!

#### • الدُّعَاءُ لِلْأَطْفَالِ:

حِيثُ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَدْعُو لِلْأَطْفَالِ وَمِنْ ذَلِكَ مَا رَوَتْهُ عَائِشَةُ: أَنَّ  
رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يُؤْتِي إِلَيْهِ بِالصَّبِيَّانِ «فَيُبَرِّكُ عَلَيْهِمْ -أَيُّ يَدْعُو  
لَهُمْ بِالْبَرَكَةِ، وَيُحَنِّكُمْ»<sup>(٣)</sup>- أَيُّ يَضْعُفُ فِي أَفْوَاهِهِمُ التَّمَرُّلُ الَّذِي  
مُضَفُّهُ فِي حُنْكَهُ الشَّرِيفِ.

وَقَالَ الْبَرَاءُ: رَأَيْتُ النَّبِيًّا ﷺ وَالْحَسَنَ بْنَ عَلَيٍّ عَلَى عَاتِقِهِ، يَقُولُ:  
«اللَّهُمَّ إِنِّي أَحِبُّهُ فَأَحِبْهُهُ»<sup>(٤)</sup>.

وَعَنْ أَسَامِةِ بْنِ زَيْدٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ كَانَ يَأْخُذُهُ وَالْحَسَنَ، وَيَقُولُ:  
«اللَّهُمَّ إِنِّي أَحِبُّهُمَا فَأَحِبْهُمَا»<sup>(٥)</sup>.

(١) الألباني: السلسلة الصحيحة (٣٣٢٥).

(٢) أخرجه البخاري، (٥٨٥٠)، ومسلم (٢١٥٠).

(٣) (٢٤) رواه مسلم (٢١٤٧).

(٤) أخرجه البخاري، (٣٤٦٦).

(٥) أخرجه البخاري، (٣٤٦٤).

وَعَنْ أَبْنَى عَبَّاسٍ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُعَوِّذُ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ وَيَقُولُ: «إِنَّ أَبَاكُمَا إِبْرَاهِيمَ كَانَ يُعَوِّذُ بِهَا إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّةِ مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَّةٍ، وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لَامَّةٍ»<sup>(١)</sup>.

#### • عدم الدعاء على الأطفال:

لقد نهَا النبي ﷺ عن الدعاء على الأطفال عن جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لا تدعوا على أولادكم، لا توافقوا من الله ساعة يسأل فيها عطاً فيستجيب لكم»<sup>(٢)</sup>.

#### • العدل بين الأطفال:

لقد أمر النبي ﷺ بالعدل بين الأطفال: عن أنس رضي الله عنه قال: كان مع رسول الله ﷺ رجل، فجاء ابن له فقبله وأجلسه على فخذه، ثم جاءت بنت له، فأجلسها إلى جنبه، فقال: «فهلا عدلت بينهما»<sup>(٣)</sup>. وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «سأله ربى ألا يعذب اللاهين من البشر فأعطانيهم»<sup>(٤)</sup>.

#### • الإنفاق على الأطفال، وتركهم أغنياء:

حث النبي ﷺ بالإنفاق على الأطفال، وتركهم أغنياء، فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يقوت»<sup>(٥)</sup>. أي: يترك النفقه على من تلزمها النفقة عليهم، كالأولاد الصغار.

وعن ثوبان رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «أفضل دينار ينفقه الرجل، دينار ينفقه على عياله»<sup>(٦)</sup>.

(١) أخرجه البخاري، (٢١٢٠).

(٢) أخرجه مسلم (٣٠٩).

(٣) اللبناني: «السلسلة الصحيحة» (٣٠٩٨).

(٤) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٥٩٥٧)، وهو في « صحيح الجامع» (٣٥٩٢).

(٥) أخرجه أبو داود (١٦٩٢)، وهو في « صحيح الجامع» (٤٤٨١).

(٦) أخرجه مسلم (٩٩٤).

وعن سعد بن أبي وقاص رض أن النبي ﷺ قال له: «إن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرم عالة، يتکففون الناس».<sup>(١)</sup>

#### • السلام على الأطفال والاعطف عليهم:

لقد كان النبي ﷺ يسلم على الأطفال في الطرقات، ويمسح على رؤوسهم ووجوههم، فعن جابر بن سمرة، قال: صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ أَوْلَى، ثُمَّ خَرَجْتُ إِلَى أَهْلِهِ، وَخَرَجْتُ مَعَهُ فَاسْتَقْبَلَهُ وَلَدَانُ الْمَدِينَةِ، فَجَعَلَ يَمْسَحُ خَدَّيْ أَحَدِهِمْ وَاحِدًا وَاحِدًا، قَالَ: وَأَمَّا أَنَا فَمَسَحَ خَدَّيْ فَوَجَدْتُ لِيَدِهِ بَرْدًا وَرِيحًا، كَأَنَّمَا أَخْرَجَهَا مِنْ جُونَةِ عَطَّارٍ<sup>(٢)</sup>.

#### • الرفق بالأطفال بتحفيظ الصلاة:

يقول (كولن): ”كانت صلاة رسول الله ﷺ طويلة، ولا سيما النوافل منها؛ إذ كانت تتجاوز طاقة الصحابة، ولكنه عندما يقف للصلاحة يريد إطالتها ويسمع بكاء طفل في أشائتها؛ إذ به يخفف صلاته ويتجاوز فيها؛ ذلك لأن النساء كن يقفن للصلاحة خلف رسول الله ﷺ أي يشترين في أداء صلاة الجماعة خلفه، فخوفاً من أن تكون أم ذلك الطفل موجودة بين المصليات فإنه كان يخفف صلاته، ويسرع بها، لكي يريح قلب تلك الأم“<sup>(٣)</sup>. وعن أنس بن مالك قال: ما صَلَّيْتُ وَرَاءَ إِمَامَ قَطُّ أَخَفَّ صَلَاةً وَلَا أَتَمَّ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ، وَإِنْ كَانَ لَيَسْمَعُ بُكَاءَ الصَّبِّيِّ، فَيُخْفِفُ مَخَافَةَ أَنْ تُقْتَلَ أُمُّهُ<sup>(٤)</sup>.

وعن ابن ربيع يقول النبي ﷺ: «إني لأقوم في الصلاة أريد أن أطول

(١) أخرجه البخاري (١٢٩٥)، ومسلم (١٦٢٨).

(٢) رواه الطبراني في المعجم الكبير، (١٩١١)، وصححه الألباني في مشكاة المصابيح، (٥٧٨٩).

(٣) محمد فتح الله كولن: النور الخالد محمد ﷺ مفسرة الإنسانية، ترجمة وتحقيق: لينا عبد القدوس

أبو صالح، بيروت، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٩، ٣/٣.

(٤) أخرجه البخاري، (٦٦٧).

فيها، فأسمع بكاء الصبي، فأتجوز في صلاتي كراهية أن أشق على  
أمه»<sup>(١)</sup>.

### • الرحمة باليتامى:

لقد اعتنت السنة النبوية بالطفل اليتيم عناية خاصة، هذا اليتيم الذي ابلي بموت أحد والديه وهو صغير، إذا لم يجد اليد الحانية التي تحنو عليه، والقلب الرحيم الذي يعطف عليه، وإذا لم يجد من الأووصياء المعاملة الحسنة التي ترافق به والرعاية الكاملة، التي ترفع من مستوىه، والمعونة التامة التي تسد جوعته، لا شك أن هذا اليتيم سوف يصبح أداة هدم وتخريب لكيان الأمة<sup>(٢)</sup>، لكن السنة النبوية أمرت الأووصياء وكل من له صلة قرابة باليتام، أن يحسنوا معاملته وأن يقوموا على أمره وكفالته وأن يشرفوا على تأديبه وتوجيهه؛ حتى يتربى على الخير، وينشأ على المكارم الخلقية والفضائل النفسية الكريمة.

وصحت عن النبي ﷺ أحاديث كثيرة في الرحمة باليتامى منها:  
عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال له: «إذا أردت أن يلين قلبك، فاطعم المسكين، وامسح رأس اليتيم»<sup>(٣)</sup>.

وعن أبي الدرداء أن النبي ﷺ قال: «أتحب أن يلين قلبك، وتدرك حاجتك؟ ارحم اليتيم، وامسح رأسه، وأطعمه من طعامك؛ يلن قلبك، وتدرك حاجتك»<sup>(٤)</sup>.

وعن سهل بن سعد رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «أنا وكافل اليتيم في الجنة

(١) أخرجه البخاري، (٦٦٦).

(٢) علوان، عبدالله ناصح: تربية الأولاد في الإسلام، مرجع سابق، ج ١/ ص ١٤٦.

(٣) أخرجه أحمد (٧٥٦)، وهو في «صحيح الجامع» (١٤١٠).

(٤) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (١٠٣٥)، وهو في «صحيح الجامع» (٨٠).

هكذا» وأشار بإصبعيه السبابة والوسطى.<sup>(١)</sup> وعن أبي هريرة رض أن النبي صل قال: «إني أُحرِّج حق الضعيفين: اليتيم والمرأة»<sup>(٢)</sup>.

فالإحسان إلى اليتامي، والبر بهم، وكفالة عيشهم، وصيانته مستقبلاً لهم من أزكي القراءات، بل إن العواطف المنحرفة تعتدل في هذا المسلك، وتلزم الجادة<sup>(٣)</sup>. لقد خصت السنة النبوية اليتامي بهذه الأحكام، نظراً لما يستدعيه حالهم من الرعاية والاهتمام الخاصين، ولحمائيتهم من طمع بعض من لا يخشى الله في سلب أموالهم، وتعليم الناس ضرورة التكافل.

والتراحم، والتعاطف في الظروف التي لا تستقيم فيها حياة الأمة إلا بذلك، ومنها وفاة العائلين التي تنشأ عنها ضرورة رعاية اليتامي والأرامل وإمداد المساكين<sup>(٤)</sup>.



(١) أخرجه البخاري (٦٠٠٥).

(٢) أخرجه الحاكم (٢١١)، وهو في «صحيحة الجامع» (٢٤٤٧).

(٣) الغزالى، محمد: خلق المسلم، ط١، دار الدعوة، الإسكندرية، ١٤٢٠ هـ، ص ١٩٣.

(٤) النحلاوى، عبد الرحمن: التربية الإسلامية والمشكلات المعاصرة، ط٢، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٨م، ص ١٢١.

## المبحث الثالث التطبيقات التربوية المستفادة من الرحمة بالأطفال في السنة النبوية



تمثل مظاهر الرحمة بالأطفال في السنة النبوية في العديد من الجوانب منها: تقبيل الأطفال، ملاطفتهم ومداعبتهم، الدعاء لهم، عدم الدعاء عليهم، العدل بينهم، الإنفاق عليهم، وتركهم أغنياء، السلام والعطف عليهم، الرفق بهم، والرحمة بالأطفال اليتامي، وفي ضوء ذلك يمكن للأسرة والمدرسة الاستفادة منها في التطبيقات التربوية التالية:

### • على الآباء والأمهات:

تقبيل الأطفال، ملاطفتهم، الدعاء لهم، عدم الدعاء عليهم، العدل بينهم، الإنفاق عليهم، وتركهم أغنياء، السلام والعطف عليهم، الرفق بهم.

### • على المربين أن يكونوا رحماء بالأطفال:

فالرحمة صفة من صفات المربى الناجح، وهي من الوالدين لأبنائهما أخص، ورحمة الأولاد من أهم أسس نشأتهم ومقومات نموهم النفسي والاجتماعي نموا قوياً سوياً، فإذا فقد الأولاد المحبة نشأوا منحرفين في المجتمع، لا يتعاونون مع أفراده، ولا يندمجون في وسطه.

والمربي الذي ينقصه الحنان لا يصلح للتربية، الذي يغلب عليه التجهم، الذي يبخّل بالابتسامة، الذي لا يمسح على رأس الطفل، الذي لا يعرف إلا العقاب، أما الثواب فلا حاجة به إليه، عَنْ عَمْرُو بْنِ شَعِيبَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَيْسَ مَنَّا مَنْ لَمْ يَرَحِّمْ صَفِيرَنَا، وَيَعْرِفَ حَقَّ كَبِيرِنَا»<sup>(١)</sup> وأنه بذلك مخالف لرسول الله ﷺ في مزاحه مع الصبيان، وتلطّفه معهم.

#### • على المربين التعامل مع الأطفال برفق ولين مع احترامهم وتقديرهم:

ذلك يجعلهم أسواء، ويعودهم على الاعتماد على النفس والثقة، ويربي فيهم حب الآخرين، والتآلف مع غيرهم والتآخي، ومعاملة غيرهم بالمودة والرأفة كما كانوا يعاملون، وكما تعودوا عليه.<sup>(٢)</sup>

#### • تقبيل الأطفال:

فالقبلة لها دور فعال في تحريك مشاعر الطفل وعاطفته، كما أن لها دوراً كبيراً في تسكين ثورانه، بالإضافة إلى الشعور بالارتباط الوثيق في تشيد علاقة الحب بين الكبير والصغير، وهي دليل رحمة القلب والفواد لهذا الطفل الناشئ، وهي برهان على تواضع الكبير للصغير، وهي النور الساطع الذي يبهر فواد الطفل، ويشرح نفسه، ويزيد تفاعله مع من حوله، ثم هي أولاً وأخيراً السنة الثابتة عن النبي ﷺ مع الأطفال.<sup>(٣)</sup>

**عن عائشة ﷺ قالت: قدم ناس من الأعراب على رسول الله ﷺ**

(١) رواه أحمد (٢ / ٦٤٤) (٦٧٣٣).

(٢) البقاعي، صالح: مبدأ الرفق في التعامل مع المتعلمين، رسالة ماجستير منشورة، قسم التربية الإسلامية، كلية التربية، جامعة أم القرى، ١٤٢١، ص ١٣٢.

(٣) سويد، محمد نور عبد الحافظ: منهج التربية النبوية للطفل، ط٣، دار طيبة، مكة المكرمة، ١٤٢١، ص ٣١٠.

قالوا: أتُقْبِلُونَ صَبِيَّانَكُمْ؟ فَقَالُوا: نَعَمْ، فَقَالُوا: لَكُنَا - وَاللَّهُ - مَا نَقْبَلَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «أَوَأَمِلَّكُ إِنْ كَانَ اللَّهُ نَزَعَ مِنْكُمُ الرَّحْمَةَ»؟<sup>(١)</sup>

وعن أبي هريرة رض أن الأقرع بن حابس أبصر النبي ص يقبل الحسن فقال: إن لي عشرة من الولد ما قبلت واحداً منهم، فقال رسول الله ص: «إِنَّمَا مَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يُرْحَم».<sup>(٢)</sup>

#### • استخدام أسلوب المداعبة في تربية وتعليم الأطفال:

فلقد مازح النبي ص الأطفال، فعن أنس بن مالك قال: كان رسول الله ص أحسن الناس خلقاً، وكان لي أخ يقال له أبو عمير، فكان إذا جاء رسول الله ص فرأه قال «أبا عميراً ما فعل النغير؟»<sup>(٣)</sup> بهذه المداعبة كان تعامل النبي ص مع الأطفال، وهو يغذى نفوسهم بهذه العاطفة الصادقة الطيبة، بعيداً عن الجفاء والقسوة وعدم إعطاء الطفل حقه.

فمن حق الطفل على والديه حسن معاملته وتربيته، وإحاطته بالعاطف والمودة والرحمة، وإدخال السرور على قلبه، لما له من أثر بالغ في تنشئته وفتح مداركه شريطة ألا يقضي إلى التدليل المفرط الذي يؤثر على سلوكه الجاد في الحياة.<sup>(٤)</sup>

ولقد كان النبي ص يدخل السرور والفرح إلى نفوس الأطفال، ويتبع في ذلك شتى الأساليب، فمن ذلك: الاستقبال الجيد لهم، تقبيلهم، وممازحتهم، مسح رؤوسهم، حملهم ووضعهم في حجره الشريف،

(١) أخرجه البخاري (٥٩٩٨)، ومسلم (٢٢١٧).

(٢) أخرجه البخاري (٥٩٩٧)، ومسلم (٢٢١٨).

(٣) أخرجه البخاري (٥٨٥٠)، ومسلم (٢١٥٠).

(٤) عبد الحميد، أحمد ربيع: حقوق الطفل في الإسلام، جامعة الأزهر، المؤتمر الدولي للطفولة في الإسلام، القاهرة ٢٠١٢، أكتوبر ١٩٩٠، ص ٩٥.

وتقديم الأطعمة لهم، والأكل معهم، كل ذلك كان يفعله ﷺ لما للفرج من قوة التأثير، ولما للسرور من براعة في إسعاد الأطفال.<sup>(١)</sup>

فمداعبة الأطفال تدخل الفرحة والسرور على نفوسهم، وتشتتّهم على الثقة بالنفس، والتعبير عن ذاتهم واظهار مهاراتهم، والمربى الناجح هو الذي يسخر أسلوب المداعبة في خدمة رسالته التربوية، واستغلال هذه الفرصة التي تتهيأ فيها النفوس لاستقبال نصائحه أو توجيهاته، وهذا الأسلوب هو الطريق الناجح إلى قلوب الأطفال، لما جبلوا عليه من حب اللعب والمرح، فكلما كان المربى ظريفاً صاحب دعابة، كلما ازداد حبه لدى طلابه، وأقبلوا عليه، واستمعوا لتوجيهاته، واستجابوا لها، بل وتبقى العلاقة بين المعلم والتلميذ مستمرة قلبياً وفكرياً لعدة سنوات لوجود جسر المحبة والألفة.<sup>(٢)</sup>

ويجب أن تكون المداعبة بعيدة عن التدليل؛ فالدليل الزائد يؤدي إلى اضطرابات الشخصية والسلوك اللاسوسي، فالدليل الزائد مضر بالطفل<sup>(٣)</sup>. فمن نتائجه: الخجل، وضعف الثقة بالنفس، والخلاف عن الأقران.

#### • الدعاء للأطفال:

الدعاء للأطفال وسيلة مهمة لتربيتهم، وهو دليل الرحمة والعطف تجاههم، ولها أثره الإيجابي في تحفيزهم، ودافع لهم إلى التقدم. فعن أسامة بن زيد عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ كَانَ يَأْخُذُهُ وَالْحَسَنَ وَيَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أُحِبُّهُمَا فَأَحِبْهُمَا»<sup>(٤)</sup>، وعن ابن عباس رض قال: ضمني

(١) سويد، محمد نور عبد الحافظ: منهاج التربية النبوية للطفل مرجع سابق، ص ١٢٨.

(٢) المنيف، محمد صالح: تربية الطفل في السنة النبوية، جامعة أم القرى، وكالة شؤون المكتبات، ١٤١٤، ص ١٨٣.

(٣) مؤمنة، نجوى خالد: الطفل، ومشكلات العصر، دار العنود، جدة، ١٤١٩، ص ٢١٢.

(٤) أخرجه البخاري، (٣٤٦٤).

رسول الله ﷺ قال: «اللهم فقه في الدين»<sup>(١)</sup>، وهنا ملجم تربوي يتمثل في ضم رسول الله ﷺ لابن عباس، وهو أسلوب تربوي حيث التوడد، وتألیف القلوب، وتشيئتها على الخير والصلاح، وأدعى إلى إقناعها بالتفقه والعلم، والجانب الثاني: الدعاء، وله أثر نفسي قوي بطلب العلم، إذ إنه يلتمس بركة دعوة رسول الله ﷺ، ويؤمن بأنها محققة بإذن الله<sup>(٢)</sup>، والمكافأة بالدعاء أسلوب يندر وجوده بين المعلمين، فإن المكافأة بالدعاء أمر محمود ينبغي الاهتمام به، والتدريب عليه، لفوائدها فهي (تقل الطالب موقع ومراتب في سلم الحرص والاجتهاد، فالنفس تميل إلى الرغبة في الشعور بالإنجاز، ويدفعها ثناء الناس - المنضبط - خطوات أكثر)<sup>(٣)</sup>.

والعلم الناجح هو الذي يثني على الطالب إذا رأى منه أي بادرة حسنة في سلوكه أو اجتهاده، فيقول للطالب الذي أحسن الجواب: أحسنت، بارك الله فيك، فهذه الكلمات اللطيفة تشجع الطالب، وتقوى روحه المعنوية، وتترك في نفسه أحسن الأثر.

#### • عدم الدعاء على الأطفال:

فالدعاء على الأطفال عمل خطير جداً، لما فيه من دمار للطفل، ولستقبله، ومن دمار للوالدين كذلك، وقد نهى رسول الله ﷺ الآباء والأمهات أن يدعوا على أولادهم؛ لأن هذا مناف للخلق الإسلامي، ويخالف التربية النبوية؛ لذا نجد النبي النبوي للآباء في الدعاء على الأبناء، عن جابر رضي الله عنه قال: «لا تدعوا على أولادكم، لا توافقوا من الله ساعة يسأل فيها عطاً فيستجيب لكم»<sup>(٤)</sup>.

(١) أخرجه مسلم، (١٦٩٠).

(٢) المسبحي، بدرية: أصول التربية الإسلامية للأولاد والبنات في ظل القرآن الكريم والسنّة النبوية، مطباع الحميضي، الرياض، ١٤٢٣هـ، ص ١٨٣.

(٣) الدويش، محمد عبد الله: المدرس ومهارات التوجيه، مدار الوطن للنشر، الرياض، ١٤٢١هـ، ص ٣١.

(٤) أخرجه مسلم (٣٠٩).

## • العدل بين الأطفال:

يستفاد من الأحاديث النبوية التي تتناول العدل بين الأطفال، وجوب المساواة بين الأطفال في القبلة، والجلوس في الحجر والجوار، وإعطاء كل طفل حقه، وقبول الحق منه، وهذا يغرس في نفس الطفل شعوراً إيجابياً نحو الحياة، ويتعلم أن الحياةأخذ وعطاء، وهو تدريب للطفل على العدل<sup>(١)</sup>، فمن المعروف أن المربيين حين يسّون بين الأطفال في المعاملة، ويتحققون العدل بينهم في العطاء تتلاشى ظاهرة الحسد في نفوسهم، وتزول آفات الضغائن والأحقاد من قلوبهم، بل يعيش الأطفال مع إخوتهم ومربيهم في تفاصيل تام، ومحبة متبادلة<sup>(٢)</sup>.

وإذا فضل أحد الآباء أو كلاهما أحد أبنائهما على غيره، فإنهما بهذا يضعان أساساً من أسس الانحراف، سواء كانت المفاضلة في العطاء أم في المعاملة أو في المحبة؛ لأنها أمور تولد الحسد والكراهية وتسبب الخوف والحياء والانتواء، وتورث حب الاعتداء والعصيان، وتؤدي إلى الإصابات العصبية، ومركبات الشعور بالنقص<sup>(٣)</sup>. ويكتفي أن نعلم أن مجرد شعور الطفل بأن أحد والديه يميل إلى أخيه، ويكرمه، ويدلله أكثر منه سيجعل في هذا الطفل شراسة لا يقوى الآباء على الصمود أمامها، وحسداً لا يستطيع الوالدان كبح جماحه.

ويتعرض المعلمون لواقف كثيرة من قبل طلابهم، سواء في توزيع المهام أو الواجبات، أو تفضيل بعضهم دون بعض، ونحو ذلك، ويتأكد

(١) سويد، محمد نور عبد الحافظ: منهج التربية النبوية للطفل، مرجع سابق، ص ٩٨.

(٢) علوان، عبدالله ناصح: تربية الأولاد في الإسلام، ط١٩، مرجع سابق، ج ١/ص ٣٤٢.

(٣) كامل، مصطفى: هذا هو منهج الإسلام في التربية، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٥، ص ١٩.

العدل عند وضع العلامات ورصد الدرجات، فلا مجال لمحاباة أحد، أو تفضيل أحد على أحد لقرابته أو معرفته أو لأي أمر كان<sup>(١)</sup>، فعلى المعلمين تحري العدل، والسعى إليه بين الطلاب، وألا تظهر الميول والتقديرات الشخصية قدر الإمكان، فالمحاباة والتفرقة في المعاملة مما يمقته الطلاب، وينفرُون منه ومن صاحبه<sup>(٢)</sup>.

#### • الإنفاق على الأطفال، وتركهم أغنياء:

والإنفاق على الأطفال له أثر طيب في العملية التربوية، إنفاق بلا إسراف، ولا تبذير، ولا شح، وإنما اعتدال في الإنفاق والبذل، وفيه تدريب أيضًا للطفل الناشئ على البذل المستطاع<sup>(٣)</sup>، عن ثوبان رض عن النبي ﷺ قال: «أفضل دينار ينفقه الرجل دينار ينفقه على عياله».<sup>(٤)</sup>

وعن عبد الله بن عمرو رض عن النبي ﷺ قال: «كفى بالمرء إثمًا أن يضيع من يقوت».<sup>(٥)</sup>

أي: يترك النفقة على من تلزمها النفقة عليهم كالأولاد الصغار.

وعن سعد بن أبي وقاص رض أن النبي ﷺ قال له: «إن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرمهم عالة، يتکفّفون الناس».<sup>(٦)</sup>

#### • السلام على الأطفال والعطاف عليهم:

فقد كان النبي ﷺ يسلم على الأطفال، ويعطف عليهم، ويمسح

(١) الدوسري، فهد منصور: منهج النبي ﷺ في التعامل مع الناشئة، دار الوطن للنشر، الرياض، ١٤٢١هـ، ص ٩.

(٢) الدويش، محمد عبدالله: المدرس ومهارات التوجيه، مرجع سابق، ص ٥٥.

(٣) سويد، محمد نور عبد الحافظ: منهج التربية النبوية للطفل، مرجع سابق، ص ٣٩.

(٤) أخرجه مسلم (٩٩٤).

(٥) أخرجه أبو داود (١٦٩٢)، وهو في « صحيح الجامع » (٤٤٨١).

(٦) أخرجه البخاري (١٢٩٥)، ومسلم (١٦٢٨).

رؤوسهم، فيشعرون بلذة الرحمة، والحب والعطف، الأمر الذي يشعر الطفل بوجوده، وحب الكبار له واهتمامهم به، فعن أنس رض قال: كان النبي ص يزور الأنصار، ويسلم على صبيانهم، ويمسح رؤوسهم.<sup>(١)</sup> يقول السير وليم موير: ”كان ص سهلاً لين العريكة مع الأطفال، لا يأنف إذا من بطائفة منهم يلعبون أن يقرئهم السلام!“<sup>(٢)</sup>.

#### • حسن استقبال الأطفال:

إن اللقاء مع الطفل لابد منه، وأهم ما في اللقاء اللحظات الأولى، فإذا كان اللقاء طيباً، استطاع الطفل متابعة الحديث، وفتح الحوار، والتجاوب مع المتكلم؛ فيفتح قلبه له، وما يدور في خاطره، ويعرض مشاكلاته عليه، ويتحدث عن أمانيه له كل هذا يحصل إذا أحسن استقبال الطفل بفرح وحب ومداعبة، وهذا ما وجه إليه ص بفعله إلى الأمة<sup>(٣)</sup>.

ومن عبد الله بن جعفر رض قال: كان النبي ص إذا قدم من سفر تلقى الصبيان من أهل بيته، وإنه جاء من سفر فسبق بي إليه فحملني بين يديه، ثم جيء بأحد ابني فاطمة الحسن والحسين رض فأرده خلفه، فدخلنا المدينة ثلاثة على دابة<sup>(٤)</sup>.

#### • الرفق بالأطفال، والتلطيف بهم:

فلقد كان هذا من عادة النبي ص، وكان يؤتى بالصبي ليدعوه بالبركة، وليس فيه، فياخذه فيضعه في حجره، فربما بالصبي، فيصبح به

(١) رواه النسائي، «صحيحة الجامع» (٤٩٤٧).

(٢) ياقوت، محمد مسعد: النبي الرحمة (الرسالة والإنسان)، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ٢٠٠٧، ص ١٩٨.

(٣) سويد، محمد نور عبد الحافظ: منهاج التربية النبوية للطفل، ط٣، مرجع سابق، ص ٣١٨.

(٤) رواه أحمد ومسلم وأبو داود، صحيح الجامع (٤٧٦٥).

من يراه، فيقول: ”لا تزرموا الصبي بوله“ فيدعاه حتى يقضي بوله، ثم يفرغ من دعائه له وتنسيته، ويبلغ سرور أهله فيه، لئلا يروا أنه تأذى ببوله، فإذا انصرفوا غسل ثوبه بعده<sup>(١)</sup>، وقد ذكر ابن حجر فوائد في شرح هذا الحديث، منها رفق ورأفة النبي ﷺ وحسن خلقه<sup>(٢)</sup>.

وإنه من الصفات التي يجب أن يتحلى بها من يتصدى ل التربية وتعليم الناس، وكذلك من يتلقى العلم بين الجانب والأناة والرفق وترك الغضب، وهذه الصفات هي من أبلغ ما يمكن أن يستخدمه المعلم وطالب العلم، حتى يتحقق تلقي المعلومة بسهولة، ثم النجاح والتفوق.

وفي رواية مسلم عن النبي ﷺ قال: «إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه»<sup>(٣)</sup>.. فحرفي بالمعلمين والمربين مراعاة نفسيات الطلاب والرفق بهم، فإن النتائج المرجوة من حسن التعامل عظيمة جدًا، فإن النفس البشرية تميل إلى الرفق ولبن الجانب، وطيب الكلام وتأنس به، وتتفر من الجفوة والغلظة.

كما يجب على المعلم والمتعلم المسلم التخلص من ترك انفعال الغضب؛ لأنه يؤدي إلى الأخطاء، وإلى آثارٍ نفسيةٍ وجسميةٍ، لا تحمد عاقبتها<sup>(٤)</sup>.

والمعاملة بالرفق هي الأصل في معاملة النبي ﷺ للأطفال<sup>(٥)</sup>، عن عائشة عن النبي ﷺ قال: «إن الله رفيق، يحب الرفق في الأمر

(١) المرسي، كمال الدين: الدين والحياة -منهج في التربية الدينية، دار الوفاء لدنيا للطباعة والنشر، الإسكندرية، ٢٠٠٤، ص ١١١.

(٢) العسقلاني، ابن حجر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار الكتب العلمية، ٢٢٥، ج ١، ص ٤١٠، أخرجه مسلم (١١٢٩).

(٣) الصعيدي، فواز: الأساليب التربوية النبوية المتّبعة في التوجيه وتعديل السلوك وكيفية تفعيلها مع طلاب المرحلة الثانوية بين ”تصور مقترن“، رساله ماجستير، قسم التربية الإسلامية، كلية التربية، جامعة أم القرى، ١٤٣٠، ص ٥٣.

(٤) علوان، عبدالله ناصح: تربية الأولاد في الإسلام، ط ١٩، مرجع سابق، ج ٢/ ص ٧٢٠.

كله<sup>(١)</sup>، والرفق بالأطفال لا يتناهى مع تأديبهم، فالتأديب ضرورة تربوية تهذيبية تقويمية للطفل، وهذا يتطلب يقظة الوالدين والمربين في تعاملهم مع الطفل، وفهم طبيعته، و اختيار نوع العقوبة، وطريقتها<sup>(٢)</sup>.

• تربية اليتيم ورعايته:

حيث عنيت السنة النبوية بأمر اليتيم ورعايته، والبحث على تربيته والمحافظة على نفسه وماله، ففي ذلك ثواب عظيم، فعن سهل بن سعد رض عن النبي ﷺ قال: (أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا) وأشار بإصبعيه السبابة والوسطى<sup>(٣)</sup>. هذا هو إرشاد النبي ﷺ في تهيئة المبنات التي تبني المجتمع الإسلامي، والتي يشاد عليها صرحه، فيرتفع بناؤه، ويعظم ظله، وتكثر ثماره<sup>(٤)</sup>.

يقول لويس سيديو: ”لا شيء أدعى إلى راحة النفس من عناء محمد صل بالأولاد. فهو قد حرم عادة الوأد، وشغل باله بحال اليتامي على الدوام.. وكان يجد في ملاحظة صغار الأولاد أعظم لذة“.

ولقد كافح النبي ﷺ في سبيل استرداد حقوق الأطفال المسلوبة، عبر العصور الغابرة - خاصة في الميراث - بعدما كانت العصور الجاهلية تحرم الأطفال من الميراث، وتعدّ أن من لهم الحق في الميراث هم الذين يستطيعون جلب الغنائم، أو يمتلكون الخيل بمهارة وفروسيّة!.. كما أن محمداً صل حمل الأسرة كلها أمانة رعاية الأطفال وصيانته حقوقهم.

(١) أخرجه البخاري (٦٩٢٧).

(٢) الشحود، علي بن نايف: الأساليب الشرعية ل التربية الأطفال وتأديبهم، دار جنى، القاهرة، ٢٠١٠، ص ١٠٦.

(٣) أخرجه البخاري (٦٠٠٥).

(٤) محمود شلتوت: منهج القرآن في بناء المجتمع، القاهرة، مجمع البحوث الإسلامية، ١٤٣٦، ص ١٢٤.

فكانَت الأُسْرَةِ الإِسْلَامِيَّةِ -كَمَا يَقُولُ جَاكُ رِيسِلُرُ- : "تَرْعَى دَائِمًا الطَّفْلُ، وَصَحَّتِهُ، وَتُرْبِيَتِهُ، رِعَايَةً كَبِيرَةً. وَتَرْضَعُ الْأُمُّ هَذَا الطَّفْلَ زَمْنًا طَوِيلًا، وَأَحْيَانًا لَمْدَةً أَكْثَرَ مِنْ سَنْتَيْنَ، وَتَقْوِيمُ عَلَى تَشْتِئَتِهِ بِحَنَانٍ، وَتَعْمَرُهُ بِحُبِّهَا وَبِاحْتِيَاطَاتٍ مُتَّصِّلَةً. إِذَا حَدَثَ أَنْ أَصَابَ الْمَوْتَ بَعْضَ الْأُسْرَةِ، وَأَصْبَحُوا يَتَامَى، فَإِنَّ أَقْرَبَاهُمُ الْمُقْرَبِينَ لَا يَتَرَدَّدُونَ فِي مَسَاعِدِهِمْ، وَفِي تَبْنِيهِمْ" وَلَا فَرْقَ فِي ذَلِكَ بَيْنَ ذِكْرِ وَأَنْشِي<sup>(١)</sup>.

وَمِنَ التَّطْبِيقَاتِ التَّرَبُوِيَّةِ أَيْضًا: تَضْمِينُ مَنَاهِجِ رِيَاضِ الْأَطْفَالِ وَالْمَرَاحِلِ الْابْدَائِيَّةِ لِمُهَاجِيَّةِ مَظَاهِرِ الرَّحْمَةِ فِي السَّنَةِ النَّبُوِيَّةِ، فِيمَا يَخْصُّ الْأَهْدَافَ وَالطُّرُقَ وَالأسَالِيبَ الْمُحَقَّقةَ لَهَا.

(١) ياقوت، محمد مسعد: نبي الرحمة (الرسالة والإنسان)، مرجع سابق، ص ١٩٨.

## الخاتمة

يحرص الإسلام على إعداد إنسان مسلم، يؤمن بقيم أمهته بكل ما تحمله الكلمة من مواقف مشرفة وقيم نبيلة، الأسوة فيها شمائل النبي ﷺ، وسير أصحابه ﷺ، لذا يأمر كل من في عنقه مسؤولية التوجيه والتربيـة، ولاسيما الآباء والأمهات منهم، يأمرهم جميعاً بأن يتخلوا بالأخلاق العالية، والملائفة الرصينة، والمعاملة الرحيمة، حتى ينشأ الأطفال على الاستقامة، ويتربيوا على الجرأة واستقلال الشخصية. ومن ثم يشعرون أنهم ذوو تقدير واحترام وكرامة

كما أن محمدًا ﷺ حمل الأسرة كلها أمانة رعاية الأطفال وصيانته حقوقهم، فكانت الأسرة الإسلامية -كما يقول جاك ريسيلر- : ”ترعى دائمًا الطفل، وصحته، وتربيتها، رعاية كبيرة، وترضع الأم هذا الطفل زمناً طويلاً، وأحياناً لمدة أكثر من سنتين، وتقوم على تنشئته بحنان وتغمره بحبها وباحتياطات متصلة، وإذا حدث أن أصاب الموت بعض الأسرة، وأصبحوايتامى، فإن أقرباءهم المقربين لا يتترددون في مساعدتهم وفي تبنيّهم“ .

إن من واجب المربين في البيت والمدرسة معاملة الأطفال بأساليب تربوية، تقوم على الرفق واللين والرحمة، والإسلام بتعاليمه القوية الخالدة، والسنة النبوية مليئة بهذه الأساليب، وبياناً لذلك كانت هذه الدراسة (الرحمة بالأطفال وآثارها التربوية من خلال السنة النبوية)، التي

اشتملت على ثلاثة مباحث، وهذه الخاتمة التي تضمنت على نتائج الدراسة وتوصياتها، وفيما يلي عرض لنتائج الدراسة وتوصياتها.

### نتائج الدراسة:

من خلال مباحث الدراسة توصل الباحث إلى النتائج التالية:  
تضمنت السنة النبوية نصوصاً صريحة في مراعاة الرحمة بالأطفال،  
فسكت بمضمونها أهدافاً وأساليب ل التربية الطفل المسلم وكيفية التعامل  
معه.

تمثل مظاهر الرحمة بالأطفال في السنة النبوية في العديد من  
الجوانب، منها: تقبيل الأطفال، ملاطفتهم، الدعاء لهم، عدم الدعاء عليهم،  
العدل بينهم، الإنفاق عليهم، وتركهم أغنياء، السلام والعطف عليهم، الرفق  
بهم، والرحمة بالأطفال اليتامي.

وأن أبرز التطبيقات التربوية المستفادة: أنه على المربين أن يكونوا  
رحماء بالأطفال، والتعامل معهم برفق ولين مع احترامهم وتقديرهم،  
تضمين مناهج رياض الأطفال والمراحل الابتدائية لمنهجية مظاهر الرحمة  
في السنة النبوية فيما يخص الأهداف والطرق والأساليب المحققة لها.

### توصيات الدراسة:

في ضوء نتائج الدراسة يوصي الباحث بما يلي:  
على الباحثين في مجال التربية الإسلامية القيام بوضع الأطر  
النظرية للرحمة بالأطفال وأثارها التربوية من خلال السنة النبوية؛  
لتسهيل تطبيقها في الواقع.

ضرورة التعامل مع الأطفال بالرحمة واللين، وعدم استخدام أساليب  
العنف والعقاب معهم نظراً لأن هذه المرحلة تعد أكثر حساسية من ناحية  
استخدام العنف والعقاب.

يجب على كليات التربية في الجامعات إدخال المواد التربوية الإسلامية التي تبين للدارسين القيم التي اتبعها النبي ﷺ في التعامل مع الأطفال، والوقوف على آثارها التربوية من خلال السنة النبوية.

تشجيع المعلمين والمعلمات، وخاصة معلمي ومعلمات رياض الأطفال والمرشدين الطلابيين، وتحفيزهم على تقديم البحث والدراسات، التي تظهر القيم التربوية النيرة التي طبّقها النبي ﷺ على الأطفال ورباهم بها، ومن ثم تعميم نتائج هذه الدراسات لتطبيقها في ميدان مدارس التعليم العام ورياض الأطفال.

#### مقترنات الدراسة:

من خلال النتائج والتوصيات التي انتهت إليها الدراسة، فإن الباحث يوصي بإجراء الدراسات التالية:

١. إجراء دراسة مماثلة لهذه الدراسة حول تربية الأطفال على الصدق، وآثاره التربوية من خلال السنة النبوية.
٢. إجراء دراسة مماثلة لهذه الدراسة حول تربية الأطفال على الأمانة وآثارها التربوية من خلال السنة النبوية.
٣. إجراء دراسات تربوية متعمقة في السنة النبوية للإفادة منها، واستخلاص الكثير من الجوانب التربوية المهمة.

وأخيراً: لئن أصبت؛ فب توفيق من الله ﷺ، ولئن أخطأت، فمن نفسي، وأسأل الله ﷺ أن يتتجاوز عن خطئي.

ولله الفضل والمنة، والشكر والحمد على كل حال.



## مصادر ومراجع الدراسة.

### المصادر:

١. أبو داود: سنن أبي داود، دار ابن حزم، ١٤١٩هـ.
٢. الألباني (محمد ناصر الدين): صحيح الجامع الصغير وزيادته، المكتب الإسلامي، ط٣، ١٤٠٨هـ.
٣. الألباني (محمد ناصر الدين): السلسلة الصحيحة، الرياض: مكتبة المعارف، د.ت.
٤. الإمام أحمد بن حنبل: مسند الإمام أحمد بن حنبل، مؤسسة قرطبة.
٥. الإمام البخاري: صحيح البخاري، دار السلام، ط٢، ١٤١٩هـ.
٦. الإمام مسلم: صحيح مسلم، دار ابن حزم، ١٤١٩هـ.
٧. البيهقي: شعب الإيمان، دار الكتب العلمية، ١٤٠٨هـ.
٨. الحاكم: المستدرك، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٥هـ.
٩. الطبراني (سلیمان بن احمد بن ایوب أبو القاسم): المعجم الأوسط، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، القاهرة، دار الحرمين، ١٤١٥هـ.
١٠. العسقلاني، ابن حجر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار الكتب العلمية، ١٤١٠هـ.

### المراجع:

١. أبو دف، محمود: بعض الأساليب التربوية المستتبطة من خلال السنة النبوية، رسالة ماجستير، جامعة الأزهر، مصر، ١٤١٧هـ.
٢. إسماعيل، شعبان محمد: مصادر التشريع الإسلامي وموقف العلماء منها، دار المريخ، الرياض، السعودية، ١٤٠٥هـ.

٣. بانبillaة، حسين عبدالله: بعض القيم والأساليب التربوية المستنبطة من خطب المصطفى ﷺ، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٠٨هـ.
٤. البقاوي، صالح: مبدأ الرفق في التعامل مع المتعلمين، رسالة ماجستير منشورة، قسم التربية الإسلامية، كلية التربية، جامعة أم القرى، ١٤٢١هـ.
٥. حسن، محمد حسن: الأساليب التربوية في السنة النبوية، رسالة ماجستير، كلية التربية، الأزهر، القاهرة، مصر، ١٤١٠هـ.
٦. دبابش، منال موسى: منهج الرسول في التربية من خلال السنة النبوية، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الإسلامية بغزة، كلية التربية، ١٤٢٩هـ.
٧. الدوسري، فهد منصور: منهج النبي ﷺ في التعامل مع الناشئة، دار الوطن للنشر، الرياض، ١٤٢١هـ.
٨. الدويش، محمد عبدالله: المدرس ومهارات التوجيه، مدار الوطن للنشر، الرياض، ١٤٢١هـ.
٩. زقروق، محمود حمدي: الإنسان والقيم في التذوق الإسلامي، مجمع البحوث الإسلامية، القاهرة، رمضان ١٤٣٦هـ.
١٠. رمزي، عبدالقادر هاشم: النظرية الإسلامية في فلسفة الدراسات الاجتماعية التربوية، دار الثقافة، الدوحة، ١٤٠٤هـ.
١١. سويد، محمد نور عبدالحافظ: منهج التربية النبوية للطفل، ط٣، دار طيبة، مكة المكرمة، ١٤٢١هـ.
١٢. طرابيشي، علي ناجي: الأساليب التربوية النبوية في التعامل مع الأطفال وتطبيقاتها في المرحلة الابتدائية، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، كلية التربية، ١٤٢٩هـ.

١٢. الشحود، علي بن نايف: **الأساليب الشرعية ل التربية الأطفال وتأديبهم**، دار جنى، القاهرة، م٢٠١٠.
١٤. شلتوت، محمود: **منهج القرآن في بناء المجتمع**، القاهرة، مجمع البحوث الإسلامية، رمضان ١٤٣٦هـ.
١٥. الصعيدي، فواز: **الأساليب التربوية النبوية المتبعة في التوجيه وتعديل السلوك وكيفية تفعيلها مع طلاب المرحلة الثانوية بين ”تصور مقترن“**، رسالة ماجستير، قسم التربية الإسلامية، كلية التربية، جامعة أم القرى، ١٤٣٠هـ.
١٦. عبدالحميد، أحمد ربيع: **حقوق الطفل في الإسلام**، جامعة الأزهر، المؤتمر الدولي للطفلة في الإسلام، القاهرة ١٢-٩ أكتوبر ١٩٩٠، ص ٧٩-١٠٠.
١٧. عبيادات، ذوقان، وأخرون: **البحث العلمي، ”مفهومه وأدواته وأساليبه“**، دار أسامة، الرياض، ١٤٢٤هـ.
١٨. عرابي، محمد عباس: **دور الخطاب الديني النبوى في علاج مشكلات الشباب**، مصر، دار الهدى، ١٤٣٢هـ.
١٩. علوان، عبدالله ناصح: **تربية الأولاد في الإسلام**، ط١٩، دار السلام: للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٠م العلوى، محمد صالح: خطاب النبي ﷺ للطفل المسلم وتطبيقاته التربوية، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، كلية التربية، ١٤٣١هـ.
٢٠. مؤمنة، نجوى خالد: **الطفل، ومشكلات العصر**، دار العنود، جدة، ١٤١٩هـ.
٢١. الغزالى، محمد: **خلق المسلم**، ط٦، دار الدعوة، الإسكندرية، ١٤٢٠هـ.
٢٢. كامل، مصطفى: **هذا هو منهج الإسلام في التربية**، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٥م.

٢٣. كولن، محمد فتح الله: النور الخالد محمد ﷺ مفخرة الإنسانية، ترجمة وتحقيق: لينا عبدالقدوس أبو صالح، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٩م.
٢٤. المسبحي، بدرية: أصول التربية الإسلامية للأولاد والبنات في ظل القرآن الكريم والسنة النبوية، مطبع الحميضي، الرياض، ١٤٢٣هـ.
٢٥. المرسي، كمال الدين: الدين والحياة - منهج في التربية الدينية، دار الوفاء لدنيا للطباعة والنشر، الإسكندرية، ٢٠٠٤م.
٢٦. المنيف، محمد صالح: تربية الطفل في السنة النبوية، جامعة أم القرى، وكالة شؤون المكتبات، ١٤١٤هـ.
٢٧. النحلاوي، عبدالرحمن: التربية الإسلامية والمشكلات المعاصرة، ط٢، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٨م.
٢٨. النحلاوي، عبدالرحمن: أصول التربية الإسلامية وأساليبها. ط٢٢، دار الفكر، دمشق، ١٤٢٦هـ.
٢٩. يالجن، مقداد: مناهج البحث وتطبيقاتها في التربية الإسلامية، دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، ١٤١٩هـ.
٣٠. ياقوت، محمد مسعد: نبي الرحمة (الرسالة والإنسان)، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ٢٠٠٧م.





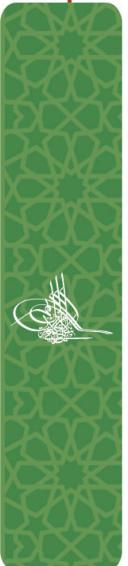
# الرحمة في ضوء القرآن الكريم

إعداد:

د. قسيم محمد عليان وردات

# المؤتمر الدولي في الرحمة في الإسلام

The International Conference on Mercy in Islam  
قسم الدراسات الإسلامية - كلية التربية



## سورة

الحمد لله ذي العظمة والكربلاء، والعزة والبقاء، والمجد والثاء،  
والصلة والسلام على حبيبه، وخيرته من خلقه محمد سيد الأنام، وعلى  
آله وصحبه أجمعين. وبعد :

إن الرحمة من الموضوعات المهمة التي أولاًها القرآن الكريم اهتماماً  
كبيراً، حتى لا يكاد القارئ للقرآن الكريم يمر على بعض آيات الكتاب  
العزيز، أو بعض صفحاته، إلا ويجد فيها ما يصرح أو يدل على الرحمة  
الإلهية، أو خلق الرحمة بشكل عام.

بل إن مما يلفت الانتباه أن كل سورة من سور القرآن الكريم - باستثناء  
سورة التوبة - قد بدأت بالبسملة المشتملة على صفتين الرحيم والرحمن،  
وهذا له دلالته على أهمية صفة الرحمة في الدين الإسلامي، ومما يدل  
على أهمية الرحمة - أيضاً - انفرادها بالصدارة من حيث ورودها في  
القرآن الكريم وبفارق كبير عن أي صفة أخلاقية أخرى. فبينما جاءت  
صفة الرحمة بمشتقاتها المختلفة أكثر من ثلاثة مائة مرة، جاءت صفة  
الصدق مائة وخمسين وأربعين مرة، وصفة العفو ثلاث وأربعين مرة،  
وجاءت صفة الكرم اثنين وأربعين مرة، وصفة الأمانة أربعين مرة<sup>(١)</sup>.

(١) السرجاني، راغب، مقالة بعنوان: الرحمة في الإسلام (٢٠١١-٦-١٢) - موقع قصة الإسلام.  
[islamstory.com/ar/](http://islamstory.com/ar/)

والرحمة هي الغاية التي بعث الرسول ﷺ من أجلها، قال الله ﷺ:

**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ** ﴿١٧﴾ [الأنبياء].

وكتاب الله رحمة، قال الله تعالى: **وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْءَانِ مَا هُوَ شَفَاءٌ** وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ [الإسراء: ٨٢]، ورسول الله رحمة، وأصحابه رحماء فيما بينهم، قال الله تعالى: **مُحَمَّدُ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعْهُ أَشَدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحْمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَتَغَуَّنُ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرَضِّوْنَا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثْرِ السُّجُودِ** ﴿٢٩﴾ [الفتح: ٢٩].

والراحمون يرحمهم الله يوم القيمة، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ قال: (الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء، الرحمن شجنة من الرحمن فمن وصلها وصله الله ومن قطعها قطعه الله) <sup>(١)</sup>.

بل إن الإسلام قد أوصى بالرحمة حتى مع الحيوان، فعن عبد الله بن جعفر قال: (أردفني رسول الله ﷺ خلفه ذات يوم، فأسرّ إلى حديث لا أحدث به أحداً من الناس، وكان أحباب ما استتر به رسول الله ﷺ ل حاجته هدفاً أو حائش نخل، قال: فدخل حائطاً لرجل من الأنصار، فإذا فيه جمل، فلما رأى النبي ﷺ حنّ وذرفت عيناه، فأتاه النبي ﷺ فمسح ذفراه فسكت، فقال: من رب هذا الجمل؟ من هذا الجمل؟ قال: فجاء فتى من الأنصار فقال: لي يا رسول الله ﷺ، فقال: أفلأ تتقي الله في هذه البهيمة التي ملك الله إياها؟ فإنه شكا إلى أنك تجيئه وتذهب <sup>(٢)</sup>)، وعن أبي هريرة  عن رسول الله ﷺ: (أن نملة قرست نبياً من الأنبياء، فأمر بقرية النمل فأحرقت، فأوحى الله

(١) رواه الترمذى فى السنن، كتاب البر والصلة، باب ما جاء فى رحمة المسلمين، رقم الحديث ١٩٢٤، وهو حديث صحيح، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح، وقال الشیخ الألبانی: صحيح.

(٢) رواه أبو داود فى السنن، باب ما يؤمر به من القيام على الدواب والبهائم، رقم ٢٥٤٩، ٢٠٠٤، وهو حديث صحيح، والهدف ما ارتفع من الأرض، وحائش النخل: بستان النخل الملتقط المجتمع، والذفرى: أصل الأذن، وتذهب أي: تكرهه وتتعبه- ينظر: العظيم آبادى، عون المعوب شرح سنن أبي داود، ج ٧، ص ٢٢١ . وينظر: الرمخاشرى، الفائق فى غريب الحديث، ١ / ٣٢١.

إليه أفي أن قرصتك نملة أهلكت أمم من الأمم تسبحني؟<sup>(١)</sup>. من هنا جاءت هذه الدراسة لتوضيح كل المعاني السابقة- بحول الله وقوته-.

### أهداف الدراسة:

تسعى هذه الدراسة إلى تحقيق هدف رئيس هو بيان مدى عنایة القرآن الكريم بالرحمة الربانية، حتى أنها لا تقتصر على الإنسان فحسب، بل تشمل جميع ما خلق الله ﷺ، ومن ثم فإن الدراسة تشتمل على الأهداف التالية:

١. بيان عظمة الإسلام وشموله.
٢. الحث على خلق الرحمة فيما بين الناس.
٣. ترغيب المسلمين فيما عند الله ﷺ، لأنه رحمن رحيم.

### مشكلة الدراسة:

١. الرد على من ينعت الإسلام بصفة الإرهاب.
٢. تصحيح بعض المفاهيم الخاطئة الموجودة عند المغالين من الناس.

### الدراسات السابقة:

بعد البحث والتحري وقفت على عدة دراسات في موضوع الرحمة منها:

١. الرحمة في القرآن - دراسة موضوعية، وهي رسالة ماجستير قدمها محمد عبدالكريم الحايك في كلية الدراسات العليا في الجامعة الأردنية سنة ١٩٩٣ م.

٢. الرحمة الإلهية - دراسة قرآنية، وهي رسالة ماجستير قدمها عمران عزت يوسف في كلية الدراسات العليا في جامعة النجاح سنة ٢٠٠٩ م.

(١) رواه مسلم، كتاب السلام، باب النهي عن قتل النمل، حديث رقم ٥٩٨٦ . ٤٣/٧.

٣. الكتب التي تتحدث عن الأخلاق الإسلامية مثل: كتاب الأخلاق الإسلامية لعلي فضل الله، وكتاب خلق المسلم للغزالى، وكتاب أخلاق القرآن للشريachi.

وقد تميزت دراستي بما يلي:

أ. دراسة موجبات الرحمة دراسة قرآنية مع بيان وجه دلالة الآيات على ذلك.

ب. دراسة جوانب رحمة الله ﷺ دراسة قرآنية مع بيان وجه دلالة الآيات على ذلك، والتركيز على جوانب مهمة قد قصرت الدراسات السابقة في بيانها، مثل بيان جوانب رحمة الله بعباده في جانب التشريع من خلال دراسة الآيات القرآنية دراسة تحليلية. علمًا بأن رسالة الرحمة الإلهية - دراسة قرآنية - لم تتحدث عن ذلك أبدًا.

ج. تميزت دراستي - أيضًا - بعمل مبحث خاص بعنوان رسائل، وهو عبارة عن إيصال ثلاثة رسائل؛ رسالة إلى من ينعت الإسلام بالإرهاب، ورسالتين إلى أصحاب الفكر المتطرف.

### منهج الدراسة:

لم أرجع في دراستي هذه إلى الكتب التي تتحدث عن الرحمة في ضوء القرآن الكريم<sup>(١)</sup>، وإنما رجعت مباشرة إلى آيات القرآن الكريم ذات الصلة بالموضوع، وقمت بدراستها دراسة تحليلية، ومن ثم قمت باستنباط الموضوعات التي اعنى بها القرآن الكريم في مجال الرحمة.

لذلك يتلخص منهجي في دراسة الموضوع بما يلي:

(١) استندت - فقط - في معرفة آيات الرحمة وتقسيماتها من كتاب نصرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ، لعدد من المختصين بإشراف الشيخ صالح بن عبد الله بن حميد.

أولاً : المنهج الاستقرائي: وذلك باستقراء آيات القرآن الكريم، وبيان الآيات ذات الصلة بالموضوع، وما كتبه المفسرون في تفسير هذه الآيات.

ثانياً: المنهج التحليلي: وذلك بدراسة الآيات دراسة تحليلية، وتوظيف ذلك كله في المباحث التفصيلية التي عنونت بها الخطة.

ثالثاً: المنهج الاستباطي: وذلك باستبطاط الموضوعات التي اعنى بها القرآن الكريم في مجال الرحمة.

### خطة الدراسة:

قد اشتملت هذه الدراسة على أربعة مباحث رئيسية، وهي على النحو التالي:

المبحث الأول: مفهوم الرحمة.

المطلب الأول: الرحمة لغة.

المطلب الثاني: الرحمة اصطلاحاً.

المطلب الثالث: معاني الرحمة في القرآن الكريم.

المطلب الرابع: الفرق بين الرحمة والمودة والعطاف.

المبحث الثاني: الرحمة ومبرراتها في ضوء القرآن الكريم.

المطلب الأول: الرحمة صفة من صفات الله تعالى .

الفرع الأول: رحمة الله تعالى شملت الوجود.

الفرع الثاني: الفرق بين الرحمن والرحيم.

المطلب الثاني: الأسباب الموجبة للرحمة في ضوء القرآن الكريم.

المبحث الثالث: جوانب رحمة الله تعالى في ضوء القرآن الكريم

المطلب الأول: رحمة الله ﷺ في إرسال الرسل، إنزال الكتب.

الفرع الأول: رحمة الله ﷺ في إرسال الرسل.

الفرع الثاني: رحمة الله ﷺ في وإنزال الكتب.

المطلب الثاني: من رحمة الله قبول التوبة والغفو عن العاصين والمضطربين.

المطلب الثالث: رحمة الله بعباده في جانب التشريع.

الفرع الأول: الرحمة في أحكام الأموال.

الفرع الثاني: الرحمة في إباحة الغنائم.

الفرع الثالث: الرحمة في تشريع الزواج بأصناف متعددة من النساء.

الفرع الرابع: الرحمة في تشريع العفو والدية.

الفرع الخامس: الرحمة في تحريم القتل.

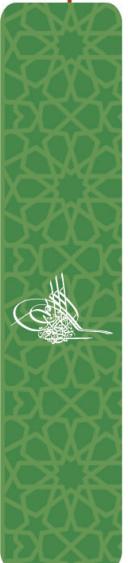
المبحث الرابع: رسائل.

المطلب الأول: رسالة إلى من ينعت الإسلام بالإرهاب.

المطلب الثاني: رسالتان إلى أصحاب الفكر المتطرف.

الرسالة الأولى: أين الحكمة والموعظة الحسنة، وأين الرحمة واللذين في دعوتكم؟!.

الرسالة الثانية: أين أنتم من تحريم الدماء؟!



## المبحث الأول مفهوم الرحمة

### المطلب الأول الرحمة لغة

الرحمة في اللغة: من رحم يرحم، والراء والحاء والميم أصل واحد يدل على الرقة والعطف والرأفة... وسميت رحمة الأنثى رحمة من هذا؛ لأنّ منها ما يكون ما يُرَحِّمُ وَيُرَقِّ له من ولد<sup>(١)</sup>، «وسمى الله الغيث رحمة، لأنه برحمته ينزل من السماء»<sup>(٢)</sup>، «وأم الرحيم مكة، والمرحومة من أسماء مدينة رسول الله ﷺ شرفها الله تعالى»<sup>(٣)</sup>.

### المطلب الثاني الرحمة اصطلاحاً

للعلماء أقوال متقاربة في معنى الرحمة كلها تدور حول حالة من الرقة تقتضي إيصال الخير للمرحوم، وهذه بعض أقوالهم:

قال الراغب الأصفهاني: الرحمة رقة تقتضي الإحسان للمرحوم<sup>(٤)</sup>.

(١) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ٤٩٨/٢ بتصريف يسیر، وينظر: ابن منظور، لسان العرب، ٢٣٠/١٢.

(٢) ابن منظور، لسان العرب، ٢٣٠/١٢.

(٣) الفيروزآبادی، القاموس المحيط، ص ١١١٢.

(٤) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ٣٤٧/١.

وقال بن القيم: الرحمة صفة تقتضي إيصال المنافع والمصالح إلى العبد<sup>(١)</sup>.

وقال الجرجاني: هي إرادة إيصال الخير<sup>(٢)</sup>.

وقال أبو البقاء الكفوبي: الرَّحْمَةُ هي حالة وجدانية تعرض غالباً من به رقة القلب، وتكون مبدأ للانعطاف النفسي الذي هو مبدأ الإحسان<sup>(٣)</sup>.

وقال الأحمد نكري: الرحمة إفاضة الخير وإرادة إيصاله<sup>(٤)</sup>.

وبالجمع بين الأقوال السابقة يمكن القول: إن الرحمة هي حالة وجدانية من الرقة تقتضي التفضل والإحسان، وإيصال الخير والمنافع والمصالح إلى المرحوم.

والمقصود برحمة الله ﷺ بعباده هي التفضل والإحسان، وإيصال الخير والمنافع والمصالح إليهم<sup>(٥)</sup>.

### المطلب الثالث

## معاني الرحمة في القرآن الكريم

إن معاني الرحمة في القرآن كما يلي<sup>(٦)</sup>:

١. الجنة، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَا الَّذِينَ أَبْيَضُتْ وُجُوهُهُمْ فَيَرَجِعُونَ إِلَيْهِمْ هُمْ فِيهَا خَلِيلُونَ﴾ [آل عمران] أي: في جنته خالدون، وقوله تعالى: ﴿فَسَكُنُدُخْلُهُمْ فِي رَحْمَةِ مَنْهُ وَفَضْلِهِ﴾ [النساء: ١٧٥] يعني في الجنة.

(١) ابن قيم الجوزية، إغاثة اللهفان، ١٧٤/٢.

(٢) الجرجاني، التعريفات، ص ١٨٢.

(٣) أبو البقاء الكفوبي، الكليات، ص ٤٧١.

(٤) الأحمد نكري، جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، ٩٥/٢.

(٥) ينظر: الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ٣٤٧/١، والفiroوزآبادی، بصائر ذوى التمييز، ٥٣/٣.

(٦) وينظر: المناوي، التوقيف على مهمات التعريف، ص ١٧٦.

ينظر: الدامغاني، الوجوه والنظائر، ص ٢٢٤-٢٢٥، وابن الجوزي، نزهة الأذرين النواذير، ص ٣٣٤-٣٣١.

٢. الإسلام، ومنه قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَخْصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ﴾ [البقرة: ١٠٥] يعني بدينه الإسلام، وقوله ﷺ: ﴿يُدْخِلُ مَن يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ﴾ [الإنسان: ٢١] يعني في دينه الإسلام.
٣. الإيمان، ومنه قوله تعالى: ﴿قَالَ يَقُولُ أَرَأَيْتُ إِن كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّنْ رَبِّي وَأَثَنِي رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِهِ﴾ [هود: ٢٨] يعني بالرحمة الإيمان.
٤. النبوة، ومنه قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ﴾ [الزخرف: ٢٢]، يعني النبوة.
٥. القرآن، ومنه قوله تعالى: ﴿قُلْ يُفَضِّلُ اللَّهُ وَبِرَحْمَتِهِ فِي ذَلِكَ فَلِيَقْرَأُوهُ مَنْ خَيْرٌ مَمَّا يَجْمِعُونَ﴾ [يونس: ٥٨]، أي: بفضل الله وبالقرآن.
٦. المطر، كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيشَ بُشْرًا بَيْنَ رَحْمَتِهِ﴾ [الأعراف: ٥٧]، أي: الغيث.
٧. الرزق، كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَنَاتَ رَحْمَةِ رَبِّي﴾ [الإسراء: ١٠٠]، يعني رزق ربى.
٨. النعمة، ومنه قوله تعالى: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا إِنَّ رَحْمَةَ مِنْ عِنْدِنَا﴾ [الكهف: ٦٥]، يعني نعمة منا.
٩. العافية، كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَفَرَئِي شَمَّ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِي اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَلَّشَفَتُ صُرُوفٌ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ﴾ [الزمر: ٢٨]، أي: بعافية.
١٠. النصر والفتح، ومنه قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِّنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً﴾ [الأحزاب: ١٧]، يعني النصر والفتح.
١١. التوفيق والمنة، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾ [النساء: ٨٣] يعني التوفيق والمنة.

١٢. الرقة والرودة، كما في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ أَبَغُواهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً﴾ [الحديد: ٢٧] أي: رودة ورحمة.

١٣. المغفرة، ومنه قوله تعالى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَدِهِ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأنعام: ٥٤].

١٤. السعة والتيسير، ومنه قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّنْ رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ﴾ [البقرة: ١٧٨].

١٥. العصمة، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَا مَارَأَةٌ لِّالشَّوْءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّهِ إِنَّ رَبِّي عَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٣] أي: إلا من عصمه الله .

## المطلب الرابع الفرق بين الرحمة والرأفة والرقة

أولاً : الفرق بين الرحمة والرأفة

الرَّحْمَةُ هي إيصال الخير والمصالح والمنافع فهي من باب التحلية،  
وأما الرأفة فهي دفع المضار والماضد فهي من باب التخلية<sup>(١)</sup>.

ثانياً : الفرق بين الرحمة والرقة

إن الرقة سبب الرحمة؛ ذلك أن الرقة متعلقة بالقلب، بينما الرحمة متعلقة بالفعل، لذلك يقال: رق له فرحمه<sup>(٢)</sup>.



(١) ينظر: أبو البقاء الكفوبي، الكليات، ص ٤٧١.

(٢) ينظر: أبو هلال العسكري، معجم الفروق اللغوية، ص ١٩٥-١٩٦.

## المبحث الثاني

# الرحمة وموجباتها في ضوء القرآن الكريم

## المطلب الأول

### الرحمة صفة من صفات الله ﷺ

#### الفرع الأول: رحمة الله ﷺ شملت الوجود.

«الرحمة صفة المولى تباركت أسماؤه! فإن رحمته شملت الوجود، وعمت الملوك»<sup>(١)</sup>، والله ﷺ أرحم بعباده من الأم بولدها، فعن عمر بن الخطاب قدم على النبي ﷺ سبي فإذا امرأة من السبي قد تحلب ثديها تسقي، إذا وجدت صبياً في السبي أخذته فألصقته بيطنها وأرضعته، فقال لنا النبي ﷺ: (أترون هذه طارحة ولدتها في النار؟)، قلنا: لا وهي تقدر على أن لا تطربه، فقال: (للله أرحم بعباده من هذه بولدها)<sup>(٢)</sup>، ورحمة الله تغلب وتسبق غضبه، فعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: (قال لما خلق الله الخلق كتب في كتابه فهو عنده فوق العرش إن رحمتي تغلب غضبي)<sup>(٣)</sup>.

والله ﷺ رحمن رحيم، فقد ورد كثير من الآيات تذكر اسمي الرحمن

(١) الغزالى، خلق المسلم، ص ١٨٦.

(٢) رواه البخارى، كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته، رقم ٥٦٥٣، ومسلم، كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله ﷺ وأنها سبقت غضبه، رقم ٢٧٥٤.

(٣) رواه البخارى، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى **وَيَحْذِرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ**، رقم ٦٩٦٩، ومسلم، كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله ﷺ وأنها سبقت غضبه، رقم ٢٧٥١، واللفظ لمسلم.

الرحيم؛ كليهما، أو أحدهما؛ وقد ورد اسم الرحمن في القرآن الكريم سبع وخمسين مرة، بينما ورد اسم الرحيم خمس وتسعين مرة<sup>(١)</sup>، فمن الآيات التي اشتغلت على اسمي الرحمن الرحيم قوله تعالى: ﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَحْدَهُ لَا إِلَهٌ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [آل عمران: ٢٥]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ مِنْ شَيْءَنَّا وَلِنَّهُ يَسِّرُ اللَّهُ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [آل عمران: ٢٦]، [النمل: ٣٧]، ومن الآيات التي اشتغلت على اسم الرحيم دون الرحمن قوله تعالى: ﴿فَنَلَقَهُ آدُمُ مِنْ رَبِّهِ، كَلَمَتِهِ فَنَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ الْوَابُ الرَّحِيمُ﴾ [آل عمران: ٣٨]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِ تَدْعُونَا إِنَّهُ هُوَ الْبَرُ الرَّحِيمُ﴾ [آل عمران: ٣٩]، [البقرة: ٣٩]، وقوله تعالى: ﴿أَنَّى يَعْبَادُهُ أَنَّا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [آل عمران: ٤٠]، [الحجر: ٣٩]، ومن الآيات التي اشتغلت على اسم الرحمن دون الرحيم قوله تعالى: ﴿قُلْ أَدْعُوا اللَّهَ أَوْ أَدْعُوا الرَّحْمَنَ أَيَّاً مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْمُسْمَنَ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًا﴾ [آل عمران: ٤١]، وقوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ أَسْتَوِي﴾ [آل عمران: ٤٢]، [طه: ٣٧]، وعند قراءة القرآن فإننا نقول: بسم الله الرحمن الرحيم، والله تعالى يقول: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الْرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [الفاتحة: ١]، وقد خص الله تعالى سورة في القرآن الكريم باسمه الرحمن، وابتداها باسمه فقال جل جلاله: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَمَهُ الْبَيَانَ﴾ [آل عمران: ١١١]، [الرحمن: ١].

## الفرع الثاني: الفرق بين الرحمن والرحيم

الرحمن أبلغ من الرحيم؛ وذلك إما بحسب شمول الرحمن للدارين، وختصاص الرحيم بالدنيا، وإما بحسب كثرة أفراد المرحومين وقتلها، وكلاهما صحيح؛ فإن رحمة الدنيا تعم المؤمن والكافر، ورحمة الآخرة تخص المؤمن، لذلك قيل: إن الله جل جلاله هو رحيم الدنيا، ورحمن الآخرة، وذلك أن رحمته في الدنيا تعم المؤمنين والكافرين؛ لإنعامه عليهم وإحسانه إليهم جميعا، وفي الآخرة مختصة بالمؤمنين، وعلى هذا قال: ﴿وَرَحْمَتِي وَسَعَتْ

كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَنْقُوْنَ ﴿١٥٦﴾ [الأعراف: ١٥٦]، فنبه أولاً إلى أن رحمته في الدنيا تشمل المؤمنين والكافرين، ثم بين أنها في الآخرة مختصة بالمؤمنين<sup>(١)</sup>.

ولا يطلق الرَّحْمَنُ إِلَّا عَلَى اللَّهِ مَنْ حَيَّثْ إِنْ مَعْنَاهُ لَا يَصْحُ إِلَّا لَهُ، إِذْ هُوَ الَّذِي وَسَعَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً، وَالرَّحِيمُ يَسْتَعْمِلُ فِي غَيْرِهِ، وَهُوَ الَّذِي كَثُرَ رَحْمَتُهُ، قَالَ تَعَالَى: إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨٢﴾ [البقرة: ١٨٢]، وَقَالَ فِي صَفَةِ النَّبِيِّ ﷺ: لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ [آل عمران: ١٢٨] التوبه<sup>(٢)</sup>.

## المطلب الثاني

### الأسباب الموجبة للرحمة في ضوء القرآن الكريم

إن الله ﷺ واسع المغفرة قد وسعت رحمته كل شيء، فهو يغفر للتائبين، ويرحم من قام بأسباب الرحمة، قال السعدي رحمه الله عند تفسيره لقوله تعالى: وَاللَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَعْدِدُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٩﴾ [آل عمران] يخبر رحمه الله أنه هو المتصرف في العالم العلوي والسفلي، وأنه يتوب على من يشاء، فيغفر له، ويخذل من يشاء، فيعذبه، وَاللَّهُ عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٣٠﴾ فمن صفتة اللازمـة، كمال المغفرة والرحمة، ووجود مقتضياتهما في الخلق والأمر، يغفر للتائبـين، ويرحم من قام بالأسباب الموجبة للرحمة<sup>(٣)</sup>

وإن الدارس لكتاب الله رحمه الله يجد فيه أسباباً كثيرة موجبة لرحمة الله رحمه الله وهي كما يلي:

(١) ينظر: الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص ٣٤٨، والسمين الحلبي، عمدة الحفاظ، ص ٨١-٨٠، والتهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، ١٤٦٥/١.

(٢) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص ٣٤٧.

(٣) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص ٩٧٤.

## ١. الإيمان بالله جل جلاله.

من الأسباب الموجبة للرحمة الإيمان بالله جل جلاله، قال الله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَنٌ مِّنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴾<sup>(١)</sup> فَإِنَّمَا الَّذِينَ ءاَمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ، فَسَكِّدُوا لَهُمْ فِي رَحْمَةِ اللَّهِ مَفْضِلٌ وَيَهْدِيهِمُ اللَّهُ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴾<sup>(٢)</sup> [النساء]، وهنا يمتن الله جل جلاله على سائر الناس بما أوصل إليهم من البراهين القاطعة، والأنوار الساطعة، ويقيم عليهم الحجة، ويوضح لهم المحجة، فقال: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَنٌ مِّنْ رَبِّكُمْ﴾، أي: حجج قاطعة على الحق تبيّنه وتوضّحه، وتبين ضده... ولكن انقسم الناس -بحسب الإيمان بالقرآن والانتفاع به- إلى قسمين: فأما القسم الأول فهم الذين آمنوا بالله واعتصموا به، فأولئك سيغتمدهم الله جل جلاله برحمة منه في الدنيا بأن يوفّقهم للخيرات، ويجزل لهم المثوابات، ويدفع عنهم المكروهات، ويدخلهم في رحمته -أي: الجنة- في الآخرة، ويتفضّل عليهم بعد إدخالهم الجنة بالنظر إلى وجهه الكريم، ويهديهم إلى الطريق الواضحقصد، وهو الإسلام<sup>(٣)</sup>.

ووجه الدلالة هنا: أن الله جل جلاله بين شمول رحمته للمؤمنين، بسبب إيمانهم واعتصامهم به، وهذا يدل على أن من موجبات رحمة الله تعالى الإيمان به، والحقيقة أن الله جل جلاله لا يقبل أي: عمل من أحد، ولا يدخله الجنة إلا بشرط الإيمان.

ومما يدل على رحمة الله جل جلاله للذين آمنوا؛ قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءاَمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اَحَدٍ مِّنْهُمْ اُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتَيْهِمْ اُجُورَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُورًا رَّحِيمًا ﴾<sup>(٤)</sup> [النساء].

## ٢. الهجرة والإيمان

قال الله تعالى: ﴿اَلَّذِينَ ءاَمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَأْمُونُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ﴾

(١) ينظر: القاسمي، محسن التأويل، ٤٨٧/٣ . والسعدي، تيسير الكريم الرحمن، ١

أعظم درجة عند الله وأولئك هم الأنبياء **﴿ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرَضْوَانٍ وَجَنَّتِ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴾** [التوبه: ٦١]، وفي هذه الآية بيان ثواب أهل الجهاد والإيمان والهجرة، وهو أن لهم رحمة من الله **﴿ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرَضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴾** أي: يبشرهم المولى برحمته عظيمة، ورضوان كبير من رب عظيم، وجنتاً عالية قطوفها دانية، لهم في تلك الجنات نعيم دائم لا زوال له<sup>(١)</sup>.

ووجه الدلالة هنا: أن الله **﴿ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرَضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴾** بين ثواب أهل الجهاد والإيمان والهجرة، ومن ثوابهم شمولهم برحمة الله **﴿ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرَضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴾** ورضوانه، وهذا يدل على أن من موجبات رحمة الله تعالى الإيمان به، والجهاد في سبيله **﴿ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرَضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴾**، والهجرة ابتعاء مرضاته **﴿ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرَضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴾**.

ومما يدل على رحمة الله **﴿ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرَضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴾** بأهل الجهاد والهجرة؛ قوله تعالى: **﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فَتَنَّا ثُمَّ جَهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾** [النحل: ١١٠]، وقوله تعالى: **﴿ وَمَنْ يَهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغِمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكَهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَفُورًا رَّحِيمًا ﴾** [النساء: ٣٠].

### ٣. الجهاد في سبيل الله.

من الأسباب الموجبة للرحمة الجهاد في سبيل الله **﴿ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرَضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴾**، قال الله تعالى: **﴿ لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ عَيْرُ أُولَئِكَ الظَّرَرُ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَأْمُولُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ فَضَلَّ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ يَأْمُولُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةٌ وَكُلُّا وَعَدَ اللَّهُ الْحَسْنَى وَفَضَلَّ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾** [الأنفال: ١٥] درجات متنه ومغفرة ورحمة **﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَفُورًا رَّحِيمًا ﴾** [النساء: ١٦]، وفي هذه الآية حث وترغيب بالجهاد، إذ أنها بنت عدم تساوي من جاهد من المؤمنين بنفسه وماله، ومن لم يخرج

(١) الصابوني، صفة التفاسير، ٤٨٩/١.

للجهاد ولم يقاتل أعداء الله في الدرجة، فقد فضل الله عليه السلام المجاهدين على القاعدين من أهل الأعذار درجة؛ لاستواهم في النية، وفضل الله المجاهدين في سبيله على القاعدين بغير عذر بدرجات عدة، كما في الحديث النبوي الشريف: (إِنَّ فِي جَنَّةٍ مَائَةً دَرْجَةً أَعْدَهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِهِ مَا بَيْنَ كُلِّ دَرْجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ)، ووعدهم الله عليه السلام بالغفرة والرحمة التي تشتمل على حصول كل خير، واندفاع كل شر<sup>(١)</sup>.

#### ٤. التوبة.

قال الله تعالى: «وَإِذَا حَآءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِعَيْنِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كُتِبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا إِبْعَهَكُلَّةً ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ» [آل عمران: ٥٤]، ففي هذه الآية يبين الله عليه السلام أنه أوجب على نفسه المقدسة الرحمة تقضلاً منه وإحساناً لمن عمل خطيئة من غير قصد، أو أنه جاحد بما يتعلق به من المكره والمضررة، والحلال والحرام، ثم تاب من بعد ذلك الذنب وأصلاح عمله فإن الله يغفر له ويرحمه<sup>(٢)</sup>، وقوله: (ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ) يدل على أنه لا بد مع ترك الذنب والإقلال، والندم عليها، من إصلاح العمل، وأداء ما أوجب الله، وإصلاح ما فسد من الأعمال الظاهرة والباطنة<sup>(٣)</sup>.

وهذا كقوله تعالى: «وَالَّذِينَ يَرْمَوْنَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَزْيَعَةٍ شَهَدَهُ اللَّهُ فَاجْلِدُوهُنْ ثَمَنِينَ جَلَدَةً وَلَا نَفْلَوْ لَهُمْ شَهَدَةً أَبَدًا وَأُفْتَئِكُ هُمُ الْفَنِسِقُونَ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ» [آل عمران: ٥٥]، والمعنى: إلا الذين تابوا من القذف وأصلاحوا أعمالهم فإن الله يقبل توبتهم ويعفو عنهم<sup>(٤)</sup>.

وهذا يدل على أن من الأسباب الموجبة لرحمة الله عليه السلام التوبة، ومما

(١) ينظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ١٩٥ . والصابوني، صفوة التفاسير، ٢٧٣/١.

(٢) ينظر: القاسمي، محسن التأowil، ٣٧٦/٤، والصابوني، صفوة التفاسير، ٣٦٤/١.

(٣) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ٢٥٨ . بتصرف يسير.

(٤) ينظر: القاسمي، محسن التأowil، ٣٢٧/٧.

يدل على ذلك -أيضاً- قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَقُولُونَ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُمْ يَا تَخَذِّلُوكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَيَّ بَارِيْكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ بَارِيْكُمْ فَنَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة، ٥٤]، وقوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران، ٨٩].

## ٥. الإصلاح والتقوى.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْرَوْهُ فَاصْلِحُوهُ بَيْنَ أَخْوَيْكُمْ وَأَنْقُلُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات، ١٠]، وهنا يبين الله ﷺ وجوب الأخوة بين المؤمنين في الدين؛ لأنهم منتسبون إلى أصل واحد وهو الإيمان، وهذه الأخوة موجبة للإصلاح ﴿فَاصْلِحُوهُ بَيْنَ أَخْوَيْكُمْ﴾ يعني كل مسلمين تخاصما وتقاتلا، وتحصيص الاثنين بالذكر لإثبات وجوب الإصلاح فيما فوقهما بطريق الأولى<sup>(١)</sup>، ثم أمر بالتقوى عموماً، ورتب على القيام بحقوق المؤمنين وبتقواه الله، الرحمة فقال: ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾. وهذا تحقيق منه ﷺ في حصول الرحمة لمن قام بحقوق المؤمنين ومنه الإصلاح، ولمن اتقاه، وهذا يدل على أن الإصلاح بين المؤمنين، وتقوى الله تعالى من موجبات الرحمة، ودل ذلك على أن عدم القيام بحقوق المؤمنين، من أعظم حواجب الرحمة<sup>(٢)</sup>.

## ٦. العفو والصفح

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَقُولُونَ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُمْ يَا تَخَذِّلُوكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَيَّ بَارِيْكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ بَارِيْكُمْ فَنَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة، ٥٤]، وقوله تعالى: ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوهُ وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التغابن، ١٤]، وفي هذه الآية تحذير للمؤمنين

(١) ينظر: البيضاوي، أنوار التنزيل، ١٢٥/٥، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم، ١٢٠/٨، والشوكاني، فتح القدير، ٧٤/٥.

(٢) ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٣٥١/٧، والسعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص. ٨٠٠.

من الاغترار بالأزواج والأولاد، فإن بعضهم عدو لكم، ومن عداوتهم أنهم يصدونكم عن الخير، كأن يصدونكم عن الجهاد في سبيل الله، ويثبطونكم عن طاعة الله؛ لذلك احذروا أن تستجيبوا لهم وتطيعوهم، ولكن هذا لا يعني إلحاق الضرر بهم، والغلطة عليهم، فإنه مع الحذر منهم لا بد من العفو عنهم والصفح<sup>(١)</sup>، وإن تعفوا عن ذنبهم التي ارتكبواها بترك العاقبة، وتصفحوا بالإعراض وترك التهريج عليها، وتغفروا بأن تخفوها وتستروها فإن الله بالغ المغفرة والرحمة لكم ولهم، يعاملكم بمثل ما عملتم ويقتضي عليكم<sup>(٢)</sup>.

ووجه الدلالة هنا: أن الله ﷺ بين ثواب المؤمنين الذين يعفون ويصفحون، ومن ثوابهم شمولهم برحمة الله، وهذا يدل على أن من الأسباب الموجبة لرحمة الله ﷺ بعباده العفو والصفح.

## ٧. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَصْرُهُمْ أَوْلَىٰ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَا هُنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقْسِمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَوةَ وَيُطْبِعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيِّدُهُمْ مَنِ الْلَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبه].

”لما وصف الله المنافقين بالأعمال الخبيثة والأحوال الفاسدة، ثم ذكر بعده ما أعد لهم من أنواع الوعيد في الدنيا والآخرة، عقبه بذكر أوصاف المؤمنين وأعمالهم الحسنة، وما أعد لهم من أنواع الكرامات والخيرات في الدنيا والآخرة<sup>(٣)</sup>، وقد وصفهم بضد ما وصف به المنافقين، فوصفهم بخمس صفات، وهي أنهم **يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَا هُنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقْسِمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَوةَ وَيُطْبِعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ**“، ثم بين الله ﷺ جزاءهم فقال: **أُولَئِكَ سَيِّدُهُمْ مَنِ اللَّهُ**“ أي: سيرحم الله من اتصف بهذه الصفات، **إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ**

(١) ينظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص ١٠٢٢ ، والصابوني، صفة التفاسير، ٣٧١/٣.

(٢) البيضاوي، أنوار التنزيل، ٥/٢١٩-٢١٨ بتصريف، وينظر: الشوكاني، فتح القدير، ٥/٢٨٤.

(٣) الخازن، لباب التأويل، ٢/٢٨٢.

**حَكِيمٌ** أي: عزيز، من أطاعه أعزه، فإن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين، حَكِيمٌ في قسمته هذه الصفات لهؤلاء، وتحصيصه المنافقين بصفاتهم المتقدمة، فإن له الحكمة في جميع ما يفعله، تبارك وتعالى<sup>(١)</sup>.

وهذا يدل على أن من الأسباب الموجبة لرحمة الله ﷺ بعباده الصفات الخمس السابقة وهي الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وطاعة الله ﷺ، وطاعة رسوله ﷺ.

#### ٨. إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة.

من موجبات رحمة الله ﷺ بعباده: إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، ويدل على ذلك الآية السابقة، وقوله تعالى: **وَأَفِيمُوا الصَّلَاةَ وَإِنَّا زَكْرَةً وَأَطِيعُونَا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْجَمُونَ** [النور]، حيث "يأمر ﷺ بإقامة الصلاة، بأركانها وشروطها وأدابها، ظاهراً وباطناً، وإيتاء الزكاة... وطاعة الرسول ﷺ وذلك بامتثال أوامره واجتناب نواهيه... لعلكم حين تقومون بذلك **تُرْجَمُونَ**" فمن أراد الرحمة، فهذا طريقها، ومن رجاحها من دون إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وإطاعة الرسول، فهو متمن كاذب، وقد منته نفسه الأماني الكاذبة<sup>(٢)</sup>.

#### ٩. الإنفاق في سبيل الله ﷺ

قال الله تعالى: **وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَسْتَحْذِدُ مَا يُنْفِقُ قُرْبَتِي عِنْدَ اللهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ الْأَئِمَّا قُرْبَةً لَهُمْ سَيِّدُ خَلْقِهِمْ اللهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ اللهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ** [التوبه]، بعد أن بين الله ﷺ أن الأعراب في جملتهم أشد كفراً ونفاقاً، وبين أن بعضهم يعتقد أن المال الذي ينفقه في سبيل الله غرم وخسارة، بين في هذه الآية أن من الأعراب من يتخذ

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ١٥٤/٤.

(٢) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص. ٥٧٣.

ما ينفق وسيلة إلى رضا الله والتقرب منه، وسبباً في دعاء الرسول ﷺ لهم بالخير والبركة واستغفاره لهم، حيث كان ﷺ يدعو للمتصدقين بالخير والبركة ويستغفر لهم، عند أخذه الزكاة الواجبة والصدقات المندوبة ليوزعها على مستحقها<sup>(١)</sup>، ثم أخبر الله عن قبولها منهم بقوله: ﴿أَلَا إِنَّمَا قُرْبَةُ لَهُمْ﴾ أي: ألا إن إنفاقهم الصادر عن الإخلاص لله قربة عظيمة لهم عند الله ﷺ، وقد وعدهم الله عليهما بإدخالهم الجنة في قوله: ﴿وَمَنْ سَيِّدَ خَلْمُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ﴾ أي: يشملهم برحمته وفضله جزاء إخلاصهم<sup>(٢)</sup>.

ووجه الدلالة هنا: أن الله ﷺ شملهم برحمته وفضله بسبب إنفاقهم الصادر عن الإخلاص لله، وهذا يدل على أن من الأسباب الموجبة لرحمة الله ﷺ بعباده الإنفاق في سبيله ﷺ.

#### ١٠. دعاء الرسول ﷺ

﴿وَمَنْ أَعْرَابَ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرُبَاتٍ عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَاتٍ الرَّسُولُ أَلَا إِنَّمَا قُرْبَةُ لَهُمْ سَيِّدَ خَلْمُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبه] كما أن الآية السابقة تدل على أن من موجبات رحمة الله ﷺ بعباده الإنفاق في سبيله ﷺ، وهذا على معنى: ﴿أَلَا إِنَّمَا قُرْبَةُ لَهُمْ﴾ أي: نفقاتهم قربة لهم عند الله، وعلى معنى: ﴿وَصَلَوَاتُ الرَّسُولِ﴾ أي: يقصدون بنفقاتهم التقرب إلى الله واغتنام دعاء الرسول لهم، فإنها تدل أيضاً على أن من موجبات رحمة الله ﷺ بعباده دعاء الرسول ﷺ، وهذا على معنى ﴿أَلَا إِنَّمَا قُرْبَةُ لَهُمْ﴾ أي: صلوات الرسول ﷺ، تقريرهم إلى الله ﷺ، وتتمي أموالهم وتتحل بها البركة<sup>(٣)</sup>، "والمعنى

(١) ينظر: أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ٩٦/٤.

(٢) مجموعة من العلماء، التفسير الوسيط، ٧-٦/٤.

(٣) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص٣٤٩ بتصرف يسير.

أنه يتقرّب بصدقته ودعاه الرَّسُول ﷺ إلى الله تعالى ﴿أَلَا إِنَّمَا قُرْبَةُ لَهُمْ أَيْ نُورٌ وَمَكْرَمَةٌ عِنْدَ اللَّهِ﴾<sup>(١)</sup>.

## ١١. طاعة الله ﷺ وطاعة الرسول

قال الله تعالى: ﴿وَاطِّعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرَحَّمُونَ﴾ [آل عمران] <sup>(٢)</sup> إن ترك المعاصي ينجي من النار، ويقي من سخط الجبار، وأفعال الخير والطاعة توجب رضا الرحمن، ودخول الجنان، وحصول الرحمة، ومن أعظم أفعال الخير طاعة الله ﷺ، وطاعة الرسول ﷺ، ولهذا قال: ﴿وَاطِّعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرَحَّمُونَ﴾ ... فطاعة الله وطاعة رسوله، من أسباب حصول الرحمة <sup>(٣)</sup>.

## ١٢. اتباع القرآن.

من الأسباب الموجبة لرحمة الله ﷺ اتباع القرآن، لقوله ﷺ: ﴿وَهَذَا كُنْدُبٌ أَنَّ زَلَّةً مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرَحَّمُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٥]، فإن هذه الآية تبين أن اتباع القرآن والعمل به سبب لرحمة الله ﷺ، بل هو أكبر سبب لنيل رحمة الله، ومعنى الآية: هذا القرآن العظيم فيه النفع الكبير، والخير الكثير، والعلم الغزير، فاعملوا بما فيه، واتقوا أن تخالفوه ﴿لَعَلَّكُمْ تُرَحَّمُونَ﴾ بواسطة اتباعه وهو العمل بما فيه، فأكبر سبب لنيل رحمة الله ﷺ إتباع هذا الكتاب، علمًا وعملا<sup>(٤)</sup>.

## ١٣. الاستماع إلى القرآن الكريم والإنصات له.

من الأسباب الموجبة لرحمة الله ﷺ بعباده - أيضًا - الاستماع إلى

(١) الوحدى، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ص ٤٨٧.

(٢) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص ١٤٧ بتصريف.

(٣) ينظر: ابن الجوزي، زاد المسير، ٩٤/٢. والبيضاوي، أنوار التزيل، ١٩٠/٢، والسعدي، تيسير

الكرим الرحمن، ص ٢٨٠.

القرآن الكريم والإنسات له، لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْءَانُ فَأَسْتَمِعُوا لَهُ، وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرَحَّمُونَ﴾ [الأعراف: ٢٤]. وفي هذه الآية رتب الله ﷺ حصول

رحمته على الذي يستمع للقرآن وينصت له، ”فإن من لازم على هذين الأمرتين حين يتلى كتاب الله، فإنه ينال خيراً كثيراً وعلمًا غزيرًا، وإيماناً مستمراً متجدداً، وهدى متزايداً، وبصيرة في دينه، وللهذا رب الله ﷺ حصول الرحمة عليهم، فدل ذلك على أن من تُلي عليه الكتاب، فلم يستمع له وينصت، أنه محروم الحظ من الرحمة، قد فاته خير كثير“<sup>(١)</sup>.

والامر بالاستماع والإنسات الوارد في هذه الآية ”فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أن الإنسات المأمور به هو لقراءة الإمام في الصلاة، والثاني: أنه الإنسات للخطبة، والثالث: أنه الإنسات لقراءة القرآن على الإطلاق وهو الراجح لوجهين: أحدهما: أن اللفظ عام ولا دليل على تخصيصه، والثاني: أن الآية مكية، والخطبة إنما شرعت بالمدينة“<sup>(٢)</sup>.

ومن ثم فإن هذه الآية تدل على أن من موجبات رحمة الله ﷺ بعباده الاستماع إلى القرآن الكريم والإنسات له، بل ”قال بعضهم: الرحمة أقرب شيء إلى مستمع القرآن لهذه الآية“<sup>(٣)</sup>.

#### ١٤. الاستغفار.

من الأسباب الموجبة لرحمة الله ﷺ بعباده الاستغفار، بدليل قوله تعالى: ﴿قَالَ يَنْقُومُ لِمَ رَسْتَعِجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ لَعَلَّكُمْ تُرَحَّمُونَ﴾ [النمل: ٥٦]. أي: قال صالح لقومه: يا قوم لم تطلبون العذاب قبل الرحمة، ولم تؤخرن الإيمان الذي يجلب إليكم الثواب، وتقدمون الكفر الذي يجلب إليكم العقوبة، هلا تسألون الله المغفرة،

(١) السندي، تيسير الكريم الرحمن، ص ٣١٤.

(٢) ابن جزي الكلبي، التسهيل، ٢/٥٩-٦٠.

(٣) ابن جزي الكلبي، التسهيل، ٢/٦٠.

وتتوبون إليه من الشرك رجاء أن ترحموا، أو كي ترحموا فلا تعذبوا، فإن استعجال الخير، أولى من استعجال الشر<sup>(١)</sup>.

ووجه الدلالة هنا: أن الله ﷺ بين هنا أن صالحًا طلب من قومه الاستغفار لكي يرحموا فلا يعذبوا، وهذا يدل على أن من الأسباب الموجبة لرحمة الله الاستغفار.

#### ١٥. الإحسان.

من الأسباب الموجبة لرحمة الله ﷺ عباده -أيضاً- الإحسان، لقوله تعالى: ﴿وَلَا تُقْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٩٦]، وهذا إخبار من الله ﷺ بأن رحمته قريبة من عباده المحسنين بأي نوع من الأنواع كان إحسانهم، وفي هذا ترغيب للعباد إلى الخير وتشييط لهم<sup>(٢)</sup>، ”فكلما كان العبد أكثر إحساناً، كان أقرب إلى رحمة ربه، وكان ربه قريباً منه برحمته“<sup>(٣)</sup>.

#### ١٦. الصبر.

قال الله تعالى: ﴿وَدَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَبَّتْهُمْ مُصِيبَةً قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَجِعونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهَتَّدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٥-١٥٧]، وفي هذه الآيات يبين الله ﷺ ثواب الصابرين الذين إذا نزل بهم كرب أو بلاء أو مكره استرجعوا وأقرروا بأنهم عبيد الله يفعل بهم ما يشاء، وهو: أن لهم من ربهم ثلاثة بشرى:

الأولى: صلوات الله عليهم وهي مغفرته لهم، ورأفته بهم، والثانية: رحمته بإزالة آثار المصيبة، أو تعويضهم بما ينعم به عليهم، من جلب نفع

(١) ينظر: السمرقندى، بحر العلوم، ٢٠٨٦/٢، والشوکانى، فتح القدير، ٤/١٦٥.

(٢) الشوكاني، فتح القدير، ٢/٢٤٢.

(٣) السعدي، تيسير الكريم المنان، ص ٢٩١.

أو دفع ضر، والثالثة: أنهم مهتدون إلى طريق السعادة، وإلى مطالبهم الدينية والأخروية<sup>(١)</sup>.

ووجه الدلالة هنا: أن الله ﷺ بين هنا أن من ثواب الصابرين أن لهم الرحمة منه ﷺ، وهذا يدل على أن من الأسباب الموجبة لرحمة الله ﷺ الصبر.



(١) ينظر: الصابوني، صفوة التفاسير، ٩٤/١، ومجموعة من العلماء، التفسير الوسيط، ٢٣٦/١.

### المبحث الثالث

## جوانب رحمة الله ﷺ في ضوء القرآن الكريم

بعد استقرائي لآيات الرحمة، ودراستي لها دراسة تحليلية، قمت باستنباط جوانب رحمة الله ﷺ في ضوء القرآن الكريم -حسب ما ظهر لي-، وهي كما يلي.

### المطلب الأول

#### رحمة الله ﷺ في إرسال الرسل، وإنزال الكتب

##### الفرع الأول: رحمة الله ﷺ في إرسال الرسل.

من رحمة الله ﷺ بعباده إرسال الرسل وبعث الأنبياء عليهما السلام، ومما يدل على ذلك ما يلي:

١. قوله تعالى: ﴿مَا يَوْدُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكُونَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَيْرَ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [البقرة: ١٥].

يبين الله ﷺ في هذه الآية شدة عداوة الكافرين من أهل الكتاب والشركين للمؤمنين، ومن عداوتهم أنهم لا يحبون أن ينزل أي:

خير على رسول الله ﷺ سواء أكان النبوة، أم أي: حكم من أحكام الإسلام، فأخبر الله ﷺ أن الأمر ليس على مرادهم، بل إنه يختص برحمته من يشاء، أي: يختار للنبوة من يشاء ممن هو أهل لذلك، ويكرم بيديه الإسلام من يشاء، والله ذو المَّعْظِمِ لمن اختص بالنبوة والإسلام<sup>(١)</sup>.

ووجه الدلالة هنا أن الله ﷺ وصف النبوة بالرحمة، حيث قال: ﴿وَاللهُ يَخْتَصُ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ﴾ أي: يختص النبوة -على قول من قال ذلك- من يشاء من عباده، فمن رحمة الله ﷺ -إذا- بعباده إرسال الرسل وبعث الأنبياء صلوات الله عليهما.

٢. قوله تعالى: ﴿يَخْتَصُ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [آل عمران] ووجه الدلالة فيها كما في الآية السابقة، وهو قوله: ﴿يَخْتَصُ بِرَحْمَتِهِ﴾ أي: بنبوته<sup>(٢)</sup>، وقيل: إنها الإسلام، وقيل: القرآن والإسلام. وكلها أقوال صحيحة<sup>(٣)</sup>. وهذا يدل على أن من رحمة الله ﷺ بعباده إرسال الرسل، وبعث الأنبياء صلوات الله عليهما، كما أن من رحمته ﷺ إنزال الكتب، ومنها القرآن الكريم، ومن رحمته -أيضاً- أنه يهدي لدینه من يشاء.

٣. مما يدل -أيضاً- على أن من رحمة الله بعباده إرسال الرسل قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤَذِّنُونَ الَّذِي وَيَقُولُونَ هُوَ أَذْنُ قُلْ أَذْنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤَذِّنُونَ رَسُولُ اللهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [التوبية].

وهذه الآية تبين نوعاً من قبائح المنافقين السيئة الكثيرة، وهي أنهم

(١) ينظر: السمرقندى، بحر العلوم، ٨٨/١. والسمعاني، تفسير القرآن، ١٢٠/١، والزمخشري، الكشاف، ١٧٥/١.

(٢) ينظر: البغوي، معالم التزيل، ٥٥/٢.

(٣) ينظر: ابن الجوزي، زاد المسير، ٢٩٥/١.

كانوا يؤذون خير الخلق محمد ﷺ بتعييبه والطعن في رسالته فيما بينهم بأن يسموه أذنًا، أي: أنه يسمع كل كلام يلقي إليه ويصدقه، ولا يفرق بين الصحيح والباطل، وهذا الكلام اغتراراً منهم بحلمه عنهم، وصفحة عن جنایاتهم كرماً وحلمًا وتقاضياً، فأمر الله ﷺ رسوله ﷺ بالرد عليهم: **﴿فُلْ أَذْنُ خَيْرٍ لَّكُمْ﴾** أي: هو أذن خير لا أذن شر، يسمع الخير فيعمل به، ولا يعمل بالشر إذا سمعه، ثم بين القرآن الكريم كونه أذن خير بقوله: **﴿يَوْمَنِ يَالَّهِ وَيَوْمَنِ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾**: يصدق الله فيما يقول، ويصدق المؤمنين فيما يخبرونه به لعلمه بإخلاصهم **﴿وَرَحْمَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ﴾** أي: وهو رحمة للمؤمنين لأنهم استقذهم به من الضلاله، وأورثهم باتباعه جناته<sup>(١)</sup>.

ووجه الدليل: أن من جملة الردود على المنافقين أن رسول الله ﷺ رحمة للمؤمنين، وهذا يدل على أن من رحمة الله ﷺ بعباده إرسال الرسل ومنهم محمد ﷺ إلى الناس لإخراجهم من الظلمات إلى النور، ومن الضلاله إلى الهدى، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، ومن الشرك إلى التوحيد.

### الفرع الثاني: رحمة الله ﷺ في إنزال الكتب.

إن من وجوه رحمة الله ﷺ بعباده إنزال الكتب، ومما يدل على ذلك ما يلي:

١. قوله تعالى: **﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَلَّنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدَىٰ وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾** [الأعراف]، وفي هذه الآية يبين الله ﷺ أنه أنزل القرآن الكريم، أو الكتب بشكل عام هدى ورحمة بعباده المؤمنين، والمعنى:

(١) ينظر: الطبرى، جامع البيان، ١٤/٣٢٤-٣٢٨، وينظر: الشوكانى، فتح القدير، ٤/٤٢٤، وينظر: الصابونى، صفوة التقاسير، ١/٥٠٧-٥٠٨.

ولقد جئنا أهل مكة بكتاب هو القرآن العظيم، أو جئنا كل أمة من الأمم على لسان رسولها بكتاب بيّنَ معانيه، ووضّحنا ما فيه من العقائد والأحكام والمواعظ، مفصّلة على علم تامٌّ منا حتى جاء قيّماً محكماً غير ذي عوج -جئناهم بهذه النعم- **﴿هُدًى﴾**: أي: دلالة ترشدهم إلى الحق، وتجيئهم من الضلاله **﴿وَرَحْمَةً﴾**: أي: ينجيهم من العذاب لما فيه من الدلائل ورفع الشبه ممن آمن به، فهم المهتدون بهداه المنتفعون به<sup>(١)</sup>. فمن رحمة الله **﴿إِذْن﴾**-إذن- أنه أنزل الكتب لهداية عباده المؤمنين.

٢. قوله تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّنْ رَّبِّكُمْ وَشَفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾** **﴿٥٧﴾** **﴿قُلْ يُفَضِّلُ اللَّهُ وَرِحْمَتُهُ فَإِنَّكَ فَلَيَقْرَأُهُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمِعُونَ ﴾** **﴿٥٨﴾** [يونس]، وهذه الآية خطاب لأهل مكة أو لكل الناس<sup>(٢)</sup>، لبيان نعمة الله العظيمة عليهم في إنزال القرآن الكريم، وقد وصفه الله **﴿كَلِيل﴾** هنا بأربع صفات وهي: مواعظه وشفاء وهدى ورحمة؛ والمواعظة أي: زاجر مقترن بتخويف عن الشرك، أو ما يدعوه إلى الصلاح بطريق الرغبة والرهبة، وشفاء لما في القلوب من داء الجهل، وشفاء لها من الشرك، وشفاء لما في الصدور من الشكوك وسوء الاعتقاد، وهدى من الضلال إلى الحق واليقين، ورحمة للمؤمنين أي: نعمة من الله **﴿كَلِيل﴾** على المؤمنين، إذ نجوا به من ظلمات الضلال إلى نور الإيمان، وتبدلت مقاعدهم من طبقات النيران بمصاعد من درجات الجنان. ثم قال: **﴿قُلْ يُفَضِّلُ اللَّهُ﴾** يعني: قل يا محمد للمؤمنين: بفضل الله في الإسلام وبرحمته في إنزال القرآن. **﴿فَإِنَّكَ فَلَيَقْرَأُهُ﴾** وأشار بذلك إلى القرآن، لأن المراد بالمواعظة والشفاء: القرآن **﴿هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمِعُونَ﴾** من حطام الدنيا فإنها إلى الزوال قريباً<sup>(٣)</sup>.

(١) ينظر: القاسمي، محسن التأويل، ٦٦/٥، ومجموعة من العلماء، التفسير الوسيط، ١٤٣٥/٣. والصابوني، صفوة التفاسير، ٤١٧/١.

(٢) ينظر: السمرقندى، بحر العلوم، ١٢١/٢.. والخازن، لباب التأويل، ٤٤٨/٢.

(٣) ينظر: السمرقندى، بحر العلوم، ١٢١/٢، والبيضاوى، أنوار التنزيل، ١١٧-١١٦/٣، والخازن، لباب التأويل، ٤٤٨/٢.

ووجه الدلالة: أن الله ﷺ وصف القرآن الكريم في هذه الآية بأربع صفات، ومنها أنه رحمة للمؤمنين؛ ثم كرر وصف القرآن بالرحمة في الآية التالية إذ قال: ﴿قُلْ لِفَضْلِ اللَّهِ وَرِحْمَتِهِ﴾، وبرحمته أي: القرآن؛ لأنَّه سبب في هداية الناس في الدنيا، ونجاتهم من العذاب في الآخرة، وهذا يدل على أن من رحمة الله ﷺ بعباده إِنْزالُ الْكِتَبِ وَأَهْمَهَا القرآن الكريم.

٣. قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولَئِكَ مَا كَانَ حَدِيثًا يُقْرَأُ وَلَا كُنَّ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَقْسِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدَى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف: ١١١]، (أي: لقد كان في قصة يوسف وإخوته، وقصص سائر الرسل عبرة لذوي العقول النيرة، أو من أراد أن يعتبر بيوسف، ويقتدي به، وما كان مثل هذا القرآن اختلاقاً وكذباً، ولكن تصديق لما سبقه من الكتب السماوية كالتوراة والإنجيل، وبيان كل ما يحتاج إليه من العقائد وأحكام الحلال والحرام، وهدى من الضلالة، ورحمة من العذاب لقوم يصدقون بتوحيد الله ﷺ، وبمحمد ﷺ، وبالقرآن<sup>(١)</sup>.

ووجه الدلالة في الآية: أن الله ﷺ وصف القرآن الكريم بأنه رحمة للمؤمنين، وهذا هو شأن كل الكتب المنزلة من الله ﷺ على أنبيائه ورسله ﷺ؛ لأنَّ القرآن الكريم من تلك الكتب، لكنه أعظمها؛ لذا نزل على أفضل الأنبياء محمد ﷺ ليكون اتباعه والعمل به أعظم أسباب الهدایة، ونيل رحمة الله ﷺ<sup>(٢)</sup>، وهذا يدل على أن من رحمة الله ﷺ بعباده المؤمنين إِنْزالُ الْكِتَبِ وَأَعْظَمُهَا القرآن الكريم.

(١) السمرقندى، بحر العلوم، ٢١٤/٢ بتصرف، والبغوى، معالم التنزيل، ٢/٢٨٨. والسعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص ٤٠٧.

(٢) ينظر: ابن الجوزي، زاد المسير، ٩٤/٢. والبيضاوى، أنوار التنزيل، ٢/١٩٠، والسعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص ٢٨٠.

٤. قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءاَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكَنَا الْقُرُونَ الْأُولَى بَصَارِيرَ النَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (٤٣) [القصص]، وقد أنعم الله على عبده ورسوله موسى الكليم الليلة، بإنزال التوراة بعد ما أهلك فرعون وقومه ومن تقدمهم من قوم نوح وهود وصالح ولوط، ليكون ذلك الكتاب مصدر إشعاع للحياة، وبصائر للناس، أي: أنواراً للقلوب يميز به بين الحق والباطل، وهداية من الضلال والعمى، وَهُدًى إلى الاعتقادات الصحيحة ودلائلها، ورحمة لمن آمن به بالإرشاد إلى العمل الصالح، لعل الناس يتذكرون به ويعظون، ويهدون بسببه<sup>(١)</sup>.

ووجه الدلالة هنا: أن الله الليلة بين الغاية من إنزال التوراة علىنبيه موسى الليلة، وهي أنه بصائر للقلوب، وهداية للناس من الضلال والعمى، ورحمة لمن آمن به من العذاب، وهذا يدل على أن من رحمة الله الليلة بعباده المؤمنين إنزال الكتب ومنها التوراة.

## المطلب الثاني

### من رحمة الله الليلة قبول التوبة والغافر عن العاصين والمضرطين

١. قال الله تعالى: ﴿فَلَئِقَّ أَدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلَمَتِ فَنَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ الْوََابُ الرَّحِيمُ﴾ (البقرة: ٢٧)، ففي هذه الآية يبين الله الليلة أنه لما عصاه آدم «ألقى في روعه أن يتولله إليه بكلمات ألهمه إياها؛ ليتوب الله عليه، فاستقبلها بالأخذ والقبول، والعمل بها حينما تعلمها، فَنَابَ عَلَيْهِ ... أي: رجع عليه بالرحمة، بأن قبل توبته ... قوله: إِنَّهُ

(١) ينظر: القاسمي، محسن التأويل، ٧/٥٢٣-٥٢٤، والزحيلي، تفسير المنير، ٢٠/١١٠.

**هُوَ التَّوَابُ الرَّحِيمُ** تعليلاً لقوله: **﴿فَنَابَ عَلَيْهِ﴾**، ووصف الله ﷺ نفسه بأنه هو التواب أي: كثير قبول التوبة، وهي صيغة مبالغة من التوب بمعنى الرجوع عن العقاب إلى المغفرة وقبول التوبة، وإذا وصف به العبد كان بمعنى الرجوع عن المعصية، والرَّحِيمُ العظيم الرحمة. وبذلك فتح الله للعصاة طريق التوبة إذا عصوا، ليتوب عليهم كما تاب على أبيهم آدم، لأنَّه ﷺ التواب الرحيم<sup>(١)</sup>، وفي الجمع بين الاسمين **«الْتَّوَابُ الرَّحِيمُ»** وعد للتأب بالإحسان مع العفو<sup>(٢)</sup>.

إذا قد تاب الله ﷺ على أبيينا آدم **﴿لِمَّا تَابَ﴾** لأنَّه ﷺ تواب رحيم؛ أي: كثير قبول التوبة، وعظيم الرحمة، وهذا يدل على أن من رحمة الله ﷺ بعباده قبول التوبة والعفو عن العاصيـن.

٢. قال الله تعالى: **«وَإِذَا قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَقُولُونَ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُمْ يَا تَخَذُّلَكُمُ الْعِجْلَ فَتُنَبِّأُ إِلَيْكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ بَارِيْكُمْ فَنَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَابُ الرَّحِيمُ** ﴿٥٤﴾ [البقرة].

ففي هذه الآية بيان أن من رحمة الله ﷺ بعباده قبول التوبة من عصى ثم تاب، «فَاللهُ يَعْلَمُ يذكر بنى إسرائيل بقول موسى **﴿لِمَّا تَابَ﴾** لقومه الذين عبدوا العجل حين كان ينادي ربه بعيداً عنهم: يا قوم إنكم ظلمتم أنفسكم بعبادتكم غير الله ﷺ فإذا أردتم التكfir عن خطايـاكم فتوبوا إلى ربكم توبـة صادقة نصوحـاً، واقتـلوا أنفسـكم ليـعـفوـكم عنـكم، فـذلك خـير لـكم عندـ خـالقـكم منـ الإـقامـة عـلـىـ الـمعـصـيـةـ، فـفعـلتـمـ ذـلـكـ فـقـبـلـ اللهـ تـوبـتـكـمـ؛ لأنـهـ هوـ الـذـيـ يـقـبـلـ التـوـبـةـ عـنـ عـبـادـهـ، وـهـوـ الـوـاسـعـ الرـحـمـةـ مـنـ يـنـيـبـ إـلـيـهـ وـيـسـتـقـيمـ عـلـىـ صـرـاطـهـ الواـضـحـ»<sup>(٣)</sup>.

(١) مجموعة من العلماء، التفسير الوسيط، ٨٢/١.

(٢) القاسمي، محسن التأويل، ٢٩٥/١.

(٣) طنطاوي، التفسير الوسيط، ١/١٣١ بتصرف.

ووجه الدلالة هنا: أن الله ﷺ علل قبوله التوبة ممن عصى بأنه تواب رحيم، فمن رحمة الله ﷺ إدًا - بعباده قبول التوبة ممن عصى إذا تاب توبة صادقة نصوحًا.

### المطلب الثالث

## رحمة الله بعباده في جانب التشريع

من وجوه رحمة الله بعباده في ضوء القرآن الكريم؛ الرحمة في التشريع، ويتمثل هذا الوجه في عدة أمور، وهي كما يلي:

### الفرع الأول: الرحمة في أحكام الأموال

من رحمة الله ﷺ أنه نهى عن أن يأكل المؤمن المال بالباطل، وأحل أكلها بطرق الكسب الحلال كالتجارة، قال الله تعالى: ﴿يَأَكُلُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْتَكُمْ إِلَّا أَن تَكُونَ تِحْكَمَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَفْتَلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [ النساء: ٢٩]، فبعد أن بين الله ﷺ لعباده ما أحل لهم من النساء، وما حرم عليهم، شرع في بيان بعض الحرمات المتعلقة بالأموال والأنفس، وبيان الوسائل المشروعة في الحصول عليها، وفي هذه الآية ينهى الله ﷺ عباده المؤمنين من أن يأكل بعضهم أموال بعض بأي طريقة غير مشروعة، مثل الغصب، والسرقة، والقامار، والرشوة، والربا، ثم إنه ﷺ - لما حرم أكلها بالباطل - أباح لهم أكلها بوسائل الكسب الحلال كالتجارات والمكاسب الخالية من الموانع، المشتملة على الشروط من التراضي وغيره<sup>(١)</sup>، «ويلحق بالتجارة كل أسباب الملك التي أباحها الشارع، كالهبة، والصدقة، والإرث، وإنما اختصت

(١) ينظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص١٧٥، ومجموعة من العلماء، التفسير الوسيط، ٧٩٨/٢.

التجارة بالذكر من بين هذه الأسباب؛ لأن كسب الإنسان واضح فيها أكثر من الطرق الأخرى، ولنفي ما قد يتوهם من أنها تشبه الربا، وعبر ﷺ، عن الحصول على الأموال وأخذها بالأكل؛ لأنه هو المقصود الأول للإنسان من جمع المال، أيًّا كانت وسيلةٍ»<sup>(١)</sup>.

وهذا كله من رحمة الله ﷺ بعباده لذا قال في نهاية الآية: «إِنَّ اللَّهَ كَانَ يُكْرِمُ رَحِيمًا» أي: رحيمًا لأنَّه نهاكم عن أن يأكل بعضهم أموال بعض بالباطل، ونهاكم عن قتل بعضكم، ووجه الرحمة هنا أنه ﷺ بهذه الأحكام حفظ نفوسكم، وصان أموالكم عن إضاعتها وإتلافها<sup>(٢)</sup>.

### الفرع الثاني: الرحمة في إباحة الغنائم.

لقد كانت الغنائم محرمة على الأمم السابقة فكان من رحمة الله ﷺ أن أحلها لهذه الأمة، فعن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ (أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبل نصرت بالرعب مسيرة شهر) وجعلت لي الأرض مسجداً وظهوراً صافياً ما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي المغانم ولم تحل لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامته<sup>(٣)</sup>.

وقال الله ﷺ: «فَكُلُوا مِمَّا عَيْمَتْ حَلَالًا طَيْبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ» [الأفال] : وقد روي أنهم أمسكوا عن الغنائم، ولم يمدوا أيديهم إليها حتى نزلت الآية لتبيح لهم الغنائم، وقد كانت الغنائم لا يحل أخذها لأحد قبل هذه الآية، فلما نزلت أباحت لهم أخذ الغنائم، والانتفاع بها أكلًا وغير أكل، وإنما عبر بلفظ الأكل، لأنَّ المقصود المهم<sup>(٤)</sup>.

(١) مجموعة من العلماء، التفسير الوسيط، ٧٩٨/٢، ٧٩٩-٧٩٨.

(٢) ينظر: السعدي، تفسير الكريمة الرحمن، ص ١٧٥.

(٣) رواه البخاري، كتاب التيمم، حديث رقم ٣٢٨، ورواه مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، حديث رقم ٥٢١.

(٤) مجموعة من العلماء، التفسير الوسيط، ١٦٤٨/٣.

ومعنى الآية: «كلوا يا معاشر المجاهدين مما أصبتموه من أعدائكم من الغنائم في الحرب حال كونه حلالاً أي: محللاً لكم طيباً» أي: من أطيب المكاسب، لأنه ثمرة جهادكم... «وَاتَّقُوا اللَّهَ» أي: خافوا الله في مخالفة أمره ونهيه «إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ» أي: مبالغ في المغفرة لمن تاب، رحيم بعباده حيث أباح لهم الغنائم<sup>(١)</sup>.

### الفرع الثالث: الرحمة في تشريع الزواج بأصناف متعددة من النساء.

من رحمة الله تعالى أنه أحل الزواج للمؤمنين من أصناف معينة من النساء، وخص رسوله ﷺ ببعض أحكام الزواج من دون المؤمنين تشريفاً وتكريماً له، قال الله تعالى: «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ الَّتِي أَنْتَ تَأْتِيَ أُجُورُهُنَّ وَمَا مَلَكْتَ يَمْسِكُ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمَّكَ وَبَنَاتِ أَخْرَجْتَ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَلَقْتَكَ الَّتِي هَاجَرَنَّ مَعَكَ وَأُمَّةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبْتَ نَفْسَهَا لِنَبِيٍّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنِدَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكِيدَلَا يَكُونُ عَلَيْكَ حَجَّ وَكَانَ اللَّهُ عَفُورًا رَّحِيمًا» [الأحزاب] وفي هذه الآية يبين الله تعالى ما أحل لنبيه الزواج منهن مما يشترى فيه، هو والمؤمنون، وما ينفرد به، وقد ذكر الله تعالى في الآية أربع فئات من النساء المباحات للنبي ﷺ، الأولى: النساء الممهورات، والفتنة الثانية: ملك اليمين مثل مارية القبطية أم إبراهيم. والفتنة الثالثة: بنات العم والعمة والخال والخالة المهاجرات معه من مكة إلى المدينة. والفتنة الرابعة: المرأة الواهبة نفسها للنبي بغير مهر، إن رغب النبي في الزواج بها. والفتات الثلاثة الأولى من الأمور المشتركة بينه وبين المؤمنين، والفتنة الرابعة خاصة بالنبي ﷺ. وإباحة هؤلاء النساء لك أيها النبي لدفع الحرج والمشقة عنك، ورحمة بك وبالمؤمنين، بدفع الحرج والعن<sup>(٢)</sup>.

(١) الصابوني، صفوة التفاسير، ٤٧٨/١.

(٢) ينظر: الرحيلي، التفسير الوسيط، ٢٠٨٠-٢٠٧٩/٣.

## الفرع الرابع الرحمة في تشريع العفو والدية:

من رحمة الله تعالى تخييرولي أمر المقتول بين القصاص، وبين العفو.

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُنْتُمْ عَلَيْكُمُ الْقِصاصُ فِي الْقَتْلِ إِلَّا مَنْ يَأْتِي بِالْحُسْنَى وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالآتِيَ بِالْأَنْفَى فَمَنْ عُنِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَإِنِّي أَعُجُّ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءِ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّنْ رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَعْدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (١)

[البقرة]، وقد كان العفو مفروضاً على النصارى، ولا يجوز لهم القود، وكان القصاص مفروضاً على اليهود، ولا يجوز لهم العفو، فخيرت هذه الأمة بين القصاص، وبين العفو مطلقاً، أو العفو مع أخذ الدية<sup>(١)</sup>. وقوله: ﴿ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّنْ رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ﴾ التخفيف فيما شرعه الله تعالى لهذه الأمة من التخيير بين القصاص والدية والعفو، فمن شاء قتل، ومن شاء أخذ الدية، ومن شاء عفا. ووجه الرحمة أن في الدية تيسيراً وتسهيلاً على القاتل، ونفعاً لأولياء القتيل<sup>(٢)</sup>.

«وقد جمع الإسلام في عقوبة القتل بين العدل والرحمة، فجعل القصاص حقاً لأولياء المقتول إذا طالبوا به وذلك عدل، وشرع الدية إذا أسقطوا القصاص عن القاتل وذلك رحمة»<sup>(٣)</sup>

## الفرع الخامس: الرحمة في تحريم القتل.

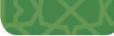
من رحمة الله تعالى أنه نهى المؤمنين عن قتل بعضهم، حيث قال: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَّحِيمًا﴾ [النساء: ٢٩] وفي هذه الآية نهى الله تعالى عن أن يقتل المسلم أخيه المسلم، وأن يقتل نفسه، «ويدخل في ذلك الإلقاء

(١) ينظر: السمرقندى، بحر العلوم، ١١٩/١، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٣٥٩/١، والبيضاوى، أنوار التزيل، ١٢٢/١، والخطيب الشريفى، السراج المنير، ١١٦/١.

(٢) ينظر: الصابونى، صفة التقاسير، ١٠٥/١.

(٣) الصابونى، صفة التقاسير، ١٠١/١.

بالنفس إلى التهلكة، و فعل الأخطار المفضية إلى التلف والهلاك<sup>(١)</sup>، وهذا كله من رحمة الله تعالى بعباده لذا قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ يَعْلَمُ رَحِيمًا﴾ أي: «رحمكم الله تعالى بأن حرم دماء بعضكم على بعض»<sup>(٢)</sup>. ووجه الرحمة هنا: أنه تعالى بهذه الأحكام حفظ نفوسكم وصانها من التلف والهلاك.



(١) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص ١٧٥.

(٢) مكي بن أبي طالب، الهدایة إلى بلوغ النهاية، ١٣٠٠/٢.

## المبحث الرابع

### رسائل

بعد هذه الدراسة القرآنية وبيان سعة رحمة الله ﷺ، وبيان شمول رحمته ﷺ بعباده سواء في هدايتهم، أو في قبول التوبة منهم، أم في إرسال الرسل إليهم، أو في يسر تشريع الأحكام لهم، ورفع الحرج عنهم، وتحريم القتل، ورحمته ﷺ بالحيوان، بل وبالجماد، لا بد من إيصال ثلاث رسائل وهي كما يلي:

### المطلب الأول

#### رسالة إلى من ينعت الإسلام بالإرهاب

نقول لمن ينعت الإسلام بالإرهاب: إنك قلت قولًا بعيدًا عن حقيقة الإسلام؛ لأنك لم تفهم ديننا، فديننا دين الرحمة، ومما يدل على ذلك أنه ينهى عن قتل النساء والأطفال الكافرین وكبار السن في الحروب، ففي الحديث عن نافع أن عبد الله أخبره: (أن امرأة وجدت في بعض مغاري النبي ﷺ مقتولة فأنكر رسول الله ﷺ قتل النساء والصبيان)<sup>(١)</sup>، وعن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: (انطلقوا باسم الله وبالله،

(١) رواه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب قتل الصبيان في الحرب، حديث رقم ٢٨٥١، ومسلم، باب تحريم قتل النساء والصبيان، حديث رقم ٤٦٤٥

وعلى ملة رسول الله، ولا تقتلوا شيخاً فانياً، ولا طفلاً، ولا صغيراً ولا امرأة، ولا تغلوا<sup>(١)</sup>.

ومن رحمته أنه كان ينهى في الحرب عن الغدر أو التمثيل بالقتلى، فعن بريدة رض قال: كان رسول الله صل إذا أَمْرَأَمِيرًا على جيش أو سرية أو صاه خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيرا ثم قال: (اغزوا باسم الله وفي سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلوا ولا تغدوا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليداً)<sup>(٢)</sup>.

بل نهى عن قطع الشجر، أو هدم صومعة، أو قتل راهب في صومعته، فعن ثوبان مولى رسول الله صل أنه سمع رسول الله صل يقول: من قتل صغيراً أو كبيراً أو أحرق نخلاً أو قطع شجرة مثمرة أو ذبح شاة لإهابها لم يرجع كفافا<sup>(٣)</sup>.

وكذلك أوصى الخلفاء من بعده، مثل أبي بكر الصديق رض، فعن سعيد ابن المسيب: أن أبي بكر رض لما بعث الجنود نحو الشام يزيد بن أبي سفيان وعمرو بن العاص وشرحبيل بن حسنة قال: لما ركبوا مشى أبو بكر رض مع أمراء جنوده يودعهم حتى بلغ ثية الوداع، فقالوا: يا خليفة رسول الله، ثم أتمشي ونحن ركبان؟ فقال: إني أحتسب خطاي هذه في سبيل الله، ثم جعل يوصيهم فقال: أوصيكم بتقوى الله، اغزوا في سبيل الله فقاتلوا من كفر بالله، فإن الله ناصر دينه ولا تغلوا ولا تغدوا، ولا تجبنوا ولا تفسدوا في الأرض، ولا تعصوا ما تؤمنون... ولا تغرقن نخلاً ولا تحرقنها، ولا تعقرروا بهيمة ولا شجرة تثمر، ولا تهدموا بيعة، ولا تقتلوا الولدان ولا الشيوخ

(١) أبو داود في سننه، باب في دعاء المشركين، حديث رقم ٢٦١٥. قال شعيب الأرناؤوط حسن لفيرة.

(٢) رواه مسلم، كتاب الجهاد والسيير، باب تأميم الإمام الأمراء على البعثة ووصية إياهم بآداب الغزو وغيرها، حديث رقم ١٧٣١.

(٣) رواه الإمام أحمد في المسند، من حديث ثوبان، حديث رقم ٢٢٣٦٨. وقال شعيب الأرناؤوط: إسناده ضعيف.

ولـ النساء، وستجدون أقواماً حبسوا أنفسهم في الصوامع فدعوهـنـ وما  
حبـسـواـ أنـفـسـهـمـ لـهـ).<sup>(١)</sup>

بل إن الإسلام قد أوصى بالرحمة حتى مع الحيوان، فعن عبد الله بن جعفر رض قال: (أرددني رسول الله صل ذات يوم خلفه فأسر إلى حدثاً لا أحدث به أحداً من الناس، وكان أحـبـ ما استـرـ به رسول الله صل لـحـاجـتـهـ هـدـفـ أوـ حـائـشـ نـخـلـ - يعني حائط نخلـ - قال: فدخل حائطاً لـرـجـلـ منـ الأـنـصـارـ فـإـذـاـ فـيـ جـمـلـ، فـلـمـ رـأـيـ النـبـيـ صل ذـرـفـتـ عـيـنـاهـ، قـالـ: فـأـتـاهـ النـبـيـ صل فـمـسـحـ سـرـاتـهـ إـلـىـ سـنـامـهـ وـذـفـرـيـهـ فـسـكـنـ، قـالـ: مـنـ رـبـ هـذـاـ الجـمـلـ؟ مـنـ هـذـاـ الجـمـلـ؟ قـالـ: فـجـاءـ فـتـىـ مـنـ الأـنـصـارـ فـقـالـ: هـوـ لـيـ يـاـ رـسـولـ اللـهـ، فـقـالـ: أـلـاـ تـتـقـيـ اللـهـ فـيـ هـذـهـ الـبـهـيـمـةـ الـتـيـ مـلـكـ اللـهـ إـيـاهـاـ، فـإـنـهـ تـشـكـوـ إـلـىـ أـنـكـ تـجـيـعـهـ وـتـدـئـبـهـ)<sup>(٢)</sup>، وـعـنـ أـبـيـ هـرـيـرـةـ رض عـنـ رـسـولـ اللـهـ صل: (أـنـ نـمـلـةـ قـرـصـتـ نـبـيـاـ مـنـ الـأـنـبـيـاءـ فـأـمـرـ بـقـرـيـةـ النـمـلـ فـأـحـرـقـتـ، فـأـوـحـىـ اللـهـ إـلـيـهـ: فـيـ أـنـ قـرـصـتـكـ نـمـلـةـ أـهـلـكـتـ أـمـةـ مـنـ الـأـمـمـ تـسـبـحـنـيـ)<sup>(٣)</sup>، وـعـنـ عـبـدـ اللـهـ بـنـ عـمـرـ رض أـنـ رـسـولـ اللـهـ صل قـالـ: (عـذـبـتـ اـمـرـأـ فـيـ هـرـةـ سـجـنـتـهـ حـتـىـ مـاتـ فـدـخـلتـ فـيـهـ النـارـ لـهـ أـطـعـمـتـهـ وـسـقـتـهـ إـذـ حـبـسـتـهـ، وـلـاـ هـيـ تـرـكـتـهـ تـأـكـلـ مـنـ خـشـاشـ الـأـرـضـ)<sup>(٤)</sup>.

فـأـيـ أـوـلـئـكـ مـنـ خـلـقـ الرـحـمـةـ، وـقـدـ قـالـ رـسـولـ اللـهـ صل: (الـرـاحـمـونـ يـرـحـمـهـمـ الرـحـمـنـ اـرـحـمـواـ مـنـ فـيـ الـأـرـضـ يـرـحـمـكـمـ مـنـ فـيـ السـمـاءـ)<sup>(٥)</sup>.

(١) رواه البيهقي في السنن الكبرى، باب من اختار الكف عن القطع والتحريق، رقم ١٧٩٠٤.

(٢) رواه البيهقي في السنن الكبرى، باب نفقة الدواب، رقم ١٦٢٢٢، وقد صححه الألباني، والحاشى: البستان، والسرارة: أعلى الظهر، والذقرى: أصل الأدن - ينظر الزمخشري، الفائق في غريب الحديث، ج ١، ص ٣٣١.

(٣) رواه مسلم، كتاب السلام، باب النهي عن قتل النمل، حديث رقم ٥٩٨٦.

(٤) رواه مسلم، كتاب السلام، باب النهي عن قتل النمل، حديث رقم ٥٩٨٩، والخشاش: هوام الأرض وحشراتها واحده خشاشة.

(٥) سبق تخریجه.

وبعد فهذا هو ديننا، هذا هو عظمة الإسلام، فأين هذا ممن يقتلون الناس من غير تفريق بن صغير وكبير، أو بين شيخ وامرأة، أو بين عسكري ومدني؟! وأين هذا ممن يرمون الصواريخ والقنابل على البيوت، فلا يفرقون بين بيت ودبابة، أو بين مسجد وكنيسة، أو بين شجر وحجر؟! لكن ليس هذا غريب، فإنهم قد ضلوا عن الصراط المستقيم، وأما الإسلام الذي يفرق بين كل ذلك فهو الدين الذي ارتضاه الله تعالى، ﴿إِنَّ الَّذِينَ عَنْ دِرَبِ اللَّهِ أُلْأَسْلَمُ﴾ [آل عمران: ١٩]، فما أحوج المسلمين إلى الالتزام بشرع الله تعالى لينعموا بالريادة، وما أحوج البشر جمیعاً إلى الدخول في دین الله أفواجاً لينعموا بالسعادة.

## المطلب الثاني رسالتان إلى أصحاب الفكر المتطرف

**الرسالة الأولى: أين الحكمة والموعظة الحسنة، وأين الرحمة واللين في دعوتكم؟!**

كما أن الإسلام دين القوة، فإنه دين الرحمة، وقد بُعث رسول الله ﷺ ليكون رحمة للعالمين، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٧]، وقد كانت دعوته بالحكمة والموعظة الحسنة، قال الله جل جلاله: ﴿أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَهِّذُهُمْ بِإِلَيْتِي هِيَ أَحَسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]، وقد كان حبيباً ﷺ ليناً في دعوته، قال الله تعالى: ﴿فِيمَا رَحْمَةٌ مِّنَ اللَّهِ لِنَتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِظًا لَّأَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأُمُّرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وهذا خطاب للنبي ﷺ، وهو بيان لأهمية اللين في الدعوة، «وأن ثمرة اللين هي المحبة، والاجتماع عليه، وأن خلافها من الجفوة والخشونة مؤد إلى التفرق،

والمعنى: لو شافهتهم بالملامة على ما صدر منهم من المخالفة والفرار لتفرقوا من حولك هيبة منك وحياءً، فكان ذلك سبباً لتفرق كلمة الإسلام وضعف مادته، وإطماماً للعدو<sup>(١)</sup>.

بل كان من رحمته الله أنه يهتم لإنقاذ نفس يهودي عند احتضاره من النار، فعن أنس الله قال: كان غلام يهودي يخدم النبي الله فمرض فأتاه النبي الله يعوده، فقعد عند رأسه، فقال له: (أسلم)، فنظر إلى أبيه وهو عنده فقال له: أطع أبا القاسم الله فأسلم، فخرج النبي الله وهو يقول: (الحمد لله الذي أنقذه من النار)<sup>(٢)</sup>. لذلك دخل الناس في دين الله أفواجاً، ولما اقتدى الدعاة برسول الله الله في دعوته دخلت بلاد كاملة في دين الإسلام من غير قتال، لكن لما لم يفهم كثير من المسلمين ذلك ضلوا وأضلوا، فأوتي الإسلام من فتئين من أبنائه؛ فئة مفرطة ابتعدت عن الالتزام بأحكام الدين، وفئة مغالية متشددة قاموا بقتل كثير من المسلمين بحجة أنهم كافرون، وهذا جعل الكثير من غير المسلمين يفهمون الإسلام بهمَا خاطئاً، فينفرون منه.

## الرسالة الثانية: أين أنتم من تحريم الدماء<sup>١٦</sup>.

من رحمة الله الله أنه نهى المؤمنين عن قتل بعضهم حيث قال الله: **وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا** [النساء: ٢٩] وفي هذه الآية ينهى الله الله عن أن يقتل المسلم أخيه المسلم، أو أن يقتل نفسه. «ويدخل في ذلك الإلقاء بالنفس إلى التهلكة، وفعل الأخطار المضدية إلى التلف والهلاك»<sup>(٣)</sup>. ذلك أن الدماء غالبة، فعن البراء بن عازب الله أن رسول الله الله قال: (الزوال الدنيا أهون على الله من قتل مؤمن بغير حق)<sup>(٤)</sup>، لذلك فإن القاتل المتعمد

(١) أبو حيان، البحر المحيط، ج. ٣، ص. ٤٠٨.

(٢) رواه البخاري، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه؟، رقم ١٢٩٠.

(٣) السعدي، تيسير الكرييم الرحمن، ص ١٧٥.

(٤) رواه ابن ماجه في السنن، باب التغليظ في قتل مسلم، حديث رقم ٢٦١٩. وهو حديث صحيح

صححه الشيخ الألباني.

لَهُ جَهَنَّمْ وَعَلَيْهِ غَضْبُ اللَّهِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمْ خَلِيلًا فِيهَا وَعَصَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعْنَهُ، وَأَعَدَ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١٣]

بل إن الله تبارك وتعالى أمر المؤمنين في الآية التالية بالثبت والتبين في قتل من أظهر الإيمان، لئلا يسفكوا دمًا حراماً بتاويل ضعيف، قال الله تعالى: ﴿يَتَأَبَّلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرَبُوكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُ الْمَنْ أَلَقَنَّ إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الْدُّنْيَا فَعِنَّدَ اللَّهِ مَغَافِلٌ كَثِيرٌ كَذَلِكَ كُثُنُتُمْ مَنْ قَبْلَكُمْ فَمَنْ أَنْهَا اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَيْرًا﴾ [النساء: ٩٦] فالله تبارك وتعالى لما ذكر جزاء من قتل مؤمناً متعمداً وأن له جهنم، وذكر غضب الله عليه ولعنته، وإعداد العذاب العظيم له، أمر المؤمنين بالثبت والتبين، وأن لا يقدم الإنسان على قتل من أظهر الإيمان، وأن لا يسفكوا دمًا حراماً بتاويل ضعيف<sup>(١)</sup>.

ومقصود من هذه الآية المبالغة في تحريم قتل المؤمنين، وأمر المجاهدين بالثبت فيه لئلا يسفكوا دمًا حراماً بتاويل ضعيف<sup>(٢)</sup>، «وفيها يأمر الله تبارك وتعالى عباده المؤمنين إذا خرجوا جهاداً في سبيله وابتقاء مرضاته بالثبت في جميع أمورهم المشتبهة»<sup>(٣)</sup>، «وأن يكونوا على بينة من الأمر الذي يقدمون عليه بأدلة ظاهرة وقرائن كافية، وألا يأخذوا بالظن السريع، وإنما عليهم التدبر، حتى يظهر الأمر»<sup>(٤)</sup>، «والثبت في القتل واجب حضرًا وسفرًا ولا خلاف فيه، وإنما خص السفر بالذكر؛ لأن الحادثة التي فيها نزلت الآية وقعت في السفر»<sup>(٥)</sup>.

(١) أبو حيان، البحر المحيط، ٢١/٤، بتصرف يسir.

(٢) الرازى، مفاتيح الغيب، ٢/١١.

(٣) السعدي، تيسير الكرييم الرحمن، ص ١٩٤ بتصرف يسir.

(٤) الزحيلي، التفسير المنير، ج ٥، ص ٢١٧ بتصرف يسir.

(٥) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ٥، ص ٢٥٤.

في أيها المؤمنون هذا كتاب الله بين أيديكم يناديكم بـ(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا)  
فارعوا له سمعكم والتزموا بمضمونه، فأين من يسارعون في تكفير  
ال المسلمين، ويسارعون في قتلهم من هذا الخطاب؟! أين هم من حرمة  
الدم المسلم؟! ومن التثبت في إصدار الأحكام، ومن التثبت في القتل<sup>(١)</sup>  
ففي الحديث قال رسول الله ﷺ: (كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله  
وعرضه)<sup>(٢)</sup>. وإذا كان الله ﷺ أمر بالثبت في القتل حتى في الجهاد، أليس  
من باب أولى التثبت فيه في أوقات السلم؟! وإذا كان الله ﷺ أمر بالثبت في  
قتل الكافر، أليس من باب أولى التثبت فيه في قتل المسلم؟! بل، إن الأمر  
كذلك، والغريب أننا نعيش في عصر يقتل فيه بعض أهل الدنيا المسلمين  
من غير تفريق بين صغير وكبير، وبين رجل وامرأة، ويهدمون البيوت على  
أهلها من أجل لغاية من الدنيا، مع أن ديننا ينهى عن قتل النساء والأطفال  
الكافرين، فكيف بالمسلمين؟! ففي الحديث عن نافع أن عبد الله ﷺ أخبره:  
(أن امرأة وجدت في بعض مغارب النبي ﷺ مقتولة فأنكر رسول الله ﷺ  
قتل النساء والصبيان)<sup>(٣)</sup>، فأين أولئك من خلق الرحمة، فعن عبد الله بن  
عمرو بن العاص ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (الراحمون يرحمهم الرحمن،  
ارحموا أهل الأرض يرحمكم أهل السماء)<sup>(٤)</sup>.



(١) ينظر: وردات، قسيم محمد، منهاج القرآن الكريم في التثبت، رسالة دكتوراه، جامعة اليرموك - إربد-الأردن، ٢٠١٢م، ص ١٨٢-١٨١.

(٢) رواه مسلم، كتاب البر والصلة والأدب، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره، ج ٨، ص ١٠، حدیث رقم ٦٧٠.

(٣) رواه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب قتل الصبيان في الحرب، رقم ٢٨٥١، ج ٣، ص ١٠٩٨.  
وMuslim، باب تحريم قتل النساء والصبيان، حدیث رقم ٤٦٤٥، ج ٥، ص ١٤٤.

(٤) رواه الإمام أحمد في المسند، مسند عبد الله بن عمرو بن العاص، رقم ٦٤٩٤، ورواه أبو داود في  
السنن، باب في الرَّحْمَة، رقم ٤٩٤٩، وهو حدیث صحيح صصحه الإمام الألباني، وقال شعيب  
الأرنؤوط: إسناده صحيح.

## الخاتمة

بعد هذه الدراسة لا بد من ذكر النتائج التالية:

١. سعة رحمة الله ﷺ بدليل كثرة الأسباب الجالبة للرحمة، مثل الإيمان والتقوى والإحسان والاتباع وغير ذلك، فالله ﷺ لا يريد العذاب للعباد، وإنما يريد لهم الرحمة، قال الله تعالى: ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَدَّا يَرِيدُ لَهُمُ الرَّحْمَةَ إِنْ شَكَرُتُمْ وَأَمْنَثُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلَيْمًا﴾ [النساء: ٢١] وَهَدَيْنَاهُ النَّجَدَيْنِ [البلد: ١٢]، وأراد لهم طريق الخير شرعاً، ولكن اختار أكثر الناس طريق الشر والكفر، قال الله تعالى ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَضْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يوسف: ١٣]، وقال تعالى: ﴿وَإِنْ تُطِعَ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضْلُوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا أَلْظَنَ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ [آل عمران: ١١٣].
٢. شمول رحمة الله ﷺ، حيث نجد رحمته بعباده في هدايتهم وقبول التوبة منهم، وفي إرسال الرسل إليهم، وفي يسر تشرع الأحكام لهم، ورفع الحرج عنهم، وتحريم القتل، ونجد رحمته بالحيوان، بل وبالجماد.

٣. إن دين الإسلام دين الوسطية، ودين الرحمة؛ لأنه الدين الحق الذي ارتضاه الله ﷺ؛ لذلك فهو بعيد كل البعد عن الإرهاب والتطرف، وإن الذين وصفوه بالإرهاب والتطرف، إنما وصفوه بذلك لجهلهم أو حقدthem، أو عداوتهم لدين الإسلام.

٤. إن دين الإسلام دين الفطرة، فهو واضح، ولكن برب من لم يفهمه فخرج عن مبادئ الإسلام في الرحمة واللين والحكمة والوعظة الحسنة، فكان من آثار ذلك ظهور طائفة تكفيرية تقوم بتكفير المسلمين لأتفه الأسباب، وكل ذلك بسبب جهلهم، أو بسبب اندفاعهم غير المبرر، أو بسبب تأويلهم للنصوص بما يخالف حقيقة الإسلام.



## فهرس المصادر والمراجع

١. الأحمد نكري، عبد رب النبي بن عبد رب الرسول، دستور العلماء أو جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، تحقيق: عرب عباراته الفارسية حسن هاني فحص، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط١، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.
٢. البخاري، محمد بن إسماعيل (٢٥٦هـ)، الجامع الصحيح، تحقيق مصطفى البغا، دار ابن كثير، اليمامة- بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧.
٣. البغوي: الحسين بن مسعود (٥١٠هـ)، معالم التنزيل، حققه وخرج أحاديث محمد عبدالله النمر وأخرون، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط١، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.
٤. أبو البقاء الكفوبي، أيوب بن موسى (١٠٩٤هـ)، الكليات، تحقيق عدنان درويش - محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت -لبنان، د ط، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.
٥. البيضاوي، عبدالله بن عمر (٦٩١هـ)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، ط١، ١٤١٨هـ.
٦. البيهقي، أحمد بن الحسين (٤٥٨هـ)، السنن الكبرى، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا، مكتبة دار ال�از، مكة المكرمة- السعودية، ط. عام ١٤١٤-١٩٩٤.
٧. الشعبي، أحمد بن محمد بن إبراهيم (٤٢٧)، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م.

٨. الترمذى، محمد بن عيسى (٢٧٩هـ)، الجامع الصحيح سنن الترمذى، تحقيق:أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربى - بيروت.
٩. التهانوى، محمد بن علي (١٥٨١هـ)، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت - لبنان، د ط، ١٩٩٦ م.
١٠. الجرجانى، علي بن محمد (٨١٦هـ)، التعريفات، تحقيق:نصر الدين تونسى، شركة القدس للتصدير، القاهرة-مصر، ط ١، ٢٠٠٧ م..
١١. ابن جزي الكلبى، محمد بن أحمد (٧٤١هـ)، التسهيل لعلوم التنزيل، دار الفكر، بيروت-لبنان، د ط.
١٢. ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي (٥٩٧هـ)، زاد المسير في علم التفسير، تحقيق:عبدالرازق المهدى، دار الكتاب العربى - بيروت، ط ١٤٢٢هـ.
١٣. ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي (٥٩٧هـ)، نزهة الأعين النواذير في علم الوجوه والنظائر، تحقيق:محمد عبد الكريم كاظم الراضى، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤ م.
١٤. الجوهرى، إسماعيل بن حماد، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق:أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت-لبنان، ط ٤، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧ م.
١٥. ابن حنبل، أحمد بن محمد (٢٤١هـ)، المسند، تحقيق:شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١ م
١٦. أبو حيان: محمد بن يوسف الأندلسي (٧٤٥هـ)، البحر المحيط، تحقيق: صدقى محمد جميل، دار الفكر - بيروت، ط عام ١٤٢٠هـ.
١٧. الخازن، علي بن محمد (٧٤١هـ)، لباب التأویل في معانی التنزیل، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، د ط، ١٤١٥هـ.
١٨. أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستانى (٢٧٥هـ)، سنن أبي داود، دار الكتاب العربى، بيروت - لبنان، د ط.

١٩. الدامغاني، أبو عبد الله الحسين بن محمد (٤٧٨هـ)، الوجوه والنظائر لألفاظ كتاب الله العزيز، تحقيق: عربي عبدالحميد، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، د ط.
٢٠. الرازى، محمد بن عمر التىمي (٦٠٦هـ)، مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط ١ ، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
٢١. الراغب الأصفهانى، الحسين بن محمد بن المفضل (٥٠٢هـ)، تفسير الراغب الأصفهانى ومقدمته، تحقيق: عادل بن علي الشدّي، دار الوطن، الرياض-السعودية، ط ١ ، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
٢٢. المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودى، دمشق بيروت، دار العلم الدار الشامية، د ط، ١٤١٢هـ.
٢٣. الزحيلي، وهبة بن مصطفى، تفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دار الفكر المعاصر، دمشق، ط ٢، ١٤١٨هـ.
٢٤. الزمخشري، محمود بن عمر(٥٣٨هـ)، الفائق في غريب الحديث، تحقيق: علي محمد البجاوى - محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت-لبنان، ط ٢ .
٢٥. الزمخشري، محمود بن عمر (٥٣٨هـ)، الكشاف عن حقائق غوامض التزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار الكتاب العربي، بيروت-لبنان، ط عام ١٤٠٧هـ
٢٦. السعدي، عبد الرحمن بن ناصر (١٣٧٦هـ)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا الويحق، مؤسسة الرسالة، ط ١ ، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
٢٧. أبو السعود، محمد بن محمد بن مصطفى (٩٨٢هـ)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، د ط.

٢٨. السمرقندى، نصر بن محمد بن إبراهيم (٣٧٥هـ)، بحر العلوم، تحقيق: محمود مطرجي، دار الفكر بيروت - لبنان، د ط.
٢٩. السمعانى، منصور بن محمد (٤٨٩هـ)، تفسير القرآن، تحقيق ياسر بن إبراهيم وغنىم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض - السعودية، د ط، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
٣٠. السمين الحلبي، أحمد بن يوسف بن عبدالدaim (٧٥٦هـ)، عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
٣١. الشوكاني، محمد بن علي (١٢٥٠هـ)، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراءة من علم التفسير، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، ط ١٤١٤هـ.
٣٢. الصابونى، محمد على (٤٣٦هـ)، صفوۃ التفاسیر، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة، ط ١٤١٧هـ
٣٣. الطبرى، محمد بن جرير (٤١٠هـ)، جامع البيان عن تأویل آی القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
٣٤. طنطاوى، محمد سيد، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة - القاهرة، ط ١.
٣٥. العظيم آبادى، محمد شمس الحق، عون المعبود شرح سنن أبي داود، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، المكتبة السلفية - المدينة المنورة، ط ٢، ١٤٢٨هـ، ١٩٦٨م.
٣٦. الغزالى، محمد (١٤١٦هـ)، خلق المسلم، دار نهضم مصر، ط ١.
٣٧. الفيروزآبادى، محمد بن يعقوب (٨١٧هـ)، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تحقيق: محمد على النجار، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، د ط.

٢٨. الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب (٦٨١٧هـ)، القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، ط٨، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م
٢٩. ابن فارس، أحمد بن فارس بن ذكريا (٣٩٥هـ)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت.
٤٠. القاسمي، محمد جمال الدين، محسن التأويل، تحقيق عبد القادر عرفان، ط١، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م، دار الفكر، بيروت - لبنان.
٤١. القرطبي، محمد بن أحمد (٦٧١هـ)، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.
٤٢. ابن قيم الجوزية: محمد بن أبي بكر (٧٥١هـ)، إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، تحقيق: محمد حامد الفقي، مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية، د ط.
٤٣. ابن كثير، إسماعيل بن عمر (٧٧٤هـ)، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: محمد حسين، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط١، ١٤١٩هـ.
٤٤. ابن ماجه، محمد بن يزيد (٢٧٣هـ)، سنن ابن ماجه، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، دار الفكر، بيروت - لبنان، ط د.
٤٥. محمد فؤاد عبدالباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار الحديث، القاهرة - مصر، د ط، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
٤٦. مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، الهيئة العامة لشئون المطبع الأهلية، ط١، ١٤١٤هـ - ١٣٩٣هـ.
٤٧. مسلم بن الحجاج (٢٦٢هـ)، صحيح مسلم، دار الجليل بيروت + دار الافق الجديدة - بيروت، ط د.

٤٨. مكي بن أبي طالب، مكي بن حموش (٤٣٧هـ)، الهدایة إلى بلوغ النهاية في علم معانی القرآن وتفسیره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، تحقيق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي-جامعة الشارقة، بإشراف: أ. د: الشاهد البوشيخي، مجموعة بحوث الكتاب والسنة - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية- جامعة الشارقة، ط١، ٢٠٠٨هـ-٢٠٢٩م.
٤٩. المناوي، محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفین بن علي (١٠٣١هـ)، التوقيف على مهامات التعاريف، تحقيق: محمد رضوان الدایة، دار الفكر - بيروت - لبنان، ط١، ١٤١٠هـ.
٥٠. ابن منظور، محمد بن مكرم (٧١١هـ)، لسان العرب، تحقيق عبد الله علي وآخرون، دار المعرفة، القاهرة- مصر، د ط.
٥١. أبو هلال العسكري، الحسن بن عبد الله (٣٩٥هـ)، معجم الفروق اللغوية، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر، د ط، ١٤٠١هـ-١٩٨١م.
٥٢. الواحدی، علي بن أحمد (٤٦٨هـ)، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، دمشق، ط١، ١٩٩٥هـ-١٤١٥م.
٥٣. وردات، قسيم محمد، منهج القرآن الكريم في التثبت، رسالة دكتوراه، جامعة اليرموك-الأردن-إربد-، ٢٠١٢م.
٥٤. السرجاني، راغب، مقالة بعنوان: الرحمة في الإسلام (١٢-٦) - موقع قصة الإسلام. من [islamstory.com/ar/](http://islamstory.com/ar/) (٢٠١١).





# الرحمة والأسباب الجالبة لها في القرآن الكريم

إعداد:

د. نادية بنت إبراهيم النفيسة  
وكيلة مركز دراسة الطالبات

# المؤتمر الدولي في الرحمة في الإسلام

The International Conference on Mercy in Islam  
قسم الدراسات الإسلامية - كلية التربية



## سورة

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، هو أرحم بعباده من الوالدة بولدها، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وصفه الله بأنه رءوف رحيم، وهاد إلى صراط الله المستقيم، صلى الله عليه، وعلى آله، وأصحابه، وأتباعه المستمسكين بسننه، المهدى بهديه إلى يوم الدين.

أما بعد :

فإن الرحمة من الخلق العظيم، أودعها ربُّ في من شاءَ من خلقه، وحرَّمها الشقيُّ من الخلق، وقد رغبَ الإسلامُ في التخلُّق بالرحمة، ووعدَ الله على الرحمة بالأجر الكريم، والسعادة الدنيوية والآخرية، والرحمة من أعظم خصال الإيمان، وأجل أنواع الإحسان.

وهي صفةٌ كمالٌ في المُكْلَفِ، اتَّصَافُ بكمالها نبِيُّنا محمدُ ﷺ، وغيره من البشر دونه في هذه الصفة العظيمة.

قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عِنْتُمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبه: ١٢٨].

وأما صفة الرحمة لرب العالمين، فتثبت معناها، وحقيقةها على ما يليق بالله تعالى.

فإن الله تعالى أرحم الراحمين، وهو أرحم بعباده من الوالدة بولدها، فبرحمته خلقنا، وبرحمته رزقنا، وبرحمته عافانا، وأطعمنا، وسقانا، وكسانا، وأوانا، وبرحمته هدانا للإسلام، والإيمان، والعمل الصالح، وبرحمته علمنا ما لم نكن نعلم.

ومن خلال هذا البحث المختصر تحدثت عن هذه الصفة العالية القدر، وسعيت من خلاله لتحقيق عدة أهداف، وهي:

#### الأهداف العامة:

1. التعريف بهذه الصفة، كخلق يحيث عليه الإسلام، وكصفة ثابتة لله تعالى.
2. بيان سعة رحمة الله تعالى بما يعزز جانب الرجاء لدى العبد، ويحثه على تحصيل أسبابها.

#### الأهداف الخاصة:

1. بيان معنى الرحمة لغة، واصطلاحاً.
2. بيان الفرق بين الرحمة، والرأفة، والرحمن، والرحيم.
3. بيان الأسباب المعينة على التخلق بهذا الخلق.
4. إثبات صفة الرحمة لله تعالى.
5. بيان الأسباب الجالبة لرحمة الله تعالى.

وقد اقتضت طبيعة البحث أن أقسامه إلى ثلاثة مباحث، وتحت كل مبحث عدة مطالب:

المبحث الأول: التعريف بالرحمة. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: معنى الرحمة لغة، واصطلاحاً.

المطلب الثاني: الفرق بين الرحمة، والرأفة.

المبحث الثاني: الرحمة في حق العبد. وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: أنواع الرحمة.

المطلب الثاني: آثار رحمته ﷺ من خلال القرآن الكريم.

المطلب الثالث: الأسباب المعينة على التخلق بخلق الرحمة.

المبحث الثالث: الرحمة في حق الله ﷺ. وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الرحمة صفة ثابتة لله ﷺ.

المطلب الثاني: الفرق بين الرحمن، والرحيم.

المطلب الثالث: الأسباب الجالبة لرحمة الله ﷺ.



## المبحث الأول التعريف بالرحمة

وفيه مطلبات:

### المطلب الأول معنى الرحمة لغة، واصطلاحاً

لغة:

الرقة، والعطف.

قال ابن فارس: ”(رح م) الراء، والباء، والميم أصل واحد يدل على الرقة، والعطف، والرأفة“<sup>(١)</sup>. فالرحمة: الرقة، والتلطف، والمرحمة مثله، وقد رحمته، وترحمت عليه، وترأحم القوم: رحم بعضهم بعضاً<sup>(٢)</sup>.  
والرُّحْم، والمرَّحْمة، والرَّحْمَة بمعنى واحد<sup>(٣)</sup>.

والرحمة وإن كانت حقيقتها رقة القلب، وانعطاف النفس المقتضيان للمففرة، والإحسان، فإنها لن تكون دائمًا مجرد عاطفة نفسية لا أثر لها

١٥٢

(١) مقاييس اللغة، ابن فارس (٤٩٨ / ٢).

(٢) الصحاح، الجوهري (رح م)، لسان العرب، ابن منظور (رح م).

(٣) مقاييس اللغة (٤٩٨ / ٢).

في الخارج، بل إنها ذات آثار خارجية، ومظاهر حقيقة تتجسم فيها في عالم الشهادة.

ومن آثار الرحمة الخارجية: العفو عن ذي الزلة، والمغفرة لصاحب الخطيئة، وإغاثة الملهوف، ومساعدة الضعيف، وإطعام الجائع، وكسوة العاري، ومداواة المريض، ومواساة الحزين، كل هذه من آثار الرحمة، وغيرها كثير<sup>(١)</sup>.

فالنعم، والإحسان كلها من آثار رحمة الله، وجوده، وكرمه، وخيرات الدنيا، والآخرة كلها من آثار رحمته<sup>(٢)</sup>.

### اصطلاحاً:

الرحمة: «حالة وجданية تعرض غالباً من به رقة القلب، وتكون مبدأ للانعطاف النفسي الذي هو مبدأ الرحمة»<sup>(٣)</sup>.

والرحمة سبب واصل بين الله، وعباده، بها أرسل إليهم رسلاه، وأنزل عليهم كتبه، وبها هداهم، وبها أسكنهم دار ثوابه، وبها رزقهم، وعافاهم<sup>(٤)</sup>.

وعرفها ابن القيم بقوله: «هي صفة تقتضي إيصال المنافع، والمصالح إلى العبد، وإن كرهتها نفسه، وشقت عليها».

ثم قال: «فهذه هي الرحمة الحقيقة، فأرحم الناس بك من شق عليك في إيصال مصالحك، ودفع المضار عنك».

فمن رحمة الأب بولده: أن يكرهه على التأدب بالعلم، والعمل، ويشق عليه في ذلك بالضرب، وغيره، وينعنه شهواته التي تعود بضرره، ومتى

(١) منهاج المسلم، لأبي بكر الجزائري.

(٢) تفسير السعدي.

(٣) الكليات للكفوي (٤٧١).

(٤) بصائر ذوي التمييز في طائف الكتاب العزيز، للفيروزآبادي (٥٤/٣).

أهمل من والده كان لقلة رحمته به، وإن ظن أنه يرحمه، ويرفقهُ، ويريحه، فهذه رحمة مقرونة بجهل، كرحمه بعض الأمهات، ولهذا كان من إتمام رحمة أرحم الراحمين تسلط أنواع البلاء على العبد، فإنه أعلم بمصلحته، فابتلاوه له، وامتحانه، ومنعه من كثير من أعراضه، وشهواته من رحمته به، ولكن العبد لجهله، وظلمه يتهم ربه بابتلائه، ولا يعلم إحسانه إليه بابتلائه، وامتحانه.

فمن رحمته ﷺ بعباده: ابتلاوهم بالأوامر، والنواهي رحمة وحمية، لا حاجة منه إليهم بما أمرهم به، فهو الغني الحميد، ولا بخلًا منه عليهم بما نهاهم عنه، فهو الججاد الكريم.

ومن رحمته: أن نغض عليهم الدنيا، وكدرها؛ لئلا يسكنوا إليها، ولا يطمئنوا إليها، ويرغبوا في النعيم المقيم في داره، وجواره، فساقهم إلى ذلك بسياط الابلاء، والامتحان، فمنعهم ليعطيلهم، وابتلاهم ليعافيهم، وأماتهم ليحييهم.

ومن رحمته بهم: أن حذرهم نفسه؛ لئلا يفتروا به، فيعاملوه بما لا تحسن معاملته به، كما قال تعالى: **«وَيَحْذِرُكُمُ اللَّهُ أَنْفُسُهُ، وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ»** [آل عمران: ۳۰].

قال غير واحد من السلف: من رأفته بالعباد: أن حذرهم من نفسه؛ لئلا يفتروا به<sup>(۱)</sup>.

ولقد وردت مادة (رح م) في القرآن الكريم ثلاثة وثمانين مرة، وإذا أضفنا لها البسمة التي في مقدمة سورة الفاتحة باعتبارها آية عند بعض العلماء، فإنها تكون ثلاثة وتسعة وثلاثين مرة على النحو التالي:

وردت بصيغة الفعل الماضي ثمان مرات:

رَحِمَهُمْ	رَحِمَتُهُ	رَحِمَنَا	رَحِمَهُ	رَحِمَ	
					٤

وردت بصيغة الفعل المضارع أربع عشرة مرة:

وَيَرْحَمُ	وَتَرْحَمَنِي	يَرْحَمَنَا	وَتَرْحَمَنَا	يَرْحَمَكُمْ	تَرْحَمُونَ	
					٢	٨

وردت بصيغة فعل الأمر خمس مرات:

أَرْحَمُهُمَا	وَأَرْحَمَ	وَأَرْحَمَنَا
		٣

وردت بصيغة المستقبل مرة واحدة: ﴿سَيِّرْجَهُمْ﴾.

وردت بصيغة اسم المرة مائة وأربع عشرة مرة:

رَحْمَةً	رَحْمَتَهُ	رَحْمَتِكَ	رَحْمَتَنَا	وَرَحْمَتِي
٧٩	٢٥	٣	٥	٢

وردت بصيغة المصدر مرتين: ﴿بِالرَّحْمَةِ﴾ - ﴿رُحْمًا﴾.

وردت بصيغة اسم التفضيل أربع مرات: ﴿أَرْحَمُ﴾.

وردت بصيغة اسم الذات اثنى عشرة مرة:

الْأَرْحَامُ	أَرْحَامَكُمْ	أَرْحَامِهِنَّ
٩	٢	١

وردت بالجمع لصيغة المبالغة مرة واحدة: ﴿رُحْمَاء﴾.<sup>(١)</sup>

(١) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي (٦-٣).

## المطلب الثاني الفرق بين الرأفة، والرحمة

لقد ورد هذان الأسمان: **﴿رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾** في القرآن الكريم مقتربتين تسعة مرات:

قال تعالى: **﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْتُكُمْ أُمَّةً وَسَطَا لَنَكُونُوا شَهَادَةً عَلَى النَّاسِ وَيَكُونُ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْفِتْنَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِيَعْلَمَ مَنْ يَتَبَعَّعُ الرَّسُولُ وَمَنْ يَنْقُلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾** [البقرة: ١٤٢].

قال تعالى: **﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى الَّتِي وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ أَتَبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيدُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾** [التوبه: ١١٧].

قال تعالى: **﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾** [التوبه: ١٢٨].

قال تعالى: **﴿أَفَامِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْنِيَهُمُ الْعَذَابَ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٤٥﴾ أَوْ يَأْخُذُهُمْ فِي تَقْلِيْهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوْ يَأْخُذُهُمْ عَلَى تَخْوِيفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾** [النحل: ٤٧-٤٥].

قال تعالى: **﴿وَالْأَنْعَمَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءُ وَمَنَافِعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرْبَحُونَ وَحِينَ تَسْرُحُونَ ﴿٤٨﴾ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدِ لَمْ تَكُونُوا بَلِّغِيهِ إِلَّا إِشْقَاقَ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾** [النحل: ٤٧-٤٥].

قال تعالى: **﴿الَّذِي رَأَى اللَّهُ سَخَرَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلَكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقْعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾** [الحج: ٦٥].

قال تعالى: **﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾** [النور: ٢٠].

قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يَرْزُقُ عَلَى عَبْدِهِ مَا يَنْتَ بِيَتْ لِعْرِجَكُمْ مِّنَ الظُّلْمَنَتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ رَءُوفٍ وَّرَحِيمٌ﴾ [الحديد: ٩٠].

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوهُمْ مِّنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَغْفِرْ لَنَا وَلَا إِخْرَانَا الَّذِينَ سَبَقُونَا إِلَيْهِمْ وَلَا يَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ وَّرَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

فما معنى الرأفة؟

وما الفرق بينها، وبين الرحمة؟

الرأفة من (رأف) الراء، والهمزة، والفاء كلمة واحدة تدل على رقة، ورحمة، وهي الرأفة<sup>(١)</sup>، والرأفة: الرحمة، وقيل: أشد الرحمة<sup>(٢)</sup>.

جاء في الصحاح: «الرأفة: أشدُّ الرحمة». قال أبو زيد: رُؤفت بالرجل أرُوفُ به رأفة، ورأفة، ورأفت به أرافاً، ورأفت به رأفاً، قال: كل من كلام العرب، فهو رَوْفٌ على فَعُولٍ»<sup>(٣)</sup>.

الفرق بينها، وبين الرحمة:

كما قيل في الرأفة: إنها أشد الرحمة، قيل: إن الرحمة قد تقع في الكراهة للمصلحة، وأما الرأفة، فلا تكاد تقع في الكراهة.

قال الزجاج: ”يقال: إنَّ الرأفة، والرحمة واحدٌ، وقد فرقوا بينهما أيضًا، وذلك أن الرأفة هي المنزلة الثانية، يقال: فلانٌ رحيم، فإذا اشتدَّت رحمته، فهو رَوْفٌ“<sup>(٤)</sup>.

قال ابن حجر العسقلاني عند قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ رَءُوفٍ وَّرَحِيمٌ﴾ :

(١) مقاييس اللغة، ابن فارس (٤٧١/٢).

(٢) لسان العرب، ابن منظور (١١٢/٩).

(٣) الصحاح، (رحـمـ).

(٤) تفسير أسماء للحسنـي (٦٢).

«إن الله بجميع عباده ذو رأفة، والرأفة أعلى معاني الرحمة، وهي عامة لجميع الخلق في الدنيا، ولبعضهم في الآخرة»<sup>(١)</sup>.

وقال الخطابي: «(الرؤوف) هو: الرحيم العاطف برأفته على عباده. وقال بعضهم: الرأفة أبلغ الرحمة، وأرقها. ويقال: إن الرأفة أخص، والرحمة أعم. وقد تكون الرحمة في الكراهة للمصالحة، ولا تكاد الرأفة تكون في الكراهة، فهذا موضع الفرق بينهما»<sup>(٢)</sup>.

وفي الكليات: «الرحمة هي: أن يوصل إليك المسار، والرأفة هي: أن يدفع عنك المضار، فالرحمة من باب التزكية، والرأفة من باب التخلية، والرأفة مبالغة في رحمة مخصوصة، هي: رفع المكروه، وإزالة الضر، فذكر الرحمة بعدها في القرآن؛ لتكون أعم، وأشمل»<sup>(٣)</sup>.

### والخلاصة:

إن الرأفة أخص من الرحمة، فالرأفة مخصوصة بدفع المكروه، وإزالة الضر، والرحمة عامة، قال تعالى: «وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ» [الأنبياء: ١٠٧]، وقال تعالى: «فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا إِذْ نَهَى رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا» [الكهف: ٦٥] ليست مخصوصة بدفع مكروره<sup>(٤)</sup>.



(١) تفسير الطبرى (١٢/٢).

(٢) شأن الدعاء (٩١). للاستزادة: كتاب النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى، محمد محمود النجدى (٢١٦/٢)، ولله الأسماء الحسنى، عبد العزيز ناصر الجليل (٣٣٦-٥٣٥).

(٣) الكليات معجم في المصطلحات والفرقون اللغوية، الكفوبي (٤٧١/١).

(٤) لمسات بيانية، د. فاضل السامرائي (١٢٨).

## المبحث الثاني الرحمة في حق العبد

وفيه ثلاثة مطالب:

### المطلب الأول أنواع الرحمة

إن الرحمة من الأخلاق العظيمة التي يمتن الله على عباده بالتلخلق بها، وقد حث الإسلام على التلخلق بهذا الخلق العظيم، فكل خلق حسن حث عليه الإسلام فبإمكان الشخص اكتسابه.

وقد ذكر العلماء لهذه الرحمة التي يتصرف بها العبد نوعين<sup>(١)</sup>:

#### النوع الأول:

رحمة غريزية جبل الله بعض العباد عليها، وجعل في قلوبهم الرأفة، والرحمة، والحنان على الخلق، ففعلوا بمقتضى هذه الرحمة جميع ما يقدرون عليه من نفعهم بحسب استطاعتهم، فهم محمودون مثابون على ما قاموا به، معدзорون فيما عجزوا عنه، وربما كتب الله لهم بنياتهم الصادقة ما عجزت عنه قواهم.

(١) بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار، ابن سعدي (١٨٨-١٩٠).

## النوع الثاني:

رحمة يكتسبها العبد بسلوكه كل طريق، ووسيلة تجعل قلبه على هذا الوصف، فيعلم العبد أن هذا الوصف من أجل مكارم الأخلاق، وأكملها، فيجاهد نفسه في الاتصاف به، ويعلم ما رتب الله عليه من الثواب، وما في فواته من حرمان الثواب، فيرغب في فضل ربه، ويسعى إلى السبب الذي ينال به ذلك، ويعلم أن الجزاء من جنس العمل، ويعلم أن الأخوة الدينية، والمحبة الإيمانية قد عقدتها الله، وربطها بين المؤمنين، وأمرهم أن يكونوا إخواناً متحابين، وأن ينبذوا كل ما ينافي ذلك من البغضاء، والعداوات، والتداير.

فلا يزال العبد يتعرف على الأسباب التي يدرك بها هذا الوصف الجليل، ويجهد في التحقق به؛ حتى يمتئ قلبه من الرّحمة، والحنان على الخلق، ويا حبذا هذا الخلق الفاضل، والوصف الجليل الكامل، وهذه الرّحمة التي في القلوب أن تظهر آثارها على الجوارح، واللسان، من خلال السعي في إيصال البر، والخير، والمنافع إلى الناس، وإزالة الأضرار، والمكاره عنهم.

وعلامة الرحمة الموجودة في قلب العبد: أن يكون محبًا لإيصال الخير لكافة الخلق عمومًا، وللمؤمنين خصوصًا، كارهاً حصول الشر، والضرر لهم، فبقدر هذه المحبة، والكرامة تكون رحمته.

ولابن القيم كلام جميل؛ حيث قال: «إِنْ قَلْتَ: هَلْ يُمْكِنُ أَنْ يَقْعُدَ الْخَلْقُ كَسْبِيًّا، أَوْ هُوَ أَمْرٌ خَارِجٌ عَنِ الْكَسْبِ؟»

قلت: يمكن أن يقع كسبياً بالتلخق، والتکلف حتى يصير له سجية، وملكة، وقد قال النبي ﷺ لأشج عبد القيس ﷺ: «إِنْ فِي لَخَقَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ: الْحَلْمُ، وَالْأَنَاءُ». فقال: أَخْلَقَيْنِ تَخَلَّقْتَ بِهِمَا، أَمْ جَبَلَيْنِ اللَّهُ عَلَيْهِمَا؟

فقال: «بل جبار الله عليهما». فقال: الحمد لله الذي جباني على خلقين يحبهما الله، ورسوله<sup>(١)</sup>.

فدل على أن من الخلق ما هو طبيعة، وجبلة، ومنه ما هو مكتسب، وكان النبي ﷺ يقول في دعاء الاستفتاح: «اللهم اهدني لأحسن الأخلاق، لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرفا عني سيئها، لا يصرف عني سيئها إلا أنت». فذكر الكسب، والقدر، -والله أعلم-<sup>(٢)</sup>.

## المطلب الثاني

### آثار رحمته ﷺ من خلال القرآن الكريم<sup>(٣)</sup>

إن المتأمل في آثار رحمة الله ﷺ يجد نفسه عاجزاً عن تعدادها، ولو أشغل عمره في ذلك ما كفاه.

قال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦].

وقال: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ وَيُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبِّنَا وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ [غافر: ٧].

وقال تعالى: ﴿وَإِنْ تَعْدُوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُو هَا﴾ [إبراهيم: ٢٤].

ومن أعظم، وأكبر رحماته ﷺ: إرساله الرسل، وإنزاله الكتب.

قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٤٨/١) ح: (١٨) كتاب الإيمان، باب الأمر بالإيمان بالله ورسوله، وشرائع الدين، والدعاء إليه.

(٢) مدارج السالكين، ابن القيم (٢/٣٠٠).

(٣) للاستزادة في صور الرحمة ينظر: مختصر الفقه الإسلامي في ضوء القرآن والسنة، محمد التويجري، (٢٨١)، والخلق الحسن في ضوء الكتاب والسنة، سعيد القحطاني، (١٤٦-١٥٩)، وأسباب الرحمة، جمع عبدالله الجار الله، نسخة Pdf، موسوعة الأخلاق الإسلامية، مجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ غلوى بن عبدالقادر السقا (١/٤٢).

ومن رحمته ﷺ: أن أساس دعوته، وتعامله ﷺ خلق الرحمة.

قال تعالى: «فِيمَا رَحْمَةٌ مِّنَ اللَّهِ لِنَتَ لَهُمْ وَلَوْكُنْتَ فَظًا عَلَيْهِ الْقُلُبُ  
لَا نَفْضُوا مِنْ حَوْلَكَ» [آل عمران: ١٥٩].

وقال تعالى: «لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ  
حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ» [التوبه: ١٢٨].

يجعلها تعالى من صفات المؤمنين.

قال تعالى: «شَهِيدٌ مُّحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُمْ أَشَدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رَحْمَاءُ» [الفتح: ٢٩].

وهي وصية القرآن الكريم، ووصية النبي الأمين ﷺ.

قال تعالى: «ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ أَمْنَوْا وَتَوَاصَوْا بِالصَّابِرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ» [البلد: ١٧].

ومن آياته الدالة على رحمته، وعنايته بعباده، وحكمته العظيمة: ما رتب على الزواج من الأسباب الجالبة للمودة، والرحمة، فحصل بالزوجة الاستمتاع، واللذة، والمنفعة بوجود الأولاد، وتربيتهم، والسكنون إليها، فلا تجد بين أحد في الغالب مثل ما بين الزوجين من المودة، والرحمة<sup>(١)</sup>.

قال تعالى: «وَمِنْ إِيمَانِهِ أَنَّ خَلَقَ لَكُمْ مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا  
وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوْدَةً وَرَحْمَةً» [الروم: ٢١].

ومن رحمته: أن أمر الأولاد بير بالوالدين، وخفض جناح الذل من الرّحمة لهما.

قال تعالى: «وَقَضَى رَبُّكَ أَلَا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَاهُ وَإِلَّا لِلَّذِينَ إِحْسَنُوا» [الإسراء: ٢٢].

ومن آثار رحمته: إنزاله الغيث.

قال تعالى: «فَانظُرْ إِلَيَّ إِذَا رَحْمَتِ اللَّهُ كَيْفَ يُنْحِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْقِهَا» [الروم: ٥٠].

(١) تفسير السعدي (٦٣٩).

ومن رحمته ﷺ: فتح باب التوبة لعباده، ومغفرته لذنبهم، وتكفير سيئاتهم.

قال تعالى: «**قُلْ يَعْبُدِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَيَّ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنُطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَعْفُرُ الدُّنُوبَ جَمِيعًا**» [الزمر: ٥٣].

يقول ابن القيم: «فبرحمته أرسل إلينا رسوله ﷺ، وأنزل علينا كتابه، وعلمنا من الجهلة، وهدانا من الضلال، وبصرنا من العمى، وأرشدنا من الغي، وبرحمته عرفنا من أسمائه، وصفاته، وأفعاله ما عرفنا به أنه ربنا، ومولانا، وبرحمته علمنا ما لم نكن نعلم، وأرشدنا لمصالح ديننا، ودنيانا، وبرحمته أطلع الشمس، والقمر، وجعل الليل، والنهر، وبسط الأرض، وجعلها مهاداً، وفراشاً، وقراراً، وكفالتا للأحياء، والأموات، وبرحمته أنشأ السحاب، وأنزل المطر، وأطلع الأقوات، والفواكه، والمرعى، وبرحمته سخر لنا الخيل، والإبل، والأنعام، وذللها منقادة للركوب، والحمل، والأكل، والدر، ومن رحمته وضع الرحمة بين عباده؛ ليتراحموا بها، وكذلك بين سائر أنواع الحيوان، فهذا التراحم الذي بينهم بعض آثار الرحمة التي هي صفة، ونعته، واشتق لنفسه منها اسم **الرَّحْمَنُ الرَّجِيمُ**، وأوصل إلى خلقه معاني خطابه برحمته، وبصرهم، ومكن لهم أسباب مصالحهم برحمته، وأوسع المخلوقات عرشه، وأوسع الصفات رحمته، فاستوى على عرشه الذي وسع المخلوقات بصفة رحمته التي وسعت كل شيء، ولما استوى على عرشه بهذا الاسم الذي اشتقه من صفتة، وتسمى به دون خلقه، كتب بمقتضاه على نفسه يوم استواه على العرش حين قضى الخلق كتاباً، فهو عنده وضعه على عرشه أن رحمته سبقت غضبه، وكان هذا الكتاب العظيم الشأن كالعهد منه ﷺ للخلقية كلها، والأناء، فكان قيام العالم العلوى، والسفلى بمضمون هذا الكتاب الذي لولاه لكان للخلق شأن آخر...»

ومن رحمته أنه يعيذ من سخطه برضاه، ومن عقوبته بعفوه، ومن نفسه بنفسه، ومن رحمته أن خلق للذكر من الحيوان أنثى من جنسه، وألقى بينهما المحبة، والرحمة؛ ليقع بينهما التواصل الذي به دوام التناسل، وانتفاع الزوجين، ويتمتع كل واحد منهما بصاحبها، ومن رحمته أحوج الخلق بعضهم إلى بعض؛ لتم بينهم مصالحهم، ولو أغنى بعضهم عن بعض لتعطلت مصالحهم، وفسد نظامهم، وكان من تمام رحمته بهم أن جعل فيهم الغني، والفقير، والعزيز، والذليل، والعاجز، والقادر، والراعي، والمرعى، ثم أفقر الجميع إليه، ثم عم الجميع برحمته، ومن رحمته أنه خلق مائة رحمة، كل رحمة منها طباق ما بين السماء والأرض، فأنزل منها إلى الأرض رحمة واحدة نشرها بين الخليقة؛ ليترأحموا بها، فيها تعطف الوالدة على ولدها، والطير، والوحش، والبهائم، وبهذه الرحمة قوام العالم ونظامه.

وتتأمل قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ ۖ عَلَمَ الْقُرْءَانَ ۖ خَلَقَ الْإِنْسَنَ ۖ عَلَمَهُ الْبَيَانَ﴾ [الرحمن: ٤-١]، كيف جعل الخلق، والتعليم ناشئاً عن صفة الرحمة، متعلقاً باسم الرحمن، وجعل جميع معاني السورة مرتبطة بهذا الاسم، وختتها بقوله: ﴿بَرَكَ أَسْمُرِيكَ ذِي الْجَلَلِ وَالْأَكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٧٨] فالاسم الذي تبارك هو الاسم الذي افتتح به السورة؛ إذ مجيء البركة كلها منه، وبه وضعت البركة في كل مبارك، فكل ماذكر عليه بورك فيه، وكل ما أخلي منه نزعت منه البركة، فإن كان مذكى، وخلا من اسمه كان ميتة، وإن كان طعاماً، وشارك صاحبه فيه الشيطان، وإن كان مدخلًا دخل معه فيه، وإن كان حدثاً لم يرفع عند كثير من العلماء، وإن كان صلاة لم تصح عند كثير منهم، ولما خلق ﷺ الرحمن، واشتق اسمها من اسمه، وأراد إزالتها إلى الأرض تعلقت به ﷺ، فقال لها: «مه»، فقالت: هذا مقام العائد بك من القطيعة، فقال: «ألا ترضين أن أصل من وصلك، وأقطع من قطعك». وهي متعلقة بالعرش لها حُجْنَةٌ كَحُجْنَةِ الْمِغْزَلِ، وكان تعلقها بالعرش رحمة منه

بها، وإنزلها إلى الأرض رحمة منه بخلقه، ولما علم ﷺ ما تلقاه من نزولها إلى الأرض، ومقارقتها لما اشتقت منه رحمها بتعلقها بالعرش، واتصالها به، و قوله لها : «ألا ترضين أن أصل من وصلك، وأقطع من قطعك»<sup>(١)</sup>.

### المطلب الثالث الأسباب المعينة على التخلق بخلق الرحمة

حرى بكل مسلم أن يحرص على التخلق بهذا الخلق السامي الذي إذا تمكَّن في القلب ظهرت آثاره على العبد في الجوارح، واللسان، وحرص على البر، وبذل الخير، والمنافع للناس، فلذلك يجتهد في تحصيل الأسباب التي تعينه على التخلق بهذا الخلق، ومنها<sup>(٢)</sup>:

١. أن ينظر في كتاب الله، وفي سنة رسوله ﷺ، فينظر النصوص الدالة على مدح ذلك الخلق العظيم الذي يريد أن يتخلق به، فالمؤمن إذا رأى النصوص تمدح شيئاً من الأخلاق، أو الأفعال، فإنه سوف يقوم به.

يقول ابن القيم: ”وتزكية النفوس أصعب من علاج الأبدان، وأشد، فمن زكي نفسه بالرياضة، والمجاهدة، والخلوة التي لم يجيء بها الرسل، فهو كالمريض الذي عالج نفسه برأيه، وأين يقع رأيه من معرفة الطبيب؟ فالرسل أطباء القلوب، فلا سبيل إلى تزكيتها، وصلاحها، إلا من طريقهم، وعلى أيديهم، وبمحض الانقياد، والتسليم لهم -والله المستعان-“<sup>(٤)</sup>.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه برقم: (٤٨٣٠)، ومسلم في صحيحه برقم: (٢٥٥٤).

(٢) كتاب الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة لابن القيم (٢٥٨-٢٥٦).

(٣) ينظر: مكارم الأخلاق، ابن عثيمين، (٣٥-٣٣)، وموسوعة الأخلاق الإسلامية، إعداد: مجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ علوى بن عبد القادر السقاف (٢٤٤/١).

(٤) مدارج السالكين، ابن القيم (٣٠٠/٢).

٢. مجالسة الرحماء، ومخالطتهم، والابتعاد عن ذوي الغلظة، والفظاظة، فالماء يكتسب من جلساته طباعهم وأخلاقهم.
٣. تربية الأبناء على هذا الخلق العظيم، ومحاولة غرسه في قلوبهم، ومتى نشأ الناشئ على الرّحمة ثبتت في قلبه، وأصبحت سجية له -بإذن الله.
٤. معرفة جزاء الرحماء، وثوابهم، وأنهم هم الجديرون برحمه الله دون غيرهم، ومعرفة عقوبة الله ل أصحاب القلوب القاسية، فإنَّ هذا مما يدفع إلى التخلق بصفة الرحمة، ويردع عن القسوة.
٥. معرفة الآثار المترتبة على التحلية بهذا الخلق، والثمار التي يجنيها الرحماء في الدنيا قبل الآخرة.
٦. الاختلاط بالضعفاء، والمساكين، وذوي الحاجة، فإنه مما يرقق القلب، ويدعو إلى الرّحمة، والشفقة بهؤلاء، وغيرهم.



## المبحث الثالث الرحمة في حق الله ﷺ

وفيه ثلاثة مطالب:

### المطلب الأول الرحمة صفة ثابتة الله ﷺ

من عقيدة أهل السنة والجماعة إثبات صفات الله الثابتة في كتابه، وسنة رسوله، كما أثبته ﷺ لنفسه، وأثبتها له رسوله من غير تمثيل، ولا تكييف، ولا تعطيل، ولا تشبيه.

ومن هذه الصفات: صفة الرحمة لله ﷺ، وقد وردت عدة آيات في إثباتها، قال تعالى: **﴿رَبَّنَا وَسِعَتْ كُلُّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا﴾** [غافر: ٧].  
وقال تعالى: **﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾** [الأحزاب: ٤٢].

وقال تعالى: **﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلُّ شَيْءٍ﴾** [الأعراف: ١٥٦].

مع الإيمان بأن «الرحمة أثبتها الله لنفسه» رحمة حقيقة دل عليها السمع، والعقل، أما السمع، فهو ماجاء في الكتاب، والسنة من إثبات الرحمة لله، وهو كثير جدًا، وأما العقل، فكل ما حصل من نعمة، أو اندفاع من نعمة، فهو من آثار رحمة الله.

وقد أنكر قوم وصف الله ﷺ بالرحمة الحقيقة، وحرّفوا إلى الإنعام، أو إرادة الإنعام، زعمًا منهم أن العقل يحيل وصف الله بذلك، قالوا: لأن الرحمة انعطاف، ولين، وخضوع، ورقه، وهذا لا يليق بالله ﷺ ...<sup>(١)</sup>.

وقد أطّب ابن القيم<sup>(٢)</sup> في الرد على من زعم أن صفة الرحمة مجاز في حق الله ﷺ، فأجاد، وأحسن، ولأن المقام مقام اختصار، فسأكتفي بما يلي<sup>(٣)</sup>:

تنقسم الرحمة إلى قسمين: عامة، وخاصة.

فالعامة هي الشاملة لكل أحد، ودليلها: قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ  
كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا﴾، ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ﴾

والخاصة هي التي تختص بالمؤمنين، ودليلها: قوله تعالى: ﴿وَكَانَ  
بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ والرحمة الشاملة للكفار رحمة جسدية بدنية دنيوية قاصرة غاية القصور بالنسبة لرحمة المؤمنين، فالذى يرزق الكافر هو الله، يرزقه بالطعام، والشراب، واللباس، والمسكن، والمنكح، وغير ذلك، أما المؤمنون، فرحمتهم رحمة أخص من هذه، وأعظم؛ لأنها رحمة إيمانية دينية دنيوية.

ولهذا تجد المؤمن أحسن حالاً من الكافر حتى في أمور الدنيا؛ لأن الله يقول: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحِينَّهُ حَيَةً طَيِّبَةً﴾

[النحل: ٩٧].

فالحياة الطيبة مفقودة بالنسبة للكفار، حياتهم كحياة البهائم، إذا شبع

(١) تفسير جزء عم للشيخ ابن عثيمين (٩-٨). للاستزادة: الفتوى الحموية لابن تيمية (١٧٥). وما بعدها.

(٢) يراجع مختصر الصواعق المرسلة (٣٤٨)، وما بعدها.

(٣) ينظر: شرح العقيدة الواسطية، ابن عثيمين (٢٤٨)، وشرح العقيدة السفارينية، ابن عثيمين (٢٤٧/١)، ومذكرة على العقيدة الواسطية، ابن عثيمين (٢٢)، والنهاج الأحسنى في شرح أسماء الله الحسنى (٨٠/١)، وما بعدها.

روث، وإذا لم يشبع، جلس يصرخ، هكذا هؤلاء الكفار إن شبعوا بطرروا، وإن جلسوا يصرخون، ولا يستفيدون من دنياهم، لكن المؤمن إن أصابته سراء شكر، وإن أصابته ضراء صبر، فهو في خير في هذا، وفي هذا، وقلبه منشرح مطمئن متافق مع القضاء، والقدر، لا جزع عند البلاء، ولا بطر عند النعماء، بل هو متوازن مستقيم معتدل، فهذا فرق ما بين الرحمة هذه، وهذه.

## المطلب الثاني

### الفرق بين الرحمن، والرحيم

هما اسمان من أسماء الله الحسنى، وأسماء الله الحسنى كلها متفقة في الدلالة على نفسه المقدسة، ومن الأمور المترورة في عقيدة أهل السنة والجماعة: أن أسماء الله الحسنى متضمنة للصفات، فهي أعلام دالة على معان، هي بها أوصاف، فلا تضاد فيها العلمية الوصف، بخلاف غيرها من أسماء المخلوقين، فلا تقادس أسماء الله بأسماء الخلق<sup>(١)</sup>.

وقد قيل في الفرق بينهما<sup>(٢)</sup>:

١. إنهم بمعنى واحد، وهما اسمان مشتقان من الرحمة، ويجوز تكرير الاسمين إذا اختلف اشتقاهم على جهة التوكيد؛ كما يقال: فلان جاد مجد.

٢. اسمان مشتقان من الرحمة على طريق المبالغة، ورحمن أشد مبالغة

(١) ينظر: الإيمان لابن تيمية (١٤٨)، وجلاء الأفهام، ابن القيم (١٧١)، ومعتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى، محمد التميمي (٣٣٣).

(٢) ينظر: جامع البيان، الطبرى (١٢٦)، والأسماء والصفات للبيهقي (١٥٢)، وما بعدها، والجامع لأحكام القرآن، القرطبي (١٠٥/١)، ولسان العرب، ابن منظور (٢٣١/١٢)، وتفسير القرآن العظيم، ابن كثير (١٢٦/١)، وفتح القدير للشوکانى (٢١)، تيسير الكريم الرحمن، ابن سعدي (٣٩).

من رحيم، فالرحمن اسم عام في جميع أنواع الرحمة، والرحيم إنما هو في جهة المؤمنين.

٣. قال ابن الأنباري، والزجاج: إن الرحمن عباني، والرحيم عربي، وخالفهما غيرهما.

٤. إن الرحمن اسم مختص لله ﷺ لا يجوز أن يسمى به غيره، ولا يوصف، ألا ترى أنه قال: ﴿فُلَّا دُعْوَا اللَّهُ أَوْ أَدْعُوا الرَّحْمَنَ﴾ [الإسراء: ١١٠]، فعادل به الاسم الذي لا يشركه فيه غيره، والرحيم يوصف به غير الله ﷺ، فيقال: رجل رحيم، ولا يقال: رحمـن.

قال الزجاج: ”ولا يجوز أن يقال: الرحمن إلا لله“<sup>(١)</sup>.

٥. ﴿الرَّحْمَن﴾ أي: ذو الرحمة الواسعة، ولهذا جاء على وزن « فعلان» الذي يدل على السعة.

و﴿الرَّحِيم﴾ أي: الموصى للرحمة من يشاء من عباده، ولهذا جاءت على وزن « فعليل» الدال على وقوع الفعل، فهنا رحمة هي صفتـه هذه دل عليها ﴿الرَّحْمَن﴾، ورحمة هي فعلـه، أي: إيصال الرحمة إلى المرحوم، دل عليها ﴿الرَّحِيم﴾. و﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيم﴾: أسمـان من أسماء الله يدلـان على الذات، وعلى صفة الرحمة، وعلى الأثر، أي: الحكم الذي تقتضـيه هذه الصـفة<sup>(٢)</sup>.

قال ابن القيم: «إن ﴿الرَّحْمَن﴾ دال على الصفة القائمة به ﷺ، و﴿الرَّحِيم﴾ دال على تعلقها بالمرحوم. فكان الأول للوصف، والثاني للفعل، فالأول دال على أن الرحمة صفتـه، والثاني دال على أنه يرحم خلقـه برحمـته.

(١) كتاب معاني القرآن وإعرابه (٤٣/١).

(٢) تفسير جزء عم للشيخ ابن عثيمين (٩-٨).

وإذا أردت فهم هذا فتأمل قوله: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾، وقوله: ﴿إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾، ولم يجيئ قط (رحمن بهم) فعلم أن ﴿الرَّحْمَن﴾ هو الموصوف بالرحمة، و﴿الرَّحِيم﴾ هو الرحيم برحمته<sup>(١)</sup>.

قال ابن سعدي رض: ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾: أسمان دالان على أنه ذو الرحمة الواسعة العظيمة التي وسعت كل شيء، وعمت كل مخلوق، وكتب الرحمة الكاملة للمتقين المتبعين لأنبيائه، ورسله، فهو لاء لهم الرحمة المطلقة المتصلة بالسعادة الأبدية، ومن عداهم محروم من هذه الرحمة الكاملة؛ لأنه الذي دفع هذه الرحمة، وأباها بتكذيبه للخبر، وتوليه عن الأمر، فلا يلومن إلا نفسه.

واعلم أن من القواعد المتفق عليها بين سلف الأمة، وأنتماها ما دل عليه الكتاب والسنة من الإيمان بأسماء الله كلها، وصفاته جميعها، وبأحكام تلك الصفات، فيؤمنون -مثلاً- بأنه رحمن رحيم ذو الرحمة العظيمة التي اتصف بها المتعلقة بالمرحوم، فالنعم كلها من آثار رحمته، وهكذا يقال في سائر الأسماء الحسنة.

وبالجملة: فالله خلق الخلق برحمته، وأرسل إليهم الرسل برحمته، وأمرهم، ونهاهم، وشرع لهم الشرائع برحمته، وأسبغ عليهم النعمة الظاهرة، والباطنة برحمته، ودبرهم أنواع التدبير، وصرفهم بأنواع التصريف برحمته، وملا الدنيا، والآخرة من رحمته، فلا طابت الأمور، ولا تيسر الشيء، ولا حصلت المقاصد، وأنواع المطالب إلا برحمته، ورحمته فوق ذلك، وأجل، وأعلى، وللمحسنين المتقين من رحمته النصيب الوافر، والخير المتكاثر ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦]<sup>(٢)</sup>.

(١) بدائع الفوائد (٢٤/١).

(٢) تفسير أسماء الله الحسنة للسعدي (٢٠٣-٢٠٠).

### المطلب الثالث

## الأسباب الجالبة لرحمة الله ﷺ

قال تعالى: **﴿وَرَحْمَةَ اللَّهِ تَعَالَى وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَنْتَقُونَ﴾** [الأعراف: ١٥٦].

فمن رحمة الله ﷺ: أنه خلق مائة رحمة، كما أخبر بذلك نبيه ﷺ، منها رحمة واحدة بها يتراحم الناس، والبهائم، والدواب، حتى إن الدابة لترفع حافرها عن ولدها؛ خشية أن تصيبه؛ كما قال ﷺ: «إن الله خلق يوم خلق السموات والأرض مائة رحمة، كل رحمة طباق ما بين السماء والأرض، فجعل منها في الأرض رحمة، فيها تعطف الوالدة على ولدها، والوحش، والطير بعضها على بعض، فإذا كان يوم القيمة أكملها بهذه الرحمة»<sup>(١)</sup>.

فهذه من الرحمة التي خلقها الله ﷺ، وذرأها في عباده من البشر، والحيوانات، والطيور، وغيرها.

أما الرحمة التي هي صفتة ﷺ، فهي شيء آخر عظيم، وهي وراء كل تقدير، أو إدراك، أو ظن، أو تصور، ولو علم العباد قدر رحمة الله ﷺ، لما قتف من رحمته أحد<sup>(٢)</sup>، ولكن لا بد من التنبه إلى «أن الرجاء، وحسن الظن إنما يكون مع الإتيان بالأسباب التي اقتضتها حكمة الله في شرعيه، وقدره، وثوابه، وكرامته، فيأتي العبد بها، ثم يحسن ظنه بربه، ويرجوه ألا يكله إليها، وأن يجعلها موصلة إلى ما ينفعه، ويصرف ما يعارضها، ويبطل أثرها».

وينبغي أن يعلم أن من رجا شيئاً استلزم رجاً وله ثلاثة أمور:

أحدها: محبة ما يرجوه.

الثاني: خوفه من فواته.

١٧٢

(١) صحيح مسلم (٢٧٥٢)، ونحوه عند البخاري (٤٦٤٩).

(٢) مع الله، سلمان العودة (٤٣).

الثالث: سعيه في تحصيله بحسب الإمكان.

وأما رجاء لا يقارنه شيء من ذلك، فهو من باب الأماني<sup>(١)</sup>.

فحسن الظن بالله إنما يكون مع انعقاد أسباب النجاة، ورحمته بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
وإن وسعت كل شيء، إلا أن لها أسباباً تستجلب بها، ومن هذه الأسباب<sup>(٢)</sup>:

#### ١. الإيمان:

إن رحمة الله لا تحصل إلا لمن آمن بالإيمان الحقيقي بجميع أركانه  
الستة: الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وبالقدر  
خيره، وشره.

قال تعالى: ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا إِمَّا فَعَفْرَلَنَا وَأَرْحَنَا وَإِنَّ خَيْرَ الرَّجَمَنَ﴾ [المؤمنون: ١٠٩]، وقال ﷺ: ﴿هَذَا بَصَارٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدَى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُوْمَئِنُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٣]، وقال تعالى: ﴿فَإِمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخَلُهُمْ رَبِّهِمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمَمِنُ﴾ [الجاثية: ٣٠].

إن شرط حصول الرحمة -رحمة الله التي وسعت كل شيء- هو الإيمان، فإذا انتهى الإيمان انتهت رحمة الله، وإذا انتهت رحمة الله، فإن الشقاء، والعذاب هو المتعين، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

#### ٢. الإحسان:

يشمل الإحسان في عبادة الله، وهو: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه، فإنه يراك، ويشمل -أيضاً- الإحسان إلى الناس بما تستطيع بالقول، والفعل، والمالي، والجاه، قال تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦].

(١) الجواب الكافي لمن سأله عن الدواء الشافي، ابن القيم (٣٩).

(٢) ينظر: أسباب الرحمة، جمع عبد الله الجار الله، ومجلة البحوث الإسلامية، رحمة الله .. أسبابها، وأثارها، موقع الألوكة، مقال لأبي يonus العباس بعنوان: أسباب الحصول على رحمة الله.

### ٣. الإخلاص:

إن فضل الله، ورحمته تثال بالإخلاص له ﷺ.

قال تعالى: ﴿وَذَكْرُ فِي الْكِتَبِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ۚ وَنَذَرَتْهُ مِنْ جَانِبِ الْطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَبَتْهُ نَجِيَّا ۚ وَوَهَبَنَا لَهُ مِنْ رَّحْمَنِنَا أَخَاهُ هَرُونَ نَبِيًّا﴾ [مريم: ٥٣-٥١].

### ٤. طاعة الله، ورسوله:

إن ما عند الله لا ينال إلا بطاعة الله، قال ﷺ: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٢].

### ٥. اتباع الكتاب، والسنة:

إن اتباع كتاب الله هو الخير كل الخير، ولا يصح اتباع الكتاب إلا باتباع السنة؛ لأنها شارحة، ومبينة للكتاب.

قال تعالى: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَأَتَقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٥].

### ٦. ترك المعاصي، والمنكرات، والذنوب:

قال الله ﷺ حكاية عن الملائكة، وهم يدعون للمؤمنين: ﴿وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِي السَّيِّئَاتِ يَوْمَ إِذِ فَقَدَ رَحْمَتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [غافر: ٩].

### ٧. إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وطاعة الرسول:

قال تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكُوْنَةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [النور: ٥٦]. و(لعل) من الله نافذة المفعول.

### ٨. التقوى:

من أهم أسباب الرحمة: تقوى الله ﷺ، قال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي

وَسَعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكَتْهَا لِلَّذِينَ يَنْقُونَ وَيُؤْتُونَ الْزَكَوةَ وَالَّذِينَ هُمْ  
إِيمَانًا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ الَّذِي أَمَرَهُمْ ﴿١٥٧﴾ [الأعراف: ١٥٦-١٥٧].

وقد فسر بعض الصحابة التقوى بأنها: العمل بالتزييل، والخوف من الجليل، والاستعداد ليوم الرحيل.

#### ٩. خشية الله:

إن الخوف من الله مع الرجاء فيه يورثان فضل الله، ورحمته، وغفرانه.

قال ﷺ: «وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْعَضَبُ أَخْذَ أَلَّا وَاحِدًا وَفِي نُسْخَتِهَا هَذِهِ  
وَرَحْمَةً لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ» [الأعراف: ١٥٤].

عن أبي سعيد رض عن النبي ﷺ: «أن رجلاً كان قبلكم رزقه الله مالاً، فقال لبنيه لما حضر: أي أب كنت لكم؟ قالوا: خير أب، قال: فإني لم أعمل خيراً قط، فإذا مت فأحرقوني، ثم اسحقوني، ثم ذروني في يوم عاصف، ففعلوا، فجمعه الله عز وجل، فقال: ما حملك؟ قال: مخافتكم، فلتقاهم برحمته»<sup>(١)</sup>.

#### ١٠. الاستماع، والإنصات لتلاء القرآن الكريم:

فالقرآن الكريم كلام الله كله برقة، ورحمة، وفضل، وكلما اقترب منه العبد، كلما حصل له الفضل، والبر، والرحمة، قال عز من قائل: «وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتِمِعُوهُ وَأَنْصِتُوا لِعَلَّكُمْ تُرَحَّمُونَ» [الأعراف: ٤٠].

#### ١١. الاستغفار والتوبة:

من لطف الله عز وجل بعباده: أن شرع لهم الاستغفار، والتوبة من جميع الذنوب كبيرة، وصغرتها.

قال ﷺ: «لَوْلَا سَتَغْفِرُونَ اللَّهُ لَعَلَّكُمْ تُرَحَّمُونَ» [النمل: ٤٦]، وقال

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، (٤/ ١٦٧) ح: (٣٤٧٨)، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الغار.

تعالى ذكره: «وَإِذَا جَاءَكُمُ الظَّالِمُونَ إِيمَانُهُمْ كَبِيرٌ  
رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَدٍ فَأَنَّمَا تَابَ مِنْ  
عَدُوهُ وَأَصْلَحَ فَإِنَّهُ عَفُورٌ رَّحِيمٌ» [الأنعام: ٥٤].

#### ١٢. الصبر:

إن هذه الدنيا دار ابتلاء، والابتلاء يكون بالخير، والشر، والصبر ضروري في هذه الدنيا، و نتيجته محمودة، بل الصابرون هم الذين تتالهم رحمة الله.

قال تعالى: «وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ شَيْءًا مِنَ الْمُقْرَبَاتِ وَالْمُجُوعَ وَنَقْصًا مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ  
وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الْمُصَدِّرِينَ ١٥٥ الَّذِينَ إِذَا أَصْبَبْتُمُهُمْ مُصِبَّةً قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا  
إِلَيْهِ رَجِعونَ ١٥٦ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ  
الْمُهَتَّدُونَ ١٥٧» [البقرة: ١٥٥-١٥٧].

#### ١٣. العفو، والرحمة:

العبد مأمور بالعفو عن إخوانه المسلمين، ومأمور -أيضاً- بالرحمة لخلق الله، وكما أن غيره محل الخطأ والضعف، فهو -أيضاً- محل الخطأ، والضعف، ومحتج إلى عفو الله، ورحمته، فإذا رحم خلق الله، فهو يتسبب في تنزيل رحمات الله عليه.

قال تعالى: «يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُنْتُمْ أَقْسَاصًا فِي الْقَنْطَلِ الْحَرَبِيِّ  
وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأَنْثَى بِالْأَنْثَى فَمَنْ عَفَنَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَإِنَّمَا  
وَأَدَاءَ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَحْفِيقٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ  
فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ» [البقرة: ١٧٨].

وقال رسول الله ﷺ: «الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء».<sup>(١)</sup>

(١) أخرجه أبو داود في سننه (٢٩٧/٧) ح: (٤٩٤١). كتاب الأدب، باب في الرحمة، والترمذني =

فرحمة العبد للخلق من أكبر الأسباب التي تثال بها رحمة الله التي من آثارها خيرات الدنيا، وخيرات الآخرة، وفقدانها من أكبر القواطع، والموانع لرحمة الله، والعبد في غاية الضرورة، والافتقار إلى رحمة الله، لا يستغنى عنها طرفة عين، وكل ما هو فيه من النعم، واندفاع النقم من رحمة الله، فمتنى أراد أن يستبقيها، ويستزيد منها، فليعمل جميع الأسباب التي تثال بها رحمته<sup>(١)</sup>.

#### ١٤. الهجرة، والجهاد:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْتَئِكُمْ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٢١٨].

فترك الأوطان، ومفارقة الأحبة، والتعرض للموت في سبيل الله من أشق العبادات على النفوس، وبسببها يحصل العبد على الدرجات العلا، والمغفرة، والرحمة، والرضوان.

#### ١٥. الالتزام بشرع الله:

في أي مجتمع كبر، أو صغر، فأي شخص التزم بشرع الله حصلت له رحمة الله، قال تعالى عن آل إبراهيم: ﴿قَالُوا أَتَعْجِبُنَا مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّحِيدٌ﴾ [آل عمران: ٦٣].

#### ١٦. اللجوء إلى الله ﷺ، والتضرع إليه:

من يلجأ إلى الله، ويتضرع إليه يرحمه أرحم الراحمين، فدعاء الله بحصولها باسمه الرحمن الرحيم، أو غيره من أسمائه الحسنى كأن تقول: يا رب من ارحمني، اللهم إني أسألك برحمتك التي وسعت كل شيء أن تغفر لي، وترحمني، إنك أنت الغفور الرحيم.

= في سننه (٤/ ٣٢٣)، ح: (١٩٢٤)، أبواب البر والصلة، باب ما جاء في رحمة المسلمين.

(١) بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار ط: الرشد (١٨٨).

قال تعالى: ﴿وَلِلّٰهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]. فيسأل لكل مطلوب بالاسم المقتضي لذلك المطلوب المناسب لحصوله: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ أَدْعُوكُمْ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]، ﴿وَقَالَ رَبِّ أَعْفِرَ وَأَرْحَمَ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاجِعِينَ﴾ [المؤمنون: ١١٨]، فقد أمر ﷺ بالدعاء، وتکفل بالإجابة، وهو ﷺ لا يخلف الميعاد.

#### ١٧. اقتران العلم بالعمل، وقيام الليل:

العلمون العاملون هم المرحومون.

قال ﷺ: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَنِطٌ إِنَّا لِلّٰهِ سَاجِدُوا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ، قُلْ هُلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَذَكُرُ أُفُوًّا الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ٩].

#### ١٨. تطبيق الولاء، والبراء:

موالاة أولياء الله، والبراء من أعداء الله أصل من أصول الدين، بل لا يتم، ولا يصح إيمان المرء إلا بهما، ولذلك من وآل في الله، وعادى في الله منحه الله الرحمة.

قال ﷺ عن إبراهيم: ﴿فَلَمَّا أَعْتَزَلُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّٰهِ وَهُبَّنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَلَلٰا جَعَلْنَا نِيَّاتِهِنَا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبَنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَنِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلَيْهَا﴾ [مريم: ٤٩-٥٠]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا أَعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللّٰهُ فَأُوْفِأُمْ إِلَى الْكَهْفِ يَنْشِرُ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ، وَيَهْبِئُ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقًا﴾ [الكهف: ١٦].

#### ١٩. الصلاح:

إن الصالحين هم الأنبياء، والرسل، وأتباعهم، وهم الذين بصلاحهم يستحقون أن يدخلهم الله في رحمته.

قال ﷺ: ﴿وَإِسْكِيْلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكَفْلَ كُلُّ مِنَ الصَّدِّيقِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُم مِنَ الصَّلِيْحِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٥-٨٦].

## ٢٠. الإصلاح بين المتخاصلين:

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْرَجُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخْوَيْهِمْ وَأَتَقْوُ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَرْحَمُونَ﴾ [الحجرات: ١٠].

## ٢١. الإنفاق في سبيل الله:

الإنسان جُبِلَ على الإمساك، لكن المؤمن الذي يرجو ما عند الله ينفق، ولا يخشى الفقر؛ لأنَّه يرجو ما وعد الله به عباده من فضل، ورحمة.

قال تعالى عن موسى: ﴿وَأَكَتَبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدَنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِ أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءَ وَرَحْمَتِي وَسَعَتْ كُلُّ شَيْءٍ فَسَأَكْتَبُهَا لِلَّذِينَ يَنْقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكُوَةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِإِيمَنِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٦].

وقال ﷺ: «وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنِفِقُ فَرِيقَتِ عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ الْأَئْمَانُ فَرِيقَةُ لَهُمْ سَيِّدُ خَلْقِهِمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ» [التوبه: ٩٩].

## ٢٢. الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر:

الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر من خصائص هذه الأمة، بل هو من مهام الأنبياء، والرسل، ولذلك استحق من يفعله الرحمة.

قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيَقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكُوَةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيِّدُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبه: ٧١].

## ٢٣. التربية الحسنة للبنين، والبنات:

قال الله تعالى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَنَنَا إِمَّا

يَلْعَنَ عِنْدَكَ الْكَبِيرُ أَحَدُهُمَا أَوْ كَلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفِّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا  
وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الْذَلِيلِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ  
رَبِّ أَرْحَمَهُمَا كَمَا رَبَّيْنَا فِي صَغِيرِهَا ﴿٢٤-٢٣﴾ [الإسراء: ٢٣-٢٤]. فقد ربط الله الرحمة  
التي يستحقها الوالدان بالتربية، وليس بمجرد الإنجاب.



## الخاتمة

أحمد الله جل جل أن أعايني على إتمام هذا البحث، وقد عشت فيه مع هذه الصفة عالية القدر، عظيمة الشأن التي أسأل الله أن يمن علينا بالاتصال بها، وأن يجعلنا ممن يرحم، فيرحم.

هذا وقد توصلتُ إلى نتائج عديدة، أهمها:

١. الرحمة هي: الرقة، والعطف، والرأفة هي: أشد الرحمة.

٢. لا يجوز تسمية غير الله بالرحمن، وهو اسم عام في جميع أنواع الرحمة، والرحيم خاص بالمؤمنين.

٣. الرحمة صفة ثابتة في الكتاب، والسنة، نؤمن بها كما جاءت من غير تشبيه، ولا تمثيل، ولا تعطيل، ولا تكييف، فللله جل جل رحمة تليق بجلاله، وعظم سلطانه، ولا نفسرها بأثرها، وهو: إرادة الإحسان، أو غيره.

٤. آثار رحمة الله عظيمة جداً لا تعد، ولا تحصى، والقرآن مليء باآثار رحماته جل جل.

٥. الرحمة تستجلب بأمور عديدة وردت في القرآن الكريم، ومررت في البحث مفصلة.

ولابن القيم كلام أحببت أن أختتم به هذا البحث؛ حيث قال رحمه الله :

«ولما كان نصيب كل عبد من الرحمة على قدر نصيبيه من الهدى، كان أكمل المؤمنين إيماناً أعظمهم رحمة؛ كما قال تعالى في أصحاب رسوله صلوات الله عليه وآله وسلامه : ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشَدُّ أَهْلَكُفَارٍ رَحْمَاءُ بَنَّهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩]، وكان الصديق رض من أرحم الأمة، وقد روى عن النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه أنه قال: «أرحم أمتي بأمتى أبو بكر»<sup>(١)</sup>.

وهكذا الرجل كلما اتسع علمه اتسعت رحمته، وقد وسع رينا كل شيء رحمة، وعلمًا، فوسيط رحمته كل شيء، وأحاط بكل شيء علمًا، فهو أرحم بعباده من الوالدة بولدها، بل هو أرحم بالعبد من نفسه»<sup>(٢)</sup>.

وختاماً: أسائل الله عز وجله أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع به، إنه جواد كريم.

هذا والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) أخرجه الترمذى فى سننه (٥/٦٦٤)، ح (٣٧٩٠)، أبواب المناقب، باب مناقب معاذ بن جبل، وزيد ابن ثابت، وأبى عبيدة بن الجراح رض، وصححه الألبانى.

(٢) إغاثة اللهفان، ابن القيم (٢/١٧٤).

## المصادر، والمراجع:

١. أسباب الرحمة، جمع: عبد الله الجار الله، نسخة pdf.
٢. إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين بن قيم الجوزية، تحقيق: محمد حامد الفقي، مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية.
٣. الأسماء والصفات، الحافظ أبو بكر أحمد بن الحسين البهقى، تحقيق: الشيخ مقبل بن هادي الوادعى، مكتبة السوادى، جدة، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ.
٤. الإيمان، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام ابن عبدالله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقى، تحقيق: محمد ناصر الدين الألبانى، المكتب الإسلامي، عمان، الأردن، الطبعة الخامسة، ١٤١٦هـ.
٥. النهج الأنسى في شرح أسماء الله الحسنى، محمد الحمود النجدي، مكتبة الإمام الذهبي الكويت، دار ابن الجوزي، الدمام، المملكة العربية السعودية، الطبعة السادسة، ١٤٢٥هـ.
٦. الفتوى الحموية الكبرى، لشيخ الإسلام تقي الدين أبي العباس أحمد ابن تيمية، تحقيق: د. حمد بن عبد المحسن التويجري، دار الصميمى للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية، ١٤٢٥هـ.
٧. بريقة محمودية في شرح طريقة محمدية، وشريعة نبوية في سيرة أحمدية، محمد بن محمد بن مصطفى بن عثمان، أبو سعيد الخادمى الحنفى، مطبعة الحلبي، بدون طبعة، ١٢٤٨هـ

٨. الرحمة الإلهية (دراسة قرآنية)، إعداد: عمر عزت بخيت، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، ٢٠٠٩.
٩. التحرير والتويير، «تحرير المعنى السديد وتتوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر ابن عاشور التونسي، الدار التونسية للنشر تونس، ١٩٨٤.
١٠. تفسير أسماء الله الحسنى، أبو عبدالله، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي، تحقيق عبيد بن علي العبيد، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة العدد ١١٢، السنة ٢٣-١٤٢١هـ.
١١. تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ.
١٢. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معاذ اللويفي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ.
١٣. تفسير جزء عم، لفضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، تحقيق: فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان.
١٤. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير ابن غالب الآملي، أبو جعفر الطبرى، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.
١٥. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه = صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفى، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

١٦. الجامع الكبير - سنن الترمذى، محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك، الترمذى، أبو عيسى، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي - بيروت، ١٩٩٨م.

١٧. الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفیش، دار الكتب المصرية - القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٨٤هـ.

١٨. جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، تحقيق شعيب الأرناؤوط - عبدالقادر الأرناؤوط، دار العروبة الكويت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٧هـ.

١٩. الجواب الكافى لمن سأله عن الدواء الشافى، أو الداء والمدواء، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، دار المعرفة - المغرب، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.

٢٠. الخلق الحسن في ضوء الكتاب والسنة، د. سعيد بن علي بن وهف القحطانى، مطبعة سفير، الرياض، مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلان.

٢١. رحمة العالمين، المؤلف: د. سعيد بن علي بن وهف القحطانى، مطبعة سفير، الرياض، مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلان.

٢٢. شأن الدعاء، أبو سليمان حمد بن محمد الخطابي الحافظ، أحمد يوسف الدقاد، دار الثقافة العربية، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ.

٢٣. شرح أسماء الله الحسنى في ضوء الكتاب والسنة، د. سعد بن علي ابن وهف القحطانى، د. عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين، الطبعة الثانية عشر، ١٤٣١هـ.

٢٤. سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - محمد كامل قرة بللي، دار الرسالة العالمية، الطبعة الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.

٢٥. شرح العقيدة السفارينية - الدرة المضية في عقد أهل الفرقة المرضية، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، دار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٦ هـ.

٢٦. شرح العقيدة الواسطية، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، سعد فواز الصميل، دار ابن الجوزي، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الخامسة، ١٤١٩ هـ.

٢٧. شرح كتاب التوحيد لابن خزيمة، محمد حسن عبدالغفار، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتنقيتها موقع الشبكة الإسلامية

<http://www.islamweb.net>

٢٨. فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩ هـ.

٢٩. فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤ هـ.

٣٠. الكليات معجم في المصطلحات والفرق اللغوية، أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء، تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري، مؤسسة الرسالة - بيروت.

٣١. لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل جمال الدين بن منظور الانصاري الرويفي الإفريقي، دار صادر - بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٤ هـ.

٢٢. لمسات بيانية في نصوص من التزيل -محاضرات-، فاضل بن صالح بن مهدي بن خليل البدرى السامرائى، أعده للشاملة: أبو عبد المعز.

٢٣. منهاج المسلم، أبو بكر الجزائري، مكتبة ابن تيمية، ١٤٠٧هـ.

٢٤. مجلة البحوث الإسلامية، (رحمه الله أسبابها، وأثارها) العدد الخامس والأربعون، الإصدار: من ربيع الأول إلى جمادى الثانية لسنة ١٤١٦هـ.

٢٥. مختصر الفقه الإسلامي في ضوء القرآن والسنة، محمد بن إبراهيم بن عبد الله التويجري، دار أصداء المجتمع، المملكة العربية السعودية، الطبعة الحادية عشرة، ١٤٣١هـ.

٢٦. مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، للإمام محمد ابن أبي بكر بن أيوب الزرعى، العالمة محمد بن الموصلى، محمد بن رياض الأحمد، مؤسسة الريان، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ.

٢٧. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٦هـ.

٢٨. مذكرة على العقيدة الواسطية، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، دار الوطن للنشر الرياض ١٤٢٦هـ.

٢٩. معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن ذكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ.

٤٠. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، مسلم بن الحاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

٤١. مع الله الاسم الأعظم وقصة الأسماء الحسنى، سلمان بن فهد العودة، مؤسسة الإسلام اليوم، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثالثة، ١٤٣٠هـ.
٤٢. معاني القرآن وإعرابه، للزجاج أبي إسحاق إبراهيم بن السري، تحقيق: د. عبدالجليل عبده شلبي، عالم الكتب، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.
٤٣. معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى، محمد بن خليفة بن علي التميمي، أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.
٤٤. المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، الطبعة الأولى - ١٤١٢هـ.
٤٥. مكارم الأخلاق، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، دار الوطن، الطبعة: الأولى.
٤٦. ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها، عبدالعزيز ناصر الجليل، دار طيبة، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ.
٤٧. موسوعة الأخلاق الإسلامية، مجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ علوى بن عبدالقادر السقاف، موقع الدرر السننية على الإنترنت [dorar.net](http://www.dorar.net/)
٤٨. موقع الدرر السننية، موسوعة الأخلاق، <http://www.dorar.net/> [enc/akhlaq/561](#)
٤٩. موقع الألوكة، <http://majles.alukah.net/t98739/>
٥٠. موقع صيد الفوائد <http://www.saaid.net/Minute/208.htm>



# المنهج النبوي في تعزيز قيمة الرحمة لدى الصحابة رضي الله عنهم

إعداد:

د. أنس سليمان المصري

محاضر غير متفرغ - الجامعة الأردنية

المؤتمر الدولي في الحكمة في الإسلام

The International Conference on Mercy in Islam  
قسم الدراسات الإسلامية - كلية التربية



## سقراط

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، غافر الذنب وقابل التوب،  
الرؤوف الرحيم، والصلوة والسلام على الرحمة المهدأة، والرأفة المعطاة،  
الصادق البر الأمين، وعلى صحبته الغر الميامين، الهدأة المهديين، ومن  
تبع سمعتهم من أصحاب الخلق الربانيين، ونشر دعوتهم رحمة للعالمين،  
وبعد :

فإن الله ﷺ بدأ كتابه العظيم بعنوان رسالته، وحكمة دينه؛ فشرع  
باسمه الرحمن الرحيم؛ لتشمل رحمته ﷺ المثل للعالمين في الدنيا  
والآخرة، ثم جعلها مفتاح كل سورة في القرآن الكريم؛ بل كانت مفتاحاً  
لكل عمل يشرع به المسلم؛ وقد اتخذها النبي ﷺ فاتحة لرسائل دعوته  
للملوك والأمراء<sup>(١)</sup>؛ كما اتخذها سيدنا سليمان عليه السلام في رسالته إلى ملكة  
سبأ كما في قوله ﷺ : « قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَوِّ إِنِّي أُقْرِئُ إِلَيْكَ بَشَّارَ كَرِيمٌ ۝ إِنَّهُ مِنْ شَيْءِنَّ  
وَإِنَّمَّا يُسَمِّي اللَّهُ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ۝ » [النمل: ٢٩-٣٠].

ثم كرر الله ﷺ هذه الصفة مرة أخرى في فاتحة الكتاب؛ ليكون منهج  
الرحمة أساساً لكل دعوة للإسلام، وكل تعامل أو عمل يقوم به المسلم في

(١) متفق عليه. رواه البخاري، صحيح البخاري، ح(٤١٨٨)، ومسلم، صحيح مسلم، ح(٣٣٢٢)، في رسالته إلى هرقل.

هذه الدنيا، ليس هذا فحسب، بل جاءت في فواتح السور بالبسملات التي اختصها الله ﷺ بالرحمة، وكما جاء كثير من خواتيم الآيات ومضامينها بمفهوم الرحمة الإلهية، وجاءت أوامره ﷺ باتخاذها منهجاً للدعوة، وشعاراً للإيمان، إضافة إلى ما جاء في الأحاديث القدسية والنبوية على ترسیخ هذا المفهوم، وغرسه وتعزيزه في خلق المؤمن ليكون طبعاً نفسياً ثابتاً لا يتغير، الأمر الذي جعل هذه الدعوة أكثر الديانات انتشاراً وأسرعها إقناعاً لعقول البشر وقلوبهم.

ولذلك جاء الأمر الإلهي لاستخلاف الناس وعمارة الأرض، وبناء النفس البشرية، واستغلالها لنشر الدين، من خلال تلك القيم الإسلامية العظيمة المشروعة في الكتاب والسنة، والتي بدورها تضبط سلوك المسلم، وتبني صورته المظهرية والمخبرية.

من هنا جاء دور المنهج النبوي، والشريعة الإسلامية التي قامت على مكارم الأخلاق، وفضائل الأعمال والأذواق؛ لترفس في النفوس خلق الرأفة والرحمة، وتوطئه بالمنهج الرياني بعيداً عن الإفراط أو التفريط، واستغلال تلك القيمة الخلقية الراقية للرقي في تعامل المسلمين فيما بينهم، ومن ثم نشر الدعوة الإسلامية إلى الناس كافة مصداقاً لقول الله ﷺ: ﴿وَمَا أَرْسَنَاكُمْ إِلَّا رَحْمَةً لِّلنَّاسِ﴾ [الأنبياء]: لتجاوز رحمته ﷺ المسلمين إلى غير المسلمين بل إلى عوالم الحيوان والنبات وعوالم أخرى لم ندركها بعد.

ويرتبط خلق الرحمة في النفس البشرية مع غيره من الأخلاق والقيم؛ بحيث يؤثر كل منها على الآخر لتشكل في مجملها نوع الشخصية التي تحمل تلك الأخلاط من الأخلاق؛ في حين يمكن تعزيز تلك الأخلاق الكريمة كل منها على حدة؛ إذ إنها على الرغم من تأثيرها النسبي على بعضها البعض؛ إلا أنه يمكن تمييزها، وفرزها، وتعزيز كل منها بشكل منفصل.

وعلى الرغم من حداثة ذلك المفهوم لدى مختصي علوم التربية والتنمية البشرية إلا أننا نجد أن هذا أسلوبًا متبعًا في المنهج النبوى، إضافة إلى أساليب أخرى تساعد على بناء الشخصية الأخلاقية لدى الصحابة رض بأنواعها المختلفة، وبشكل واضح وفعال، ولا تكون مغامرين -بعد التعمق في دراسة المنهج النبوى- إن قلنا: إن السنة قد سبقت في معرفة تلك القيم الروحية والخلقية المكونة للشخصية، وتوظيفها، والعمل على توجيهها لبناء المجتمع، واستغلالها بمقدار قوتها امتلاكها عند الصحابة رض، وبحسب قدراتهم المختلفة، مما جعلها سلاحًا لخدمة الدعوة الإسلامية، ونشر دين الله ﷻ وعمارة الأرض، فضلًا عما كان يمتلكه صاحب المنهج ﷺ من درجات مرتفعة بشكل ملحوظ للقيم المختلفة، مصداقاً لقوله ﷻ : «لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ» [الأحزاب: ٢١].

وتختلف الشخصيات الإنسانية في درجات امتلاكها لخلق الرحمة؛ إذ يمكن أن تتجلى في شخصيات معينة في حين تحتاج شخصيات أخرى إلى تعزيز أو تطوير ذلك الخلق الرفيع، وذلك إما بسبب البيئة المحيطة كالبادية؛ كما قال ﷻ: «إِنَّ الْقَسْوَةَ وَغَلْظَ الْقُلُوبِ فِي الْفَدَادِينَ عِنْ أَصْوَلِ أَذْنَابِ الْإِبْلِ...»<sup>(١)</sup>، أو الظروف المساعدة على إضعافها كالقتال والجندي، مع الأخذ بعين الاعتبار تميزهم بأخلاق أخرى كالصدق والكرم والشجاعة، من هنا جاء المنهج النبوى ليتمم مكارم الأخلاق<sup>(٢)</sup>.

ولهذا نجد المصطفى ﷻ عمل على غرس وتعزيز الرحمة في قلوب أصحابه بعده طرق مختلفة، وعالج تلك الشخصيات المفتقرة إليها بإزالة أسباب ضعفها، بل تجاوز الأمر إلى أنه كان يعلم الصحابة رض آليات ذلك كله.

(١) متفق عليه. رواه البخاري، صحيح البخاري، ح(٣٥٧)، ومسلم، صحيح مسلم، ح(٧٢).

(٢) حسن. رواه أحمد، المسند، ٣١٨ / ٢، وحسنه الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة / ١١٢، وقال الحاكم: «صحيح على شرط مسلم». انظر: المستدرك، ٦١٣ / ٢.

وقد كان النبي ﷺ القدوة في الرحمة جماء، ولا ينافي ذلك نبوته ﷺ، وليس فتحاً لباب المستشرقين ممن زعموا أن محمداً ﷺ إنما قاد الناس بشخصيته المتميزة وخلقه الكريم لا نبوته، وأن هذا خارج عن الشريعة والوحي الحكيمين، لكنه ﷺ - بلا شك - مع نبوته وتلقيه لوحى السماء كان متصفًا - فطرة - بالرحمة العظيمة فضلاً عن الخلق الرفيع، والحكمة والهدى، إضافة إلى ما حباه الله ﷺ إياه من النبوة، بل إن كثيراً من مواقفه الحكيمية كان مردّها الوحي، فاصطفاه الله ﷺ على الناس في كلا الأمرين؛ نبوته وحسن شمائله.

ولهذا أشار القاضي عياض حيث قال: ”وأما وفور عقله، وذكائه، وقوّة حواسه، وفصاحة لسانه، واعتدال حركاته، وحسن شمائله، فلا مرية أنه كان أعقل الناس وأذكائهم، ومن تأمل تدبيره أمر بواطن الخلق وظاهرهم، وسياسة العامة والخاصة، مع عجب شمائله وبديع سيره، فضلاً عما أفاضه من العلم، وقرره من الشرع، دون تعلم سبق، ولا ممارسة تقدمت، ولا مطالعة للكتب منه؛ لم يمتر في رجحان عقله، وثقوب فهمه لأول بديهة، وهذا مما لا يحتاج إلى تقريره لتحققه“<sup>(١)</sup>.

إن ما تنادي به النظريات التربوية المعاصرة من التخلق بالرحمة والمساواة وحقوق الإنسان والعدالة الاجتماعية، والبعد عن العنف والعصبية والغلو والتطرف ما هي إلا مصطلحات أخرى تحاكي الجوانب البشرية، إلا أنها في حقيقة الأمر - لم تضف إلى المنهج النبوي في بناء القيم الخلقية والإنسانية لدى الصحابة ﷺ إلا تسميات جديدة، توصل واضعوها إلى جزء من منظومة هذا المنهج الرباني في تربية الصحابة ﷺ، إضافة إلى ما عمل به الصحابة ﷺ من الاقتداء بالمنهج النبوي في تربية أبنائهم على القيم الإسلامية؛ لتتسع الدائرة وتستمر جيلاً بعد جيل، على الرغم من بساطة

(١) عياض، القاضي عياض بن موسى اليحصبي، الشفا بتعريف حقوق المصطفى، ٩٣ / ١.

الوسائل المستخدمة في الكشف عن تلك القيم آنذاك، وعدم امتلاك الأدوات الحديثة لتطويرها، أو الدراسات الإحصائية لجمع عناصرها الأساسية.

وفي هذا البحث سنستعرض آليات الكشف عن خلق الرحمة في الشخصية الإنسانية، ومدى براعة المنهج النبوي في ذلك، وما امتلكه الصحابة رض من الفروق الفردية فيه، وطرق تعميمه هذا الخلق وصقله ورفع سويته عند الصحابة رض، ومعالجة النقص الموجود عند بعضهم، من خلال مواقفه المختلفة، فضلاً عن اتصافه رض بتلك القيمة الروحية بشكل واضح، ومدى حكمته رض في توظيفها في شتى نواحي حياته الدعوية، مما جعله رض أكمل الناس وأوصافاً، وأكثرهم تأثيراً في الآخرين.

### مشكلة الدراسة وأهدافها:

تتراوح الدراسات السابقة للبحث بين مراجع قديمة أصيلة تتمحور حول عموم الهدي النبوي في أخلاقه وسنته، أو كتب معاصرة تفصّل أشكال ونماذج رحمته رض في التعامل مع الغير من إنسان أو حيوان أو غير ذلك دون تحليل أو تصنيف أو تقييد، وبين مراجع حديثة تعرض خلق الرحمة باعتباره قيمة إنسانية حسب المناهج التربوية المعاصرة بعيداً عن اتخاذ المرجعية النبوية أساساً لدراساتها؛ باعتبار أن تلك النظريات المعاصرة مصدرها غير إسلامي، ولا تتخذ من الشريعة مرجعاً؛ مما يعزز إلى دراسة معاصرة تربط بين المنهج النبوي باعتباره المرجع الأول والأكمل في الدعوة إلى خلق الرحمة والعمل به، وبين أحدث ما توصلت إليه المعرفة البشرية في تعميق ذلك الخلق أو تعزيزه، والإضافة على تلك المناهج.

### الدراسات السابقة:

- السرجاني، راغب، الرحمة في حياة الرسول صل، ط١، رابطة العالم الإسلامي، ١٤٣٠ هـ.

عرضت الدراسة أوضاع العالم زمن النبي ﷺ، وحاجته إلى الرحمة، مع نماذج من رحمة الرسول ﷺ مع المسلمين وغير المسلمين، إضافة إلى دحض العديد من الشبهات المثارة عن الرسول ﷺ، وكان منها جهاً سرديًّا تصنيفيًّا تحليليًّا؛ إلا أنها -طبيعة الدراسة- لم تعرّض إلى وسائل الكشف والتعزيز والمعالجة للتغيرات وأليات تفعيلها المعاصرة.

٢. ياقوت، محمد مسعد، نبي الرحمة، ١م، ط١، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ٢٠٠٧م.

عرضت الدراسة إلى مظاهر رحمته ﷺ، وشهادات بعض المستشرقين على عظم أخلاقه ﷺ، وساق她 عدة مواقف نبوية متّبعة المنهج السردي دون التأطير والتحليل والتقييد، كما إنها لم تعرّض إلى آليات تعزيز هذا الخلق عند الصحابة وغرسه وتربيتهم عليه الأمر الذي يحتاجه التربويون أو الدارسون المعاصرون لصياغة المناهج التربوية المعاصرة.

٣. الصمدي، خالد، القيم الإسلامية في المنظومة التربوية، ١م، المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، الرباط، ٢٠٠٨م.

عنيت الدراسة بتوضيح عدد من القيم وأليات اكتشاف مؤشراتها، وسبل تعزيزها، والوسائل المستخدمة لذلك، إلا أنها لم تشمل جميع الجوانب وأليات الوسائل، كما أنها لم تتطرق لخلق الرحمة وما يختص بها.

٤. جابر، جابر عبدالحميد، الذكاءات المتعددة والفهم تتميم وتفعيل، ط١، دار الفكر العربي، القاهرة، ٢٠٠٣م.

٥. غاردنر، هاورد، أطر العقل نظرية الذكاءات المتعددة، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض، ٢٠٠٤هـ، ترجمة محمد بلال الجيوسي.

تناولت الدراسات بعض القيم الروحية وتوصيفها، والتعريف بها، إضافة إلى بعض الصفات الشخصية الأخرى، إلا أنهم -بحسب طبيعة البحث- لم تتعارضا لأية خلفيات شرعية أو نبوية؛ كما إنهم عالجتا القيم من منطلق مادي، ومصلحي بعيداً عن المصدرية الإلهية أو الهدف الرباني في خلافة الأرض وإقامة الشرائع.

### منهجية البحث:

اتبع البحث عدة منهجيات متتالية، شكلت في مجملها سلسلة متكاملة متৎقة حسب الآتي:

١. المنهج الاستقرائي غير التام: من خلال استقراء عدد غير قليل من مواقف السيرة النبوية، والشمائل المحمدية؛ لاستخراج أسس المنهج النبوي لتعزيز خلق الرحمة.
٢. المنهج التحليلي والوصفي: من خلال تحليل مواقف السيرة وتحديد الاتجاهات التربوية في خلق الرحمة.
٣. المنهج التصنيفي والتقييدي: ويشمل تصنيف تلك الاتجاهات ومبادئها، وتقعيدها بحسب الأسس التربوية المعاصرة.
٤. المنهج الاستنتاجي والتطبيقي: ويشمل آليات تطبيق تلك المبادئ والاتجاهات المتعلقة بخلق الرحمة من تلك المواقف النبوية، وإلهاق الأسس التربوية المعاصرة معها، وإدماج الوسائل المعاصرة لتطبيقها وتعزيزها، بلغة تربوية معاصرة.



## تمهيد في مفردات العنوان

نعني بالمنهج النبوي في تعزيز قيمة الرحمة لدى الصحابة رض; تلك الآليات والوسائل النظرية والتطبيقية للنبي صل في غرس خلق الرحمة لدى الصحابة رض وتنميته وتطويره، معتمداً على المنهج الرباني؛ ولا يخرج عن إطار القرآن والسنة، سواء كان منطلقه الوحي الكريم أو اجتهاده صل المعتمد على الوحي، ولا يخرج مفهوم المنهج النبوي عن إطار الشريعة الإسلامية.

والمنهج: هو الطريق البين الواضح، وفي التنزيل: «لَكُلٌّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شَرِيعَةً وَمِنْهاجًا» [المائدة: ٤٨] <sup>(١)</sup>.

وهو الطريقة التي يمكن استخلاصها من خلال استقراء أقوال النبي صل وأفعاله وتقريراته، وتصنيفها حسب الأسس والقواعد المشتركة بينها، ليُعمد إلى الإفادة منها وتطبيقاتها.

وقد اعتمد الصحابة رض والعلماء هذا المنهج، وفرّعوا منه وطبقوه.

والقيمة من (قوم) المتضمن معنى الثبات والمحافظة والملازمة والعزم <sup>(٢)</sup>، والاعتدال والاستقامة <sup>(٣)</sup>، وقيام الشيء: نظامه الذي يعتمد عليه <sup>(٤)</sup>.

(١) ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ٢/٢٨٣.

(٢) ينظر: المرجع السابق، ١٢/٤٩٦.

(٣) ينظر: المرجع السابق، ١٢/٤٩٨.

(٤) ينظر: المرجع السابق، ١٠/٤٩٤.

والقيم بإطارها العام هي معايير ثابتة وملازمة، تستند إلى مراجعات تمكّن صاحبها من التفاعل والاختيار، والتحمّل من أجلها لغير منفعة ذاتية<sup>(١)</sup>، وتعزيزها يتم من خلال السُّبُل العقلية والنفسيّة والجسدية.

والتعزيز: هو التقوية والمنعة، والتغليب على ما سواه<sup>(٢)</sup> من الصفات الأخرى.

والرحمة في اللغة: الرقة والتعطف<sup>(٣)</sup>، وفي الشرع: هي رقة تقتضي الإحسان إلى المرحوم، وتستعمل تارة في الرقة المجردة، وتارة في الإحسان المجرد عن الرقة<sup>(٤)</sup>، وهي صفة ثابتة لله ﷺ ثبوتاً يليق بجلاله؛ كما هو منهج أهل السنة والجماعة.

ويمكن الخلوص إلى أن هذه الدراسة مختصة في الطريقة الواضحة المتّبعة الواردة عن النبي ﷺ سواء كانت نظرية أو تطبيقية، والتي من خلالها عمل النبي ﷺ على تقوية وتغليب وتعديل صفة الرحمة عقلياً ونفسياً وتطبيقياً لدى الصحابة ﷺ إلى حد وصلوا فيه إلى المثالية والتمام، وأصبحت جزءاً من نظامهم الذي يتعاملون فيه ويربّون عليه أجيالهم، مستبددين فيه على مرجعية شرعية بعيدة عن المنفعة الشخصية.

#### • هل خلق الرحمة فطري أو مكتسب؟

تسحب معرفة هذا التساؤل على جميع القيم والأخلاق الإنسانية، ويعتمد على إجابته كثير من آليات تطوير وصقل القيم، وأدوات قياسه ومحدّداته.

(١) الصمدي، القيم الإسلامية في المنظومة التربوية، ص ١٨، بتصريف. وقد اقتصر المؤلف على المعايير العقلية والوجدانية، ولا شك أن المهارة والسلوك يُعدان من القيم أيضًا.

(٢) ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ٥/٢٧٤.

(٣) ينظر: الجوهرى، الصاحج، ٥/١٩٢٩.

(٤) المناوى، التوقيف على مهامات التعريف ١/٢٤٥.

ولا بد من الإشارة هنا إلى أن هذه القيمة قد تولد مع الإنسان بدرجة عالية دون تربية أو تعزيز مسبق، وهذا يفسر وجودها بشكل ملحوظ لدى الأطفال أو صغار السن دون تربية أو توجيه، ومن ثم يمكن تعزيز تلك القيمة وتنميتها واكتساب مزيد منها عن طريق التربية والتوجيه والتعزيز<sup>(١)</sup>.

وتتجلى الرحمة الفطرية فيما غرسه الله ﷺ من رحمة الحيوانات بعضها بعضاً، مصداقاً لقوله ﷺ: "حتى ترفع الفرس حافرها عند ولدها خشية أن تصيبه"<sup>(٢)</sup>، إضافة إلى رحمة الأم بولدها، وأمثالها مما قد يتعزز في قلب الإنسان بغض النظر عن دينه أو معتقده، وقد وظّف النبي ﷺ هذه الرحمة الفطرية ليبني عليها ويعزّزها في قلوب المؤمنين باعتبار أن دين الإسلام هو دين الفطرة والخير ومكارم الأخلاق، كما ثبت عنه ﷺ حين رأى المرأة التي بحثت عن ولدها فأذقتها على صدرها ف قال ﷺ: «أترون هذه المرأة طارحة ولدها في النار؟!»، قالوا: لا والله، وهي تقدر على أن لا تطرحه، قال ﷺ: «فالله تعالى أرحم بعباده من هذه بولدها»<sup>(٣)</sup>، فهذه من الرحمة الفطرية عند الأم.

ومن هنا يمكن لأية شخصية مسلمة كانت أو غير مسلمة أن تمتلك خلق الرحمة بشكل ملحوظ، كما يمكن لها أن تفتقر -طبيعة- لهذا الخلق، وهذا يفسر وجود بعض الشخصيات غير المسلمة التي برزت في هذا المجال في حين قد نجد بعض المسلمين لا يتحلّون بهذه الصفة، باعتبار أن أية شخصية يمكنها أن تتمّي لديها هذه القيمة العظيمة، إلا أن الشريعة الإسلامية امتازت بالمنهجية الثابتة المتوازنة المتكاملة

(١) جابر عبد الحميد، الذكاءات المتعددة والفهم، ص ١٢، يتصرف.

(٢) متفق عليه، رواه البخاري، صحيح البخاري، ح ٥٥٤١، ومسلم، صحيح مسلم، ح ٤٩٤٢.

(٣) متفق عليه، رواه البخاري، صحيح البخاري، ح ٥٥٤٠، ومسلم، صحيح مسلم، ح ٤٩٤٧.

في غرس وتعزيز خلق الرحمة مما يضمن تأثيرها والعمل بها دون غلو أو انحراف أو مصلحة شخصية أو آنية، بل من منطلق العدل والمنهج الرياني الحكيم.

### المنهج النبوي في تعزيز قيمة الرحمة لدى الصحابة

يعتمد تعزيز قيمة الرحمة على عدد من الخطوات المتسلسلة منطقياً، يتتصدرها آليات الكشف عن تلك القيمة وتمييزها لدى الصحابة، ليتسنى بعد ذلك العمل على صقلها وتطويرها من خلال وسائلها المتاحة، والكشف عن التغرات ونقاط الضعف ومعالجتها وتقويمها؛ ليتم توظيفها والعمل بها لخدمة الدين وعمارة الأرض.

ويتضمن ذلك ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: المنهج النبوي في الكشف عن خلق الرحمة لدى الصحابة.

المبحث الثاني: المنهج النبوي في تعزيز خلق الرحمة وتمييته وصقله.

المبحث الثالث: المنهج النبوي توظيف خلق الرحمة في الدعوة واستغلاله لخدمة الدين.

وفيهما يأتي تفصيل ذلك.



## المبحث الأول

# المنهج النبوي في الكشف عن خلق الرحمة لدى الصحابة رضي الله عنهم



تعد هذه الخطوة أولى خطوات غرس قيمة الرحمة وتعزيزها، والتي لا يمكن الوصول إليها دون معرفة الدرجة التي يتمتع بها الفرد من هذا الخلق الجليل؛ ليعمد إلى معالجة النقص أو ربط ما هو مكتسب بالمنهج الرباني.

وقد اعتمد المنهج النبوي -في الكشف عن تلك القيمة الأخلاقية لدى الصحابة رضي الله عنهم- عدّة طرق مختلفة؛ كالسؤال المباشر، أو المراقبة والمتابعة (تحديد المؤشرات)، أو التحفيز والمنافسة.

كل ذلك أعطى النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه معرفة تامة بمستويات خلق الرحمة التي يتمتع بها الصحابة رضي الله عنهم.

وينصي المنهج النبوي في الكشف عن خلق الرحمة على ثلاثة مطالب:

## المطلب الأول

### السؤال المباشر

٢٠٢

استخدم النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه أسلوب السؤال المباشر باعتباره أحد الوسائل الممكنة

للكشف عن درجة هذا الخلق؛ كما روى الشيخان عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه قبل الحسن والحسين؛ فلاحظ استغراب الأقرع بن حابس من ذلك حين سأله: تقبلون صبيانكم؟، فاستفسر النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه عن ذلك فعلم أن الأقرع وقومه من أهل البدية لا يقبلون أبناءهم؛ فقال صلوات الله عليه وآله وسلامه: «أوْ أملك لك أن نزع الله من قلبك الرحمة؟»<sup>(١)</sup>.

ومن خلال ذلك الموقف استطاع النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه أن يقيم مدى الرحمة التي يتمتع بها الأقرع وقبوته؛ باعتبار أن التقبيل هو أحد علامات ذلك الخلق الكريم؛ فوجّهه إلى الاهتمام بتلك الصفة والعمل على غرسها وتعزيزها في قلبه.

## المطلب الثاني المراقبة والمتابعة (تحديد المؤشرات)

تزيد المراقبة والمتابعة ملاحظة الدلالات المصاحبة للمواقف المختلفة، واستخراج المؤشرات القابلة للملاحظة؛ سواء كانت مؤشرات سلبية أو إيجابية؛ ليعمد إلى تقويم السلبية منها، ويُكشف عن المؤشرات الإيجابية لتعزيزها وفق استراتيجيات محددة، وذلك بعد تصنيفها وتحديد مستوياتها المختلفة<sup>(٢)</sup>.

وهذا من أكثر الأساليب استخداماً وكشفاً عن القيم والطبائع المختلفة بشكل عام، وعن الرحمة خاصة، ويعتمد على جمع المعلومات من خلال المواقف المتعددة؛ فكثيراً ما كان النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه يراقب أصحابه رضي الله عنه أو غير أصحابه من المشركين أو غيرهم ليعرف مدى امتلاكهم لخلق الرحمة، وتوجيههم بناء على هذه المعرفة التراكمية.

(١) متفق عليه. رواه البخاري، صحيح البخاري، ج(٥٥٣٩)، ومسلم، صحيح مسلم، ج(٤٢٨١).

(٢) الصمدي، القيم الإسلامية في المنظومة التربوية، ص ٧٣، بتصرف.

لذا نجده ﷺ كثيراً ما يوكل مهاماً معينة لأشخاص بأعينهم؛ يصعب من خلالها معرفة سبب اختيار ذلك الشخص دون غيره، إلا ما كان عند النبي ﷺ عنه من المعرفة المسبقة الناتجة عن المراقبة والمتابعة؛ كما ثبت عنه ﷺ الاستعانة ببعض المشركين في بداية الدعوة؛ كعمه أبي طالب على الرغم من عدم إسلامه<sup>(١)</sup>، وكما وَجَّهَ الصَّحَابَةُ ﷺ من الهجرة إلى الحبشة لما عند حاكمها من العدل والرأفة بالناس<sup>(٢)</sup>.

وقد كان يلحظ النبي ﷺ من أصحابه ﷺ ما كانوا يمتازون به من الرحمة؛ ليُعمد إلى تعزيزها أو تقويمها في حال خروج شيء منها عن منهج الشريعة الإسلامية؛ كما ثبت عنه ﷺ لما رأى أبا مسعود البدربي يضرب غلاماً له: فقوم ذلك بمزيد من غرس الرحمة والرأفة في قلبه قائلاً: «الله أقدر عليك، منك عليه»<sup>(٣)</sup>.

وقد استخدم الصحابة ﷺ ذلك الأسلوب -أيضاً- في مراقبة النبي ﷺ في تصرفاته ومعرفة مدى الرحمة التي كان يتمتع بها ﷺ؛ لما تبوا في قلوبهم من مكانة الاقتداء والتشريع؛ فقد ثبت عن أنس ﷺ أنه راقب خلق النبي ﷺ في التعامل معه وهو يخدمه، وعلم ما كان في خلقه القويم من الرحمة والرأفة والشعور بالآخرين، فقال ﷺ: خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين فما قال لي: أَفْ، وَلَا: لَمْ صنعت؟، وَلَا: أَلَا صنعت<sup>(٤)</sup>، وقوله ﷺ: «ما رأيت أحداً أرحم باليمال من رسول الله ﷺ»<sup>(٥)</sup>.

(١) انظر: البخاري، صحيح البخاري، ج(١٢٧٢)، ومسلم، صحيح مسلم، ح(٣٥).

(٢) انظر: البخاري، صحيح البخاري، ج(٢٩٠٣) ومسلم، صحيح مسلم، ح(٤٥٥٨).

(٣) صحيح. رواه مسلم، صحيح مسلم، ح(٣١٣٥).

(٤) صحيح. رواه البخاري، صحيح البخاري، ج(٥٥٧٨).

(٥) صحيح. رواه مسلم، صحيح مسلم، ح(٤٢٨٠).

## المطلب الثالث الحث والمنافسة

كثيراً ما يُستخدم أسلوب المنافسة والتحفيز والإثارة لمعرفة مدى الخلق الذي يتمتع به الشخص؛ ويكون ذلك من خلال وضعه في تحدي مع نفسه، أو وعده بمكافأة أكبر من التضحية أو الجهد الذي سيبذله تلقاء الرحمة التي سيتمتع بها، مما يكشف مدى الصبر والرأفة التي وصلت إليها نفوس الصحابة رض لتوظيفها واستغلالها في خدمة الدين.

ومن هنا، حضَّ النبي ﷺ على اتباع خلق الرحمة في التعامل مع جميع الخلق؛ ليدخل في ذلك الحيوان والنبات والجماد، والمملوك وغير الم المملوك، بل وحتى الكافر؛ كما في قوله ﷺ: «لا يرحم الله من لا يرحم الناس»<sup>(١)</sup>، دون اعتبار لجنس أو دين أو نسب<sup>(٢)</sup>. والأمثلة على ذلك كثيرة.

منها ما أعطاه النبي من الحث والمنافسة على تحصيل رحمة الله وتلمس أوقات إجابتها، وأسبابها؛ ليكشف مدى الهمة التي يمكن للصحابي أن يتحصلوا بها رحمة الله ﷺ في قوله ﷺ: «إن الله تعالى يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل»<sup>(٣)</sup>، فإذا «مضى شرطى الليل أو ثلاثة، ينزل تبارك وتعالى إلى السماء الدنيا، فيقول: هل من سائل يعطى؟ هل من داع يستجاب له؟ هل من مستغفر فيغفر له؟ حتى ينفجر الصبح»<sup>(٤)</sup>.



(١) منفق عليه. رواه البخاري، كتاب التوحيد، باب دعاء النبي ﷺ أمهه إلى توحيد الله ﷺ، (٦٩٤١)، ومسلم، كتاب الفضائل، باب رحمته ﷺ بالصبيان والعياش وتواضعه وفضل ذلك (٢٢١٩).

(٢) ينظر: المباركفوري، تحفة الأحوذى، ٤٢ / ٦.

(٣) صحيح. رواه مسلم، صحيح مسلم، ح ٢٧٥٩.

(٤) صحيح. رواه مسلم، صحيح مسلم، ح ٧٥٨.

## المبحث الثاني

# المنهج النبوي في تعزيز خلق الرحمة وتنميته وصقله



يعتمد تعزيز خلق الرحمة - غالباً - على معرفة مدى امتلاك الصحابة رض لها، وأحياناً ما يعزز المنهج النبوي هذا الخلق ويغرسه في قلوب المسلمين دون النظر إلى درجاته المقاوطة لدى كل منهم؛ وعلى كلتا الحالتين فقد استخدم المنهج النبوي ذلك الخلق الكريم لتوجيه سلوك المسلم وتربيته بغض النظر عما كان الشخص يملك ذلك الخلق بنسبة ملحوظة منذ ولادته أو أنه اكتسبها بسبب ظروف أو بيئه أو تربية لاحقاً.

وقام المنهج النبوي في تعزيز خلق الرحمة وتنميته لدى الصحابة رض من خلال طرق عدة، نلخصها فيما يلي:

## المطلب الأول

### توظيف البيئة المحيطة لتعزيز خلق الرحمة

يمكن للبيئة أن تكون الوسيلة الأقوى في ترويض المسلم على خلق الرحمة، من خلال عناصره المحيطة به، والتي ما يزال يتعامل معها باستمرار باعتبارها أكثر الوسائل احتكاكاً به؛ سواء كانت بيئه أسرية أو مجتمعية أو غيرها من المواقف المساندة.

وتشمل البيئة في عصرنا الحاضر مناهج التعليم ووسائل الإعلام والتواصل؛ إضافة إلى الأسرة والأصدقاء وغيرها من العوامل المحيطة بالفرد؛ بدرجات متفاوتة بالتأثير والتربية.

كما يمكن خلق بيئه محددة من خلال مناهج دراسية، أو بيئه مغلقة، أو دورة تدريبية، أو نشاط تعزيزي أو غير ذلك<sup>(١)</sup>، وهدف البيئة قائم على التربية والتعليم والتأهيل المستمر لتعزيز خلق الرحمة؛ بحيث إن فقدت البيئة المحيطة بالفرد؛ كالغرابة أو طبيعة العمل أو وقوع ظرف خاص، فإنه يستعاض عنها ببيئه صفرى مفعولة.

ومن هنا أمر الإسلام بالتفاعل مع الفقراء والضعفاء والمساكين والأيتام، وعيادة المرضى، ومخالطة الخدم والعييد، ومؤاكلتهم ومعاشرتهم؛ كل ذلك يشكل بيئه تعزز في قلب المسلم الرحمة والرأفة وتعظيم نعمة الله ﷺ.

إلا أنه لم يقتصر على ذلك؛ بل أمر بالرحمة صراحة في التعامل مع كل عنصر من عناصر البيئة؛ سواء كان قريباً أو بعيداً؛ ابتداء من الوالدين في قوله ﷺ: «وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الْذَّلِيلِ مِنَ الرَّحْمَةِ» [الإسراء: ٢٤]، وذوي القربى واليتمى والمساكين وابن السبيل، والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل؛ ولهذا ختم الله ﷺ وصيته في آخر الآية بالبراءة من الكبر والقسوة التي تناقض الرحمة بقوله: «إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُحْتَلًا فَخُورًا» [النساء: ٣٦].

حتى أمر بذلك الخلق النبيل في التعامل مع الحيوان الأعمى والطير وغير ذلك؛ كما في قوله ﷺ: «وَالشَّاةُ إِنْ رَحْمَتْهَا رَحْمَكَ اللَّهُ»<sup>(٢)</sup>، حتى إنه ﷺ كان رحيمًا بالجماد حين مسح على الجذع رحمة بحنينه إلى أن يخطب عليه<sup>(٣)</sup>.

(١) الصمدي، القيم الإسلامية في المنظومة التربوية، ص ٧٧، يتصرف.

(٢) رواه أحمد، المسند، (١٥٦٣)، والحاكم، المستدرك: (٧٥٦٢) وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه»، وقال الألباني: «صحيح»، ينظر: صحيح الترغيب والترهيب (٢٢٦٤).

(٣) صحيح. رواه مسلم، صحيح مسلم، ح (٣٣١٨).

وقد استخدم النبي ﷺ المواقف المختلفة لتعزيز خلق الرحمة والرأفة في قلوب الصحابة ﷺ؛ حين قدم ﷺ بسيبي، فإذا امرأة من السبي تسعى قد تحب ثديها، حتى إذا وجدت صبياً في السبي أخذته فأ LZ قته بيطنها فأرضعته، فقال رسول الله ﷺ: «أترون هذه المرأة طارحة ولدها في النار؟»، قالوا: لا والله، وهي تقدر على أن لا تطرحه، قال ﷺ: «فالله تعالى أرحم بعباده من هذه بولدها»<sup>(١)</sup>، فاستغل النبي ﷺ هذا الموقف ليُظهر للصحابة ﷺ مدى رحمة الله ﷺ، ويعزز في نفوسهم مدى عظم هذا الخلق العظيم؛ ليتخلقوا به، ويمارسوه، و يجعلوه أساساً في طبائعهم.

وقد تكرر ذلك في مواقف عدّة؛ منها ما رواه كعب بن مالك عن أبي قتادة بن ربيع أنه كان يحدث: أن رسول الله ﷺ مر عليه بجنازة فقال: «مستريح، ومستراح منه»، قالوا: يا رسول الله! ما المستريح والمستراح منه؟، قال: «العبد المؤمن يستريح من نصب الدنيا وأذاتها إلى رحمة الله، والعبد الفاجر يستريح منه العباد والبلاد والشجر والدواب»<sup>(٢)</sup>.

وهكذا؛ ما زال الهدي النبوي يعزز هذا المفهوم لدى الصحابة ﷺ حتى أصبح جزءاً ركيزاً من طباعهم وملكات أفعالهم؛ ففتحوا به البلاد وقلوب العباد.

## المطلب الثاني تأثير خلق الرحمة وضبطه بالمنهج الرباني

إن خلق الرحمة لا يفضي إلى الذل والخضوع في غير ما أمر الله به، ولا يقتضي العمل به أن يكون المسلم منعدم العزة والشجاعة والدفاع عن الحق

(١) متفق عليه. رواه البخاري، صحيح البخاري، ح(٤٩٤٧)، ومسلم، صحيح مسلم، ح(٥٥٤٠).

(٢) متفق عليه. رواه البخاري، صحيح البخاري، ح(٦٠٣١)، ومسلم، صحيح مسلم، ح(١٥٧٩).

والدين؛ كما يزعم بعض المنحرفين من الصوفية أو الرهبانية أو غيرهم من الديانات والمناهج غير السوية؛ ولهذا وضع الله ﷺ أطراً متعددة لهذا الخلق؛ حتى لا يستغل بطريقه خطأ، أو يترك لشبهة مضلة تدعى نصرة الدين وإعلاء كلمة الله ﷺ.

وتوضح الصورة في قوله ﷺ واصفاً المؤمنين: ﴿أَشَدَّهُمْ عَلَى الْكُفَّارِ رُحْمَاءٌ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩]، وقوله ﷺ: ﴿وَرَحْمَتِي وَسَعَتْ كُلُّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَنْقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَوةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِإِيمَانِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ [١٥٦] ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ الَّتِي أَلْأَمَّتْ﴾ [الأعراف: ١٥٧-١٥٦].

ومن جهة أخرى فإن الله ﷺ قال في الحديث القديسي: «إن رحمتي تغلب غضبي»<sup>(١)</sup>، وتواترت الأحاديث على أن الله شديد الرحمة بعباده الذين يستحقون تلك الرحمة؛ فقد «جعل الله الرحمة مئة جزء؛ فأمسك عنده تسعة وتسعين جزءاً، وأنزل في الأرض جزءاً واحداً، فمن ذلك الجزء يتراحم الخلق، حتى ترفع الفرس حافرها عند ولدها خشية أن تصيبه»<sup>(٢)</sup>، وغيرها الكثير من الآيات والأحاديث المتواترة في هذا المعنى.

فيبقى المؤمن بين الانضباط والالتزام بما أمر الله ﷺ ورسوله ﷺ به، وبين رجائه برحمة الله الواسعة؛ ليدخل في إطار متوازن بعيد عن الجفاء أو الغلو في التعاطي مع هذا الخلق سواء في تعامله مع الغير أو تفاعله مع الأوامر الربانية.

وقد طبق هذا الانضباط نبي الرحمة ﷺ حين توفي ابنه إبراهيم عليه السلام؛ فكانت رحمته به أعظم ما تكون لابن من أبيه؛ فدمعت عيناه وهو يراه يوجد بنفسه؛ فعجب الصحابة ﷺ من بكائه فقال ﷺ: «إن العين تدمع، والقلب يحزن، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا، وإنما بفارقك يا إبراهيم

(١) متفق عليه. رواه البخاري، صحيح البخاري، ح(٦٨٥٥)، ومسلم، صحيح مسلم، ح(٤٩٣٩).

(٢) متفق عليه. رواه البخاري، صحيح البخاري، ح(٥٥٤١)، ومسلم، صحيح مسلم، ح(٤٩٤٢).

لحزونون<sup>(١)</sup>; فلم تدفعه رحمته ﷺ إلى الخروج عن إرادة الله وطاعته والرضي بقدرها.

وقد أمر ﷺ بهذا المنهج أيضًا أصحابه ﷺ؛ فحين توفي عثمان بن مظعون ﷺ، حزنت أم العلاء، فدفعتها رحمتها به أن تقول: رحمة الله عليك أبا السائب!؛ فشهادتي عليك لقد أكرمك الله؛ فعلمها النبي ﷺ أن لا تأخذها العاطفة والرأفة والرحمة إلى التألي على الله فقال: «وما يدريك أن الله أكرمه؟»، فقالت: لا أدرى بأبي أنت وأمي يا رسول الله!، فقال ﷺ: «أما عثمان فقد جاءه اليقين وإنني لأرجو له الخير، والله ما أدرى وأنا رسول الله ما يفعل بي»<sup>(٢)</sup>؛ فكانت ﷺ لا تزكي بعده أحدًا أبدًا، عملاً بمنهج النبوة في تأطير خلق الرحمة والرأفة بإسلام الأمر إلى الله دون المغالاة أو الشهادة لأحد بجنة أو نار.

وعلى ذلك يمكن استغلال المواقف أو الظروف والبيئات المحيطة لتعزيز خلق الرحمة وضبطه بالمنهج الرياني، بعيدًا عن البيئة المادية البعيدة عن القيم والأخلاق في التعامل والشعور مع الآخرين، وترك الانحراف في الفهم الدافع إلى الرهبانية والتعدي على حقوق الله ﷺ وإراداته في خلقه، أو اتخاذ الدينية في الدين.

ومن ناحية أخرى؛ فإن المنهج النبوي كان رياضيًا في تجنب المبالغة في الرحمة دون العدل، فيقع بمقتضاهما الظلم؛ إذ يمكن أن تأخذ القاضي أو الحكم مبالغة في الرحمة إلى حد تضييع فيها الحقوق، وتختل بسببها العدالة والحكمة؛ ولهذا لما سأله أبو ذر الغفارى ﷺ الإمارة منعها النبي ﷺ عنه؛ لأن أبو ذر ﷺ يتمتع بقيم روحانية وعاطفية عالية تمنعه من أن يكون شديداً حازماً في مواقف الحزم التي يحتاجها الوالى، فخاف عليه ﷺ من أن تأخذه رحمته وعاطفته على الناس من أن يحاسب بعضهم

(١) متفق عليه. رواه البخاري، صحيح البخاري، ج(١٢٢٠)، ومسلم، صحيح مسلم، ج(٤٢٧٩).

(٢) صحيح. رواه البخاري، صحيح البخاري، ج(٢٤٩٠).

أو يعاقب آخرين، فضرب النبي ﷺ على منكبيه، ثم قال: «يا أبا ذر! إنك ضعيف، وإنها أمانة، وإنها يوم القيمة خزيٌ وندامة إلا من أخذها بحقها، وأدّى الذي عليه فيها»<sup>(١)</sup>.

### المطلب الثالث القدوة ورسم الأنموذج

لقد امتاز المنهج النبوي عن كافة المناهج التربوية والأخلاقية الأخرى أن الله ﷺ بعث نبيه أسوة وقدوة، ومثالاً على تطبيق شرعه، ودليلًا على أن هذا الدين بكافة منظوماته العقدية والتبعدية والأخلاقية يدخل ضمن حدود القدرة البشرية، وتفسيراً لكتير من النصوص التي قد يختلف على فهمها نظرياً.

إضافة إلى أن النبي ﷺ بدايةً كان متصفًا بحسن الشمائل والأخلاق، إلى جانب غيرها من الصفات البشرية الأخرى؛ مصداقاً لقوله ﷺ: **﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أَسْوَأُ حَسَنَةٍ﴾** [الأحزاب: ٢١]، و قوله ﷺ: **﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾** [القلم]، وكما قال حسان بن ثابت:

وأحسن منك لم تر قط عيني      وأجمل منك لم تلد النساء  
خُلقت مبرأً من كل عيب      كأنك قد خلقت كما تشاء<sup>(٢)</sup>

قال المناوي: ”لحيازته جميع المحسنات والمكارم وتكاملها فيه، ولما اجتمع فيه من خصال الكمال وصفات الجلال والجمال ما لا يحصره حد ولا يحيط به عد“<sup>(٣)</sup>.

وكما أسلفنا في المقدمة فإن ذلك كان منشئه شخصية النبي ﷺ، إضافة

(١) صحيح رواه مسلم، صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب كراهة الإمارة بغير ضرورة، ح (٣٤٠٤).

(٢) حسان بن ثابت، ديوان حسان بن ثابت، ٦٦ / ١.

(٣) المناوي، فيض القديرين، ٩٠ / ٥.

إلى ما حباه الله ﷺ من النبوة، فليس فيه مدخل لأهل التأويل أن يدعوا عجز الإنسانية عن التأسي به لخصوصية نبوته، كما لا يُسب تفرّده في تمام الأخلاق إلى ذاته ليس بمنه المغرضون نبوته فينسبون إنجازاته إلى بشريته؛ وإنما كل منهما تمنتت به شخصيته الفدّة ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلنَّاسِ﴾ [الأنبياء] ١٧ من في الدنيا والآخرة فقال: **﴿رَسُولُنَا مَنْ أَفْسِحْنَا لَهُ مَسْطَحَ الْمَاءِ﴾** [التوبه] ١٢٣.

رحمه لهم من مشقة الدنيا وعنائها، وهول الآخرة وعدابها؛ فكان من طبعه الرفق واللين، وفي قلبه العطف والرأفة، أرسله الله ﷺ من أنفس الناس يشعر بشعورهم، ويعز عليهم كدهم وعنتهم كما وصفه الله ﷺ: **﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَءُوفُ رَّحِيمٌ﴾** [التوبه] ١٢٤.

وتمثلت هذه القيمة الرفيعة في منهجه ﷺ؛ فكم فاضت عيناه على صاحبته رحمة بهم، وكم اعتصر قلبه على أمته حرضاً عليهم؛ حتى سلاه الله ﷺ بقوله: **﴿لَعَلَّكَ بَنْجُونَ فَسَكَ أَلَا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾** [الشعراء] ٢٣، فكان قدوة يحتذى برحمته، كما ثبت عنه ﷺ أنه أتي بطفل قضى، فرفع إليه ونفسه تتقدّع ففاضت عيناه الشريفتان ﷺ. فقال سعد: يا رسول الله، ما هذا؟، فقال: «هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء»<sup>(١)</sup>، فكان ﷺ مثلاً للرحمة، يأمر بها ويتمثلها، كما ثبت عن أسامة ابن زيد **ﷺ** حين قال: كان رسول الله ﷺ يأخذني فيقعدني على فخذه، ويُقعد الحسن على فخذه الأخرى، ثم يضمهما، ثم يقول: «اللهم ارحمهما؛ فإنّي أرحمهما»<sup>(٢)</sup>، وكان **ﷺ** يلاعب أمامة بنت أبي العاص على كتفيه<sup>(٣)</sup> وأم خالد بنت خالد بن سعيد<sup>(٤)</sup> وهن طفال.

(١) متفق عليه. رواه البخاري، صحيح البخاري، ح(١٢٠٤)، ومسلم، صحيح مسلم، ح(١٥٣٠).

(٢) صحيح. رواه البخاري، صحيح البخاري، ح(٥٥٤٤).

(٣) صحيح. رواه البخاري، صحيح البخاري، ح(٥٥٣٧).

(٤) صحيح. رواه البخاري، صحيح البخاري، ح(٥٥٣٤).

## المطلب الرابع

### استخدام المثيرات والوسائل المناسبة

من أهم العوامل المساعدة على تعزيز خلق الرحمة لدى المربى، أو المعلم؛ اختيار الوقت المناسب، والوسيلة المناسبة لتوظيف ظرف معين، وإيصال فكرة ما، ويطلب ذلك قدرًا عالٍ من المهارة للتوفيق بين تلك الظروف، واستغلالها لإسقاط قدر عالٍ من التأثير على المخاطبين، وتطلّعًا لأن تكون أذهان السامعين أنشطً، ونفوسهم أكثر استعدادًا للاستجابة والتأثر، وقلً من برع بهذا على مدى كثير من العصور.

وتعنى المثيرات والوسائل التعزيزية بزيادة الانتباه والاهتمام لدى المتعلم؛ مما يتاسب طرديًا مع التفاعل الإيجابي لتعلم خلق الرحمة وتطبيقه، واتخاده منهجاً في الحياة وليس موقفاً مؤقتاً؛ لتصل بالسامع إلى الاقتناع به والدفاع عنه؛ بل والتضحية لأجله، والمبادرة إلى نقله للآخرين<sup>(١)</sup>.

ولقد كان المنهج النبوى رائداً في استخدام تلك الوسائل والمثيرات في غرس خلق الرحمة، وتوظيفها للدعوة والدين، كما كان للنبي ﷺ عصا السبق في ذلك؛ ليس بسبب الوحي فحسب، بل بما وهبه الله ﷺ من الخلق العظيم المكون لشخصيته الشريفة ﷺ، مصداقاً لقوله ﷺ: «وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ» [القلم].

ومن أعظم المثيرات ووسائل التحفيز التي اتبعها المنهج النبوى لتعزيز خلق الرحمة ما جعلت له من المثوبة والرفة، وما بنت عليه الأجر العظيم؛ سواء كانت رحمة بالقريب أو البعيد؛ إنساناً أو حيواناً أو حتى غير ذلك، كما صَحَّ عنَّه ﷺ أنه قال: «ما من الناس من مسلم يُتوفى له ثلث لم يبلغوا

(١) الصمدي، القيم الإسلامية في المنظومة التربوية، ص ٩٤-٩٨، بتصرف.

وقد ورد عن النبي ﷺ أحاديث عدّة استخدم فيها منهج الترغيب والმثیرات والوسائل النفسية ليغرس في طبع المسلم هذا الخلق الكريم كما ورد عنه ﷺ أن موقعاً واحداً في الرحمة يغفر للعبد ذنبه التي أسلفت؛ وضرب لذلك مثل البغي من بغايا يبني إسرائيل؛ كافأها الله لرحمتها بكلب كاد العطش أن يقتله؛ فسقته فغفر الله لها به<sup>(٥)</sup>، على الرغم من عظم الكبيرة التي اعتادت عليها.

(١) صحيح. رواه البخاري، صحيح البخاري، ح (١١٧١).

(٢) صحيح: رواه الترمذى، سنن الترمذى، ج ١٩٢٤. وقال: «حسن صحيحى، وصححه الألبانى، السلسلة الصحيحة، ج ٩٢٢».

(٣) صحيح. رواه الترمذى، سنن الترمذى، ح (١٩٢٤). وقال: «حسن صحيحى، وصححه الألبانى، السلسلة الصحيحة، ح (٩٢٢).

(٤) متفق عليه. رواه البخاري، صحيح البخاري، ح(٥٥٤١)، ومسلم، صحيح مسلم، ح(٤٩٤٢).

(٥) متفق عليه. رواه البخاري، صحيح البخاري، ح(٣٢٠٨)، ومسلم، صحيح مسلم، ح(٤١٦٤).

ومن جهة أخرى فقد ورد هذا الأسلوب أيضاً في الترهيب من الشدة والغلوطة في غير موضعها؛ كما في قوله ﷺ: «إِنَّ الرَّفِقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يَنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ»<sup>(١)</sup>، وقوله ﷺ: «لَا يَرْحَمُ اللَّهُ مَنْ لَا يَرْحَمُ النَّاسَ»<sup>(٢)</sup>، حتى أنه جعل الخير كله في الرفق فقال: «مَنْ يَرْحَمُ الرَّفِيقَ؛ يُحْرِمُ الْخَيْرَ»<sup>(٣)</sup>.

## المطلب الخامس التحلم والتربية المستمرة

ارتکز المنهج النبوی في تربية الصحابة ﷺ، سواء على الرحمة أو غيرها من مكارم الأخلاق على غرس تلك القيم إيمانياً وتعلماً بشتى الوسائل المرئية من المواقف أو المسومة من الآيات والأحاديث؛ إلا أن بعض الصحابة ﷺ كانوا يتصرفون بتلك الصفة فطرة؛ فكان دور المنهج النبوی بتعزيز تلك الصفة والرقي فيها وتطویرها، إضافة إلى توظيفها للدعوة الإسلامية ونشر الدين وتعليم الناس.

وقد أمرت السنة النبوية بتربية النفس على الخلق القويم، وخاصة على الرحمة والحلم والأنانية؛ لما ورد عن النبي ﷺ قوله: «إِنَّمَا الْعِلْمُ بِالْعِلْمِ، وَالْحَلْمُ بِالْحَلْمِ»<sup>(٤)</sup>؛ وهو أمر واجب على كل مسلم، أن يتعلم حدود الرحمة، وألياتها، وفضائلها، إضافة إلى تربية نفسه على الرحمة، والعمل بها ومجاهدة نوازع النفس من الخروج عنها بأمر كالغضب أو العصبية أو

(١) صحيح. رواه مسلم، صحيح مسلم، ح(٤٦٩٨).

(٢) صحيح. رواه البخاري، صحيح البخاري، ح(٦٨٢٨).

(٣) صحيح. رواه مسلم، صحيح مسلم، ح(٤٦٩٦).

(٤) حسن. رواه الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ٩/١٢٧، وحسنه الألباني، صحيح الجامع الصغير، ح(٢٢٢٨).

الغلظة والشدة في غير مواضعها المشروعة، سواء كانت تلك التربية قائمة على التدرج أو التعلم أو التربية المستمرة للنفس والغير.

وبهذا أمرت السنة النبوية حتى تصبح هذه الصفة الحميدة طبعاً لا يتغير مع تغير الظروف والأشخاص كما ورد عن النبي ﷺ حين قال: «والذي نفسه بيده، لا يضع الله رحمته إلا على رحيم»، قالوا: يا رسول الله، كلنا يرحمون، قال: «ليس برحمة أحدكم صاحبه؛ يرحم الناس كافة»<sup>(١)</sup>.

لذلك يحتاج غرس خلق الرحمة في النفس المسلمة وتعزيزه إلى عملية متتابعة من التربية المتواصلة، والتعليم المستمر لفضل هذا الخلق ومكانته في الإسلام للوصول إلى المستوى المطلوب من الخلق الكريم، مما يوجب تكثيف السبل والمناهج التربوية التي تستند إلى مراحل ومستويات تكاملية من الطفولة إلى ما بعدها.

ولا يخفى على المختصين والمطلعين على السنة النبوية أن الأسلوب النبوي كان متصرياً في ذلك ومعتمداً بشكل كبير على تربية شخصيات الصحابة ﷺ وبنائهما، بحسب الفروق الفردية التي يمتلكها كل منهم من الرحمة الفطرية أو المكتسبة؛ ليعمد إلى تطويرها وتدريبها في مواقف عدّة؛ فلما جاءه ﷺ سبي في معركة ما، فإذا امرأة من السبي قد تحلب ثديها تسقي، إذا وجدت صبياً في السبي فأخذته، فألصقته بيطنها وأرضعته، فقال النبي ﷺ موظفاً هذا الموقف بمهارة تواصلية نفاذة: «أترون هذه طارحة ولدتها في النار؟»، قلنا: لا، وهي تقدر على أن لا تطرحه، فقال: «للله أرحم بعباده من هذه بولدها»<sup>(٢)</sup>، فان Gems ذلك المفهوم في قلوب الصحابة

(١) صحيح. رواه الحاكم، المستدرك على الصحيحين، ج (٧٣١٠)، وقال: «صحيح الإسناد»، وصححه الألباني، صحيح الترغيب والترهيب، ج (٢٢٥٣).

(٢) متفق عليه. رواه البخاري، صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله معانقته،

وعقولهم، وصار مكوناً أساسياً في شخصياتهم، وعاملًا مؤثراً في تصرفاتهم مع الله ﷺ، ومع الناس، وظهرت حكمة المنهج النبوى في إظهار عظمة الله ﷺ وسعة رحمته بالناس باستخدام التأديب والتعليم والتربية.

## المطلب السادس

### الدعاة وطلب الإعانة من الله ﷺ

### على التخلق بخلق الرحمة

لقد تميّز المنهج النبوى عن غيره من المناهج التربوية الأخرى -سواء كانت منهاج ذات مراجع دينية أو مادية- بالعامل الروحى المتمثل بسؤال الله ﷺ رحمته والاستعاذه من سخطه وغضبه؛ كما ثبت عن النبي ﷺ في مواضع يصعب حصرها لكثرتها وروادها وتعددتها؛ منها ما جاء في القرآن الكريم؛ كقوله ﷺ: «وَقُلْ رَبِّ أَغْفِرْ وَأَرْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ» ﴿١٦﴾ [المؤمنون]، وك قوله ﷺ: «وَأَعْفُ عَنَّا وَأَغْفِرْ لَنَا وَأَرْحَمْنَا» [البقرة: ٢٨٦]، كما ورد عن النبي ﷺ في قوله ﷺ: «... وَارْحَمْنِي إِنْكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ»<sup>(١)</sup>، و قوله ﷺ: «اللَّهُمَّ افْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ»<sup>(٢)</sup>.

كما كان من منهجه ﷺ أنه كان يستعيد من سخط الله وغضبه كما في دعائه ﷺ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ زُوالِ نِعْمَتِكَ، وَتَحْوُلِ عَافِيَّتِكَ، وَفِجَاءَةِ نِقْمَتِكَ، وَجَمِيعِ سُخْطَكَ»<sup>(٣)</sup>، و قوله ﷺ: «وَلَا تَسْلِطْ عَلَيْنَا مِنْ لَا يَرْحَمْنَا»<sup>(٤)</sup>، وأمثال ذلك كثيرة.

ح(٥٩٩٩)، ومسلم، صحيح مسلم، كتاب التوبه، باب في سعة رحمة الله ﷺ وأنها سبقت غضبه، ح(٢٧٤٥).

(١) منقى عليه. رواه البخاري، صحيح البخاري، ح(٥٨٥١)، ومسلم، صحيح مسلم، ح(٤٨٧٦).

(٢) صحيح. رواه مسلم، صحيح مسلم، ح(١١٦٥).

(٣) صحيح. رواه مسلم، صحيح مسلم، ح(٧٥١).

(٤) حسن. رواه الترمذى، سنن الترمذى، ح(٢٧٨٣)، وقال: «حديث حسن غريب»، وحسنـه الألبانـى،

إضافة إلى ما أنس ذكره فقد أرشد المنهج النبوى إلى تربية النفس من خلال طلب المسلم أن يرزقه هذا الخلق النبيل ويصرف عنه الشدة والغلظة في غير موضعهما، الأمر الذي لا يراعيه أي منهج تربوي أو مدنى معاصر، كما ثبت عنه ﷺ أنه استعاد من منكرات الأخلاق، والأعمال<sup>(١)</sup>، كما ثبت عنه ﷺ أنه سأله اللہ أن يسلل سخيمة الصدر<sup>(٢)</sup>، وجاء في دعائے ﷺ: «اللهم إني أعوذ بك من... القسوة...، والذلة والمسكنة»<sup>(٣)</sup>.

## المطلب السابع

### تقويم الأخطاء والثغرات المنافية لخلق الرحمة

لا يساعد الكشف عن الثغرات والأفعال المنافية لخلق الرحمة على معرفة مدى الرحمة التي يتمتع بها الأشخاص فحسب، بل إن المنهج النبوى أرقد ذلك بمعرفة ما يمكن أن يُعزى لكل واحد من الصحابة ﷺ من المهام، وما يمكن أن يُفad منه.

إضافة إلى ما يجب أن يتم علاجه من الحال الواقع في مفهوم هذا الخلق الكريم أو تطبيقه؛ ولذلك كانت أولى درجات الوقاية من الأمراض المؤثرة على خلق الرحمة لدى الصحابة ﷺ؛ تحديد مفهوم هذا الخلق العظيم وتحديد جوانبه، وتنقيته من الشوائب المضببة عليه؛ من المحدودية في استخدامه مع الأقارب أو الأحبة دون غيرهم، ومن نوازع

انظر: صحيح الترمذى.

(١) صحيح، رواه الترمذى، سنن الترمذى، ح(٢٨٤)، وقال: «حديث حسن غريب»، وصححه الألبانى، انظر: صحيح الترمذى.

(٢) صحيح، رواه الترمذى، سنن الترمذى، ح(٢٨١٦)، وقال: «حديث حسن صحيح»، وصححه الألبانى، انظر: صحيح الترمذى، وسخيمة الصدر: غله وحقده وقسوطه.

(٣) صحيح، رواه الحاكم، المستدرك على الصحيحين، ح(١٩٤٤)، وقال: «صحيح على شرط الشيختين»، وصححه الألبانى، صحيح الجامع، ح(١٢٨٥).

النفس البشرية وضعف الإيمان؛ ولهذا كان النبي ﷺ يقول: «لن تؤمنوا حتى ترحموا»، قالوا: يا رسول الله! كلنا يرحم، فما كان من النبي ﷺ إلا أن أوضح المفهوم في ذلك قائلاً: «إنه ليس برحمة أحدكم صاحبه، ولكنها رحمة العامة»<sup>(١)</sup>.

وكذلك عالج النبي ﷺ انحراف مفهوم الرحمة لدى الأعرابي الذي بالمسجد حين قال: اللهم ارحمني ومحمدًا ولا ترحم معنا أحدًا، فقوم النبي ﷺ ما طفى عليه من حب الذات والتسرع في الحكم قائلاً: «لقد حجرت واسعًا»<sup>(٢)</sup> تبيها له ولغيره من سعة الرحمة بالناس دون تمييز.

ولهذا حيد النبي ﷺ مفهوم الطبقية والعنصرية من الرحمة؛ وأنها حق لكل مخلوق كما في قوله ﷺ: «ليس منا من لم يرحم صغيرنا، ويعرف شرف كبيرنا»<sup>(٣)</sup>، وتتضاعف تلك الصورة في حديث أبي مسعود البدرى حين ضرب غلامًا له حين سمع النبي ﷺ منكراً هذا التصرف المنافي لخلق الرحمة بالغيبid فقال له: «اعلم أبا مسعود! الله أقدر عليه منك عليه»<sup>(٤)</sup>.

ويتسع هذا المفهوم حتى يصل إلى تقويم الأفعال المنافية للرحمة مع غير المسلم كما قال النبي ﷺ لعائشة حين زارت اليهود ولعنتهم لما قالوا للنبي ﷺ: السام عليك، فنهاها النبي ﷺ: «مهلاً يا عائشة! عليك بالرفق، وإياك والعنف والفحش»، وفي رواية مسلم: «إن الله يعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف، وما لا يعطي على سواه»<sup>(٥)</sup>، ومثله ما ورد عنه ﷺ حين سأله رجل أن يدعوا على المشركين؛ فصحح النبي ﷺ هذا

(١) صحيح. رواه الحاكم، المستدرك على الصحيحين، ج (٧٣١٠)، وقال: «صحيح الإسناد»، وصححه الألباني، صحيح الترغيب والترهيب، ج (٢٢٥٢).

(٢) صحيح. رواه البخاري، صحيح البخاري، ج (٥٥٥١).

(٣) صحيح. رواه الترمذى، سنن الترمذى، ج (١٩٢٠)، وصححه الألبانى، السلسلة الصحيحة، ج (٢١٩٦).

(٤) صحيح. رواه مسلم، صحيح مسلم، ج (٣١٣٥).

(٥) متفق عليه. رواه البخاري، صحيح البخاري، ج (٥٥٧٠)، ومسلم، صحيح مسلم، ج (٤٦٩٧).

الفكر بقوله: «إني لم أبعث لعاناً، وإنما بعثت رحمة»<sup>(١)</sup>، فالداعية يرجو رحمة الناس وإنقاذهم من النار؛ إلا إن اعتدوا وبغوا فعند ذلك ثبت عنه أنه دعا على المشركين<sup>(٢)</sup>.

ويدخل في ذلك الحيوان والنبات، ويحرم الاستهانة بهما والغلظة عليهما، وقد جاء ذلك مباشراً في إعلان النبي ﷺ دخول امرأة النار في هرة؛ إذ إنها لم ترحمها حين ربطتها ولم تطعمها، ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض<sup>(٣)</sup>، كما صحّ عن النبي ﷺ الإنكار على الفتى الأنصاري حين شكي جمله قلة إطعامه وإجهاده، وأمره أن يرحمه ولا يهضمه حقه، فقال له ﷺ: «أفلا تتقى الله في هذه البهيمة التي ملك الله إياها...»<sup>(٤)</sup>.



(١) صحيح. رواه مسلم، صحيح مسلم، ح (٤٧٠٤).

(٢) متفق عليه. رواه البخاري، صحيح البخاري، ح (٩٤٨)، ومسلم، صحيح مسلم، ح (١٠٨٥).

(٣) متفق عليه. رواه البخاري، صحيح البخاري، ح (٧٠٣) ومسلم، صحيح مسلم، ح (٤٦٠).

(٤) صحيح. رواه أبو داود، سنن أبي داود، ح (٢٢٩٧). وصححه الألباني، السلسلة الصحيحة، ح (٢٠).

### المبحث الثالث

## المنهج النبوي في توظيف خلق الرحمة في الدعوة واستغلاله لخدمة الدين

يعتمد المنهج النبوي في توظيف خلق الرحمة واستغلاله لخدمة الدين وعمارة الدنيا على سلسلة متقدمة من الخطوات التي يعتمد بعضها على الآخر؛ حتى تشكل منظومة متكاملة تؤخذ ثمرتها من الكشف عن ذلك الخلق الكريم في الصحابة ﷺ بالطرق المذكورة آنفًا، ومن ثم تعزيزها وتنميتها وإعدادها بشكل متكامل؛ ليُعمَّد بعدها إلى توظيف ذلك الخلق والعمل به، ويكون هذا التوظيف من خلال ما يلي:

### المطلب الأول تفعيل خلق الرحمة في الواقع المحسوس

قد يملك بعض الناس درجات رفيعة من خلق الرحمة، إلا أنه لا يُفيد منها في أفعاله، أو لا يستطيع أن يجعل لها وقعاً أو أثراً في حياته أو حياة من هو حوله، إلا أن يُوجه إلى تطبيقه، ذلك أن خلق الرحمة ينبغي عليه عدد من القيم والأخلاق الإسلامية؛ كالرفق واللين والعطف على الصغير واليتيـم والكبير وذـي القربيـ، كما يحمله معنى الإحسان إلى الغير والتسامح والتيسير والبر وغير ذلك.

ولهذا يمكن لخلق الرحمة أن يكون بوابة للمحبة والدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة التي أمر الله بها؛ لأن ذلك كله يصب في كمال الإيمان، وتمام العقيدة، وهي لب ما بعث الله لأجله محمداً ﷺ في قوله ﷺ: «إنما بعثت لأنتم مكارم الأخلاق»<sup>(١)</sup>، وبدا ذلك جلياً حين جاءه ﷺ رجل يشكو قسوة قلبه؛ فقال له: «أتحب أن يلين قلبك؟ ارحم اليتيم، وامسح على رأسه وأطعمه من طعامك؛ يلين قلبك»<sup>(٢)</sup>.

## المطلب الثاني إبراز القدوة والمثل الأعلى

لقد أفاد الصحابة ﷺ من شخصية النبي ﷺ كثيراً من المبادئ والأخلاق والقيم، وعلى رأس تلك الأخلاق رحمته ﷺ، كما قال ﷺ: (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ) [التوبه: ١٢٨]؛ ولهذا كان النبي ﷺ مثلكم الأعلى، واتخذوا هديه منهجاً حرصوا على تطبيقه في حياته وبعد وفاته ﷺ.

وقد كان النبي ﷺ سيد الرحمة المهداة إذ حصر الله ﷺ رسالته بها حين قال: «وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ» [الأنبياء: ٦٧]؛ ولهذا تمثل النبي ﷺ ذلك الخلق في كثير من مواقفه تجاه المسلم؛ كرحمته بالأعرابي الذي بالمسجد<sup>(٣)</sup>، ورحمته بغير المسلم حين احمر وجهه لما رأى امرأة قتيلة في وسط المعركة، فنهى عن قتل النساء والصبيان<sup>(٤)</sup>، ورحمته بالصغير حين قُتل جعفر، فرأى ابنه عبد الله فقال: «ارفعوا لي هذا»، فحمله على دابته

(١) حسن. رواه أحمد، المسند، ٢، ٣١٨، وحسنه الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة /١، ١١٢ /١، وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم». انظر: المستدرك، ٢ /٦١٣.

(٢) حسن لغيرة. رواه أحمد، المسند، ح (٧٥٦٦)، وحسنه الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة، ح (٨٥٤).

(٣) صحيح. رواه البخاري، صحيح البخاري، ح (٥٥٥١).

(٤) متفق عليه. رواه البخاري، صحيح البخاري، ح (٢٧٩٢). ومسلم، صحيح مسلم، ح (٣٢٨٠).

ومسح على رأسه ثلاثةٌ وقال: «اللهم اخلف جعفرًا في ولده»<sup>(١)</sup>، وكذا رحمته بالمرأة والبنات والشيوخ والعبيد، والأعداء والأسرى، والجيران وذوي القربي والأرامل والأيتام، والأموات وأهل الذمة والشركين، والعصابة والجهلاء، وكل الناس؛ كما قال ابن كثير (تفسير القرآن ٤٠١/٣): «وَكَانَ مِنْ أَخْلَاقِ النَّبِيِّ أَنَّهُ جَمِيلُ الْعُشْرَةِ، دَائِمُ الْبَشْرِ، يُدَاعِبُ أَهْلَهُ، وَيَتَاطِفُ بِهِمْ، وَيُوسِعُهُمْ نَفَقَتَهُ، وَيُضَاحِكُ نِسَاءَهُ»<sup>(٢)</sup>.

بل تعدت رحمته إلى الحيوان حين عاتب أصحابه قائلاً: «من فجع بهذه بفرخيها؟»، ورأى قرية نمل قد أحرقت فنهى عن ذلك<sup>(٣)</sup>، ورحمته بالنبات والجماد حين ضم الجذع لما حن لفراقه<sup>(٤)</sup>، وغيرها من المواقف التي لا حصر لها، حتى كانت شعاراً للدعوة والدين.

بل كانت صفة إلهية تليق بجلال الله عز وجل وكماله؛ أقام الله عز وجل عليها الكون ومعاشرة المخلوقات بعضها البعض، حتى يترسخ في النفوس هذا المفهوم الرياني.

### المطلب الثالث التعزيز الإيجابي

اتفق علماء التربية وعلم النفس على أن التعزيز الإيجابي عامل مهم لتفعيل القيم والأخلاق، كما الحال في أهميته لغرسها وتنميتها، وهو منهج نبوي متبوع، أسس له القرآن الكريم والشريعة الإلهية بالترغيب وفضائل الأعمال.

(١) حسن. رواه أحمد، المسند، ح (١٧٦٠)، وحسنه الألباني، أحكام الجنائز، ١ / ١٦٨ .

(٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٣ / ٤٠١ .

(٣) صحيح. رواه أبو داود، سنن أبي داود، ح (٢٦٧٥)، وصححه الألباني، السلسلة الصحيحة، ح (٤٨٧) .

(٤) صحيح. رواه مسلم، صحيح مسلم، ح (٣٣١٨) .

وجاء في السنة النبوية عدد من المواقف التي عزّز فيها النبي ﷺ أصحابه ﷺ في رحمة الناس والرأفة بهم؛ سواء كانت للوالدين أو الأبناء أو الزوجة أو الفقير أو عامة المسلمين، مما شكل لدى المسلم ثقافة البحث عن الرحمة والعمل بها، وتطويرها والدعوة إليها.

ويعتمد التعزيز الإيجابي على المعرفة المسبقة أو معاينة موقف أو ملاحظة عمل نبيل صادر من أحد الصحابة ﷺ.

وقد جاء في السنة النبوية عدد من الأحاديث والمواقف النبوية التي تعزز هذا الخلق الكريم، وتبيّن فضل العمل به، وجزاء صاحبه، الحاثة على الرحمة، المبينة لفضلها وجزائها عند الله ﷺ؛ سواء كان جزاء دنيوياً أو آخردياً؛ كما في قوله ﷺ: «ارحموا من في الأرض؛ يرحمكم من في السماء»<sup>(١)</sup>، وقوله ﷺ: «الراحمون يرحمهم الرحمن»<sup>(٢)</sup>، وغيرها من الأحاديث.

## المطلب الرابع التعلم المتبادل

تقوم المجتمعات سواء الإسلامية أو غيرها على ما يملكه أفرادها من القيم؛ وكلما كانت تلك القيم ذات مستويات علياً؛ ارتفعت سوية المجتمع، مما يجعله مجتمعاً مؤثراً يسهل افتتاح الآخرين بمبادئه بمجرد معايشته؛ الأمر الذي جعل كثيراً من الأفراد والشعوب يعتنقون الإسلام بمجرد معاينتهم لأخلاق المسلمين والتزامهم وانضباطهم بالقيم الإسلامية المختلفة، إضافة

(١) صحيح. رواه الترمذى، سُنَّة الترمذى، ج (١٩٢٤)، وقال: «حسن صحيح»، وصححه الألبانى، السلسلة الصحيحة، ح (٩٢٢).

(٢) صحيح. رواه الترمذى، سُنَّة الترمذى، ج (١٩٢٤)، وقال: «حسن صحيح»، وصححه الألبانى، السلسلة الصحيحة، ح (٩٢٢).

إلى ما اكتسبه المسلمون أنفسهم من بعضهم البعض، كل ذلك يدخل في مفهوم التعلم المتبادل.

وقد ورد في السيرة النبوية مواقف عدّة؛ وظُلِّفَ فيها النبي ﷺ التعليم المتبادل لخلق الرحمة؛ كما ثبت عن النبي ﷺ أنه قبل الحسن والحسين؛ فقال الأعرابي: أتقبلون الصبيان؟ فما نقبلهم، فقال النبي ﷺ: «أوْ أملك لك أن نزع الله من قلبك الرحمة»<sup>(١)</sup>، وهنا جاء مبدأ التعلم ونقل ثقافة الرحمة إلى أفراد المجتمع الذين يُعوزهم وجوده، هذا من الناحية التطبيقية.

إضافة إلى التعلم النظري، بما أمر به النبي ﷺ من الترحم على الناس، واتخاذ هذا الخلق الكريم منهجاً للدعوة والحياة، وهو أمر يدخل في مضمون القدوة والتوجيه، إضافة إلى ما كان يمتلكه كثير من الصحابة رض من الرحمة الفطرية أو المكتسبة، كما وصف النبي ﷺ أهل اليمن قائلاً: «أتاكم أهل اليمن، هم أرق أشدّة، وألين قلوبًا...، والسكينة في أهل الغنم»<sup>(٢)</sup>، فحثّ النبي ﷺ على معاملتهم بالرفق، والتعلم من خلق الرحمة واللين الذي يتحلّون به.



(١) متفق عليه. رواه البخاري، صحيح البخاري، ح(٥٥٣٩)، ومسلم، صحيح مسلم، ح(٤٢٨١).

(٢) متفق عليه. رواه البخاري، صحيح البخاري، ح(٤٠٣٧)، ومسلم، صحيح مسلم، ح(٧٣).

## الخاتمة



تعود أسبقيّة المنهج النبوي ومثاليته في تعزيز خلق الرحمة وصقله إلى عظم الشريعة الإسلامية وكمالها المنبع عن ربانية مصدرها؛ الأمر الذي يتوثق منه المختصون في آية جزئية يتم التسلط عليها في الشريعة الإسلامية المطهرة، ومن هنا يمكن أن تتلخص نتائج هذه الدراسة فيما يلي:

١. يُعد خلق الرحمة أحد ركائز الشريعة الإسلامية، وأسسها التي أمر الله تعالى بالتعامل من خلالها، وهو سبب تنزيل الشريعة، وإرسال الرسل.
٢. لقد سبق المنهج النبوي كافة المناهج العصرية الداعية إلى غرس وتعزيز خلق الرحمة، ولم تضف عليه أكثر من مصطلحات معاصرة مستحدثة.
٣. يولد خلق الرحمة فطرياً مع الإنسان بدرجات متفاوتة، ويمكن تعزيزه بعد ذلك وتقويمه بعدة آليات مختلفة، وهذا يفسر وجود شخصيات غير مسلمة تتسم بقدر عالٍ من الرحمة في المعاملات والأخلاق.

٤. يعتمد المنهج الصحيح في غرس خلق الرحمة وتعزيزه على الكشف عن الدرجات المكتسبة من هذا الخلق، وذلك من خلال السؤال المباشر، أو المراقبة والمتابعة وتحديد المؤشرات، أو من خلال أسلوب الحث الاختباري للكشف عن مدى الاتصاف بهذا الخلق القوي.
٥. يقوم تعزيز خلق الرحمة على عدة طرق بغض النظر عن درجات امتلاك الشخص لهذا الخلق؛ سواء كان عن طريق توظيف البيئات المحيطة، أو خلقها، أو تأثير ضبطه بالمنهج الرباني، أو تمثيل القدوة ورسم المثل الأعلى، أو استخدام الترغيب والتوضيح بوسائله المختلفة، أو من خلال التدريب والتعليم التطبيقي، أو تقويم الأخطاء والماوقف المؤثرة على التحلي بالرحمة الإسلامية، إضافة إلى العوامل الروحانية القائمة على الدعاء وطلب الإعانة من الله تعالى على التخلق به.

٦. تتمثل الإفادة من التحلي بخلق الرحمة بتوظيفها لخدمة الدين والدعوة إلى الله تعالى، من خلال تفعيل العمل بها واتخاذها أساساً في المعاملات، والإشارة إلى الأشخاص الذين يمتلكون قدرًا عالياً منها ليكونوا أسوة لغيرهم، وكذلك من خلال التعزيز الإيجابي الداعم لصاحب هذا الخلق العظيم، إضافة إلى مهارة التعلم المتبادل واكتساب الأخلاق من خلال المواقف التي يعاينها المسلم.

### الوصيات:

من خلال الدراسة المتأنية لكثير من مواقف الرحمة النبوية المهدأة، واستطاق أحداثها، والنظر في المناهج التربوية الحديثة وما قدّمت في تعزيز هذا الخلق الكريم، نجد أن المنهج النبوي كان رائداً في كثير من الأساليب التربوية والتنموية لبناء وغرس الرحمة وتعزيزها

بشكل أكثر عمقاً وتفصيلاً، والتي يمكن الإفادة منها ضمن التوصيات والمقترحات التالية:

١. استقراء القرآن الكريم والسيرة النبوية بشكل كامل، واستطلاعها، والعمل على تفصيل أنواع الرحمة، وإفراد كل نوع بدراسة تربوية عملية معاصرة، ضمن آلية علمية منضبطة، دون مبالغة أو تفريغ غير مجدٍ.
٢. توطيد المنهج النبوي في تعزيز قيمة الرحمة لدى المربين وعلماء النفس، وإظهار مدى الحكمة النبوية في تربية الصحابة رض، والبناء الخلقي والقيمي عندهم، والكشف عن الطرق والمناهج التي اتبّعها في ذلك.
٣. التوسيع في دراسة خلق الرحمة عند الصحابة رض، والتبعين، والسلف الصالح من العلماء والمربين، وإبراز جوانبها وألياتها وطرق الإفادة منها للمنظومات التربوية المعاصرة.
٤. دراسة منهج تعزيز خلق الرحمة حسب التوظيف القرآني لها، وتطبيقاتها على المواقف والمواضيع التي تحويها سور القرآن، ليظهر من خلالها التوجيه القرآني للرحمة الإلهية، وكيفية استجلابها والإفادة منها في مجال التربية.
٥. تدريب الدعاة والوعاظ وأئمة المساجد والخطباء على المنهج النبوي في التعامل والتعزيز لهذا الخلق الكريم، وتدريسيها من خلال السيرة النبوية، وتوجيههم لتوظيف هذا الخلق في مصلحة الدعوة إلى الله عز وجل، ونشر دين الحق.
٦. تعميم ما سبق ذكره من المناهج على جميع المؤسسات التربوية

والجمعيات والشخصيات الجامعية والمعاهد العليا.

٧. توظيف وسائل الإعلام المختلفة لترسيخ هذا المنهج، وإعداد البرامج لخدمتها، وإبراز هذه القيمة الإسلامية، ومدى تميّز الإسلام بها، وسبقه لتطبيقها، ودرء ما يُفترى عليه من العنف والإرهاب.
٨. إنشاء قنوات التواصل بين مؤسسات المجتمع المدني والباحثين والمفكرين والمؤسسات التربوية والعلمية والثقافية والإعلامية لبلورة تلك القيمة العظيمة، ومكانتها في الإسلام، وعمقها في المنهج النبوي، من خلال مشاريع عمل مشتركة وهادفة.
٩. عمل المؤتمرات والندوات وورش العمل التدريبية ودعوة الباحثين والدارسين ورجال الثقافة وأصحاب القرار التربوي والتعليمي؛ لدعم مفهوم الرحمة الحقيقي، وآليات تطبيقه وتفعيله.
١٠. إنشاء مؤسسات ذات مرتبة عليا تُعني بمتابعة البناء الأخلاقي بشكل عام، على المستويات الرسمية وغير الرسمية بناء على المنهج الإسلامي والنبوي؛ ولتكون مرجعًا عالميًّا، ومركزاً لوضع وابتكار الطرق والآليات المتقدمة الداعمة لغرس القيم والأخلاق لجميع المراحل العمرية والعقلية.



## فهرس المصادر والمراجع:

١. ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي الرويسي، لسان العرب، ط٢، ١٥١م، دار صادر، بيروت، ١٤١٤هـ.
٢. ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير)، ط٢، ٨م، دار طيبة، المدينة المنورة، ١٩٩٩م.
٣. أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، سنن أبي داود، ٤م، دار الكتاب العربي، بيروت.
٤. الألباني، محمد ناصر الدين، سلسلة الأحاديث الصحيحة، ٧م، مكتبة المعرف، الرياض.
٥. الألباني، محمد بن ناصر الدين، أحكام الجنائز، ط٤، ١م، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٦م.
٦. الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الترغيب والترهيب، ط٥، ٣م، مكتبة المعرف، الرياض.
٧. الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الجامع الصغير وزيادته، ط١، ٢م، مكتبة المعرف، الرياض.
٨. المباركفوري، محمد بن عبد الرحمن، تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذى، ١٠م، دار الكتب العلمية، بيروت.
٩. البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم أبو عبدالله الجعفي، الجامع الصحيح المختصر من حديث الرسول ﷺ وسننه وأيامه، ط٣، ٦م، دار ابن كثير واليمامية، بيروت، ١٩٨٧م، تحقيق مصطفى البغا.
١٠. الترمذى، محمد بن عيسى بن سورة، الجامع الصحيح المسمى بسنن الترمذى، ٥م، دار إحياء التراث العربي، بيروت، تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرون.

١١. البرقوقي، عبد الرحمن، شرح ديوان حسان بن ثابت، دار الشرق العربي، بيروت، ١٩٩١م.
١٢. جابر، جابر عبد الحميد، الذكاءات المتعددة والفهم تتميم وتعميق، دار الفكر العربي، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣م.
١٣. الجوهرى، الصحاح، ط٤، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٧م، تحقيق أحمد عبدالغفور عطار.
١٤. الخطيب البغدادي، أحمد بن علي، تاريخ بغداد، ١٤م، دار الكتب العلمية، بيروت.
١٥. الشيباني، أحمد بن محمد بن حنبل، المسند، ٥٠م، ط٢، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٩م، تحقيق شعيب الأرناؤوط وآخرون.
١٦. الصمدي، خالد، القيم الإسلامية في المنظومة التربوية، ١م، المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، الرباط، ٢٠٠٨م.
١٧. عياض، القاضي عياض بن موسى اليحصبي، الشفا بتعريف حقوق المصطفى، تحقيق حسين عبد الحميد، دار الأرقام بن أبي الأرقام، بيروت.
١٨. المناوي، زين الدين محمد بن عبد الرؤوف بن تاج العارفين، التوقيف على مهمات التعريف، ط١، دار الفكر المعاصر، بيروت-دمشق، ١٤١٥هـ، تحقيق محمد رضوان الداية.
١٩. المناوي، زين الدين محمد بن عبد الرؤوف بن تاج العارفين، فيض القدير شرح الجامع الصغير، ط١، ٦م، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٤م.
٢٠. النيسابوري، مسلم بن الحجاج القشيري، الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم، ٨م، دار الجليل ودار الآفاق، بيروت.





## حديث

# جعل الله الرحمة مثة جزء

## دراسة تحليلية

إعداد:

د. عبد الرحمن عبد الناصر سيد سلطان  
كلية العلوم الإدارية والإنسانية جامعة الجوف  
قسم الدراسات الإسلامية

# المؤتمر الدولي في الرحمة في الإسلام

The International Conference on Mercy in Islam  
قسم الدراسات الإسلامية - كلية التربية



## المقدمة

الحمد لله، والصلوة والسلام على خاتم رسول الله الرحمة المهدأة،  
والنعمـة المسـدةـةـ، محمد بن عبد الله ﷺ، وعلـى آلـهـ وصـحـبـهـ، وـمـنـ اـهـتـدـىـ  
بـهـدـاهـ.

وبـعـدـ،،،

الـرـحـمـةـ رـقـةـ تـقـضـيـ إـلـىـ الـإـحـسـانـ إـلـىـ الـمـرـحـومـ، وـقـدـ تـسـتـعـمـلـ تـارـةـ فـيـ الرـقـةـ  
الـمـجـرـدـةـ، وـتـارـةـ فـيـ الـإـحـسـانـ الـمـجـرـدـ عنـ الرـقـةـ، وـقـيلـ: هـيـ رـقـةـ فـيـ النـفـسـ  
تـبـعـثـ عـلـىـ سـوقـ الـخـيـرـ لـمـنـ تـتـعـدـىـ إـلـيـهـ.

قال أبو البقاء الكفوبي: ”الـرـحـمـةـ هيـ أـنـ يـوـصـلـ إـلـيـكـ الـمـسـارـ، وـالـرـأـفـةـ  
هيـ أـنـ يـدـفـعـ عـنـكـ الـمـضـارـ، فـالـرـحـمـةـ مـنـ بـابـ التـزـكـيـةـ، وـالـرـأـفـةـ مـنـ بـابـ  
الـتـخـلـيـةـ، وـالـرـأـفـةـ مـبـالـغـةـ فـيـ رـحـمـةـ مـخـصـوصـةـ، وـهـيـ رـفـعـ الـمـكـروـهـ وـإـزـالـةـ  
الـضـرـ، فـذـكـرـ الـرـحـمـةـ بـعـدـهـاـ فـيـ الـقـرـآنـ مـطـرـدـاـ لـتـكـونـ أـعـمـ وـأـشـمـ“<sup>(١)</sup>.

وجاءـتـ السـنـةـ وـاسـتـفـاضـتـ نـصـوصـهاـ الدـاعـيـةـ إـلـىـ الـرـحـمـةـ، وـالـحـاثـةـ  
عـلـيـهـاـ، الـمـرـغـبـةـ فـيـهـاـ نـصـاـ أوـ مـفـهـومـاـ، يـقـولـ النـوـوـيـ مـعـلـقاـ عـلـىـ أـحـادـيـثـ  
الـرـحـمـةـ: ”وـهـذـهـ الـأـحـادـيـثـ صـرـيـحةـ فـيـ تـعـظـيمـ حـقـوقـ الـمـسـلـمـينـ بـعـضـهـمـ“

(١) الكليات، أبو البقاء الكفوبي / ٧٤٢

على بعض، وحثهم على التراحم والملاطفة والتعاضد في غير إثم ولا مكره<sup>(١)</sup>.

وعلى هذا جاءت أحاديث النبي ﷺ داعية إلى الرحمة بين البشر، وتعددت مروياتها في غضون كتب السنة، وكثرت متابعتها وشهادتها كذلك، وجاءت دراستنا الحالية لِلقاء الضوء على بعض هذه الأحاديث، ودراسة طرائقها والجوانب الموضوعية المرتبطة بها، فجاءت الدراسة بعنوان: [حديث جعل الله الرحمة مئة جزء دراسة تحليلية].

### أسباب اختيار الموضوع وأهميته:

تتضمن أسباب اختيار الموضوع، وأهميته من خلال:

- ١ . رغبة الباحث في عرض دراسة موجزة عن الرحمة في إطار السنة النبوية، وأنثر ذلك على الفرد والمجتمع.
- ٢ . دراسة طرائق حديث ( جعل الله الرحمة مئة جزء ) الواردة في ذلك عن النبي ﷺ .
- ٣ . عرض الدراسة الموضوعية المرتبطة بالحديث، ومناقشة الروايات، ومعرفة أثر رحمة الله ﷺ على العباد.
- ٤ . تخصيص البحث في فكرة حديث جعل الله الرحمة مئة جزء لدراسته، ومعرفة أسباب وروده والقضايا الموضوعية المرتبطة به.

### حدود الدراسة:

ترتبط هذه الدراسة بكتب السنة النبوية والشروح الحديثية، وكتب التخريج، من خلال عرض طرائق الحديث، ومناقشة الآراء المرتبطة بذلك عند المحدثين.

## الدراسات السابقة:

الدراسة الأولى: الرحمة في حياة الرسول ﷺ، د/ راغب السرجاني، رابطة العالم الإسلامي، المركز العالمي للتعریف بالرسول ﷺ، ونصرته.

عرضت الدراسة السابقة مظاهر الرحمة في حياة الرسول ﷺ، بين أهل بيته، ومظاهر رحمته بين الصحابة، والرأفة بغير المسلمين في المجتمع الإسلامي، وتختلف عن دراستنا الحالية أن الدراسة تعتمد على فكرة واحدة، وهي حديث جعل الله الرحمة مئة جزء، من خلال المناقشة للحديث وطرائقه، وما يرتبط بالرحمة من خلال الحديث.

الدراسة الثانية: مظاهر الرحمة للبشر في شخصية النبي محمد ﷺ، تأليف زيد عمر عبد الله العيصن، الأستاذ بجامعة الملك سعود، قسم الثقافة الإسلامية.

لا تختلف دراسة الدكتور زيد عمر عن دراسة الدكتور راغب السرجاني، فكلٌّ منها عرض لمظاهر رحمة النبي ﷺ بمنهج مختلف عن الآخر، إلى أن دراسة الدكتور عمر زيد تخصصت في رحمة النبي بالبشر خاصة، كذلك تختلف عن موضوع دراستنا: حديث جعل الله الرحمة مئة جزء، فدراستنا تعتمد على إظهار دلالات الرحمة خلال روایة واحدة عن النبي ﷺ، ومناقشة ما ورد حولها من آراء عند المحدثين.

الدراسة الثالثة: الرحمة الإلهية دراسة قرآنية، إعداد عمران عزت يوسف بخيت، رسالة ماجستير قدمت إلى جامعة النجاح الوطنية، فلسطين.

هذه الدراسة قدمت لنيل درجة الماجستير في دولة فلسطين، اهتمت بدراسة الرحمة الإلهية، وما يتعلّق بها من خلال آيات القرآن ومدلولاتها، ولم يتطرق الباحث خلالها للسنة النبوية؛ لأنّها ليست موضوع بحثه، وهذا ما يجعلها تختلف عن الدراسة الحالية التي تهتم بعرض المرويات، ودراسة الرحمة من خلال أحاديث النبي ﷺ.

### منهج الدراسة:

تعتمد الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي من خلال:

١. التأصيل النظري لمفهوم الرحمة، ومفهوم السنة النبوية.

٢. دراسة الروايات الواردة في ذلك عن النبي ﷺ.

٣. مناقشة الآراء والترجيح بينها.

٤. إسقاط الآراء في الدراسة على العصر الحالي.

### خطة الدراسة:

تقع الدراسة في مقدمة، وتمهيد، ومبثرين، وخاتمة، وفهارس الدراسة.

المقدمة: وفيها عنوان الدراسة، والمنهج المتبّع، وأسباب اختيار الموضوع

وأهميته، وخطة البحث التفصيلية من المباحث والمطالب.

التمهيد: بعنوان [ماهية الرحمة في السنة النبوية].

أولاً : تعريف الرحمة لغةً واصطلاحاً.

ثانياً: تعريف الرحمة في إطار السنة النبوية.

المبحث الأول: دلائل الرحمة في حديث جعل الله الرحمة مئة جزء.

المبحث الثاني: مناقشة أثر اختلاف ألفاظ الحديث في تعدد أوجه الرحمة.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج، التي توصلت إليها الدراسة، والتوصيات المقترحة.



## التمهيد

### ماهية الرحمة في السنة النبوية

أولاً: مفهوم الرحمة لغة واصطلاحاً.

الرحمة لغة:

قال ابن منظور: ”الرحمة الرقة والتعطف، والرحمة المغفرة، والرحمة الرزق، والغيث، والرحمة في بني آدم: رقة القلب، وعطفه، ورحمة الله عطفه، وإحسانه، ورزقه“<sup>(١)</sup>.

يقال: ”ورحمت المرأة رحامة ورحمت رحاماً، ورحمت إذا اشتكت رحema بعد الولادة، ومن المجاز: رحمة الله، وهو الرحمن الرحيم، أي: الواسع الرحمة“<sup>(٢)</sup>.

قال أبو عبيدة: ”رحمان فعلن من الرحمة“<sup>(٣)</sup>، والرحمة هي إرادة إيصال الخير<sup>(٤)</sup>.

يقول الأنباري: ”الصلوات معناها الرحمة، كما قال ﷺ «أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهَتَّدُونَ» [البقرة]<sup>(٥)</sup>، لذلك يقال: الرحمة هي الرقة والتعطف، والرحمة مثله، وقد رحمته وترحمت

(١) لسان العرب، لابن منظور ١٢/٢٢٠.

(٢) أساس البلاغة، الزمخشري ٣١٨/٣.

(٣) الاشتقاد، أبو بكر ابن دريد ٥٨/١.

(٤) التعريفات، الجرجاني ١٤٦/١.

(٥) الظاهر في معاني كلمات الناس، الأنباري ٥٨/١.

عليه، وترأحم القوم، رحم بعضهم بعضاً، والرحموت من الرحمة، يقال:  
”رهبتو خير من رحموت، أي: لأن ترعب خير من أن ترحم“<sup>(١)</sup>، وإطلاق  
الرأفة على الله ﷺ مثل إطلاق الرحمة<sup>(٢)</sup>.

ومما سبق يتبيّن لنا أن مفهوم الرحمة يرتبط بالرقابة، والرأفة،  
والترأحم، والمحبة بين البشر، التي هي من صفات المولى ﷺ، وقد غرسها  
في قلوب البشر، حتى يتراحموا فيما بينهم، والبعد عن الظلم من أسس  
رحمة الخلق فيما بينهم.

### الرحمة اصطلاحاً:

الرحمة صفة تقتضي إيصال المنافع والمصالح إلى العبد، وإن كرهتها  
نفسه، وشقت عليها، فهذه هي الرحمة الحقيقية، فأرحم الناس بك من  
أوصل إليك مصالحك، ودفع عنك المضار، ولو شق عليك في ذلك، فمن  
رحمة الأب بولده، أن يكرهه على التأدب بالعلم والعمل، ويشق عليه في  
ذلك بالضرب وغيره، ويمعنده شهواته التي تعود بضرره، ومتى أهمل ذلك  
من ولده كان لقلة رحمته به، وإن ظن أنه يرحمه ويرفقه، ويريحه، فهذه  
رحمة مقرونة بجهل كرحمه بعض الأمهات<sup>(٣)</sup>.

يعرفها الدكتور محمد راتب النابلسي بأنها: كلمة جامعة لكل الخير  
المادي والمعنوي، والدنيوي والأخروي، والرحمة ضدّها القسوة، فالآمور  
تظهر بأضدادها، والرحمة أيضاً هي المقصود الأول منبعثة النبي ﷺ،  
قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [آل الأنبياء]، وفي الحديث:  
«أنا رحمة مهداة»<sup>(٤)</sup>.

(١) الصحاح، الجوهري ٢٠٧/٦.

(٢) الفروق اللغوية ٢٤٧/١.

(٣) كلام ابن القيم في كتابه إغاثة اللهفان ٢/١٦٩.

(٤) أخرجه ابن سعد (١٩٢)، والبيهقي في شعب الإيمان (٢/١٤٤، رقم ١٤٠)، وقال: هذا مرسلاً،

ورواه زياد بن يحيى الحساني عن مالك بن سعير عن الأعمش موصولاً بذكر =

وينسب إلى الله ﷺ فيقال: رب الرحمة، بمعنى أنه جل وعلا يتصرف بها<sup>(١)</sup>، لقوله تعالى: ﴿ وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَلَ لَهُمُ الْعَذَابُ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنَ يَحْدُو أَمْنَ دُونِهِ، مَوْبِلاً ﴾ [الكهف]<sup>(٢)</sup>.

والرحمة رقة تقتضي الإحسان إلى المرحوم، وقد تستعمل في الرقة المجردة، وتارة في الإحسان المجرد عن الرقة، قال عبد الرحمن الميداني: ”الرحمة رقة في القلب يلامسها الألم، حينما تدرك الحواس أو يتصور الفكر، وجود الألم عند شخص آخر، أو يلامسها السرور، حينما تدرك الحواس أو يتصور الفكر وجود المسرة عند شخص آخر“<sup>(٣)</sup>.

أما عن مقتضي الرحمة فهي إيصال الخير إلى الغير، حتى وإن كان هذا الخير مكرروها وإليه مبغضا من قبله، وفي ذلك يقول ابن القيم رحمه الله: ”الرحمة صفة تقتضي إيصال المنافع والمصالح إلى العبد، وإن كرهتها نفسه وشقت عليها فهذه هي الرحمة الحقيقية، فأرحم الناس بك من شق عليك في إيصال مصالحك ودفع المضار عنك“<sup>(٤)</sup>.

قال الجاحظ: ”الرحمة خلق مركب من الود والجزع، والرحمة لا تكون إلا من ظهر منه المراحة خلة مكروهة، فالرحمة هي محبة للمرحوم، مع جزء من الحال التي من أجلها رحم“<sup>(٥)</sup>.

يقول الشيخ الزيتوني: ”الرحمة فضيلة تدل على قوة صاحبها ونباته؛ لأنها لا يحتكر الخير لنفسه، ولا يهمل التفكير في سواه، وقد يعبر عنها

=أبي هريرة فيه، وحديث أبي صالح المرسل.

حادي ث أبي هريرة: أخرجه أيباً: الحاكم ٩١/١، رقم: ٠٠٠، وقال: صحيح على شرطهما.

(١) شرح عدة متون في العقيدة، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ، ٢٨٣/١٣.

(٢) ينظر: مختصر معارج القبول ١/ ٢٦٤.

(٣) الصحاح: الجوهري ٦/ ٢٠٧.

(٤) ينظر: إغاثة اللهاfan، ابن قيم الجوزية ٢/ ١٧٤.

(٥) تسهيل النظر وتعجيل الظفر في أخلاق الملك، أبو الحسن المارودي، ١/ ٣٤.

بخفض الجناح، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الْذَّلِيلِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ أَرْجُهُمَا كَمَا رَبَّيْنَا صَغِيرًا﴾ [الإسراء].

والرحمة معنى قلبي، كل منا يدركه ويشعر به، يقول سعيد القحطاني: الرحمة كما يقول العلماء، قاعدة قضائه في خلقه، والأصل في كل شيء رحمة الله، لسعتها وشمولها؛ لأنها مكتوبة، كتبها الله ﷺ بإرادته، وفضله لقوله تعالى: ﴿قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كَبَّ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَا رَبِّ فِيهِ الَّذِينَ حَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام]<sup>(١)</sup>.

فإن مفهوم الرحمة في الإسلام، الذي يجب أن يسود بين الناس هو التراحم بين المؤمنين جميعاً على غير أرحام بينهم، فعن أبي موسى الأشعري رض عن رسول الله ص قال: ”المؤمن للمؤمن كالبنيان، يشد بعضه ببعض“<sup>(٢)</sup>.

وعن النعمان بن بشير رض أن رسول الله ص قال: ”مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكي منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى“<sup>(٣)</sup>، فمن كان من أهل الإيمان فهو من أهل الرحمة، وهو أهل لأن يرحم، ومن لم يكن من أهل الإيمان والإسلام فلا رحمة له ولا كرامة، هذا هو مفهوم الرحمة الإلهية، التي يجب أن نعيها ونفهمها، ونحن مسلمون<sup>(٤)</sup>.

ومن المفاهيم الاصطلاحية للرحمة: هي حالة وجدانية تعرض غالباً من

(١) ينظر، خطب ومحاضرات للشيخ سعيد بن مسفر ٢٠١٧.

(٢) أخرجها البخاري في صحيحه من طريق أبي موسى الأشعري، كتاب/ أبواب المساجد، باب/ تشبيك الأصابع، رقم الحديث ٤٦٧/١، ١٨٢، وأخرجها الإمام مسلم في صحيحه من طريق أبي موسى الأشعري، كتاب/ البر والصلة والأداب، باب/ تعاطف المؤمنين وتراحمهم فيما بينهم، رقم الحديث ٢٥٨٥، ٤/٩٩٩.

(٣) أخرجها الإمام مسلم في صحيحه من طريق النعمان بن بشير، كتاب/ البر والصلة والأداب، باب/ تعاطف المؤمنين وتراحمهم وتعاضدهم، رقم الحديث ٦٧٥١، ٨/٦٧٠.

(٤) شرح عدة متون في العقيدة، صالح عبد العزيز آل شيخ ١٣٤/١٢.

به رقة القلب، وتكون مبدأ للانعطاف النفسي، الذي هو مبدأ الإحسان<sup>(١)</sup>.

لذلك يمكن نشر ثقافة الرحمة من خلال:

١. إخلاص العبودية لله تعالى، لقوله تعالى: ﴿وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلَّدِينِ

خَيْفًا وَلَا تَكُونَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يونس: ١٠٥].

٢. التسامح الإيجابي، لقوله تعالى: ﴿رَبِّ إِنَّمَا أَضَلَّنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ

مَنْ تَبَعَّنَ فِيَّ إِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [إبراهيم: ٣٦].

٣. معرفة قدر ابن آدم، لقوله تعالى: ﴿رُبِّيْدُ اللَّهُ أَنْ يُخْفِقَ عَنْكُمْ وَخُلُقَ

الْإِنْسَنُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٢٨].

٤. شكر النعمة لقوله ﷺ: ”من أشى فقد شكر، ومن كتم فقد كفر“<sup>(٢)</sup>.

وقد وسع الإسلام مفهوم الرحمة وممارستها، ليشمل كل نشاط الإنسان ضمن متغيرات الحياة المختلفة، فشمل تعامله مع نفسه بأن يرحمها، كما قال تعالى: ﴿وَلَا نَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَّحِيمًا﴾ [النساء: ٢٩]، واستوعب بالرحمة جوانب التعامل مع الآخرين، حتى جعل عزل الأذى عن الطريق من أوسع أبواب الأجر والثواب، وما ذلك الأجر العظيم الذي يناله المسلم مجرد رفع الأذى من حجر أو شوك أو نحو ذلك؛ ولكن بتلك الرحمة التي عم بها المسلمين، فشكر الله له عطفه ورأفته بهم<sup>(٣)</sup>.



(١) مجلة البيان، الثقافة بين روئيتين ٢٢١/٢٢.

(٢) ينظر المرايا المقعرة نحو نظرية عربية، الدكتور عبد العزيز حمودة، العدد ٢٧٢، ص ٤١.

(٣) بحوث تربية الفتاة المسلمة، ٧٠/١.

## المبحث الأول

### دلائل الرحمة في حديث جعل الله الرحمة مئة جزء

دلائل الرحمة في القرآن الكريم والسنّة النبوية كثيرة جداً التي جعلها الله ﷺ في ذاته وجعلها صفة في جميع خلقه، حتى إن بعض العلماء نقلوا عن الجنيد أنه كان يقول: "الرحمة تنزل على الفقير بثلاثة مواضع عند الأكل فإنه لا يأكل إلا عند الحاجة، وعند الكلام فإنه لا يتكلم إلا لضرورة، وعند السمع فإنه لا يسمع إلا عند الوجد" <sup>(١)</sup>.

وما ورد في تفسير قوله تعالى: «سَوَاءٌ عَيْنِهِمْ أَسْتَغْفِرُ لَهُمْ أَمْ لَمْ  
تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَعْفُرَ اللَّهُ لَمَّا إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ» <sup>٦</sup> [المنافقون]، من رحمة الرسول ﷺ بأمته، قال ﷺ، إنما قال سأزيد على السبعين، وإن كان المفهوم منها المبالغة، ركونا منه لسعة الرحمة؛ لأنّه لم ينه عن الاستغفار لهم كما يأتي إيضاحه ما دام ﷺ لم ينه عنه، وهو يرکن إلى الرحمة وسعتها ونظره كنظر إبراهيم عليه السلام، حيث قال: «رَبِّ إِنَّهُنَّ أَصْلَلُنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَنْ  
تَعْنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَافِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ» <sup>٣</sup> [إبراهيم].

قال العلامة ابن زكري: "اعتبر النبي ﷺ مفهوم العدد، ولم يحمله على المتأذى من المبالغة؛ لأنّه بعثه رحمة، فهو يدور مع مسائلك الرحمة ما وجد لها سبيلاً" <sup>(٢)</sup>.

(١) بدائع الاعتقاد وأخطارها على المجتمعات الإسلامية، ١٨٧/١.

(٢) إتحاف القاري بدرر البخاري ١٠٧/٦.

مما ورد عن النبي ﷺ في صحيح مسلم: "وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِّنْ بَيْوَتِ اللَّهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ تَعَالَى، وَيَتَدَارِسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَّلَتْ عَلَيْهِمْ السَّكِينَةُ، وَغَشِّيَّتْهُمُ الرَّحْمَةُ" <sup>(١)</sup>.

قيل المراد بالسکينة هنا الرحمة، وهو الذي اختاره القاضي عياض، وهو ضعيف لعطف الرحمة عليها <sup>(٢)</sup>، وهناك من العلماء من جعل الاختلاف من الرحمة، قال ابن عابدين: "وعلم بأن الاختلاف من آثار الرحمة فما كان الاختلاف أكثر كانت الرحمة أوفر" <sup>(٣)</sup>.

**دلائل الرحمة في حديث جعل الله الرحمة مئة جزء.**

الحديث:

حدثنا أبو اليمن الحكم بن نافع البهرياني أخبرنا شعيب عن الزهرى أخبرنا سعيد بن المسيب، أن أبا هريرة، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول جعل الله الرحمة مئة جزء فأمسك عنده تسعة وتسعين جزءاً وأنزل في الأرض جزءاً واحداً، فمن ذلك يتراحم الخلق، حتى ترفع الفرس حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه <sup>(٤)</sup>.

ومن دلائل الرحمة في الحديث:

**١. جعل الله الرحمة في مئة وعاء.**

قال ابن أبي جمرة: "يحتمل أن يكون ﷺ لما من على خلقه بالرحمة جعلها في مئة وعاء، فاهبط منها واحداً للأرض" <sup>(٥)</sup>، قلت: خلت أكثر

(١) أخرجها الإمام مسلم في صحيحه من طريق أبي هريرة، كتاب/ الذكر والتوبة والدعاء، باب/ اجتماع القوم على تلاوة القرآن، رقم الحديث ٧٠٢٨، ٨/٧١.

(٢) شرح النووي على مسلم ٩/٦٣.

(٣) الخلاصة في فقه الإقليات، علي نايف الشحود ٣/٧.

(٤) أخرجها البخاري في صحيحه من طريق أبي هريرة، كتاب/ الأدب، باب/ جعل الله الرحمة مئة جزء، رقم الحديث ٢٢٣٦.

(٥) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ١٧/١٣٢.

الطرق عن الطرف، كرواية سعيد المقبري عن أبي هريرة الآتية في الرقاقة: إن الله خلق الرحمة يوم خلقها مئة رحمة. والمسلم من رواية عطاء عن أبي هريرة: إن الله مئة رحمة، وله من حديث سلمان إن الله خلق مئة رحمة يوم خلق السماوات والأرض، كل رحمة طباق ما بين السماء والأرض.

قال القرطبي: "يجوز أن يكون معنى خلق اخترع وأوجد ويجوز أن يكون بمعنى قدر، وقد ورد خلق بمعنى قدر في لغة العرب، فيكون المعنى أن الله أظهر تقديره لذلك يوم أظهر تقدير السماوات والأرض، وقوله: كل رحمة تسع طباق الأرض. المراد بها التعظيم والتكثير، وقد ورد التعظيم بهذا اللفظ في اللغة والشرع كثيراً" <sup>(١)</sup>.

## ٢. الرحمة التي بين الخلق في الدنيا تكون بينهم يوم القيمة.

في رواية سلمان عند مسلم زيادة وهي: "إذا كان يوم القيمة أكملاها بهذه الرحمة مئة" <sup>(٢)</sup>، وفيه إشارة إلى أن الرحمة التي في الدنيا بين الخلق تكون فيهم يوم القيمة يتراحمون بها أيضاً، وصرح بذلك المهلب فقال: "الرحمة التي خلقها الله لعباده، وأجعلها في نفوسهم في الدنيا هي التي يتغافرون بها يوم القيمة التابعات بينهم" <sup>(٣)</sup>.

قال: ويجوز أن يستعمل الله تلك الرحمة بينهم، فيرحّمهم بها سوى رحمته التي وسعت كل شيء، وهي التي من صفة ذاته، ولم يزل موصوفاً بها، فهي التي يرحمهم بها، زائداً على الرحمة التي خلقها لهم، ويجوز أن تكون الرحمة التي أمسكها لنفسه، هي التي عند ملائكته المستفرين لمن في الأرض؛ لأن استغفارهم لهم دال على أن في نفوسهم الرحمة لأهل الأرض، وحاصل كلامه أن الرحمة رحمتان:

(١) تحفة الأحوذى شرح صحيح الترمذى، المباركفورى / ١٧٦.

(٢) أخرجها الإمام مسلم في صحيحه من طريق أبي هريرة، كتاب الرحمة، باب / سعة رحمة الله ، رقم الحديث ٤١٧٨، ٤٤/٣.

(٣) ينظر: فتح الباري شرح صحيح البخارى، ١٢٣/١٧.

- رحمة من صفة الذات، وهي لا تعد.

- ورحمة من صفة الفعل، وهي المشار إليها هنا.

وليس في شيء من طرق الحديث أن التي عند الله رحمة واحدة، بل اتفقت جميع الطرق على أن عنده تسعه وتسعين رحمة، وزاد في حديث سلمان أن يكملها يوم القيمة مئة بالرحمة التي في الدنيا، فتعدد الرحمة بالنسبة للخلق هبة من الله ﷺ<sup>(١)</sup>.

### ٣. إضافة الرحمة في الحديث إلى الله ﷺ.

إن إضافة الرحمة في الحديث إلى الله جل وعلا إضافة المخلوق لخالقه فالرحمة هنا ليست صفة لله جل وعلا، إنما هي أثر الصفة كقوله تعالى: «وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيِ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلَنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا» [الفرقان]، وقوله تعالى في المطر : «فَانظُرْ إِلَى مَاءِرِحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيٍ الْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» [الرعد]<sup>(٢)</sup>، وما جاء في الصحيحين من حديث أبي هريرة ﷺ، أن النبي ﷺ قال: «قال الله ﷺ للجنة: أنت رحمتي أرحم بك من أشاء»<sup>(٢)</sup>، وأمثلة ذلك كثيرة، فإضافة الرحمة هنا إضافة المفعول إلى فاعله فتكون مفعولاً لله مخلوقاته، وهي من أثر صفة الرحمة الذاتية. ويلزم من ذلك أحد شيئين: أولهما: أن تكون التسعة وتسعون رحمة المذكورة في الحديث أعياناً قائمة بذاتها، يرحم الله بها المؤمنين يوم القيمة، كحوض النبي ﷺ، وظل العرش والجنة، وغير ذلك فكل هذه أعيان مخلوقة، ليرحم الله بها المؤمنين يوم القيمة، وهي من آثار رحمة الله الذاتية. الثاني: أن تكون التسعة والتسعون رحمة هذه يجعلها الله في قلوب المؤمنين

(١) ينظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، ١٢٣/١٧.

(٢) أخرجها الإمام مسلم في صحيحه من طريق أبي هريرة، كتاب/ الجنة ونعمتها وأهلها، باب/ النار يدخلها الجبارون، والجنة يدخلها الضعفاء، رقم الحديث ٥٤/٨، ٧٣٥١.

يتراهمون بها فيما بينهم، كما جاء في الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري رض قال «إذا خلص الله المؤمنين من النار وآمنوا بما مجادلة أحدكم لصاحبه في الحق يكون له في الدنيا أشد مجادلة من المؤمنين لربهم في إخوانهم الذين أدخلوا النار<sup>(١)</sup>»، وأيضاً شفاعة الملائكة والأنبياء ناتجة عن الرحمة، التي وضعها الله في قلوبهم، كما جاء الحديث السابق في زيادة عند أحمد وغيره، ثم يقول الله : شفعت الملائكة وشفع الأنبياء وشفع المؤمنون، وبقي أرحم الراحمين، وشفاعة القلمان الصغار لآبائهم، ويشهد لهذا القول ما أخرجه ابن جرير في التفسير عن عبد الله بن عمرو رض ما قال : «إن الله مئة رحمة، فأهبط منها رحمة واحدة إلى أهل الدنيا، يتراحم بها الجن، والإنس، وطائر السماء، وحيتان الماء، ودواب الأرض وهوامها، وما بين الهواء، واختزن عنده تسعاً وتسعين رحمة، حتى إذا كان يوم القيمة اختلج الرحمة التي كان أهبطها إلى أهل الدنيا، فحوها إلى ما عنده فجعلها في قلوب أهل الجنة وعلى أهل الجنة»، وأيضاً شفاعات النبي صل، وشفاعة الشهداء ناتجة عن الرحمة التي أوجدها الله في قلوب عباده<sup>(٢)</sup>.

الأمر الثاني: أن تكون الرحمة المضافة إلى الله جل وعلا في روایة مسلم: «إن الله مئة رحمة» إضافة معاني (وصف لموصوف) أي الرحمة الذاتية غير المخلوقة وتكون روایة البخاري «إن الله خلق الرحمة...» وروایة الصحيحين من باب تقریب الفهم، وبيان مدى سعة رحمة الله جل وعلا للأعرابي الذي قال: اللهم ارحمني ومحمندا ولا ترحم معنا أحداً، كما جاء في مسند الإمام أحمد في

(١) أخرجه الإمام ابن ماجة في سنته، من طريق أبي سعيد الخدري، كتاب/ الإيمان وفضائل الصحابة، باب/ في باب الإيمان، رقم الحديث ٦٠، ٢٢/١.

(٢) الدر المنشور، الإمام السيوطي، ١/ ٢٥٣.

سبب ورود الحديث، ومثال ذلك قول الله ﷺ: «وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمُهُ وَالْبَحْرُ يَمْدُدُهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْخُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ» (لقمان) فهذا لتقريب الفهم بما هو مشاهد، إلا أن كلمات الله جل وعلا لا حد لها، وأيضاً قوله ﷺ في الحديث القدسي الذي أخرجه مسلم من حديث أبي ذر رض أن النبي ﷺ قال: «قال الله ﷺ ... يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنكم وجنكم، قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المحيط إذا دخل البحر....»<sup>(١)</sup> ومن المعلوم أيضاً أن ملك الله ﷺ لا ينقص منه شيئاً، الشاهد أنه من المحتمل أن يكون قوله ﷺ «إِنَّ اللَّهَ مَئْةَ رَحْمٍ»، على سبيل التمثيل تسهيلاً للفهم وتقليلاً لما عندنا، وتكتيراً لما عند الله جل وعلا، ويكون قوله ﷺ «... وَأَنْزَلَ فِي الْأَرْضِ جُزْءاً وَاحِدًا، فَمِنْ ذَلِكَ الْجُزْءِ يَتَرَاحَمُ الْخَلْقُ حَتَّى تَرْفَعَ الْفَرَسُ حَافِرَهَا عَنْ وَلَدِهَا خَشِيَةً أَنْ تُصَبِّيهَ»<sup>(٢)</sup>، بمعنى أن كل من في الأرض يتراحمون بأثار جزء من مائة جزء من رحمة الله جل وعلا، وهذا على سبيل تقرير الفهم لنعرف به التفاوت بين القسطين في الدارين، لا التقسيم والتجزئة، فإن رحمته ﷺ لا حد لها.

#### ٤. من دلائل الرحمة في الحديث: النبي ﷺ رحيم بأمته.

تظهر تجليات رحمة الله ﷺ في الكثير من العبادات، ففي قوله تعالى: «أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعَذَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فَذِيَّةٌ طَعَامٌ مَسْكِنٌ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ» (آل بقرة، بيان لرخصة ورحمة، جعلها الله للمريض

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه من طريق أبي ذر، كتاب البر والصلة والأدب، باب تحريم الظلم، رقم الحديث ١٧٤٤، ١٩٩٤ / ١، وينظر: الأسماء والصفات، البهقي، ٣١٤ / ١.

(٢) سبق تحريرجه.

والمسافر، لقد جعل الله الصيام أيامًا معدودات، ومع هذا فقد أعنى من أدائه المريض حتى يصح، والمسافرين حتى يقيموا، تخفيفاً وتيسيراً، ورحمة بالملائكة.

وفي السنة، فإن رحمة النبي ﷺ لم تكن قاصرة على أمته، بل جاء رحمة مهداة للعالمين، ولا شك أن رحمة الرسول ﷺ بأصحابه قد عادت على الأمة جميعاً بالخير؛ لأن أفعاله وأقواله معهم لم تكن خاصة بهم؛ ولكنها كانت تشرعها ثابتاً سيظل معمولاً به إلى يوم القيمة، ولقد بلغت رحمة الرسول ﷺ بأمته حدّاً لا يتخيله أحد حتى وصلت إلى التخفيف في العبادة.

#### ٤. سيدنا محمد ﷺ الرحمة المهداء.

إن رحمة النبي ﷺ بُعدَّ مِنْهُمْ فِي شَخْصِيهِ، وَفِي دُعَوَتِهِ وَمِنْ صَمِيمِ شَخْصِيهِ: رَسُولًا وَنَبِيًّا وَمَبْلَغاً عَنْ رَبِّهِ، وَهَادِيًّا لِلنَّاسِ، وَحِينَما تَقْرَأُ قَوْلَهُ تَعَالَى: «وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ» [١٢٧] [الأنباء]، وَتَقْفَ أَمَامَ الْآيَةِ تَدْرِكُ سُعَةَ رَحْمَةِ النَّبِيِّ الْكَرِيمِ، وَكَيْفَ كَانَ ﷺ يَفِيَضُ رَحْمَةً فِي خَلْقِهِ وَسُلُوكِهِ وَأَدْبِرِهِ وَشَمَائِلِهِ، وَإِنَّهُ لِتَنَاسُبٍ وَتَالِفٍ فِي أَرْقَى مَسْتَوَيَاتِهِ بَيْنَ الرَّسُالَةِ وَالرَّسُولِ فِي هَذِهِ الرَّحْمَةِ، حَتَّى يَتَصَوَّرَ أَنْ يَحْمِلَ عَبَءَ بَلَاغِ هَذِهِ الرَّحْمَةِ إِلَى الْعَالَمِينَ، إِلَّا رَسُولٌ رَحِيمٌ، ذُو رَحْمَةٍ عَامَّةٍ شَامِلَةٍ فِيَاضَةً، طَبَعَ عَلَيْهَا ذُوقَهُ وَوَجْدَانَهُ، وَصَبَّغَ بَهَا قَلْبَهُ وَفَطَرَتْهُ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى:

«لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّجِيمٌ» [١٢٨] [التوبَة].

فهو مثل للرحمة الإلهية، لذلك وصفه الله تعالى بأنه رءوف رحيم، لقد أرسله الله رحمة للعالمين، رحمة شاملة للوجود بأجمعه، يستطيع أن يستفيد منها المؤمن؛ لأنَّه «بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّجِيمٌ» [التوبَة: ١٢٨]، فعندما قيل له: أدع على المشركين. قال ﷺ: «إِنِّي لَمْ أُبَعِثْ لَعَنَّا وَإِنَّمَا بَعَثْتُ رَحْمَةً»<sup>(١)</sup>.

(١) أخرجها الإمام مسلم في صحيحه من طريق أبي هريرة، كتاب البر والصلة والأدب، =

فمن دلائل رحمة النبي ﷺ بأمته وخوفه عليها، ولذلك كثيراً ما يذكر لهم سبب هلاك الأمم قبلهم ليحذرهم فصلى الله عليه وسلم، وقد وصفه الله بقوله: **﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾**، ومن دلائل الحديث رحمة النبي ﷺ ب أصحابه وحرصه على إبعاد الشر عنهم.

#### ٥. رحمة النبي من رحمة الله ﷺ، التي وسعت كل شيء.

رحمة النبي من رحمة الله التي وسعت كل شيء، وكذا كانت بعثته ونبوته، فهو ﷺ الذي أوجدها وقدرها وساقتها إلى من شاء من عباده، كما قدر غيرها من أسباب الرحمة، فأثار رحمته جل وعلا على عباده ظاهرة في كل حال، وكما قيل في مسألة الإنعام والتفضيل والإحسان، يقال كذلك في مسألة الرحمة، إن موجدها ومبربيها ومقدرتها هو الله وحده لا شريك له، فإليه تسبب أصلاً، كما تسبب إلى من أجرى الله على يديه نعمة أو رحمة، على أنه سبب من الأسباب، ومنها:

- حديث أبي هريرة **رض** عن النبي ﷺ: «أنه قال: لما قضى الله الخلق كتب في كتابه، فهو عنده فوق العرش، إن رحمتي غلت غضبي»<sup>(١)</sup>.
- وحديث أبي هريرة **رض** قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: جعل الله الرحمة مئة جزء، فأمسك عنده تسعة وتسعين جزءاً، وأنزل في الأرض جزءاً واحداً. فمن ذلك الجزء يتراحم الخلق، حتى ترفع الفرس حافرها عن ولدها، خشية أن تصيبه»<sup>(٢)</sup>.



## المبحث الثاني مناقشة أثر اختلاف الفاظ الحديث في تعدد أوجه الرحمة

### روايات الحديث:

• أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، حدثنا إسماعيل بن أحمد حدثنا محمد بن الحسن بن قتيبة حدثنا حرملاة بن يحيى، أخبرنا ابن وهب، قال أخبرني يونس بن يزيد عن ابن شهاب أن سعيد بن المسيب أخبره، أن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «جعل الله الرحمة مئة جزء، فأمسك عنه تسعة وتسعين، وأنزل في الأرض جزءاً واحداً فمن ذلك يتراحم الخلق، حتى ترفع الدابة حافرها عن ولدها، خشية أن تصيبه»<sup>(١)</sup>.

• عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «جعل الله الرحمة مئة جزء، فأمسك عنه تسعة وتسعين جزءاً، وأنزل في الأرض جزءاً واحداً، فمن ذلك الجزء يتراحم الخلق، حتى ترفع الفرس حافرها عن ولدها، خشية أن تصيبه»<sup>(٢)</sup>.

(١) أخرجها الإمام مسلم في صحيحه من طريق أبي هريرة، كتاب/ التوبة، باب/ سعة رحمة الله تعالى، رقم الحديث ٨٧٤٨ .٩٦

(٢) أخرجها الإمام البخاري في صحيحه من طريق أبي هريرة، كتاب/ الأدب، باب / جعل الله الرحمة مئة جزء، رقم الحديث ٥٦٥٤ .٢٢٣٦

• وفي رواية أخرى عند البخاري: «إن الله خلق الرحمة يوم خلقها مئة رحمة فأمسك عنده تسعاً وتسعين رحمة، وأرسل في خلقه كلهم رحمة واحدة، فلو يعلم الكافر بكل الذي عند الله من الرحمة لم يبأس من الجنة، ولو يعلم المؤمن بكل الذي عند الله من العذاب لم يأمن من النار»<sup>(١)</sup>.

• في رواية عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «جعل الله الرحمة مئة جزء فأمسك عنده تسعة وتسعين، وأنزل الأرض جزءاً واحداً، فمن ذلك الجزء يتراحم الخلائق، حتى ترفع الدابة حوافرها عن ولدها خشية أن تصيبه»<sup>(٢)</sup>.

الرحمة التي وردت في الأحاديث هي الرحمة التي دل عليها اسم الله الرحمن، والتي تظهر بمقتضى حكمته في أهل الدنيا، فمن رحمته أنه أنعم على الناس ليشكروه؛ ولكن كثيراً منهم جاحدون<sup>(٣)</sup>، قال تعالى: ﴿وَمَنْ رَحْمَةً جَعَلَ لِكُوْنِ الْأَيَّلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوهُ فَإِنَّهُمْ لَتَبَغُّونَ مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشَكُّرُونَ﴾ [٧٣] [القصص].

ولما كانت الرحمة التي دل عليها اسمه الرحمن رحمة عامة بالناس أجمعين، فإن الله خص هذا الاسم ليقرنه بستوائه على عرشه في جميع الموضع التي وردت في القرآن والسنة، قال تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ أَسْتَوَى﴾ [طه]، ومن حديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: «إذا سألتم الله فسلوه الفردوس، فإنه أوسط الجنة، وأعلى الجنة، وفوق عرش الرحمن»<sup>(٤)</sup>.

(١) أخرجهها الإمام البخاري في صحيحه من طريق أبي هريرة، كتاب/ الرفق، باب/ الرجاء مع الخوف، رقم الحديث ٦١٠٤، ٥/٢٢٧٤.

(٢) سبق تخریجه.

(٣) ينظر أسماء الله الحسني في الكتاب والسنة، محمود عبد الرزاق الرضوانى ١/٢٥٢.

(٤) أخرجهها البخاري في صحيحه من طريق أبي هريرة، كتاب/ التوحيد، باب/ وكان عرشه على الماء،

رقم الحديث ٦٩٨٧، ٦/٢٧٠٠.

لذلك من الدعاء الثابت باسمه الرحمن: ”اللهم إني أعوذ بكلمات الله التامة من شر ما خلق وذرأ وبراً، ومن شر ما ينزل من السماء، ومن شر ما يعرج فيها، ومن شر فتن الليل والنهار، ومن شر كل طارقا إلا طارقا يطرق بخير يا رحمن، رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما، تعطيها من تشاء، وتمنع منها من تشاء، أرحمني رحمة تغيني بها عن رحمة من سواك، اللهم أنت الرحمن المستعان على ما يصفون“<sup>(١)</sup>.

وقد ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال: «الراحمون يرحمهم الرحمن، أرحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء»<sup>(٢)</sup>.

يعلق الحافظ قائلاً: ”وفيه إشارة إلى أنه ينبغي للمرء أن يجعل تعلقه في جميع أموره بالله وحده، وأن كل من فرض أن فيه رحمة ما حتى يقصد لأجلها، فالله أرحم منه، فليقصد العاقل حاجته من هو أشد له رحمة“<sup>(٣)</sup>.

لذلك أوضح النبي ﷺ أنه لا أحد يدخل الجنة إلا برحمة المولى ﷺ، فعن عائشة رض أن النبي ﷺ قال: «سددوا وقاربوا وبشروا، فإنه لا يدخل أحداً الجنة بعمله، قالوا ولا أنت يا رسول الله؟، قال: «ولا أنا إلا أن يتغمدني الله بمغفرة ورحمة»<sup>(٤)</sup>، لذلك كتب الله ﷺ على نفسه الرحمة، وهذا استعطاف منه للمتولين عنه الإقبال عليه، وإخبار بأنه رحيم بعباده، وأنه لا يعجل بالعقوبة بل يقبل التوبة والإنابة، ممن تاب وأناب.

والناظر إلى الاختلاف في أوجه الرحمة، وعدد الرحمات، وتعدد ذكر المخلوقات في الرواية، فنجيب عن ذلك بأمرتين: الأولى: واسم الله الرحيم تحقق في شروط الإحصاء، فقد ورد في القرآن والسنة مطلقاً

(١) ينظر سلسلة الأحاديث الصحيحة، الألباني، ص ٨٤٠، صحيح الترغيب والترهيب ١٨٢١.

(٢) صحيح الجامع الصغير، رقم الحديث ٣٥٢٢، ٢٢/٣.

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري عائشة رض، كتاب/ صفة القيامة والجنة.

(٤) أخرجها الإمام مسلم في صحيحه من طريق السيدة عائشة رض، كتاب/ صفة القيامة والجنة والنار، باب/ لن يدخل أحد الجنة بعمله، بل برحمة الله تعالى، رقم الحديث ٧٢٠٠، ١٢٢/١١.

معرفاً ومنونا، مراداً به العلمية ودالاً على الوصفية وكمالها، واسم الله الرحيم اقترن باسمه الرحمن، كما تقدم في ستة مواضع من القرآن، غالباً ما يقترن اسم الله الرحيم بالتوب والغفور والرءوف والودود والعزيز؛ لأن الرحمة التي دل عليها الرحيم رحمة خاصة تلحق المؤمنين، فالله ﷺ رحمته التي دل عليها اسمه الرحمن شملت الخلائق في الدنيا، مؤمنهم وكافرهم وبرهم وفاجرهم؛ لكنه في الآخرة رحيم بالمؤمنين فقط، الثاني: قول الشيخ حقي: "فهذا يدل على كمال الرجاء والبشرارة للMuslimين؛ لأن حصل في هذه الدار الدنيا من رحمة واحدة، وما حصل من النعم الظاهرة والباطنة، فما ظنك بمائة رحمة في الدار الآخرة" <sup>(١)</sup>.

فكان ﷺ حريصاً على الرحمة بالضعفاء، ففي الحديث الشريف: «ابغوني في الضعفاء فإنما تتصررون وترزقون بضعفائكم» <sup>(٢)</sup>، وفي حديث آخر: «انقوا الله في الضعيفين: الأرمدة واليتيما» <sup>(٣)</sup>، وقوله: ﷺ: «أنا وكافل اليتيم في الجنة» <sup>(٤)</sup>.

وفي الحديث الشريف: «ليس من أمتى من لا يجل كبيرنا ويرحم صغيرنا، ويعرف لعالمنا حقه» <sup>(٥)</sup>.

ومن رحمته ﷺ بالحيوان، قوله: «إن الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة، ولivid أحدكم شفترته، وليرح ذبيحته» <sup>(٦)</sup>.

(١) تفسير حقي، حقي، ٢٨٩/٣.

(٢) أخرجه الإمام أبو عيسى الترمذى في سننه من طريق أبي الدرداء، كتاب/ الجهاد، باب/ الاستفتاح بصلاليك المسلمين، رقم الحديث ٢٤٠٢، ٢٨١/٣.

(٣) أخرجه الإمام الترمذى في صحيحه من طريق أبي الدرداء، كتاب/ أبواب النكاح، باب/ ما جاء في السعي على الأرمدة واليتيما، رقم الحديث ١٢١١، ١٧١/٣.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه من طريق سهل بن سعد، كتاب/ الأدب، باب/ فضل من يعول يتيمًا، رقم الحديث ٥٦٥٩، ١١٢٢/٥.

(٥) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، كتاب/ مسنن المكثرين من الصحابة، باب/ مسنن عبد الله بن عمرو رض، رقم الحديث ٦٩٣٥، ٢٠٧/٢.

(٦) أخرجه الإمام النسائي في سننه من طريق شداد بن أوس، كتاب/ الضحايا، باب/ الأمر بإحداد الشفرة، رقم الحديث ٤٠١١، ٢٢٧/٧.

ومن رأفته بالحيوان، نهيه ﷺ اتخاذ الحيوان هدفاً يرمى، سواء أكان للتسلية أو التدريب، فعن ابن عمر ﷺ قال: «إن رسول الله ﷺ لعن من اتخذ شيئاً فيه الروح غرضاً»<sup>(١)</sup>، وعن أنس بن مالك ﷺ قال: «نهى النبي ﷺ أن تصبر البهائم»<sup>(٢)</sup>.

فالرحمة بالحيوان وخصوصاً الأليفة منها يثاب فاعلها ويعاقب تاركها، فمن رحمها يرحمه الله، ومن عذبها يعذبه الله، فلقد روي عن عبد الله بن عمر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «عذبت امرأة في هرة سجنتها حتى ماتت، فدخلت فيها النار، لا هي أطعمتها، ولا سقتها، إذ حبستها، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض»<sup>(٣)</sup>.

فالله ﷺ هو الرحمن الرحيم، ولم يزل ولا يزال كذلك؛ وهو ﷺ خلق من الرحمة ما يكفي على ما ينشرها على ما يشاء من خلقه؛ فجعل هذه الرحمة المخلوقة مئة جزءاً؛ وأنزل جزءاً واحداً منها، لتتراءم به الخلائق في الحياة الدنيا؛ حتى إن الدابة لترفع حافرها عن ولدها، خشية أن تصيبه من ذلك الجزء، أي من ذلك الجزء من الرحمة التي أنزلها الله؛ فانظر رحمة الله إلى مئات الآلاف من الأجناس والأنواع من الأحياء في البر والبحر؛ ثم بتكرار الأجيال إلى يوم القيمة؛ فكم يكون عدد الأمهات من البشر وغيرهم من الأحياء، ولا يحصيهم أبداً إلا الله، فكم يكون عظم هذا الجزء من الرحمة؛ فكيف إذا أضيف إلى كل ذلك كل رحمة بين الآباء والأبناء وبين الرجال والنساء؛ وبين الكبار والصغار؛ وبين الرحماء والمساكين؛ فكيف إذا أضيف إلى ذلك رحمة الله ﷺ بإرسال الرياح؛ وإنزال

(١) أخرجها الإمام مسلم في صحيحه من طريق عبد الله بن عباس، كتاب الصيد والذبائح، باب / النهي عن صبر البهائم، رقم الحديث ٢٢٧١/٢، ١٧١.

(٢) التخريج السابق نفسه.

(٣) أخرجها الإمام مسلم في صحيحه من طريق عبد الله بن عباس، كتاب السلام، باب / النهي عن قتل المهرة، رقم الحديث ٥٩٨٩، ٤٣/٧.

ماء من السماء<sup>(١)</sup>; وإخراج النبات مما يأكل الناس والأنعام؛ ثم أضيف إنجاء المؤمنين، وغير ذلك من أنواع الرحمة، وكلها داخلة في جزء واحد من المائة رحمة؛ ثم قيل يوم القيمة يرفع ذلك الجزء لينضم إلى التسعة والتسعين؛ فتصير مئة كلها لأولياء الله يوم القيمة، فكل هذه الرحمة التي جرت في الدنيا، وأخذ منها جميع الخلق من البشر وغيرهم؛ حتى أئمة الكفر؛ فإنهم ما مكثوا على كفرهم عشرات السنين إلا برحمه الله علهم يتذكرون ويتوبون، كل هذه الرحمة لم تقص من آتصف الله بالرحمة، ولو بمتقال ذرة، وقس على ذلك في جميع الصفات من الخلق والرزق والعزة، وغيرها، فلو أن الأولين والآخرين اجتمعوا في صعيد واحد فطلب كل منهم من الله رزقاً بما يريد، فأعطاهم الله إياه؛ ما نقص ذلك من صفة الرزق لله شيئاً، ولو بمتقال ذرة، فهي صفة كاملة لا تختل ولا تتجزأ<sup>(٢)</sup>.

والرحمة الإلهية هي التي وسعت كل شيء وبها تترافق الخلائق فيما بينها؛ لأنها صفة جعلها الله في عباده، فالرحمة جعلها الله في قلوب البشر ليترافقوا فيما بينهم لتسود الحياة، ويبتعد الإنسان عن الشر، وكل ما يؤثر في عمله، وتقريره إلى الله، فيجب علينا أن نتصف بهذه الصفة الإلهية التي منحنا الله إياها في هذه الدنيا.

ومن تعدد أوجه الرحمة في الحديث، أن الله يده الرحمة وحده، ومن رحمته: أن أحداً من خلقه لا يستطيع أن يحجب رحمته أو يمنعها عن أوليائه، قال تعالى: «مَا يَفْتَحَ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكَ فَلَا مُرْسِلٌ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ أَعْزَيزُ الْحَكَمِ» [فاطر]<sup>(٣)</sup>.

(١) ينظر: اسم الله الصمد ٩/١

(٢) المرجع السابق ٩/١

(٣) ينظر النور الأسمى في شرح أسماء الله الحسنی، أمین الانصاری ٤٧/١

قال ابن أبي حمزة: «إن الله جعل الرحمة في قلوب الأنبياء أكثر مما جعل في قلوب غيرهم»<sup>(١)</sup>، وهذا يدل على سعة رحمة الله تعالى بمخلوقاته.

وقد جاء عن النبي ﷺ: «نبي التوبة،نبي الرحمة»<sup>(٢)</sup>، لقوله تعالى: **﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفُ رَّحِيمٌ﴾** [التوبة: ١٢٨]، ويقول القاضي عياض في ذلك: «كل رحم طbac ما بين السماء والأرض فجعل منها في الأرض واحدة بين خلقه، وخبأ عنده مئة إلا واحدة، يرحم الله بها عباده يوم القيمة، وهي عبارة عن كثرة رحمة الله في الدنيا والآخرة، وأنها في التمثيل على ما عهد من تراحم الناس، وقد يتحمل أنها تجزئ صحيحة في أنواع الرحمة، والله يختص بقية أنواعها علي هذه التجزئة»<sup>(٣)</sup>.

والدليل على تعدد الرحمات من الله ﷺ قول ابن رجب الحنبلي: «أما الرحمة فهي دخول الجنة وعلو درجاتها، وجميع ما في الجنة من النعيم بالملائقات، ومن رضى الله ﷺ وقربه ومشاهدته وزيارته، فإنه من رحمة الله تعالى، وفي الحديث الصحيح: أن الله ﷺ يقول للجنة: أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي فكل ما في الجنة فهو رحمة الله ﷺ، وإنما تزال برحمته لا بالعمل، كما قال: «لن يدخل أحد منكم الجنة بعمله»، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته»<sup>(٤)</sup>.

وهناك روایات أخرى توضح دلالات الرحمة في السنة النبوية، منها رواية أبي هريرة في المعجم الأوسط حدثنا عبد الرحمن بن معاوية العتبى

(١) إتحاف القاري بدر البخاري ٦١/٢.

(٢) إكمال المعلم شرح صحيح مسلم، القاضي عياض، ١٦٠/٧.

(٣) إكمال المعلم شرح صحيح مسلم، القاضي عياض، ١٢٣/٨.

(٤) اختصار الأولى في شرح حديث احتمام الملا الأعلى، ابن رجب الحنبلي، ٢١/١.

قال حدثنا يحيى بن بکير قال حدثی الیث عن جابر بن یزید عن سعید ابن أبی هلال عن أبان بن صالح عن مجاهد أبی الحجاج عن طاوس عن أبی هریرة عن رسول الله ﷺ قال خلق الله الرحمة مئة رحمة، فامسک عنده تسعاً وتسعين رحمة، وجعل بين خلقه كلهم رحمة واحدة، ولو یعلم الكافر كل الذي عند الله من الرحمة ما یئس من الجنة، ولو یعلم المؤمن كل الذي عند الله من العذاب ما أمن النار<sup>(۱)</sup>.

ومن تعدد أوجه الرحمة التي دلت عليها الأحادیث، قوله ﷺ: «وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلنَّاسِ» [الأنبياء]، قال المقدسي في ذلك: ”من آمن به تمت له الرحمة في الدنيا والآخرة، ومن كفر به صرفت عنه العقوبة التي كان يعاقب بها الأمم يعني في الدنيا“<sup>(۲)</sup>، كل هذه المظاهر تدل على تعدد أوجه الرحمة، وتتنوعها كما جاءت في الحديث.

(۱) أخرجه الإمام الطبراني في المعجم الأوسط من طريق أبی هریرة، مسند من اسمه عبد الرحمن، رقم الحديث ۴۷۱۱.

(۲) الأحادیث المختارة، للمقدسي، ۲۲۱/۴.

## الخاتمة

من أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة:

١. كلمة (رحمة) في معناها اللغوي تحتمل الكثير من المعاني والقيم، فالرحمة بمعنى الرقة، والتاطف، والمغفرة، والتوسعة، واصطلاحاً هي إيصال المنافع والمصالح إلى العبد.
٢. وردت الكثير من النصوص القرآنية والحديثية الدالة على خلق الرحمة، التي هي صفة من صفات الخالق جل وعلا.
٣. يمكن نشر ثقافة الرحمة بين الأفراد من خلال: إخلاص العبودية لله ﷺ، والتسامح الإيجابي، ومعرفة قدر ابن آدم، وشكر نعمة المولى ﷺ.
٤. من دلائل الرحمة في الحديث: جعل الله الرحمة في مئة وعاء، الرحمة التي بين الخلق في الدنيا تكون بينهم يوم القيمة، إضافة الرحمة في كل الموضع إلى المولى ﷺ، والنبي رحيم بأمته، وسيدنا محمد ﷺ الرحمة المهدأة، ورحمة النبي من رحمة الله ﷺ، التي وسعت كل شيء.
٥. أما عن أثر اختلاف ألفاظ الحديث في تعدد أوجه الرحمة،

فكان الرحمة في الإسلام متعددة، شملت الإنسان، والحيوان، وغير المسلم، ومن تعدد أوجه الرحمة في الحديث، إن الله تبارك وتعالى بيده الرحمة وحده، ومن رحمته أن أحداً من خلقه لا يستطيع أن يحجب رحمته أو يمنعها من أوليائه.

ومن أهم التوصيات، التي يوصي بها الباحث:

- ضرورة الاهتمام بالدراسات الموضوعية في الحديث النبوى الشريف، التي لها الأثر العظيم في إثراء القيم الأخلاقية في الإسلام.
- عمل مؤتمرات علمية متخصصة تهتم بالقيم الإسلامية، التي تستطيع من خلالها الرد على كل مستشرق، وقدح في الإسلام.
- الاهتمام بإعداد المؤلفات المتخصصة التي تهتم بالجانب الموضوعي في القرآن الكريم، والحديث النبوى الشريف.
- عمل مراكز متخصصة تهتم بنشر الإسلام الوسطي الذي قام على نشر الدعوة، والدفاع عن ماهية الإنسان ووجوده، واحترام الحقوق الشرعية كما يجب.



## فهرس المصادر والمرجع:

- القرآن الكريم
- ١. إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة، أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل البوصيري، دار الأمل، القاهرة، ١٩٨٧ م.
- ٢. إحقاق الحق في النفاق، خالد بن إبراهيم، دار الريان للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٩٩٧ م.
- ٣. أحكام القرآن، أحمد بن علي الرazi الجصاص أبو بكر، دار إحياء التراث العربي، بيروت، تحقيق/ محمد الصادق قمحاوي، ١٤٠٥ هـ.
- ٤. إيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، جابر بن موسى بن عبد القادر ابن جابر أبو بكر الجزائري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، السعودية، الطبعة الخامسة، ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م.
- ٥. أحكام القرآن، محمد بن عبد الله الأندلسي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ.
- ٦. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكنى الشنقيطي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م.
- ٧. التحرير والتووير من التفسير، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت ١٣٩٣ هـ)، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٩٩٦ م.
- ٨. تفسير الفخر الرازى، محمد بن عمر بن الحسين الرازى الشافعى المعروف بالفخر الرازى، دار إحياء التراث العربى، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥ م.

٩. البحر الرائق شرح كنز الدقائق، زين الدين ابن نجيم الحنفي، دار المعرفة، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.
١٠. تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق/ محمود حسن، دار الفكر، ١٩٩٤م / ١٤١٤هـ.
١١. الترغيب والترهيب من الحديث الشريف، عبدالعظيم بن عبد القوي المنذري أبو محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، تحقيق محمد إبراهيم شمس الدين، ١٤١٧هـ.
١٢. التفسير الوسيط، محمد سيد طنطاوي، دار الشروق، مصر، ١٩٨٩م.
١٣. تهذيب الكمال، يوسف بن الزكي عبد الرحمن أبو الحاج المزي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، تحقيق/ د/ بشار عواد معروف، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م.
١٤. تفسير القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج القرطبي، أبو عبدالله، مطبعة دار الرشد، الطبعة الأولى، ٢٠١٣م.
١٥. الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحاج بن مسلم القشيري النيسابوري، دار الجليل بيروت، ١٤٢٣هـ.
١٦. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعфи البخاري، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجا، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.
١٧. الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم، محمد بن فتوح الحميدي، دار ابن حزم، لبنان بيروت، الطبعة الثانية، تحقيق/ علي حسين البواب، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م.
١٨. الخلاصة في فقه الإقليات، جمع وإعداد الباحث في القرآن والسنة، علي نايف الحشود، دار بيروت للطباعة والنشر، ١٩٩٤م / ١٤٢٤هـ.

١٩. حاشية قليوبي على شرح جلال الدين المحلي على منهاج الطالبين، شهاب الدين أحمد بن أحمد بن سلامة القليوبي، تحقيق/ مكتب البحث والدراسات الإسلامية، دار الفكر، لبنان، بيروت، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م.
٢٠. الحاوي الكبير، العلامة أبو الحسن الماوري، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٠م.
٢١. الخصائص الكبriي، أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن أبي بكر السيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.
٢٢. الدراسة في تحرير أحاديث الهدایة، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، تحقيق السيد عبد الله هاشم اليماني المدنی، دار المعرفة، بيروت ١٩٩٥م.
٢٣. الدر المنثور، عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٣م.
٢٤. رسالة في أسس العقيدة، محمد بن عودة السعوي، وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد، السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ.
٢٥. الطبقات الكبرى، محمد بن سعد بن منيع أبو عبد الله البصري الزهري، إحسان عباس، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م.
٢٦. عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام رض، ناصر بن علي عائض حسن الشيخ، مكتبة الرشد، الرياض، السعودية، الطبعة الثالثة، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م.
٢٧. الفتاوى الكبرى، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني أبو العباس، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى، تحقيق/ حسين محمد مخلوف ١٢٨٦هـ.
٢٨. المبسوط، السرخسي، نشر محمد أفندي المغربي، ١٤٢٣هـ.

٢٩. المตواتري على أبواب البخاري، الإمام العلامة ناصر الدين ابن المنير (ت ٦٨٣هـ)، دار الفكر العربي، ١٨٨٦م.
٣٠. المجتمع المدني، المواطننة والديمقراطية، جدلية المفهوم والممارسة، أ/ العيدي صعونيتيه، دار حراء للنشر والتوزيع، الأردن، ١٩٩٧م.
٣١. المخصوص، أبو الحسن علي بن إسماعيل التحوي اللغوي الأندلسي المعروف بابن سيده، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، تحقيق/ خليل إبراهيم جمال، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م.
٣٢. المستدرک على الصحيحين، محمد بن عبد الله أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، دار الكتب العلمية، بيروت، تحقيق/ مصطفى عبدالقادر عطا، مع تعليقات الذهبي في التلخيص، الطبعة الأولى ١٤١١هـ / ١٩٩٠م.
٣٣. المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، عبدالله بن أحمد ابن قدامة المقدسي أبو محمد، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.
٣٤. المفصل في أحكام الهجرة، جمع وإعداد الباحث في القرآن والسنة، علي بن نايف الحشود، دار بيروت للطباعة والنشر، ١٩٩٠م.
٣٥. المفصل في الرد على شبّهات أعداء الإسلام، جمع وإعداد الباحث في القرآن والسنة، د/ علي نايف الحشود، دار الرشد، ١٤٢٣هـ.
٣٦. الموسوعة العربية العالمية، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الرياض، ١٩٩٦م.
٣٧. الموسوعة الفقهية الكويتية، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، الطبعة الثانية، دار السلاسل، الكويت، ١٤٣٧هـ.
٣٨. المطلع على أبواب الفقه، محمد بن أبي الفتح البغدادي الحنفي أبو عبدالله، المكتب الإسلامي، بيروت، تحقيق/ محمد بشير الأدلي، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م.

٣٩. نواضج الإيمان القولية والعملية، عبدالعزيز بن محمد قاسم، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى، ١٩٩٧ م.

٤٠. الوقوف على الموقف على صحيح مسلم، الإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني أبو الفضل الشافعي، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، الطبعة الأولى، تحقيق/ عبدالله الليثي الأنصاري، ١٤٠٦ هـ.

٤١. بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، علاء الدين الكاساني (ت ٥٨٧ هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٢ م.

٤٢. جامع العلوم والحكم، أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلبي، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨ هـ.

٤٣. شرح الأربعين النووية، عطية محمد سالم (المتوفى ١٤٢٠ هـ)، دار الرشد، ١٤٢٢ هـ.

٤٤. شرح الطحاوية في العقيدة السلفية، صدر الدين علي بن علي بن محمد بن أبي العز الحنفي، تحقيق د/ أحمد محمد شاكر، الطبعة الأولى، وزارة الشئون الإسلامية، الأوقاف والدعوة والإرشاد، السعودية، ١٤١٨ هـ.

٤٥. شرح بلوغ المرام، عطية بن محمد سالم (ت ١٤٢٠ هـ)، دار الصوت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤ هـ.

٤٦. اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص عمر بن علي بن عادل الدمشقي الحنبلبي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨ م.

٤٧. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، الحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي (ت ٨٠٧ هـ)، بتحرير الحافظين الجليلين العراقي، ابن حجر، ١٤١٢ هـ.

٤٨. لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.
٤٩. محسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي، دار العلم، الطبعة الأولى، ١٤٣٢هـ.
٥٠. مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازى، مكتبة لبنان، بيروت، تحقيق/ محمود خاطر، ١٩٩٥م.
٥١. مسلمون ومسيحيون في الحضارة العربية والإسلامية، أحمد صدقي الدجاني، مركز يانا للدراسات والأبحاث، القاهرة ١٩٩٩م.
٥٢. مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، محمد الخطيب الشربيني، دار الفكر العربي، بيروت، ١٩٨٣.
٥٣. نظرات استشرافية في فقه العلاقات الإنسانية بين المسلمين، وغير المسلمين، د/ حسن بن محمد سفر، دار الشروق، الطبعة الأولى، ١٩٨٥م.

رحمة الله تعالى بعباده  
أسبابها وأثارها  
في ضوء القرآن الكريم

إعداد:

أ. د. عبدالفتاح محمد خضر

أستاذ ورئيس قسم التفسير بجامعة الأزهر  
عضو الجمعية العلمية السعودية للقرآن وعلومه  
(بيان)

المؤتمر الدولي في الحكمة في الإسلام

The International Conference on Mercy in Islam  
قسم الدراسات الإسلامية - كلية التربية



## مقدمة

الحمد لله، والصلوة والسلام على رسول الله ﷺ وعلى آله وصحبه ومن والاه.... أما بعد

فقد يسر الله ﷺ لي كتابة هذا البحث الذي عنوانه: ”رحمة الله ﷺ“ بعياده أسبابها وأثارها في ضوء القرآن الكريم“ أسأل الله أن ينفع به كل من طالعه، وهو تابع للمحور الأول: (تأصيل خلق الرحمة في الإسلام).

أهداف هذا البحث:

أبرز أهداف هذا البحث تظهر فيما يلي:

أولاً: بيان ماهية رحمة الله المتصلة بالعباد والتقرير بين ما يصح أن يقال في حق الله ﷺ وما يصح أن يقال في حق البشر.

ثانياً: بيان ما حفل به القرآن الكريم من أسباب رحمة الله لعباده، باستقراء هذه الأسباب من أي القرآن الكريم لفظاً وفي بعض الأحيان من خلال المعنى، مع إظهار ما تحمله هذه الآيات من هدایات وإرشادات لنا جميعاً للترغيب في طرق هذه الأسباب والأخذ بها.

ثالثاً: تجليية آثار رحمة الله بنا، وذلك من خلال القرآن الكريم، مع مزيد بيان لهدایات جادت بها قرائح العلماء، خاصة علماء التفسير في ظلال

النص الشريف، وهذا يرسخ الحالة الإيمانية لدى كل مؤمن ويقويها،  
ويشعره بفضل ربه عليه ليظل عبداً طائعاً للرحمن الرحيم ﷺ.

### منهج البحث:

منهج هذا البحث هو منهج التفسير الموضوعي، إذ يجذب إلى موضوع قرآني خالص هو: «رحمة الله ﷺ» بعباده وأسبابها وثمراتها في ضوء القرآن الكريم، وذلك يقوم على أساس جمع الآيات التي تتحدث عن «رحمة الله عباده» وتقسيمها إلى قسمين: الأول يخص الأسباب، والثاني: يخص الآثار، مع مراعاة إبراز هدایات القرآن وفيوضاته للعمل والتأسي والاعتبار.

### حدود البحث:

الآيات التي استعملها القرآن الكريم فيما يخص رحمة الله المتصلة بعباده السبب والآثار وفق منهجية التفسير الموضوعي وفي إطاره، مراعياً الإيجاز والإنجاز في آن، مبتعداً عن الإطناب، إذ مقام ما يكتب للمؤتمرات يقتضي ذلك.

### خطة البحث:

قسمت هذا البحث بعد المقدمة إلى مطالب ثلاثة وخاتمة:

المطلب الأول: تعريف الرحمة في اللغة والاصطلاح والمناسبة بينهما.

المطلب الثاني: أسباب رحمة الله لعباده ﷺ.

المطلب الثالث: آثار رحمة الله بعباده ومظاهرها.

والخاتمة تضمنت أبرز نقاط البحث، ثم التوصيات والمحظى.

والله ولي التوفيق.



# المطلب الأول

## تعريف الرحمة في اللغة والاصطلاح والمناسبة بينهما

### الرحمة في اللغة:

بإمعان النظر في معاجم العربية وجدت أن مادة الرحمة «الراء والحاء والميم تدل على الرقة والعطف والرأفة. يقال من ذلك: رحمه يرحمه إذا رق له وتعطف عليه»<sup>(١)</sup>.

### الرحمة في الاصطلاح:

عرفها الراغب في مفرداته بقوله: «رقة تقتضي الإحسان إلى المَرْحُوم»<sup>(٢)</sup> ثم فصل قائلاً: وقد تستعمل تارة في الرقة المجردة، وتارة في الإحسان المجرد عن الرقة، نحو: رَحِمَ اللَّهُ فَلَانَا<sup>(٣)</sup>. وإذا وصف بها اللَّهُ عَزَّلَهُ فالمراد بها رحمة حقيقية هي وصف له لا تشبه رحمتنا<sup>(٤)</sup>.

(١) مقاييس اللغة لابن فارس: ٣٩٨/٢، وسان العرب لابن منظور: ٢٢١/١٢.

(٢) المفردات للراغب: ١٩١.

(٣) المرجع السابق ذات الصفحة.

(٤) تفسير المنار: ونصه: «فَقَاتِدَةُ السَّلَفِ فِي جَمِيعِ الصِّفَاتِ الَّتِي وَصَفَ اللَّهُ تَعَالَى بِهَا نَفْسَهُ فِي كِتَابِهِ، وَعَلَى سَانِ رَسُولِهِ أَنْ تَبَهَا لَهُ وَنَمْرُهَا كَمَا جَاءَتْ مَعَ التَّنْزِيهِ عَنْ صِفَاتِ الْخَلْقِ الثَّالِثِ عَقْلًا وَنَقْلًا بِقَوْلِهِ عَلَيْهِ الْيَسُوكَمَثَلُهُ شَيْءٌ فَتَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ عَلَمَا حَقِيقَيْهِ هُوَ وَصَفَ لَهُ، وَلَكِنَّهُ لَا يُشَبِّهُ عَلَمَنَا، وَإِنَّ لَهُ سَعْيًا حَقِيقَيْهِ هُوَ وَصَفَ لَهُ لَا يُشَبِّهُ سَعْيَنَا، وَإِنَّ لَهُ رَحْمَةً حَقِيقَيْهِ هُوَ وَصَفَ لَهُ لَا تَشَبِّهُ رَحْمَتَنَا الَّتِي هِيَ أَنْفَعَالٌ فِي النَّفْسِ، وَهَذَا نَقُولُ فِي سَائِرِ صِفَاتِهِ تَعَالَى فَتَنَجَّمُ بِذَلِكَ بَيْنَ النَّقَلِ وَالْعُقْلِ» (١٤/١).

## العلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي:

المتأمل في التعريف اللغوي والاصطلاحي يلمح اتحاداً بينهما في أن الرحمة رقة وزيادة رأفة وإحسان، وإن كانت في حق الله ﷺ فالمراد بها الإحسان المجرد المطلق لخالقه ﷺ للحوادث، إذ ليس كمثله شيء.



## المطلب الثاني أسباب رحمة الله لعباده

رحمة الله ﷺ لعبادة لا تحصى عدداً؛ لأنها من نعمه، ونعم الله ﷺ لا نستطيع عدّها بنص القرآن الكريم، قال تعالى: «وَإِن تَعُذُّوا فَعَمَّتُ اللَّهُ لَا تَخْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ» [إبراهيم: ٢٤] وعلى ذلك فإن أسباب حلول الرحمة بالمرحومين أيضاً كثيرة، ومن خلال استقراء آي القرآن الكريم نستطيع الوقوف على أسباب كثيرة لنزول الرحمة من الله على عباده منها:

- الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وطاعة الله ورسوله:

من أسباب رحمة الله بعباده قيامهم بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وطاعة الله ورسوله، لقوله ﷺ:

«وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أُولَئِكَ بَعْضٌ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَا عَنِ الْمُنْكَرِ وَيَقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيَؤْتُونَ الرِّزْكَةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرِحُّهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ» [التوبه: ٦١]

الله بالرحمة لكل من طبق محتواها من عباده، بداية من اتحاد القلوب مودة ومحبة وتعاطفاً، ممثلاً ذلك في أن ”بعضهم أولياء بعض“ مروراً بأسباب تطهير المجتمع من خلال عبادة الله وحده، وترك عبادة من سواه، وبالتالي

الالتزام كل عُرف حسن شرعاً، واجتناب ما خالفه، قال القرطبي: ”يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ أَيْ: بِعِبَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَتَوْحِيدِهِ، وَكُلُّ مَا أَتَبَعَ ذَلِكَ، ”وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ“ عن عبادة الأوثان وكل ما أتبَعَ ذلك<sup>(١)</sup> ”وَهَاتَانِ الصِّفَاتَانِ مِنْ أَخْصَ صفاتِ الْمُؤْمِنِينَ الَّتِي يَمْتَازُونَ بِهَا عَلَى الْمُنَافِقِينَ وَعَلَى غَيْرِهِمْ مِنَ الْكُفَّارِ، وَهُمَا سِيَاجُ حِفْظِ الْفَضَائِلِ، وَمَنْعُ فُشُوِ الرَّذَائِلِ<sup>(٢)</sup> ويقيِّمون الصلاة المكتوبة، ويؤدون الزكاة المفروضة، إذ هما من أعظم أسباب رحمة الله لعباده، قال تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكُورَةَ وَأطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرَحَّمُونَ﴾ [النور: ٥١] وقال ﷺ في أمر الزكاة: ﴿وَرَحْمَتِي وَسَعَتْ كُلُّ شَيْءٍ فَسَأَكِنُّهُ لِلَّذِينَ يَنْقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكُورَةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِإِيمَانِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٦] وتذكر آية التوبة قبل ختامها بموعد الله بالرحمة: أن على المسلم أن يكون مطيناً لله ولرسوله، وكون طاعة الله ورسوله مجيبة للرحمة جاء في آيات من القرآن العظيم منها آية آل عمران: ﴿وَأطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرَحَّمُونَ﴾ ثم يأتي الختام المنتظر: ”أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ“ والسيِّنُ في قوله: ”سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ“ مدخلة في الوعد مهلةً لتكون النُّفُوسُ تتَّعمُ برجائه، وفضله ﷺ وعبارة أبي حيَّان: ”وَلَا كَانَتِ الرَّحْمَةُ هُنَّا عِبَارَةٌ عَمَّا يَرْتَبِعُ عَلَى تَلَكَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحةِ مِنَ الثَّوَابِ وَالْعَقَابِ فِي الْآخِرَةِ، أَتَى بِالسِّيِّنِ التي تدل على استقبال الفعل أنَّ الله عزيز غالب على كل شيء قادر عليه، حكيم واضح كلاًً موضعه“<sup>(٤)</sup>. ومن هدایات هذه الآية الكريمة أن رحمة الله تستوجب العمل حسب منهج الله لينجز موعده ﷺ للمرحومين، ذلك الذي فسر بالآية اللاحقة: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَرُ خَلِيلِنَّ فِيهَا وَمَسِكَنَ طَيِّبَةَ فِي جَنَّتٍ عَدِينَ وَرِضْوَانٌ مِنْ أَنْهَى اللَّهُ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبه: ٧٣] وبما جاء في غيرها

(١) القرطبي: ٢٠٣/٨.

(٢) المناр: ٤٦٧/١٠.

(٣) المرجع السابق.

(٤) البحر المحيط: ٧١/٥.

من رحماته، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإقامة فرائضه ﷺ كل ذلك يؤدي إلى اعتصام المجتمع المسلم بالله وحده، وهو السبب التالي.

### • الاعتصام بالله ﷺ:

من أسباب رحمة الله بعباده في القرآن الكريم: الإيمان بالله مع الاعتصام به ﷺ، هذا منطوق قوله تعالى: **﴿فَمَّا أَلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللهِ وَأَعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيِّدُ خَلْقِهِمْ فِي رَحْمَةِ مِنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا﴾** [ النساء ] الآية الكريمة جاءت عقب آية دعت الناس جمیعاً للاعتراف برسالة سيدنا محمد ﷺ وبالقرآن **﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَنٌ مِّنْ رَّبِّكُمْ وَأَنَّزَلْنَا إِلَيْكُمْ تُورًا مُّبِينًا﴾** [ النساء ] وفصلت القول فيمن آمن بالله ربّا، واعتصم ولاذ بدينه، وعصم نفسه من زيف الشيطان، فإن الله يهبه رحمة ترضيه، وتغنيه عما سواه ﷺ، يقول صاحب زهرة التفاسير: ”ولكن ما هي الرحمة؟ وما هو الفضل، وما هي الهدایة؟ ثم أهذا الجزاء في الدنيا أم هو في الآخرة؟ أم هو فيهما معاً؟ لم يبين النص الكريم مكان ذلك الجزاء المؤكد، وعندي أن هذا الجزاء في الدنيا والآخرة“.

وعلى هذا يكون معنى الرحمة في الدنيا أن يكونوا في سعادة واطمئنان وهدوء بال، لأنهم فوضوا أمرهم لل العلي الأعلى الذي ليس كمثله شيء، وهو العلي الحكيم، ورکنوا أنفسهم إلى الملجأ الأعظم، والرکن الأمکن، فاطمأنوا بالله ﷺ، وبذكره، وبامتلاء قلوبهم به، كما قال تعالى: **﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطَمِّنُ قُوَّبِهِمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا إِنَّكَرِ اللَّهَ تَطْمِنُ الْقُلُوبَ﴾** [ الرعد ]، ولا شك أن شقاء الناس في الدنيا سببه انحرافهم عن الجادة وانشغالهم بأمور توجد، بل بالاً مستمراً واضطراباً دائماً، من خصومات، وأحقاد، وحسد، ولجاجات، ومن شأن المؤمن أن يعلو عن سفساف هذه الأمور، فيكون في راحة واطمئنان بال، وكل آفة بالجسم تهون بجوار الاطمئنان

بالله، وكل نعيم مادي دنيوي يذهب به القلق وعدم الاطمئنان، هذه رحمة الدنيا، أما رحمة الآخرة، فهي النعيم المقيم، وجنات عدن خالدين فيها أبداً، هذه الرحمة بنوعيها، ومعانيها،<sup>(١)</sup> ومن عاين رحمة الله بقلبه أو بقالبه من خلال اعتصامه بربه فإنه يتقي الله في سره وعلمه، وهذا هو السبب التالي لتتنزل الرحمات من الله.

## • تقوى الله في السر والعلن

من أسباب رحمة الله بعباده في القرآن الكريم: تقوى الله ﷺ قال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسَعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكِنْتُهَا لِلَّذِينَ يَنْقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَوةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِإِيمَانِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٦] "ورحمتي وسعت كل شيء" العموم فيها عموم كامل صادق، لهذا لم يقل: "كل شخص"، للإشارة إلى أن الرحمة شاملة عامة للأشياء والأشخاص، فشرعيته عدل ورحمة، وإرساله الرسل عدل ورحمة، وخلقه الكون وما فيه من شمس مشرقة مضيئة للكون وقمر منير ونجوم ذات بروج وسحاب ورياح مرسلات رحمة، وهكذا كل ما سخره الله ﷺ للإنسان، وما مكنه منه رحمة به، هذه إشارة إلى معنى العموم الذي اشتمل عليه ذلك النص السامي، وما ترمي إليه رحمته، وإن نعيم الجنة رحمة من الله، وقد كتبها الله ﷺ للذين يؤمنون بالله وبالآخرة، ولذا قال تعالى: ﴿فَسَأَكِنْتُهَا لِلَّذِينَ يَنْقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَوةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِإِيمَانِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ والفاء هنا لتفصيل بعض العام، والسين لتأكيد المستقبل، و"أكتبها" ، أي: أسجلها غير قابلة للمحو، وذكر أعمال أو أوصاف من يستحقونها، فكانت خصالاً ثلاثة: الأولى - التقوى واستشعار مخافة الله، وأن يتخدوا وقاية بينهم وبين الشر، وذلك بتهذيب أنفسهم بالعبادات المهدبة للنفس، التي يستشعر فيها المؤمن خشية الله ﷺ، وابتدا ﷺ بها لأنها أساس قوة الخير، وهي روح الدين، وعمaran القلب بذكر الله ﷺ<sup>(٢)</sup>.

(١) زهرة التفاسير: ٤/١٩٩٣.

(٢) زهرة التفاسير: ٦/٢٩٦٦.

والقوى من علل إرسال الرسل وحلول الرحمة بأصحابها لقوله تعالى:

﴿أَوْ عِبَّتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذَكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِّنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلَن تَقْوُا وَلَعَلَّكُمْ تُرَحَّمُونَ﴾ (٢٣)

[الأعراف] لتتقوا أي: لتوجد منك القوى، وهي علة ثانية تلت العلة الأولى وهي الإنذار، ثم جاءت العلة الثالثة المترتبة على الثانية ”ولعلكم ترحمون“ أي: ولترحموا بسبب القوى إن وجدت منكم.

قال بعض العلماء: وهذا الترتيب في غاية الحسن، لأن المقصود من الإرسال الإنذار، ومن الإنذار القوى. ومن القوى الفوز بالرحمة، وفائدة حرف الترجي (ولعلكم) التبيه على عزة المطلب، وأن القوى غير موجبة للرحمة، بل هي منوطه بفضل الله، وأن المتقي ينبغي ألا يعتمد على تقواه ولا يأمن عذاب الله»<sup>(١)</sup>.

وقد وردت القوى في سورة يس مؤكدة للموضعين السابقين مذيله بالرحمة فقال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَتَقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرَحَّمُونَ﴾ [يس] أي: يرحمكم ربكم إن أنتم حذرتم ذلك، وانقيتموه بالتوبة من شرككم والإيمان به، ولزوم طاعته فيما أوجب عليكم ﷺ وتأتي آية الحديد وهي الرابعة التي تفيض رحمة على المتقين وتوكد مضمون ما سبقها ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ أَمَّنُوا أَنَّقُوا اللَّهَ وَأَمَّنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفَلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَحْكُلَ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحديد] والكفلان لا يعلم وصفهما ولا قدرهما إلا الله ﷺ، أجر على الإيمان، وأجر على القوى، أو أجر على امتثال الأوامر، وأجر على اجتناب النواهي، أو أن التشيبة المراد بها تكرار الإيتاء مرة بعد أخرى<sup>(٢)</sup>، ومن هدایات الآية أن من اتقى ربه وخافه أكرمته ﷺ برحمة ونور ومفارة في ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنْوَنٌ إِلَّا﴾<sup>(٣)</sup>

(١) مفاتيح الغيب: ١/٢٠٠٨، وانظر: التفسير الوسيط لطنطاوي: ٥/٣٠٠ وحاشية الجمل على الجلالين: ٢/١٥٥.

(٢) جامع البيان: ٢٠/٥٢٦.

(٣) تيسير الكريم الرحمن: ٤٣/٨٤٣.

مَنْ أَنِّي اللَّهُ يَقْلِبْ سَلِيمٌ ﴿٨٩﴾ [الشعراء]، فَالْتَّقْوَى مِنْ أَبْرَزْ أَسْبَابِ الرَّحْمَةِ، وَهِيَ أَعْلَى دَرَجَاتِ الإِيمَانِ<sup>(١)</sup>.

وَمِنْ مَكْتَنَزَاتِ التَّقْوَى وَجَوَابَهَا: الْإِنْصَاتُ لِكَلَامِ اللَّهِ ﷺ، وَهُوَ سَبَبٌ مِمَّنْ أَسْبَابِ الرَّحْمَةِ بَنَا وَهُوَ السَّبَبُ التَّالِي:

#### • الاستماع للقرآن والإنصات له.

مِنْ أَهْمَّ أَسْبَابِ الرَّحْمَةِ بِالْعِبَادِ الْاسْتِمَاعُ لِلْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَالْإِنْصَاتُ لَهُ لِقَوْلِهِ ﷺ: «قُلْ إِنَّمَا أَتَيْتُكُمْ مَا يُوَحَّى إِلَيْكُمْ هَذِهِ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٣﴾ وَإِذَا قِرَئَ الْقُرْآنُ فَأَسْتَمِعُوا لَهُ، وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرَحَّمُونَ» [الأعراف: ٢٠٤-٢٠٣] نلمح كَمَا يلمح القارئُ الْكَرِيمُ وصف القرآن الكريم لذاته بالهدى والرحمة للمؤمنين "هذا بصائر من ربكم وهدى ورحمة لقوم يؤمنون" والذي اشتمل على هذه الأوصاف حري بأن يُصنف إلىه، حتى يحصل منه للمنصت هذه النتائج العظيمة وينتفع بها؛ فيستبصر من العمى، ويهدى من الضلال ويرحم بها<sup>(٢)</sup>. وحربي بأن نتأدب معه ونرحب في تلاوته التي بها نرجوا تجارة لن تبور لقوله ﷺ: «إِنَّ الَّذِينَ يَتَلَوَّنُونَ كِتَبَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَنَاهُمْ سِرًا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجْزِيَةً لَّنْ تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيهِمْ أَجُورَهُمْ وَيُزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ عَفُورٌ شَكُورٌ» [فاطر] والتلاوة الخاشعة تقipض رحمة على القارئ، وعلى المنصت المتذمّر للقرآن الكريم، وهذا ما أرسّته الآية الكريمة «وَإِذَا قِرِئَ الْقُرْآنُ فَأَسْتَمِعُوا لَهُ، وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرَحَّمُونَ» والإنصات من لوازِم الاستماع للقرآن، يقول الشيخ السعدي "فمن لازم الاستماع والإنصات؛ حين يتلى كتاب الله، فإنه ينال خيراً كثيراً وعلمًا غزيراً، وإيماناً مستمراً متجدداً، وهدى متزايداً، وبصيرة في دينه، ولهذا رتب الله حصول الرحمة عليهم؛

(١) التحرير والتواتر: ٤/٨٨.

(٢) البحر المحيط: ٤/٤٤٨.

فدل ذلك على أن من تلّى عليه الكتاب، فلم يستمع له وينصت، أنه محروم الحظ من الرحمة، قد فاته خير كثير<sup>(١)</sup> والسنة تفيض جنباتها بما صح عن النبي ﷺ ترغيباً في تلاوة القرآن والاستماع إليه لنفعه رحمة الله ﷺ.

ومن أهم أوقات قراءة القرآن أو الاستماع إليه أو القيام به في صلاة الليل خاصة وقت السحر قياماً لله به، وهو سبب رئيس لنوال رحمة الله ﷺ وهو السبب التالي.

#### • قيام الليل:

من أسباب رحمة الله بعباده في القرآن الكريم: قيام الليل، قال تعالى: ﴿أَمَنَ هُوَ قَنِيتُ إِنَّمَا أَنِيلَ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هُلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ١] سياق هذه الآية الكريمة: ﴿قُلْ تَمَّتَ عِلْمَكَ يَكُفُّرُكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾ [الزمر: ٨] وبضميمته للاحقة فإنه يظهر مفارقة بين الكافر والعبد: "أهذا الكافر الممتع بكفره خير، أم من هو عابد لربه طائع له، يقضي ساعات الليل في القيام والسجود لله، يخاف عذاب الآخرة، ويأمل رحمة ربه؟ قل -أيتها الرسول-: هل يستوي الذين يعلمون ربهم ودينهم الحق والذين لا يعلمون شيئاً من ذلك؟ لا يستوون. إنما يتذكر ويعرف الفرق أصحاب العقول السليمة"<sup>(٢)</sup> فالطائع العابد المجد في الطاعة الذي يقرأ القرآن ويطيل قيام الليل بين السجود، والقيام يكون بين الخوف من عذاب الله وعقابه، الذي يمثله في الآية قوله ﷺ: ﴿يَحْذَرُ الْآخِرَةَ﴾ وبين الرجاء والأمل الذي يبينه قوله تعالى: ﴿وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾ ورجاء الرحمة كما تبين الآية الكريمة ليس بالأمانى الجوفاء، بل بالعمل الجاد ومجاهدة المضاجع.

وفي توقيت القنوت بالليل، إشارة إلى المعاناة التي يجدها المؤمن في

(١) تيسير الكريم الرحمن: ٣١٤.

(٢) التفسير الميسر: ٤٥٩.

طاعة ربه، حيث يهجر النوم بالليل ويقهر سلطانه. وفي هذا يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ نَاسَةَ اللَّيلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأَ وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾ [المزمول] أي: "إنَّ فِي قِيَامِ اللَّيلِ تَزْكِيَةً وَتَصْفِيَةً لِسِرْكَ وَارْتقاءً بِكَ إِلَى الْمَرَاقي الْمَلَكِيَّةِ" <sup>(١)</sup> ويقول ﷺ في الثناء على القائمين بالليل، وما لهم من جراء عظيم عنده ﷺ: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِنْ أَلَيْلٍ مَا يَهْجَعُونَ﴾ <sup>(٢)</sup> [الذاريات] وقوله تعالى في خواتيم آية الزمر: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩]. كان مقتضى السياق أن تجيء المفاضلة بين المؤمن والكافر، أو بين من يذكر الله ومن لا يذكره، فيقال مثلاً: هل يستوي المؤمنون والكافرون؟ أو هل يستوي من يذكر الله ويشرك له، ومن يكفر بالله ويمكر به؟. ولكن جاءت المفاضلة بين الذين يعلمون والذين لا يعلمون، للإشارة إلى أن العلم، هو الذي تقوم عليه قيم الناس، وتتشكل أو تخفّ به موازينهم، في أي: أمر من أمور الدنيا، أو الدين.. <sup>(٣)</sup> وعليه مدار الرحمة وجوداً وعدماً، ومن هدایات هذه الآية أن قيام الليل شرف المؤمن وسبب من أسباب تنزيل الرحمات على عباد الله القائمين المصلين.

ومن قام ليلاً بالقرآن، رق قلبه وانعطف على المسلمين من كان هذا سmetه لا يهدأ له بال، ولا يقر له قرار حتى يدخل من في محطيه في السلم والسلام، وهذا يستدعيه للسعى في إصلاح ما بين الناس ومن علاقات متباهيه، وعین ما يقوم به من إصلاح هو سبب من أسباب نزول الرحمات على عباد الله ﷺ، وهو السبب التالي.

#### • إصلاح ذات البين:

من أسباب رحمة الله بعباده إصلاح ذات البين، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِحْوَةٌ فَاصْلِحُوا بَيْنَ أَهْوَيْكُمْ وَأَنْقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَرْحَمُونَ﴾ <sup>(٤)</sup> [الحجرات] هذه الآية الكريمة

(١) التحرير والتوير: ٢٩ / ٢٦٢.

(٢) التفسير القرآني للقرآن: ١٢ / ١١٢٧.

تبين أن المؤمنين تجمعهم أخوة الدين، وقد جاء في تضاعيف السنة الصحيحة أحاديث كثيرة تؤكد على أن المسلم أخي المسلم، ويجب أن يكون في عون أخيه، بل كالبنيان يشد بعضه بعضاً، وإن كان من تباين أو خصام، أو قتال فالواجب لا يقف الأخوة موقفاً سلبياً، بل يقوم جمع منهم بالصلح والتوفيق بقدر الطاقة ووفق الاستطاعة **﴿فَاصْلِحُوا بَيْنَ أَخْوَيْكُمْ﴾** يعني: الفتئتين المقتلتين **﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾** أي: في جميع أموركم **﴿أَعْلَمُكُمْ تُرْحَمُونَ﴾** ومجيء لعل قبل «ترحمون» مشعر بعزة منال الرحمة وكونها لا تزال إلا بعمل دؤوب، تلك التقوى التي تدخل في أمر الإصلاح دخولاً أولياً كسبب رئيس لفضل الباري برحمته بعباده يقول السعدي: أمر الله ﷺ إيانا بالقوى عموماً، ورتب على القيام بحقوق المؤمنين وبتقى الله، الرحمة فقال: **﴿الْعَلَمُكُمْ تُرْحَمُونَ﴾** وإذا حصلت الرحمة، حصل خيري الدنيا والآخرة، ودل ذلك، على أن عدم القيام بحقوق المؤمنين، من أعظم حواجب الرحمة<sup>(١)</sup> وقد اختيرت الرحمة هنا؛ لأن شأن التعامل الأخوي هو الرحمة، ثمرة ونتيجة، والجزاء من جنس العمل، ومن هدایات هذه الآية الكريمة: أن من موجبات الرحمة تقوى الله ﷺ والخوف منه في كل أمر وخاصة ما يتصل بأبواب الإصلاح بين الناس مصدق ذلك **﴿إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقُ اللَّهُ بِيَنْهَمَا﴾** [النساء: ٣٥] على اختلاف محامل الآية الكريمة.

ومما هو من لوازم الإصلاح بين الناس الصبر الجميل ليثمر هذا الإصلاح ثمرته، وهذا سبب من أوجه أسباب تنزل الرحمات، وهو السبب التالي.

#### • الصبر لحكم الله ﷺ:

من أسباب رحمة الله بعباده الصبر لحكمه ﷺ، قال تعالى: **﴿وَلَنَتْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ وَمِنَ الْخُوفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ﴾**

(١) تيسير الكريم الرحمن: ٨٠٠.

وَبَشِّرُ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٦﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَبْتُهُمْ مُصِيبَةً قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَجِعونَ  
أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَواتٌ مِّنْ رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهَمَّدُونَ ﴿١٥٧﴾ [البقرة]

هذه الآيات الكريمتات تبين أن على المؤمن أن يكون ثابتاً لا يهتز لجزاء أو فتوط من رحمة الله عند تعرضه للابتلاء في دنياه، ومن لطف الله بعباده الموحدين تخفيفه للبلاء، نلمح ذلك من خلال كلمة «شيء من الخوف والجوع»: «وَجَيَءَ بِكَلْمَةِ {بَشَّاءُ} تَهْوِيَّنًا لِلْخَبَرِ الْمُفْجِعِ، وَإِشَارَةً إِلَى الْفَرْقِ بَيْنَ هَذَا الْابْتِلَاءِ وَبَيْنَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ اللَّذِينَ سَلَطَهُمَا اللَّهُ عَلَى بَعْضِ الْأَمْمَ عُقُوبَةً، كَمَا فِي قَوْلِهِ: {فَإِذَا قَاتَاهَا أَلَّهُ لِيَاسَ الْجُوعَ وَالْخَوْفَ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ}» [النحل: ١١٢]، ولذلك جاءَ هُنَّا بِكَلْمَةِ {بَشَّاءُ} وَجَاءَ هُنَّا لِكَ بِمَا يَدْلُّ عَلَى الْمُلَابَسَةِ وَالْتَّمَكُّنِ»<sup>(١)</sup> يعقب الرضا بقضاء الله وقدره بشري للراضين الصابرين صبراً لا شكوى فيه ولا جزع وهو الصبر الأكمل، وهو الصبر الجميل، الذي يحتوي الاسترجاع: «إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَجِعونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَواتٌ مِّنْ رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ» هؤلاء الذين أعلى الله مقامهم ومراتبهم عنه كما نلمح ذلك في التعبير بـ«أُولئك» عليهم من الله صلوٰات ورحمة، والصلوة من الله بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ المغفرة والرأفة وجمعها للتتبّيه على كثرتها وتتوّعها والجمع بينهما وبين الرحمة للمبالغة كما في قوله تعالى: «رَأْفَةٌ وَرَحْمَةٌ» [الحديد: ٢٧] و«لَرْءُوفٌ رَّحِيمٌ» [البقرة: ١٤٣] والتنوين فيهما لتفخيم والتعرّض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضميرهم «مِنْ رَّبِّهِمْ» لإظهار مزيد العناية بهم أي: أولئك الموصوفون بما ذكر من النعوت الجليلة عليهم فتون الرأفة الفائضة من مالك أمرهم ومبليفهم إلى كمالاتهم الالائق بهم، والصلوات هنا التّزكيات والمغفرات، ولذلك عطفت على رحمة التي هي من معاني الصّلاة في مثل قوله تعالى: «إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يَصُلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ» [الأحزاب: ٥٦] وفي تكرير «أُولَئِكَ» لإظهار كمال العناية بهم «هُمْ

**الْمُهَتَّدُونَ** للحق والصواب مطلقاً<sup>(١)</sup>، والخلاصة أن الله ﷺ لم يمن على عباده الصابرين بالمغفرة والرضوان فقط وحسبهما جزاء للصبر ولكن من بالرحمة، رحمة الله ﷺ التي وسعت كل شيء، فرحمهم في الدنيا بالهدایة والتوفيق لفعل الخير، ورحمهم في الآخرة بالنعيم المقيم.<sup>(٢)</sup> ومن هدایات آيات سورة البقرة: الجزم بأن أقوى أسباب رحمة الله بعباده كون العبد عبداً حقيقياً من خلال رضاه بقضاء الله وقدره.

وبما أن الصابر يعفو ويصفح احتساباً للأجر عند الله؛ لذا كان السبب التالي من أسباب الرحمة في القرآن الكريم.

#### • العفو عند المقدرة:

من أسباب الرحمة بعباد الله ﷺ في القرآن الكريم: العفو عن المسيء رغم المقدرة على معاقبته، يقول تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُنْتُ عَلَيْكُمْ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ إِنَّ الْحَرُثَ إِلَّا عَبْدٌ وَالآتَى إِلَّا تَقْتَلَ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَإِنَّمَا يَعْرُوفُ وَأَدَاءً إِلَيْهِ يَإِحْسَنُ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةً فَمَنْ أَعْنَدَهُ بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ** [البقرة] معنى الآية الكريمة إجمالاً: "يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه فرض الله عليكم أن تقتضوا من القاتل عمداً بقتله، بشرط المساواة والمماثلة: يقتل الحر بمثله، والعبد بمثله، والأئمـةـ بمثلـهاـ . فمن سامحه ولـيـ المـقـتـولـ بالـعـفـوـ عنـ الـاقـتصـاصـ منهـ والاـكتـفاءـ بـأـخـذـ الـدـيـةـ -ـ وهـيـ قـدـرـ مـالـيـ مـحدـدـ يـدـفعـهـ الـجـانـيـ مـقـاـبـلـ الـعـفـوـ عـنـهـ -ـ فـلـيـلتـزـمـ الـطـرفـانـ بـجـنـاحـ الـخـلـقـ،ـ فـيـطـالـبـ الـولـيـ بـالـدـيـةـ مـنـ غـيرـ عـنـفـ،ـ وـيـدـفعـ القـاتـلـ إـلـيـهـ حـقـهـ بـإـحـسـانـ،ـ مـنـ غـيرـ تـأخـيرـ وـلـاـ نـقـصـ.ـ ذـلـكـ الـعـفـوـ مـعـ أـخـذـ الـدـيـةـ تـخـفـيفـ مـنـ رـبـكـ وـرـحـمـةـ بـكـ؛ـ مـاـ فـيـهـ مـنـ التـسـهـيلـ وـالـانـقـاعـ.ـ فـمـنـ قـتـلـ الـقـاتـلـ بـعـدـ الـعـفـوـ عـنـهـ وـأـخـذـ الـدـيـةـ فـلـهـ عـذـابـ أـلـيمـ بـقـتـلـهـ قـصـاصـاـ فـيـ

(١) إرشاد العقل السليم: ١٨١/١، ١٨٠/١.

(٢) زهرة التفاسير: ١٧٥/١.

الدنيا، أو بالنار في الآخرة<sup>(١)</sup> لاحظ أن سبب التخفيف وحلول الرحمة في هذه الآية الكريمة هو مسامحةولي المقتول بالعفو عن القصاص والاكتفاء بالدية عندما يرى أن ذلك هو الأصلح له ول مجتمعه، وهذا يعكس وسطية هذا الدين القويم، إذ إن «القصاص في النفس والجرح كان حتماً في التوراة على اليهود، ولم يكن لهم أخذ الديمة، وكان في شرع النصارى الدية ولم يكن لهم القصاص، فخير الله هذه الأمة بين القصاص وبين العفو عن الدية تخفيفاً منه ورحمة<sup>(٢)</sup> وقد أمتع وأبهج صاحب البحر بما علل من كون العفو رحمة فيما بيننا، وهو سبب من أسباب رحمة الله بنا فقال: "لأن من استبقى مهجتك بعد استحقاق إتلافها فقد رحمك. وأي رحمة أعظم من ذلك؟ ولعل القاتل المعفو عنه يستقل من الأعمال الصالحة في المدة التي عاشها بعد استحقاق قتله ما يمحو به هذه الفعلة الشنعاء، فمن الرحمة إمهاله لعله يصلح أعماله"<sup>(٣)</sup>، ذلكم هو شرع الله وتطبيقه واعتباره هو سبب الرحمة ونزلتها بنا من الرحمن الرحيم ﷺ.

ومن تصدق بحقه في القصاص تفضلاً هانت عليه نفسه إذا فقدها في سبيل الله ﷺ وهو السبب التالي:

#### • الهجرة والجهاد في سبيل الله ﷺ:

من أسباب رحمة الله بعباده هجرة المؤمن وطنه، وجهاده في سبيل رفعة رأية الإسلام، قال تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَّحِيمٌ» ﴿٢١٨﴾ [البقرة] الآية الكريمة تؤكد أن الذين آمنوا بالله ﷺ، والذين هاجروا من أوطانهم وذويهم في سبيل الله ﷺ، وبذلوا أرواحهم رخيصة لإعلاء كلمة

(١) التفسير الميسر: ٢٧

(٢) معالم التزيل: ١٩٠/١

(٣) البحر المحيط: ١٧/٢.

التوحيد وسيادتها في أرض الله الواسعة هم الذين يرجون رحمة الله، حيث إنهم أتوا بسبب موجب للرحمة ألا وهو الإيمان والهجرة، ومصاحبة ذلك للجهاد في سبيل الله ﷺ، وكيف لا يرجون وهم أصحاب الدرجة العظمى في ثواب الأعمال، بل هم الفائزون برضوان الله، لقوله تعالى: ﴿أَلَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَأْمُونُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ أَعَظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأَوْلَئِكَ هُنَّ الْفَائِزُونَ﴾ [التوبه: ٢٠] ﴿وَالْإِتْيَانُ بِاسْمِ الْإِشَارَةِ لِلتَّبَيِّنِ عَلَى أَنَّهُمْ اسْتَحْقُوا الْفَوْزَ لِأَجْلِ تِلْكَ الْأَوْصَافِ الَّتِي مَيَّزَتْهُمْ: وَهِيَ الْإِيمَانُ وَالْهِجْرَةُ وَالْجِهَادُ بِالْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ﴾<sup>(١)</sup> ولا يخفى على مسلم أن هذا حق صحابة نبينا ﷺ الذين انبني على جهودهم وجهادهم الإسلام، وهم من رد الناس إلى شريعة الله ﷺ، لذا كانوا أعظم درجة عند الله من جميع الخلق.<sup>(٢)</sup> وقد بين الله ﷺ الدرجة الأعظم التي نالوها بأنها الرحمة والرضوان والنعيم المقيم في الجنة حيث قال تعالى: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرَضْوَانٍ وَجَنَّتِ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ﴾ [آل خالد: ٦١] ﴿أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [التوبه: ٢٠] ومعلوم أنه لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية، وبما أن الحراك الإيماني الممثل في الهجرة أو الجهاد ينجم عنه الخروج طوعية من الديار أو عدم الرجوع إليها بالموت، من هنا أن لنا أن نتعرض للسبب التالي للرحمة وهو: الموت أو القتل في سبيل الله.

#### • الموت أو القتل<sup>(٣)</sup> في سبيل الله ﷺ:

من أسباب رحمة الله بعباده: نيل الشهادة في سبيل الله ﷺ قال تعالى:

﴿وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُمَّلِّمُ لَمَغْفِرَةٌ مِّنْ اللَّهِ وَرَحْمَةُ خَيْرٍ مِّمَّا يَجْمِعُونَ﴾ [آل عمران: ١٥]

(١) التحرير والتبيير: ١٤٩ / ١٠.

(٢) المحرر الوجيز: ١٧ / ٣.

(٣) لا يخفى على لبيب الفرق بين الموت والقتل حيث إن القتل يكون بنقض البنية، أما الموت فيكون

بلا نقض لبنية الإنسان أي: بسلب الروح مع تمام البناء الجسدي العضوي للميت. انظر: تفسير

الشعراوي خواطري حول القرآن الكريم ١٦٣٥ / ١.

[آل عمران] الموت في سبيل الله أو القتل معناه بيع النفس رخيصة في سبيل ما عند الله من الأجر الجليل لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ أَشَرَّى مِنْ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقْدِنُونَ فِي سَكِيلِ اللَّوِيفِيَّةِ فِي قَتْلِهِمْ وَيُقْتَلُونَ وَعَدَ اللَّهُ عَلَيْهِ حَقًا فِي الْتَّورَةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْءَانِ وَمَنْ أَوْفَ بِعِهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَأَسْتَبِرُوا بِيَعْلَمُكُمُ الَّذِي بَأْيَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبه] يقول العالمة الشنقيطي: ”ذكر في هذه الآية الكريمة أنَّ المقتولَ في الجهاد والميتَ كلاهُما ينالُ مغفرةً من الله، ورحمةً خيراً لهَ ممَّا يجمعُهُ مِنْ حطامِ الدُّنيَا، وأوضَحَ وجهَ ذلكَ في آيةٍ أخرىَ يَبيَّنُ فيها أنَّ اللَّهَ اشتَرَى مِنْهُ حيَاةً قصيرةً فانيَّةً مُنْفَصَّةً بالِمَصَابِيبِ وَالآلامِ بِحَيَاةِ أَبَدِيَّةٍ لَذِيَّةٍ لَا تَتَقَطَّعُ وَلَا يَتَأَذِّى صَاحِبُها بِشَيْءٍ، وَاشْتَرَى مِنْهُ مَالًا قَيْلًا فَانِيَّا بِمُلْكٍ لَا يَنْفَدُ وَلَا يَقْضِي أَبَدًا، وَهِيَ قَوْلُهُ: ﴿إِنَّ اللَّهَ أَشَرَّى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ مَمَّا رَأَيْتَ نَفِيَّا وَمُلْكًا كَيْرًا﴾ [الإنسان]، وَيَبَيَّنُ فِي آيةٍ أُخْرَى أَنَّ فَضْلَ اللَّهِ، وَرَحْمَتَهُ خَيْرٌ مَمَّا يَجْمِعُهُ أَهْلُ الدُّنيَا مِنْ حطامِهَا وَزَادَ فِيهَا الْأَمْرُ بِالْفَرَحِ بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ دُونَ حطامِ الدُّنيَا، وَهِيَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فُلِّيَفَضِيلَ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فِي ذَلِكَ فَلَيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مَمَّا يَجْمِعُونَ﴾ [يونس] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَتِ لِتَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيَّاً وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مَمَّا يَجْمِعُونَ﴾ [الزخرف: ٢٢] (١) ومن هدایات آیة آل عمران أنَّ ماتَ في سبيل الله أو قُتلَ فإنَّ الله يبشره ببشارتين» بمغفرة تمحو ما كانَ من ذنبه وسيئاته، ورحمة ترفع درجاته<sup>(٢)</sup>، وهذا فيه من الترغيب ما فيه، شريطةً ألا يعيث في الأرض فساداً كبعض من يسمون أنفسهم بالمجاهدين في عصرنا الحاضر من الدواعش وأضرابهم، والجهاد منهم بريء بعد أن

(١) أضواء البيان: ٢٤٠.

(٢) المنار: ٤، ١٦١، والمragi: ٤/ ١١٠.

شوهوا صورة الإسلام وأدانوا المسلمين ظلماً برقيع عملهم، وجهل قولهم.

ولا شك أن من عاش من الموحدين فإنه يعيش لله ﷺ، لذا يفر بدينه ويعتزل الكافرين وكفراهم، وهذا هو السبب التالي من أسباب الرحمة.

#### • اعتزال الكافرين وما يعبدونه:

سبب من الأسباب الرئيسية لنزول الرحمة من الله على عباده يتمثل في اعتزال الكافرين بالله واعتزال ما يعبدونه من باطل، حماية للدين وخوفاً على صفاء عقيدة التوحيد من أن تمس بسوء، يتضح ذلك جلياً من خلال الفتية الذين آمنوا بربهم وزادهم الله هدى، إذ اعتزلوا قومهم موالاة الله، وبراءة من عبادة من سواه ﷺ، حيث قال تعالى: ﴿وَإِذَا عَزَّزْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهُ فَأُولَئِكَ إِلَى الْكَهْفِ يَنْشَرُ لَكُمْ رَبِّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَهْبِئُ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقاً﴾ [الكهف] ومضمون هذه الآية أن أهل الكهف قبل الإيواء إلى كهفهم قال بعضهم لبعض: بعد أن ”فارقنا الكفار وانفردنا بالله ﷺ“ فلنجعل الكهف مأوى ونتكل على الله فإنه سيبسط لنا رحمته وينشرها علينا، وييهيء لنا من أمرنا مرفقاً، وهذا كله دعاء بحسب الدنيا، وعلى ثقة من الله كانوا في أمر آخرتهم<sup>(١)</sup> يقول الشنقيطي: ”وهذا يدل على أن اعتزال المؤمن قومه الكفار ومحبوديهم من أسباب لطف الله به ورحمته“<sup>(٢)</sup> وقد حفل القرآن بتقرير هذه القاعدة القرآنية ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا آتَنَاهُمْ وَمَا يَعْدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهُنَّا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾ [مريم: ٤٩] وما بعدها] حيث تبع اعتزال إبراهيم عليه السلام للكافرين وما يعتقدونه إفضال من الله وإنعام منه بالذرية الصالحة، وما شابه ذلك مما يرجى حصوله من الله للمؤمن.

وبعد... ففي ختام هذا المطلب أقول: إن ما ذكرته من أسباب رحمة الله

(١) المحرر الوجيز: ٥٢٤/٣.

(٢) أضواء البيان للشنقيطي: ٢١٧/٣.

عباده من خلال آي الذكر الحكيم هو قليل من كثير من أسباب الرحمة المسطورة في القرآن الكريم، وصحيح السنة النبوية المطهرة، وما أدركته العقول، وهو على سبيل المثال لا الحصر، لكن ما الآثار المترتبة على وجود رحمة الله ﷺ؟... هذا ما يجيب عنه المطلب الثالث والأخير...



## المطلب الثالث آثار رحمة الله بعباده ومظاهرها

ذكرت في خواتيم المطلب السابق أن ما تم سرده من أسباب رحمة الله بعباده في القرآن هو من قبيل المثال لا الحصر، كما أن آثار نعم الله<sup>(١)</sup> على عباده يستحيل حصرها، لقوله تعالى: ﴿وَإِن تَعْدُوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُخْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النحل: ١٨]، ولتيقنا هذه الحقيقة فإن هذا المطلب سيتضمن أمثلة لآثار رحمة الله بخلقه كله وأثر الشيء: ما ينشأ عنـه مما يدلـ عليهـ فـرحـمةـ اللـهـ دـلـتـ عـلـيـهـ الـأـثـارـ الدـالـةـ عـلـىـ وـجـودـهـ وـتـصـرـفـهـ بـمـاـ فـيـهـ رـحـمـةـ لـلـخـلـقـ﴾<sup>(٢)</sup> من هذه الآثار المستقة من القرآن الكريم ما يتعلق بالكون المنظور، ومنها ما يتعلق بخليفة الله في أرضه:

**أولاً: آثار رحمة الله بنا ومظاهرها من خلال الكون المنظور:**

### • الأرض:

تجلت آثار الرحمن الرحيم على عباده من خلال الأرض بأن جعلها سهلة ممهدة منبسطة، قراراً وكفاناً، صالحة للاستقرار والسعى عليها لتحصيل أسباب الرزق، وأطلع فيها الفواكه والأقواف والمراعي، قال تعالى: ﴿أَلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَشًا﴾ [البقرة: ٢٢] وقال عز من قائل: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ

(١) يقول أبو حيان في البحر تعليقاً على قوله تعالى: ﴿وَلَمَنْ أَذْفَنَهُ رَحْمَةً مَّا﴾ [فصلت: ٥٠] "سمى النعمة رحمة، إذ هي من آثار رحمة الله".

. ٣١٥/٩

(٢) التحرير والتبيير: ٤٢٢/٢١.

الأَرْضَ ذُلِّلَ فَأَمْشَوْا فِي مَنَاكِبِهَا وَلَكُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ أَسْتُورُ ﴿١٥﴾ [الملك]، وهو ﷺ الذي جعل الأرض كفالتاً وَ**كِفَانًا**: الستر والوعاء الجامع للشيء.. تكفت الأحياء على ظهرها، وتكفت الأموات في بطنها **أَلَّمْ يَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَانًا أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا** ﴿١٦﴾ [المرسلات]<sup>(١)</sup>.

وهو ﷺ الذي قدر في الأرض أقواتها فقال عز من قائل: **وَجَعَلَ فِيهَا رَوْسَى مِنْ فَوْقَهَا وَبَرَكَ فِيهَا وَقَدَرَ فِيهَا أَفْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءَ لِلْسَّابِلَيْنَ** ﴿١٧﴾ [فصلت].

وشق فيها البحار لمنافع فصلها ربنا تفصيلاً في كتابه العزيز ﴿اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الْثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفَلَكَ لِتَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ﴾ ﴿٢٢﴾ [إبراهيم: ٢٢] وكما أجرى ﷺ الفلك في البحر لمنافع خلقه، فقد أودع برحمته في البحار أيضاً اللؤلؤ والمرجان **يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤلُؤُ وَالْمَرْجَانُ** ﴿٢٣﴾ [الرحمن] واللحم الطري **وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوهُ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيفًا وَسَتَخْرُجُوا مِنْهُ حِيلَةً تَلْبُسُونَهَا وَتَرَى الْفَلَكَ مَوَاحِدَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ** ﴿١٦﴾ [النحل] إلى آخر منافع البحار والمجري المائية التي هي من آثار رحمة الله بنا.

#### • السماء:

من آثار رحمة الله بنا أن جعل لنا ﷺ السماء سقفاً محفوظاً: **وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُظًا** ﴿الأنبياء: ٢٢﴾ وكما جعل الله ﷺ الأرض بما فيها وما عليها آية من آيات الرحمة وآثارها، فقد جعل سقفها كذلك، إذ أوجد في السماء غيشاً مغيثاً لعباده الصالحين **وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطَوْا وَيَنْشِرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ** ﴿٢٨﴾ [الشورى] واستودعها شمساً وقمراً

منيراً لولاهما لفسدت الأرض وتعفن الكون ﴿نَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاوَاتِ  
بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سَرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا﴾ [الفرقان] ونجوماً لنهدي بها في  
الظلمات ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلْمَتِ الْأَبْرَارِ وَالْبَحْرِ قَدْ  
فَصَّلَنَا أَلْيَاتٍ لِعِلْمِكُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام] وقال ﷺ: ﴿وَعَلِمْتُ وَبِالْتَّجَزِيمِ  
هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [النحل].

ومن آثار رحمته ﷺ بكونه وخلقه مما يتعلق بالسماء وما تحتويه تعاقب  
الليل والنهار ﴿قُلْ أَرَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ الْأَيْلَ سَرَمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَنْ إِنَّهُ  
غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيَكُمْ بِضِيَاءً أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾ [آل عمران] ﴿قُلْ أَرَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ  
النَّهَارَ سَرَمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَنْ إِنَّهُ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيَكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ  
أَفَلَا تُبَصِّرُونَ﴾ [القصص] ﴿وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ الْأَيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْثُغُوا  
مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [القصص] والآيات تتطرق أن هذه التقلبات من  
صنيع رحمة الله بخلقه، وهذا يسترعى الانتباه، ويستميل النفوس للتالي  
رحمة الله بنا.

#### • ومن الكون المنظور الرياح:

من آثار رحمة الله بنا: الرياح، قال تعالى: ﴿وَأَرْسَلَنَا الرِّيحَ لَوْقَ حَافِرَنَا  
مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْشَمْ لَهُ بِخَرِينَ﴾ [الحجر] قال ابن كثير  
(الواقح) أي: "تلقي السحاب فتدر ماء، وتلقي الشجر فتتفتح عن أوراقها  
وأكمامها"<sup>(١)</sup>، وهذا ما نص عليه القرآن من أنه من آثار رحمة الله، وأنه  
يحيي بالمطر الأرض الميتة كما يحيي الموتى من قبورهم، قال تعالى:  
﴿الَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَسْطُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَسْأَءُ وَيَجْعَلُهُ  
كِسْفًا فَتَرَى الْوَدَقَ يَخْرُجُ مِنْ خَلَلِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَسْأَءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُوَ  
يَسْتَبِشُرُونَ﴾ [النمل] ﴿وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمْ يُبَلِّسُنَ﴾ [النمل]  
فأنظر

(١) تفسير القرآن العظيم: ٤ / ٥٣٠.

إِلَيْهَا أَثَرٌ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحِبِّي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لِمُحِبِّي الْمَوْتِ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ فَدِيرٌ ﴿٥﴾ [الروم] وَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنْزِلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَطَّعُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ، وَهُوَ أَوَّلُ الْحَمِيدِ﴾ ﴿٢٦﴾ [الشورى].

والآيات في شأن بيان آثار رحمة الله في الأرض والسماء وما بينهما وما تحت الشري كثيرة يضيق عنها المقام، والمطلوب أن يتذمر الخلق هذه الآثار الدالة على وحدانية الله ليصلوا إلى التوحيد الخالص وشكر الرحمن الرحيم على هذه النعم وتلك الرحمات لمزيد من عطاء الرحمن الرحيم ...

### ثانياً: آثار رحمة الله من خلال الإنسان:

آثار رحمة الله بعباده من خلال خليفة الله في أرضه (الإنسان).

ظهرت آثار رحمة الله بالإنسان من خلال خليفة الله في أرضه الإنسان، ذلك المخلوق المرحوم بداية ونهاية، قال تعالى: **﴿وَقَدْ خَلَقْتَكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا﴾** [مريم:٩] وقال اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿هَلْ أَقَى عَلَى الْإِنْسَنِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا﴾ ﴿١﴾ [الإنسان] لم يكن شيئاً مذكوراً ثم خلقه اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أطواراً وختم تلك الأطوار بقوله: **﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَلَقَينَ﴾** [المؤمنون:١٤]

وتفضل علينا ربنا بتكريمنا، وتكريمنا في الحقيقة هو عين الرحمة بنا حيث قال تعالى: **﴿وَلَقَدْ كَرَمْنَا بِنَّيَّ إِدَمَ وَجَلَّنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيْبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾** ﴿٧٠﴾ [الإسراء] هذا التكريم من أعظم آثار رحمة الله بعباده، ولم يقف هذا التكريم عند نعمة أو أضعافها، بل تزايد إلى العجز عن الإدراك أو الإحصاء لآثار رحمة الله، وهذه بعض آثار رحمة الله على بني آدم:

- إرسال الرسل وإنزال الكتب:

من رحمة الله بعباده إرسال الرسل وخاصة خاتمهم، وإنزال الكتب

ومسكتها القرآن، يقول ابن القيم: ”انظر إلى ما في الوجود من آثار رحمته الخاصة والعامة، فبرحمنه أرسل إلينا رسوله ﷺ وأنزل علينا كتابه وعصمنا من الجهلة وهدانا من الضلاله وبصرنَا من العمى وأرشدنا من الغي، ويرحمنه عرَفنا من أسمائه وصفاته وأفعاله ما عرفنا به أنه ربنا ومولانا“<sup>(١)</sup>.

والإرسال والإنزال من أسباب الرحمة من ناحية ومن آثارها من ناحية أخرى، فبسبب إرسال الرسل وقعت البشرة والنذارة للعباد قال تعالى: **﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾** [الأنعام: ٤٨] وبذلك أثر الترغيب كما أثر الترهيب في حياة الخلق من خلالهم، وأثرت رحمة الله بعباده من خلال إرسال الرسل، يتجلى ذلك فيهم جميعاً صلوات الله عليهم أجمعين وقد وردت آيات كثيرة في هذا الشأن أبرزها ما كان خطاباً لنبينا ﷺ في قوله تعالى **﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾** [الأنبياء] والإرسال يحتوي أيضاً الرسالة، قال العلامة ابن عاشور إن هذه الآية: ”صيغت بأبلغ نظم إذ اشتتملت هاته الآية بوجازة الفاظها على مدح الرسول ﷺ ومدح مرسله تعالى ومدح رسالته بأن كانت مظهر رحمة الله تعالى للناس كافة وبأنها رحمة الله تعالى بخلقه... وقد فطر نبينا على خلق الرحمة في جميع أحوال معاملته الأمة لتكون م المناسبة بين روحه الزكية وبين ما يلقى إليه من الوحي بشرعيته التي هي رحمة حتى يكون تلقيه الشريعة عن انشراح نفسٍ أن يجد ما يوحى به إليه ملائماً رغبته وخلقه.

ولهذا خص الله محمدًا ﷺ في هذه السورة بوصف الرحمة ولم يصف به غيره من الأنبياء، وكذلك في القرآن كله، قال تعالى: **﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنْتُمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾** [التوبه] وقال تعالى: **﴿فِيمَا رَحْمَةٌ مِّنَ اللَّهِ لِنَتَ لَهُمْ﴾** [آل عمران] أي: برحمة جبارك علية وفطرك بها

(١) الصواعق المرسلة: ٣٦٨.

فُكِّتَ لَهُمْ لَيْنَا... وَأَمَّا الْمَظَاهِرُ الثَّانِيَ مِنْ مَظَاهِرِ كَوْنِهِ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ فَهُوَ مَظَاهِرُ تَصَارِيفِ شَرِيعَتِهِ، أَيْ: مَا فِيهَا مِنْ مُقَوِّمَاتِ الرَّحْمَةِ الْعَامَّةِ لِلْخَلْقِ كُلُّهُمْ، لَأَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى: (لِلْعَالَمِينَ مُتَعَلِّقٌ بِقُولِهِ (رَحْمَةً)).<sup>(١)</sup> وَفِي خطابِ نُوحَ عليه السلام لِقَوْمِهِ تَظَهُرُ الرَّحْمَةُ كَفَايَةً مِنْ غَايَاتِ إِرْسَالِهِ لِقَوْمِهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿أَوَلَيَعْبَتُمْ أَنَّ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِنَنْقُوا وَلَعَلَّكُمْ تَرْحُمُونَ﴾ ٤٣ [الأعراف].

وَإِنْزَالُ الْكِتَابِ مِنْ أَهْمَّ آثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ بِخَلْقِهِ، حِيثُ بِيَانِ الْهَدَى مِنَ الْضَّلَالِ قَالَ تَعَالَى خَطَابًا لِنَبِيِّهِ صلوات الله عليه وسلم: **﴿وَمَا كُتِّبَ تَرْجُوا أَنْ يُلْقَى إِلَيْكُمْ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكُمْ﴾** [القصص: ٨٦] وَقَالَ تَعَالَى أَيْضًا: **﴿أَوْلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْكِتَابَ يُتَلَقَّى عَلَيْهِمْ إِنْكَارٌ فِي ذَلِكَ لِرَحْمَةٍ وَذَكْرَنِي لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾** ٥١ [العنكبوت: ٥١] وَقَالَ أَيْضًا: **﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْءَانِ مَا هُوَ شَفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾** [الإِسْرَاء: ٨٢] "وَكَانَ هَذَا الْكِتَابُ الْعَظِيمُ الشَّانُ كَالْعَهْدِ مِنْهُ سُبْحَانَهُ لِلْخَلِيقَةِ كُلُّهَا بِالرَّحْمَةِ لَهُمْ وَالْعَفْوُ عَنْهُمْ، وَالْمَغْفِرَةُ وَالْتَّجَازُ وَالسِّرُّ وَالإِمْهَالُ وَالْحَلْمُ وَالْأَنَاءُ"<sup>(٢)</sup> وَفِي كِتَابِ مُوسَى عليه السلام يَقُولُ تَعَالَى: **﴿وَلَقَدْ أَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى بِصَاحِبِيْرِ النَّاسِ وَهُدَى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾** ٤٣ [القصص] فَمَا عَلَى الْمُؤْمِنِ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنَ بِكُلِّ رَسُولِ اللَّهِ وَكُتُبِهِ، وَيَوْقَنُ أَنْ هَدَايَةَ اللَّهِ لِلنَّاسِ وَرَحْمَتُهُ بِهِمْ تَكْمِنُ فِي الْإِتَّبَاعِ لَا الْإِبْتَدَاعِ.

#### • الزواج:

مِنْ آثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ التِي عَرَفَنَاها اتِّبَاعًا مِنْ خَلَالِ الرَّسُولِ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْهِمْ: الزواج، قَالَ تَعَالَى: **﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَدُرُّجَةً﴾** ٢٨٠ [الرعد: ٢٨٠].

(١) التحرير والتويير: ١٧ / ١٦٥.

(٢) الصواعق المرسلة: ٣٦٩.

ومن عين رحمة الله بنا أن جعل لنا أزواجاً من عين جنسنا، يقول ابن القيم: ”وَمِنْ رَحْمَتِهِ أَنْ خَلَقَ لِلذَّكَرِ أُنْثَى مِنْ جِنْسِهِ، وَأَلْقَى بَيْنَهُمَا الْمَحَبَّةَ وَالرَّحْمَةَ، لِيَقُعَ بَيْنَهُمَا التَّوَاصُلُ الَّذِي بِهِ دَوَامُ التَّنَاسُلِ، وَانْتِفَاعُ الزَّوْجَيْنِ، وَيُمْتَعُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بِصَاحِبِهِ“<sup>(١)</sup> قال تعالى: ﴿ وَمِنْ إِيمَانِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوْدَةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِيْتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الروم: ٢٨]<sup>(٢)</sup> وهي آية تتطوى على عدة آيات منها: أن جعل للإنسان ناموس التناسل، وأن جعل تناسه بالتزارع ولم يجعله كتناسل النبات من نفسه، وأن جعل أزواج الإنسان من صنفه ولم يجعلها من صنف آخر؛ لأنَّ التَّانسُ لَا يَحْصُلُ بِصِنْفِ مُخَالِفٍ، وأن جعل في ذلك التزارع أنساً بين الزوجين ولم يجعله تزارعاً غَيْرَهَا أَوْ مُهْلِكَاً كَتَزَارُوجِ الضَّفَادِ، وأن جعل بين كل زوجين مودةً ومحبةً، فالزوجان يكونان من قبل التزارع متجاهلين فيصبحان بعد التزارع متحابين، وأن جعل بينهما رحمةً فهمَا قبل التزارع لا عاطفةً بينهما فيصبحان بعد التزارع متحابين، وأن جعل بينهما رحمةً فهمَا قبل التزارع لا عاطفةً بينهما فيصبحان بعد مترافقين كرحمة الآباء والأمومة، ولأجل ما يُطْلوي عليه هذا الدليل ويتبعدُ من النعم والدلائل جعلت هذه الآية آياتٍ عِدَّةٍ في قوله إنَّ فِي ذَلِكَ لَذِيْتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ<sup>(٢)</sup>.

#### • الذريّة:

من آثار رحمة الله بعباده هبته إياهم الذريّة، تلك الذريّة التي هي زينة الحياة الدنيا، قال تعالى: ﴿ الْمَالُ وَالْبَنُونُ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ [الكهف: ٤٦] إذ الحياة بدون ذريّة حياة تصيب أصحابها بالملل، ومن هنا كان دعاء عباد الرحمن: ﴿ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجٍ وَذُرِّيَّةٍ شَرَّةٌ أَعْيُنٌ وَاجْعَلْنَا لِلنَّعِيْمِ إِمَاماً ﴾ [الفرقان: ٧٤] ومن عباد الرحمن زكريا عليه السلام الذي طلب الذريّة قائلاً: ﴿ رَبِّ

(١) الصواعق المرسلة: ٣٦٩.

(٢) التحرير والتبيير: ٧١/٢١.

لَا تَذَرْ فِكْرَدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَرَثَةِ ﴿٨٩﴾ [الأنبياء: ٨٩] وكانت الاستجابة ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ، وَوَهَبْنَا لَهُ يَعْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ، إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَرِّعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَكَ رَغْبًا وَرَهْبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ ﴾١٦﴾ [الأنبياء: ١٦].

#### • حفظ الصالحين وذرיהם:

من آثار رحمة الله على عباده ﷺ أنه يتولى الصالحين بالحفظ والرعاية، حيث قال تعالى: ﴿إِنَّ وَلِيَّ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّ الصَّالِحِينَ ﴾١٦﴾ [الأعراف] ومن الأمثلة البارزة في القرآن الكريم المبرهنة على ذلك رعاية الله وحفظه للصالحين ولذرياتهم، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِفُلَمِينِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَنِلْحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَلْعَلَّا أَشْدَهُمَا وَيَسْتَخِرَجاً كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلَهُمُ اعْنَامِيٌّ ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴾٨٢﴾ [الكهف] والآية تبين كيف حفظ الله ليتيمين مالهما، من خلالنبي هو موسى عليه السلام وعبد من عباد الله الصالحين هو الخضر، وكما تثبت الآيات سياقاً أن ذلك ما فعله الخضر من تلقاء نفسه، بل برحمة من الله عليه وبأمره عليه السلام، وفي هذا من الدروس وال عبر ما فيه لمن ألقى السمع وهو شهيد.

#### • احتياج الخلق إلى بعضهم البعض:

من آثار رحمة الله بالعباد افقارهم إليه ﷺ لمدهم برحماته، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾١٥﴾ [فاطر] وإفقاره ﷺ لعباده عين رحمته بهم، حيث يمددهم بقدر فقرهم إليه ﷺ، وبما أنهم الفقراء بالألف واللام، فإن الله هو ﴿الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ أيضاً بالألف واللام "الْفَنِيُّ": النَّافِعُ بِغَنَائِهِ حَلَقَهُ، الْجَوَادُ الْمُنْتَعُ عَلَيْهِمُ، الْمُسْتَحْقُ بِإِنْعَامِهِ عَلَيْهِمُ أَنْ يَحْمَدُوهُ<sup>(١)</sup> الذي يمددهم بقدر احتياجهم إليه ﷺ.

(١) القرطبي: ٢٧٣/١٤

كما أن من آثار رحمته المستبطنة احتياج الخلق إلى بعضهم البعض لقوله تعالى: «أَهُرِيقَسْمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ تَحْنُ قَسْمَنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَتِ لِيَسْتَخْدِمَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مَمَّا يَجْمِعُونَ» [الزخرف] <sup>(١)</sup> لِيَسْتَخْدِمَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا فِي سَخْرُ الأَغْنِيَاءِ بِأَمْوَالِهِمُ الْأَجْرَاءِ الْفُقَرَاءِ بِالْعَمَلِ، فَيَكُونُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ سَبَبَ الْمَعَاشِ، هَذَا بِمَا لَهُ، وَهَذَا بِأَعْمَالِهِ، فَيَكُونُتُ قَوَامُ أَمْرِ الْعَالَمِ» <sup>(٢)</sup> يقول ابن القيم: ”وَمَنْ رَحْمَتْهُ أَحَوَّجَ الْخَلْقَ بَعْضَهُمْ إِلَى بَعْضٍ لِتَتَمَّ مَصَالِحُهُمْ، وَلَوْ أَغْنَى بَعْضَهُمْ عَنْ بَعْضٍ لَتَعَطَّلَتْ مَصَالِحُهُمْ وَانْحَلَّ نَظَامُهُمَا، وَكَانَ مِنْ تَمَامِ رَحْمَتِهِ بِهِمْ أَنْ جَعَلَ فِيهِمُ الْفَنِيَّ وَالْفَقِيرَ، وَالْعَزِيزَ وَالْذَّلِيلَ، وَالْعَاجِزَ وَالْقَادِرَ، وَالرَّاعِي وَالْمَرْعِيَّ، ثُمَّ أَفْقَرَ الْجَمِيعَ إِلَيْهِ، ثُمَّ عَمَّ الْجَمِيعَ بِرَحْمَتِهِ“ <sup>(٣)</sup>.

#### • الوقاية من الشيطان وكيده.

من آثار رحمة الله بعباده الصالحين وقايتهم من الشيطان ونزغه، يقول الحق ﷺ: «وَلَا فَضْلٌ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَا تَبْعَثُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا» [النساء: ٨٣] أي: إلا قليلاً من المخاطبين بالآية الكريمة، وكل من يصلح له هذا الخطاب من الأناسي، وهذا الجزء من الآية الكريمة يمثل امتناناً بإرشاد المؤمنين إلى أنواع المصالح، والتحذير من المكائد ومن حبائل الشيطان وأنصاره... <sup>(٤)</sup> وقد تكرر التحذير من الشيطان ووساوشه في آيات كثيرة كلها تفيض رحمة بنا ومن ذلك قوله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَبَعُوا خُطُوتَ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوتَ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ، مَا رَأَيْتُ مِنْكُمْ مِنْ أَهْدِ أَبْدًا وَلَدَكَنَ اللَّهُ يُرَىٰ مِنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيهِ» [النور] فأتباع الشيطان هم المحرومون من فضل الله ورحمته، إذ

(١) معالم التنزيل: ٢١٢/٧.

(٢) الصواعق المرسلة: ٣٦٩.

(٣) التحرير والتبيير: ١٤٢/٥.

فقدوا عصمة الله لعنادهم وركوبهم أهواءهم، وإيثارهم رغبات أنفسهم على فطامها عما حرم الله، وجعلهم الخيرة لأنفسهم في سلوك مراداتهم من السبيل دون سبيل الله، أما القليل الرافضون لهمزات الشيطان على اختلاف أنواعها، والمتقبلون هداية الله، والمؤثرون لمرضاته وسلوك سبيله على مرادات أنفسهم وشهواتها، فهم الحائزون على فضله بعصمتهم من أي: شيطان، ورحمتهم بتثبيت قلوبهم، وهم الذين يَأْسُ الله منهم الشيطان وحفظهم بقوله تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ [الحجر: ٤٢]، وهم من استثنوا بإلا ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخَلَّصُونَ﴾ [الحجر] وما حصل ذلك إلا بعناية الله ورحمته بعباده الصالحين<sup>(١)</sup>.

#### • قبول توبة التائب واستغفار المستغفر:

من آثار رحمة الله بعباده قوله ﷺ توبة التائب واستغفار المستغفر، قال تعالى: ﴿فَنَّ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمٍ، وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة: ٢٣]، وقال ﷺ ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَنَّمَةَ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ، وَأَصْلَحَ فَإِنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأنعام: ٥٤]، وقال أيضاً ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبه: ١١٧]، وقال جل وعلا: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ أَنْوَابُ الرَّحِيمِ﴾ [التوبه: ١١٨]، وقال أيضاً ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَأَمَنَكَ وَعَمِلَ عَكْمَلًا صَلِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سِيَّاتِهِمْ حَسَنَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفرقان: ٧]، ولعلنا نلحظ تذليل كل هذه الآيات التي تتحدث عن التائبين بالرحمة كذا آيات الاستغفار ومنها قوله تعالى: ﴿وَاسْتَغْفِرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ١٦٦]، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَأَسْتَغْفِرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفِرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوْجَدُوا اللَّهَ تَوَابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ٦٤]، نلحظ ذلك لمزيد من ترغيب

العباد في التوبة والاستغفار حتى تشملهم رحمات الله وينعمون بها، ولا غرابة فإن الله ﷺ تفضل بكتابه الرحمة على نفسه: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: ٥٤].

#### • وعده ﷺ للمجاهدين والمهاجرين والصابرين بالرحمة:

من رحمة الله وبالغ أثرها بالعباد وعده المجاهدين بالرحمة ليبيعوا أرواحهم في سبيل الله رب العالمين، قال تعالى: ﴿فَضَلَّ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَعْدِينَ دَرْجَةً وَكَلَّا وَعَدَ اللَّهُ الْحَسْنَى وَفَضَلَّ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَعْدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [٩٥] درجةٌ مَّنْهُ وَمَغْفِرَةٌ وَرَحْمَةٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا [١١] النساء: ٩٦-٩٥ أي: «هذا الشواب الجزيل منازل عالية في الجنات من الله ﷺ لخاصة عباده المجاهدين في سبيله، ومغفرة لذنبهم ورحمة واسعة ينعمون فيها. وكان الله غفوراً لمن تاب إليه وأناب، رحيمًا بأهل طاعته، المجاهدين في سبيله». (١) وفي المجاهدين الصابرين قال تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فَتَنُوا ثُمَّ جَهَدُوا وَصَرَبُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [١١٠] [النحل] مغفرة قرناها الله ﷺ بالرحمة وهذا أعظم ما يتمناه العبد.

#### • إباحة المحظور لرفع الضرر:

من آثار رحمة الله بعباده إباحة المحظور لرفع الضرر مع عدم المؤاخذة، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أَهْلَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ عَيْرَ بَاغِ وَلَا عَادِ فَلَا إِثْمَّ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [١٧٣] البقرة: ١٧٣] حوت الآية الكريمة محرمات أباحها الله ﷺ لعباده رحمة بهم وقت الضرورة من ذلك: الميته وهي التي لم تذبح بطريقة شرعية، والدم المسفوح، ولحم الخنزير، والذباائح التي ذبحت لغير الله.. فمن الجائحة الضرورة إلى

(١) التفسير الميسر: ٩٤.

أكل شيء منها، غير ظالم في أكله فوق حاجته، ولا متجاوز حدود الله فيما أبىح له، فلا ذنب عليه في ذلك. وهذا من باب المغفرة والرحمة، وقال ﷺ: «فَمَنْ أَضْطُرَّ فِي مَخْصَصَةٍ غَيْرِ مُتَجَاوِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ» [المائدة: ٢] وقال ﷺ في ذلك أيضاً: «قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّماً عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ وَإِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ حَنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فَسَقًا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ أَضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رِبَّكَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ» [١٤٥] [الأنعام]

وتذليل الآية بقوله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ» تذليل قصد به الامتنان، أي: إنَّ اللَّهَ مَوْصُوفٌ بِهَذِينِ الْوَصْفَيْنِ فَلَا جَرَمَ أَنْ يَغْفِرَ لِلْمُضْطَرِّ أَكْلَ الْمَيْتَةِ؛ لأنَّهَ رَحِيمٌ بِالنَّاسِ، فَالْمَغْفِرَةُ هُنَّا بِمَعْنَى التَّجَاوِزِ عَمَّا تُمْكِنُ الْمُوَاخِذَةُ عَلَيْهِ لَا بِمَعْنَى تَجَاوِزِ الذَّنْبِ، وَنَحْوِهِ. وَلَا يَخْفِي أَنْ رَفْعَ الْإِثْمِ عَنِ الْمُضْطَرِّ حُكْمٌ يُنَاسِبُ مَنِ اتَّصَافَ بِالْمَغْفِرَةِ وَالرَّحْمَةِ. (١)

#### • إنجاء الصالحين وإعانتهم:

من آثار رحمة الله بعباده انجاء الصالحين وإعانته لهم، ونصرهم على ما يعتريهم من ملمات الحياة، وقد حفل القرآن الكريم بأمثلة يضيق عنها المقام، لكن ما لا يدرك لا يترك؛ لذا سأكتفي هنا بنماذج مختصرة كالعناوين على ما يماثلها:

• فنبي الله هود عليه السلام نجاه الله والذين معه من الريح الشديدة التي أهلقت الكافرين من قومه ودمرتهم تدميراً، وفي ذلك يقول الله تعالى: «فَأَبْيَحْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةِ مِنَا وَقَطَعْنَا دَارَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِعَيْنِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ» [٧٣] [الأعراف] وفي موضع آخر قال ﷺ: «وَلَمَاجَاءَ أَمْرُهَا بَجَيَّنَا هُودًا وَالَّذِينَ ءاْمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةِ مِنَا وَبَجَيَّنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِظٍ» [٥٨] [هود].

• وعن نجاة نبي الله صالح عليه السلام ومن معه برحمة الله قال تعالى: «فَلَمَّا

(١) التحرير والتفسير: ١٢١ / ٢.

جَاءَ أَمْرُنَا بِحَيْثَنَا صَلِيلًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ، بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِنْ خَرْبِ يَوْمٍ ذِي قِيَامَةٍ  
إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴿٦﴾ [هود] ونجاته كانت من الصيحة التي  
أهلكت كفار قومه أو من ذلهم وفضيحتهم يوم القيامة<sup>(١)</sup>.

وعن نجاة شعيب عليه السلام ومن معه من المؤمنين قال تعالى: «وَلَئَنَّ جَاهَةَ  
أَمْرُنَا بِحَيْثَنَا شَعِيبًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ، بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخْذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ  
فَأَصْبَحُوا فِي دِيرِهِمْ جَنَاحِيمَ ﴿٦﴾ [هود] صيحة من السماء أخذتهم  
فأهلكتهم بكرفهم بربهم. وقيل: إن جبريل عليه السلام، صاح بهم صيحةً  
أخرجت أرواحهم من أجسامهم **فَأَصْبَحُوا فِي دِيرِهِمْ جَنَاحِيمَ** على  
ركبهم، وصرعوا بأفنيتهم<sup>(٢)</sup>. وقد جاءت الرحمة بصيغة التكير في  
جميع الموضع التي وردت فيها؛ للتعظيم، ووصفها بأنها من الله  
للدلالة على كمالها<sup>(٣)</sup>.

وعن رحمة الله بعده ونبيه أيوب عليه السلام حيث كشف الله عنه ضره  
الذى أصابه قال تعالى: «وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَفَمَسَنِي الضُّرُّ وَأَنَّ  
أَرَحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٨٢﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ، فَكَشَفْنَا مَا بِهِ، مِنْ ضُرٍّ وَأَتَيْنَاهُ  
أَهْلَهُ، وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةٌ مِنْ عِنْدِنَا وَذَكَرَى لِلْعَنِيدِينَ ﴿٨٤﴾ [الأنياء]  
وكما أن كشف الضر عن أيوب عليه السلام رحمة من الله به، فكذلك هو  
ذكرى للعبددين؛ لنتعتبر ونعلم أن رحمة الله قريب من المحسنين، وأن  
مع العسر يسراً، وأن الإنسان لا يقنط من الفرج بعد الشدة<sup>(٤)</sup>.

ومن نجاهم الله برحمته من مكر النساء، يوسف عليه السلام قال تعالى:  
**وَكَذَلِكَ مَكَنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ  
شَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥﴾** [يوسف].

(١) أنوار التزيل للبيضاوي: ١٤٠/٣.

(٢) جامع البيان للطبرى: ٤٦٤/١٥.

(٣) التحرير والتبيير: ٢١٤/٨.

(٤) تفسير المراغى: ١٢٦/٢٢.

٠ كذا خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام بانت آثار رحمة الله عليه وبه من خلال

مسيرته مع قومه وأمر النار أن تكون عليه برداً وسلاماً، قال تعالى:

﴿ قَالُوا حَرَقُوهُ وَانصِرُوا إِلَيْهِمْ إِنْ كُنْتُمْ فَعَلَيْنَ ﴾ ٦٨ قُلْنَا يَنْنَارُ كُوْنِي

﴿ بَرِدًا وَسَلَنَمًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ ٦٩ وَأَرَادُوا لَهُ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ٧٠

﴿ وَبَجَيْتَنَاهُ وَلَوْطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَرَكَنَا فِيهَا لِلْعَلَمِينَ ٧١ وَوَهَبْنَا لَهُ ٧٢

﴿ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكَلَّا جَعَلْنَا صَلَّيْهِنَ ٧٣﴾ [الأنباء] ونبي الله

يونس عليه السلام من شملتهم آثار رحمة الله لكونه من الصالحين، حيث

نجاه الله من ظلمات كثيرة أحاطت به في بطن الحوت، ورعاه الله

عندما نبذه الحوت بالعراء وهو سقيم، قال تعالى: ﴿ وَذَا الْوُونِ إِذْ ذَهَبَ

مُغَاضِبًا فَطَمَّ أَنَّ لَنْ تَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلْمَتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ

سُبْحَنَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ٧٤﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَبَجَيْتَنَاهُ مِنَ

الْغَمَّ وَكَذَلِكَ شَجَحَ الْمُؤْمِنِينَ ٧٥﴾ [الأنباء] وقال أيضاً ﴿ وَإِنْ يُوْسُفَ

لَيْمَنَ الْمَرْسَلِينَ ٧٦﴾ إِذْ أَبْقَى إِلَى الْفَلْكِ الْمَسْحُونَ ٧٧ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ

﴿ فَالنَّفْمَةُ الْحَوْثُ وَهُوَ مُلِيمٌ ٧٨﴾ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَيْحِينَ ٧٩﴾ لَلَّيْثَ

فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبَعَّثُونَ ٨٠﴾ فَبَذَنَهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ٨١﴾ وَأَبْنَتَنَا عَلَيْهِ

شَجَرَةً مِنْ يَمْطِينَ ٨٢﴾ وَأَرْسَلَنَاهُ إِلَى مَائِةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ٨٣﴾ فَعَامَنَا

فَسَعَنَاهُمْ إِلَى حِينٍ ٨٤﴾ [الصفات] وكذا ذكريا عليه السلام نالته رحمة الله

عندما طلب من ربه الذرية الصالحة فأصلاح له زوجه ووحبه

يحيى عليه السلام قال تعالى: ﴿ ذَكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَاً ١ إِذْ نَادَى

رَبَّهُ نِدَاءً حَفِيْتَ ٢ قَالَ رَبِّي إِنِّي وَهَنَ الْعَذَمُ مِنِي وَأَسْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ

أَكُنْ يَدْعُوكَ رَبِّ شَيْقَيْتَ ٣ وَإِنِّي حَفَتُ الْمَوْلَى مِنْ وَرَاءِي وَكَانَتْ

أَمْرَأِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيَتَ ٤ يَرْثِي وَيَرِثُ مِنْ إِلَيْكَ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ

رَبِّ رَضِيَّا ٥ يَزَرِكَرِيَاً إِنَّا نَبْشِرُكَ بِعَلَمٍ أَسْمُهُ يَحِيَّ لَمْ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلِ

سَمِيَّاً ٦﴾ [مريم].

وختام مسأك الصالحين نبينا ﷺ الذي نصره ربه وأيده واظفره على عدوه، قال تعالى: ﴿إِلَّا نُصْرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْفَكَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيْتَهُ بِمُجْنَوِيْدِ لَمَّا تَرَوْهَا وَجَعَكَ لَكَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَسْفَلَ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعَلِيَّةُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبه] وأهل الكهف الذين اختاروا ربهم فنشر لهم من رحمته وهياً لهم من أمرهم رشدًا، قال تعالى: ﴿إِذَا دَعَى إِلَيْهِ الْكَهْفَ فَقَالُوا رَبِّنَا إِنَّا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيْئَةً لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ [الكهف] فضررتنا على إذادناهم في الكهف سنتين عدداً ﴿ثُمَّ بَعْثَتْهُمْ لِتَعَامِلُوا أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَنَ لِمَا إِلْشَوَأَمَدًا﴾ [الكهف] ثم نحن نقص عليك نباءهم بالحق إنهم فتية ءاماً نمواً بربهم وزدتهم هدى [الكهف] وربطنا على قلوبهم إذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والأرض لن ندعوا من دونه إلهًا لقد قلنا إذا شططاً ﴿الكهف﴾ [الكهف] والمواقف التي تبين آثار رحمة الله على الصالحين أكثر من أن تحصى لكن المقام مقام اختصار وإيجاز.

بقي لنا ما يتعلق بآثار رحمة الله في الآخرة بعد أن سردنا من خلال الآيات لفظاً ومعنى ما تيسر من آثار رحمة الله بالإنسان في الدنيا.

### من آثار رحمة الله بعباده في الآخرة:

وعد المولى ﷺ عباده الصالحين برحمة ينعمون بها في يوم ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بُنُونَ﴾ [الشعراء] ﴿إِلَّا مَنْ أَنَّ أَنَّ اللَّهَ يَقْلِبُ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء] من هذه الرحمات:

### • تبييض وجوه الطائعين:

قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَبَيَّضُ وُجُوهٌ وَتَسُودُ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ أَسْوَدَتْ وُجُوهُهُمْ﴾

أَكْفَرُهُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذَوْقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٦﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ أَبْيَضُتْ  
وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٧﴾ [آل عمران] وتببيض الوجه  
علامة من علامات الصلاح يوم القيمة إذ يتبع ذلك تكريم صاحب  
الوجه وتشريف منزلته بتخلصه في دائم النعيم<sup>(١)</sup>.

#### • صرف العذاب عن المتقين:

قال تعالى: «قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ مَنْ يُصْرَفَ عَنْهُ يَوْمٌ ذِي فَقْدٍ رَحْمَهُ، وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ﴿١٦﴾ [الأنعام] وقد بينت  
آية أخرى أن مجرد الرجزة عن النار تثمر الفوز، قال تعالى: «فَمَنْ رُحِنَّعَنِ النَّارِ وَأَدْخَلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ» [آل عمران: ١٨٥].

#### • دخول الجنة مع عظم الدرجة:

قال تعالى: «رَبَّنَا وَأَدْخِلْنَاهُمْ جَنَّتَ عَدَنِي أَلَّيْ وَعَدَتْهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ إِبْرَاهِيمَ  
وَأَزْوَاجِهِمْ وَدُرِّيَتْهُمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقَهْمُ السَّيِّعَاتِ وَمَنْ  
تَقْ أَسْتِيَعَاتِ يَوْمَيْذِي فَقَدْ رَحْمَتُهُ، وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٩﴾ [غافر] وقوله  
تعالى: «فَمَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَأَعْتَصَمُوا بِهِ، فَسَيِّدُ خَلْمَهُمْ فِي رَحْمَةِ مِنْهُ وَفَضْلِ  
وَهَدِيَّهُمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُسْقَيْمًا ﴿١٥﴾ [النساء] وقوله تعالى: «فَمَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا  
وَعَمِلُوا الصَّلِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ، ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ﴿٢٠﴾ [الجاثية]  
وقال تعالى: «دَرَجَتِ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ عَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٦﴾ [النساء].

هذا ما تيسر ذكره من آثار رحمة الله بالكون وب الخليفة الله في الأرض الإنسان  
الذي رحمه ﷺ في الدنيا وفي الآخرة، فالله يا ربنا يا رحيم ارحمنا برحمة  
منك إنك على كل شيء قادر وبالإجابة جدير.. والله ولي التوفيق.



## الخاتمة

بعد رحلة تفسيرية مع كتاب الله ﷺ ومن خلال موضوع «رحمة الله عباده أسبابها وأثارها في ضوء القرآن الكريم» أوجز أهم نقاط هذا الموضوع فأقول ومن الله العون:

- قمت بتعريف الرحمة مفرقاً بين الرحمة في حق الله وحق الأدميين.
- ذكرت أسباب رحمة الله عباده في القرآن الكريم من خلال استقراء الآيات وهي:

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وطاعة الله ورسوله، وتقوى الله في السر والعلن والاعتصام بالله ﷺ والاستماع للقرآن والانصات له، وقيام الليل، وإصلاح ذات البين، والصبر لحكم الله ﷺ والعفو عن المقدرة والهجرة أو الجهاد في سبيل الله ﷺ، الموت أو القتل في سبيل الله ﷺ، واعتزال الكافرين وما يعبدونه.

- أتبعت أسباب الرحمة بآثارها في الكون المنظور الممثل في الأرض والسماء والرياح.

- ثم شرعت في بيان آثار رحمة الله التي تخص الإنسان في الدنيا

وهي:

إرسال الرسل وإنزال الكتب، والزواج والذرية، وحفظ الصالحين  
وذريتهم، واحتياج الخلق إلى بعضهم البعض، والوقاية من الشيطان  
وكيده وقبول توبة التائب واستغفار المستغفر ووعده للمجاهدين  
والهاجرين والصابرين بالرحمة، وإباحة المحظور لرفع الضرر  
 وإنجاء الصالحين وإعانتهم.

- ختمت رحلتي العلمية مع هذا البحث الذي أرجو له القبول والنفع  
بذكر آثار رحمة الله بعباده في الآخرة فذكرت منها: تبييض وجوه  
الطائعين صرف العذاب عن المتقين دخول الجنة مع عظم الدرجة.  
اللهم ارزقنا إياها بعد عمر مديد في طاعة وصلاح.

### الوصيات:

أوصي بترجمة الأعمال المتصلة بموضوع الرحمة، ومنها هذا العمل  
وطبعها وتوزيعها لبيان جوهر ديننا الحنيف، وكشف كل زيف يعكر صفوه.



## فهرس المصادر والمراجع

### • التفسير:

١. إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، لأبي السعود، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
٢. أضواء البيان، للشنقيطي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
٣. البحر المحيط، لأبي حيان، دار الكتب العلمية - لبنان / بيروت - ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م الأولى.
٤. التحرير والتووير، لابن عاشور، دار سحقنون تونس.
٥. التفسير القرآني للقرآن، لـ عبدالكريم الخطيب، دار الفكر العربي - القاهرة.
٦. التفسير الميسر، لنجبة من العلماء، طبع مجمع الملك فهد بالمدينة المنورة السعودية.
٧. التفسير الوسيط، لطنطاوي، طبع مجمع البحوث بالأزهر الشريف ١٩٨٠م.
٨. الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، دار قرطبة الأولى .
٩. أنوار التنزيل، للبضاوي، بتحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي - بيروت الأولى - ١٤١٨هـ.
١٠. تفسير القرآن الحكيم المشهور بتفسير المنار، لـ محمد رشيد رضا، الثانية، دار المنار، القاهرة: ١٣٣٦هـ / ١٩٤٧م.
١١. تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون - بيروت الأولى - ١٤١٩هـ.
١٢. تفسير المراغي، شركة مكتبة ومطبعة، مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الأولى، ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م.
١٣. حاشية الجمل على الجلالين، طبعة الحلبي الثالثة ٢٠٠١م.

١٤. تيسير الكريم الرحمن، للسعدي، ت: عبد الرحمن الويحق، مؤسسة الرسالة الأولى ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
١٥. جامع البيان للطبرى، تحقيق: التركى، دار هجر الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
١٦. زهرة التفاسير، لأبى زهرة، دار الفكر العربى د.ت.
١٧. صفوة الآثار والمفاهيم من تفسير القرآن العظيم، عبد الرحمن بن محمد الدوسري الأولى دار المغنى الرياض ١٤٢٥هـ.
١٨. المحرر الوجيز، لابن عطية، محقق: عبدالسلام عبدالشافى محمد، دار الكتب العلمية - بيروت الأولى - ١٤٢٢هـ.
١٩. معالم التزيل، دار السلام للنشر والتوزيع - الرياض الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ.
٢٠. مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربى - بيروت الثالثة - ١٤٢٠هـ.

• من كتب العقيدة:

١. الصواعق المرسلة، لابن قيم الجوزية، تحقيق: علي بن محمد الدخيل الله، دار العاصمة، الرياض، الأولى، ١٤٠٨هـ.

• اللغة العربية:

١. لسان العرب لابن منظور دار صادر - بيروت الثالثة - ١٤١٤هـ.
٢. المفردات للراغب الأصفهانى، تحقيق محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، لبنان د.ت.
٣. مقاييس اللغة، لابن فارس، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، دار الفكر ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.  
والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات.



# رحمة النبي ﷺ بآعدائه

## دراسة قرآنية

إعداد:

أ. عبير مشبب محمد آل جعال الأحمرى  
محاضرة - جامعة تبوك  
قسم الدراسات الإسلامية

# المؤتمر الدولي في الرحمة في الإسلام

The International Conference on Mercy in Islam  
قسم الدراسات الإسلامية - كلية التربية



## المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام الأتمان الأكملان على خير خلقه نبينا محمد، وعلى آله وصحبه التابعين له بإحسان إلى يوم الدين. أمّا بعد : فإن نظرة الإسلام إلى البشرية ملؤها الرحمة، والشفقة، ولا يمكن أن تكون غير هذا؛ لأن الدين الإسلامي آخر الأديان التي شرعاها الله ﷺ، وأمر الناس كافة بالدخول فيه، وإضافة إلى ذلك كله، فإن الله قد بعث رسول الإسلام رحمة للإنسانية ورحمة للعالمين فقال : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٧]، ولذا فقد رأيت أن أقدم لكم هذا البحث، تحت عنوان: ”رحمة النبي ﷺ بأعدائه دراسة قرآنية“.

### أولاً : أهداف البحث:

١. التأكيد على أن الإسلام هو دين الرحمة، في زمان كثرت فيه الافتراضات على الإسلام.
٢. إثبات فطرية الرحمة في الرسول ﷺ، وتأصلها في نفسه.
٣. إبراز صور رحمة النبي ﷺ بأعدائه في القرآن الكريم.
٤. بيان الآيات الدالة على شفقة النبي ﷺ بأعدائه وعفوه عنهم، وشرح الآيات الدالة على حزنه ﷺ على إصرار أعدائه على الكفر والشرك.

٥. بيان أن موضوع الرحمة من أهم الموضوعات، التي ينبغي أن يعني بالبحث فيها، ونشرها في هذا الزمان.

### ثانياً: مشكلة البحث:

أُتهم الإسلام زوراً وكذباً بأنه دين العنف والشدة والقتل، وخفى على بعض المسلمين جوانب الرحمة فيه وفي نبيه محمد ﷺ وجاء هذا البحث ليبين رحمة النبي ﷺ بأعدائه.

### ثالثاً: الدراسات السابقة في الموضوع:

لم أجد بعد البحث من كتب في الموضوع سوى بعض الأبحاث المطبوعة المتعلقة بمؤتمر نبي الرحمة، التي تطرقت بصورة مخالفة لما ورد في البحث، والمتأمل في عناوين هذه الأبحاث ومحتوياتها يلحظ الاختلاف بين مضمون تلك الأبحاث، ومضمون هذا البحث، ومن هذه الأبحاث:

١. رحمة النبي ﷺ بأعدائه، إعداد د: فوزي بن درامن.

٢. معالم الرحمة في تعامل النبي ﷺ مع المبتدئ والجاهل والعاصي، إعداد د: سليمان الشجراوي.

أما البحث الأول: فمباحثته تختلف عن موضوع البحث، إلا في مبحث واحد، وهو الآيات التي أشارت إلى رحمته ﷺ بأعدائه، وهذا المبحث كذلك اختلف معه من ناحية المنهج الذي سار عليه الباحث في بحثه. وأما البحث الثاني فمباحثته أيضاً تختلف عن موضوع البحث، وقد أبرز البحث من جانب السيرة النبوية.

### رابعاً: منهج البحث:

لقد اعتمدت في كتابة هذا البحث المنهج الاستقرائي التحليلي. ويتلخص فيما يلي:

١. جمعت الآيات القرآنية التي لها علاقة بعناوين هذا البحث.
٢. اقتصرت على الأحاديث الصحيحة، وقد حرصت على اختيار ما ورد في الصحيحين أو أحدهما.
٣. حرصت على عزو الأقوال لأصحابها، وعزو ذلك إلى مصادره، وما تصرفت فيه أشرت إلى ذلك بعبارة: (تصرف).

#### خامسًا: خطة البحث:

تشتمل خطة البحث على مقدمةٍ، وتمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة على التفصيل التالي:

المقدمة: وفيها أهداف الموضوع، ومشكلة البحث، ومنهجه وخطته.

التمهيد: ويتضمن مفهوم الرحمة ونظائرها في القرآن الكريم.

المبحث الأول: حرص النبي ﷺ على هداية أعدائه، وعفوه وصفحه عنهم، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: حرص النبي ﷺ، على هداية أعدائه.

المطلب الثاني: عفو النبي ﷺ، وصفحه عن أعدائه.

المبحث الثاني: تحسر النبي ﷺ، وأساه وحزنه على عدم هداية الكفار، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تحسر النبي ﷺ، وأساه على عدم هداية الكفار.

المطلب الثاني: حزن النبي ﷺ، على عدم هداية الكفار.

المبحث الثالث: وصف النبي ﷺ بأنه رحمة للمنافقين، واستغفاره لهم. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: رحمة النبي ﷺ بالمنافقين.

المطلب الثاني: استغفار النبي ﷺ للمنافقين.

الخاتمة: وفيها أبرز النتائج والتوصيات، التي توصلت إليها من خلال هذا البحث.

ويلي ذلك الفهارسُ العامة.

وختاماً: فالشكر كله لله ﷺ على ما وفق ويسر لاختياري هذا البحث وإتمامه، فما كان فيه من صواب فمن الله وحده، وما كان فيه من خطأ فمن نفسي والشيطان، والله أعلم وأجل.

## التمهيد

# مفهوم الرحمة، ونظائرها في القرآن الكريم

معنى الرحمة لغةً:

الرحمة: من رَحِمَهُ يرحمه، رحمةً ومرحمةً، إذا رقَّ له، وتعطف عليه، وهي مأخوذة من مادة (رَحِمَ)، التي تدل في الأصل على (الرِّقة والعطُف والرَّأفة) <sup>(١)</sup>.

جاء في لسان العرب الرحمة بمعنى (المغفرة) <sup>(٢)</sup>، وحکى ابن سیده: “أصل الرحمة النعمة” من قوله ﷺ: ﴿قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِّنْ رَّبِّي﴾ [الكهف: ٩٨]، كما أن حقيقة الرحمة (الإنعام على المحتاج) <sup>(٣)</sup>.

معنى الرحمة اصطلاحاً:

عرّف أهل العلم الرحمة في الاصطلاح بمعانٍ عدّة مأخوذة من دلالة المعنى اللغوي للكلمة، ومن هذه التعريفات:

قال الراغب الأصفهاني: ”الرحمة رقة تقتضي الإحسان إلى المرحوم، وقد تستعمل تارة في الرقة المجردة، وتارة في الإحسان المجرد عن الرقة، نحو رحم الله فلاناً“ <sup>(٤)</sup>; ولذا فإن الرحمة ليست عبارة عن انفعالات

(١) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس مادة: رحم، (٤٩٨ / ٢).

(٢) انظر: لسان العرب، لابن منظور مادة: رحم، (١٧٣ / ٥).

(٣) انظر: المخصص، لابن سیده (٢٢٥ / ٥).

(٤) انظر: المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، مادة: رحم (٢٥٣ / ١).

وأحساس عاطفية داخل النفس فحسب، بل إن لها آثاراً واضحة للعيان في العلاقة بين الراحم والمرحوم. وقيل: ”الرحمة حالة وجданية تعرض غالباً من به رقة القلب، وتكون مبدأ للانعطاف النفسي الذي هو مبدأ الإحسان“<sup>(١)</sup>.

وحدها الطاهر بن عاشور، فقال: الرحمة: ”اسم مصدر لصفة الراحم، وهي من صفات الإنسان، فهي رقة في النفس تبعث على سوق الخير لمن تتعدى إليه“. ويعرفها السعدي بأنها: ”رقة القلب وصفوه ورحمته للخلق، وزوال قسوته وغلظته، وهي من أخلاق صفة الخلق“<sup>(٢)</sup>. وفيما تقدم من معاني الرحمة، قال ابن القيم: ”مما ينبغي أن يعلم: أن الرحمة صفة تقتضي إيصال المنافع والمصالح إلى العبد، وإن كرهتها نفسه، وشقت عليها، فهذه هي الرحمة الحقيقية، فأرحم الناس بك من أوصل إليك مصالحك، ودفع المضار عنك، ولو شق عليك في ذلك“<sup>(٣)</sup>. وعلى الجملة، فإن لفظ (الرحمة) من الألفاظ العامة الشاملة، التي يدخل في معناها كل خير ونفع يعود على الإنسان في دنياه وآخرته.

### نظائر الرحمة في القرآن:

هناك نظائر لكلمة الرحمة، وردت في القرآن الكريم، يدور معناها حول معنى الرحمة، وهي:

١. الرأفة: عَبْر ابن فارس عن أصل هذه الكلمة، فقال: ”الراء والهمزة والفاء كلمة واحدة تدل على رقة ورحمة، وهي الرأفة“<sup>(٤)</sup>.

(١) انظر: الكليات معجم في المصطلحات والفرق اللغوية، الكفوبي (ص ٤٧١). الرحمة في القرآن الكريم، موسى عسيري (ص ٢١-٢٢).

(٢) انظر: فتح الرحيم الملك العلام في علم العقائد والتوحيد والأخلاق والأحكام المستبطة من القرآن، عبد الرحمن السعدي: (ص ١٤٤)، الرحمة في القرآن الكريم، موسى عسيري (٢١-٢٢).

(٣) انظر: إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، ابن قيم الجوزية، (٢/ ٩٠١).

(٤) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس، مادة: رأف (٢/ ٤٧١).

ذهب المفسرون إلى أن الرأفة أخص من الرحمة، ومما ذكروه على هذا المعنى قولهم: الرأفة: أشد الرحمة<sup>(١)</sup>، أو الرأفة: أعلى معاني الرحمة<sup>(٢)</sup>، أو الرأفة: ألطف الرحمة وأرقها<sup>(٣)</sup>.

قال الزجاج: ”الرأفة هي المنزلة الثانية، يقال: فلان رحيم، فإذا اشتدت رحمته فهو رعوف“<sup>(٤)</sup>. وقد وردت هذه اللفظة مفردة كقوله تعالى: ﴿لَا تَأْخُذُكُم بِمَا رَأَفْتُ فِي دِينِ اللَّهِ﴾ [النور:٢]. ومقترنة بلفظ الرحمة كقوله تعالى: ﴿رَأْفَةً وَرَحْمَةً﴾ [الحديد: ٢٧].

٢. الحنان: عرّف ابن فارس هذه الكلمة فقال: ”الحاء والنون أصل واحد، وهو الإشفاق والرقة...، والحنان: الرحمة“. قال الله تعالى: ﴿وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا﴾ [مريم: ١٣]. وتقول: حنانك أي رحمتك... وحنانيك، أي حناناً بعد حنان، ورحمةً بعد رحمة“<sup>(٥)</sup>. قال ابن عطية: ”والحنان الرحمة والشفقة والمحبة قاله جماعة المفسرين“<sup>(٦)</sup>. قال ابن الأنباري: ”لم يختلف اللغويون أن الحنان الرحمة“<sup>(٧)</sup>، وقد وردت هذه اللفظة في موضع واحد من القرآن الكريم في حق نبي الله يحيى عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا وَرَحْكَةً وَكَانَ تَقِيًّا﴾ [مريم: ١٢].

٢. اللين: (اللام والياء والنون) كلمة واحدة، وهي اللين: ضدُّ الخُشونة...

(١) انظر: مجاز القرآن، معمر البصري، (٥٩/١)، تفسير القرآن، السمعاني (١٥٠/١)، معالم التنزيل، البغوي (١٦١/١).

(٢) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبرى (١٠٤/١)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية (٢٢١/١).

(٣) انظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن قيم الجوزية (٤٢١/١)، تفسير القرآن الكريم من سورة الحجرات وحتى الحديـد، ابن عثيمـين (ص: ٤٢٨).

(٤) انظر: تفسير أسماء الله الحسـنى، بـراهـيم الزـجاج، (ص: ١٢).

(٥) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس، مادة: حـنـ (٢٢٤/٢).

(٦) انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العـزيـز، ابن عـطـية (٧/٧)، الوسيط في تفسير القرآن المجيد، علي الواحدـي (١٧٨/٣).

(٧) نقلـه عنه ابن الجـوزـي في زـاد المسـيرـ في علم التـفـسـيرـ، جـمال الدـين ابن الجـوزـي (٢١٤/٥).

وفلان ملينة، أي لين الجانب»<sup>(١)</sup>. وقال الراغب الأصفهاني: «اللين ضد الخشونة، ويستعمل ذلك في الأجسام، ثم يستعار للخلق وغيره من المعاني»<sup>(٢)</sup>. وقد وردت هذه اللفظة في موضعين من القرآن الكريم: الأول في صفة خير الخلق ﷺ وهو قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّقَدْسِيَّةِ قُلُوبِهِمْ مِّنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [الزمر: ٢٢]، والثاني في صفات المؤمنين عند سماعهم لكلام ربهم، قال تعالى: ﴿أَحَسَنَ الْحَدِيثِ كَتَبَا مُسْتَبِّهَا مَثَابِي نَفْسَهُرُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَحْشُونَ رَءُومَهُمْ تَلَيْنُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الكهف: ٩٨].



(١) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس، مادة: لين (٤٥/٥).

(٢) انظر: المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني مادة لين (١).



## المبحث الأول

### حرص النبي ﷺ على هداية أعدائه، وعفوه وصفحه عنهم

لقد كان النبي ﷺ شديد الحرث على هداية أعدائه رحيمًا بهم، بل كان يدعو لهم بالهداية، ولا يدعو عليهم بالهلاك؛ ليكشف عن قلوبهم ظلمات الجهل المدلهمة، ويظهرهم من أدناس الرّيّن وأجناس الرّيب؛ ولهذا كان يتأنّم لعدم استجابتهم شفقة ورحمة منه ﷺ عليهم، حتى أشفع عليه المولى ﷺ وهدأ روعه من الحالة التي كان عليها، قال ابن تيمية: ”الرسول ﷺ بعثه الله ﷺ هدى ورحمة للعالمين، فإنه كما أرسله بالعلم والهدى والبراهين العقلية والسمعية، فإنه أرسله بالإحسان إلى الناس، والرحمة لهم بلا عوض، وبالصبر على أذاهم“<sup>(١)</sup>.

## المطلب الأول

### حرص النبي ﷺ على هداية أعدائه

قال تعالى: «وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَضْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٢﴾ [يوسف] قال الشوكاني: ”أي وما أكثر الناس المعاصرين لك يا محمد، أو ما أكثر الناس

(١) انظر: مجموع الفتاوى، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية (٣١٣/١٦).

على العموم ولو حرصت على هدايتهم، وبالغت في ذلك بمؤمنين بالله، لتصميمهم على الكفر الذي هو دين آبائهم<sup>(١)</sup>، حيث اشتملت هذه الآية على فوائد منها، رحمة النبي ﷺ بأمته وحرصه على هدايتهم، ومن ذلك أيضاً تسلية لقلب النبي ﷺ كي لا يتحسر ولا يحزن على عدم استجابتهم له. وكون أكثر الناس ليسوا بمؤمنين، ومع ذلك يحرص ﷺ على هدايتهم ودعوتهم، فهذا دليل على عظيم رحمته وكمال شفقته بهم. والمتدبر لكتاب الله يجد آيات كثيرة وصفت النبي ﷺ بأنه صاحب القلب الرحيم، الذي جمع الله له القلوب، وتألفت بدعوته الجموع، وما ذاك إلا جانب من جوانب رحمته بهذه الأمة وحرصه على هدايتهم؛ ولهذا سلاه الله ﷺ، وربط على قلبه، وطمأنه بأن لا ييأس من عدم إيمانهم واستجابتهم، وأن مهمته مقتصرة على البلاغ، حيث قال تعالى: «فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا إِنَّ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ» [الشورى: ٤٨]. وهذا ما أشار إليه الطاهر بن عاشور عند كلامه على هذه الآية، فقال: "وجملة «وما أَسْأَلَهُمْ عَنِيهِ مِنْ أَجْرٍ» [يوسف: ٤] معطوفة على جملة «وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ» إلى آخرها باعتبار ما أفادته من التأييس من إيمان أكثرهم. أي لا يسوءك عدم إيمانهم، فلست تتبعي أن يكون إيمانهم جزاء على التبليغ، بل إيمانهم لفائدة لهم<sup>(٢)</sup> كقوله: «قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَى إِسْلَامِكُمْ» [الحجرات: ١٧].

لم يفرق ﷺ في دعوته بين أحمر وأسود، ولا بين أعمجي وعربي، قال تعالى: «إِنْ تَحْرِصُ عَلَى هُدَيْهِمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهِدِي مَنْ يُضْلِلُ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَّصِيرٍ» [النحل: ٢٧]. وهذا ما جبل عليه النبي ﷺ من الشفقة والرحمة، وما ميزه به الله حيث جعله يحرص على إيصال ما جاء به ﷺ من الخير

(١) انظر: فتح القدير، محمد الشوكاني (٣/٧٩-٨٠)، زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين ابن الجوزي (٤/٢٩٣)، مفاتيح الغيب، محمد الرازي (١٨/١٧٨).

(٢) انظر: التحرير والتوير، الطاهر بن عاشور (١٣/٦٢).

والهدى، حتى يعم نفعه جميع المخلوقين، وهذه الآية خير شاهد على ذلك، قال الطبرى: ”فتأويل الكلام: لو كان الأمر على ما وصفنا: إن تحرص يا محمد على هداهم، فإن من أضل الله فلا هادى له، فلا تجهد نفسك في أمره، وبلغه ما أرسلت به لتم عليه الحجة“<sup>(١)</sup>، وقال القرطبي: عند تفسيره لهذه الآية ”أى: إن تطلب يا محمد بجهدك هداهم. ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَن يُضْلِلُ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَصِيرٍ﴾“ أى: لا يرشد من أضلهم، أي من سبق له من الله الضلالة لم يهدى<sup>(٢)</sup>، ثم أخبر الله ﷺ رسوله ﷺ أن حرصه على هدايتهم لا ينفعهم، إذا كان الله قد أراد إضلالهم“<sup>(٣)</sup>. والمستقرى للسنة النبوية يجد الكثير من الأحاديث التي ذكرت بها سنته في رحمته وحرصه على هداية أعدائه فكما اتسع قلبه لأصنفائه، اتسع أيضًا لأعدائه، مع ما لقيه ﷺ منهم من أذية وصدود، فعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت للنبي ﷺ: هل أتي عليك يوم أشد من يوم أحد؟ قال: (لقد لقيت من قومك ما لقيت وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة؛ إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال فلم يجبنني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب، فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أطللتني، فنظرت فإذا فيها جبريل: فناداني فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك، وقد بعث الله إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، فناداني ملك الجبال، فسلم علي ثم قال يا محمد: فقال ذلك فيما شئت، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين؟ فقال النبي ﷺ: «بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً»<sup>(٤)</sup>. لقد وسعهم قلب الرحيم فرأف بهم وأبى أن يهلكوا

(١) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبرى (٢١٨/١٤).

(٢) انظر: الجامع لإحكام القرآن، القرطبي (٣٢٣-٣٢٢/١٢).

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٥٧١/٤).

(٤) أخرجه البخاري، كتاب بدء الخلق، باب: إذا قال أحدهم: أمين وملائكة في السماء، فوافقت إحداهما الأخرى غفر له ما تقدم من ذنبه، حديث رقم: (٣٢٣١)، ومسلم في صحيحه، =

معاقبة على سوء ردهم، ونظر إلى الغد نظرة مشرقة بالأمل، لم يقف عند حاضرهم المظلم بل تجاوزه إلى الغد المرتقب ورجا إن لم تشرح قلوبهم لليمان أن يهدي الله قلوبًا تبتق من أصلابهم<sup>(١)</sup>. وما هذا إلا أنموذج من سيرته ﷺ في بيان رحمته وشفقته مع أعدائه من المشركين.

و عند قوله تعالى: **﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ هُدًى هُمْ وَلَا كِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاء﴾**

[البقرة: ٢٧٢]. وجدت رحمة النبي ﷺ بالداعين مع علمه ﷺ بأن هداية التوفيق بيد الله وحده. قال الطبرى في بيان هذه الآية: "يعنى ليس عليك يا محمد هدى المشركين إلى الإسلام، فتمنعهم صدقة التطوع، ولا تعطى لهم منها ليدخلوا في الإسلام حاجة منهم إليها، ولكن الله هو يهدي من يشاء من خلقه إلى الإسلام فيوفقهم له، فلا تمنعهم الصدقة"<sup>(٢)</sup>. والناظر في كلام المفسرين عند هذه الآية يجد أنه واضح الدلالة على أن هداية التوفيق هي بيد الله ﷺ وأن النبي ﷺ لا يملكها، ولكن لشفقته ورحمته ﷺ بهم كان شديد الحرث على إخراجهم من ظلام الشرك إلى نور الإسلام والهدایة، لكنهم صم عن سماع الحق لا يعقلونه كما قال الله عنهم **﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْمَعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تُشْعِيُ الْأَصْمَمَ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ﴾** [يونس: ٤٢].

ويقول ابن عطية عند قوله تعالى: **﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَّنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ حَيًّا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾** [يونس: ٩٩] والمعنى أن هذا الذي تقدم إنما كان جميده بقضاء الله عليهم ومشيئته فيهم، ولو شاء الله لكان الجميع مؤمناً، فلا تأسف أنت يا محمد على كفر من لم يؤمن بك، وادع ولا عليك فالامر محظوم، أفتريد أنت أن تكره الناس بإدخال الإيمان في قلوبهم، وتضطرهم إلى ذلك، والله ﷺ قد شاء

= كتاب الجهاد والسير، باب: ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين، حديث رقم (١١١)، (٢٦٤/٢).

(١) انظر: الرسالة المحمدية وشواهدها، محمود عبد الوهاب (ص: ٢٣٨).

(٢) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبرى (١٩/٥).

غيره<sup>(١)</sup>. وعن ابن عباس رض قال: (ونحو هذا في القرآن، فإن رسول الله ﷺ كان يحرص أن يؤمن جميع الناس ويتابعوه على الهدى، فأخبره الله أنه لا يؤمن إلا من قد سبق له من الله السعادة في الذكر الأول، ولا يضل إلا من سبق له من الله الشقاء في الذكر الأول)<sup>(٢)</sup>.

قال الطبرى عند قوله تعالى: «إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهَتَّدِينَ» [القصص: ٥٦] ”يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: «إِنَّكَ» يا محمد «لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ» هدايته «وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ» أن يهديه من خلقه، بتوفيقه للإيمان به وبرسوله». ولو قيل: معناه: إنك لا تهدي من أحببته لقرباته منك، ولكن الله يهدي من يشاء، كان مذهبًا «وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهَتَّدِينَ» يقول جل شوأه: والله أعلم من سبق له في علمه أنه يهتدى للرشاد، ذلك الذي يهديه الله فيسده ويوفقه، وذكراً أن هذه الآية نزلت على رسول الله ﷺ من أجل امتاع أبي طالب عممه من إجابته، إذ دعاه إلى الإيمان بالله، إلى ما دعاه إليه من ذلك<sup>(٣)</sup>.

وقد ذكر الواحدى أن سبب نزول هذه الآية كما رواه سعيد بن المسيب عن أبيه أنه قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله ﷺ فوجد عنده أبا جهل وعبد الله بن أبي أمية، فقال رسول الله ﷺ: «يا عم قل لا إله إلا الله، كلمة أحاج لك بها عند الله ﷺ»، فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية: يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه، ويعاودانه بتلك المقالة، حتى قال أبو طالب آخر ما كلامهم به: أنا على ملة عبد المطلب، وأبى أن يقول: لا إله إلا الله، فقال رسول الله ﷺ «والله لآسْتَغْفِرُنَّ لَكَ مَا لَمْ أَنْهَ عَنْكَ»، فأنزل الله ﷺ

(١) انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية (١٤٥/٣).

(٢) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبرى (٢٩٨/١٢).

(٣) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبرى (٢٨٣-٢٨٢/١٨).

﴿مَا كَانَ لِلّٰهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبه: ١١٣] الآية، وأنزل في أبي طالب: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحَبَّتْ وَلَكِنَّ اللّٰهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾<sup>(١)</sup> [القصص: ٥٦] وهذا يدل على أن النبي ﷺ لا يملك هداية التوفيق، وليس بيده، ولو كانت بيده لجعلها لعمه أبي طالب؛ لكن الشفقة والرحمة التي امتلاها فؤاده جعلته يشفق على عمه ويرحمه، فاجتهد النبي ﷺ أن يوصل إلى عمه نظير ما صنع له.

## المطلب الثاني

### عفو النبي ﷺ وصفحه عن أعدائه

لقد بلغ النبي ﷺ غاية الحلم والعفو، فكان النبي ﷺ يتآلف القلوب، ويلاطف من يرجى إسلامه ويعفو عنه، ويحمل عند الغضب، ويحسن إلى المسيء، فكانت هذه الأخلاق العالية من أعظم الأسباب في إجابة دعوته، والإيمان به واجتماع القلوب عليه<sup>(٢)</sup>. فربما أثقل ﷺ على نفسه وترازل عن حقه في سبيل إيصال ما أرسل به، حيث لم ينبع هذا العفو والصفح، إلا من قلب رحيم مشفع على دعوة أمته للخير، وفي هذا جانب من جوانب رحمته بالمدعويين، ومن تلك الآيات الدالة على ذلك:

قوله تعالى: ﴿فِيمَا نَقْضَاهُمْ مِّثْقَاهُمْ لَعَنْهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَدِيسَيْةً يُحِرِّقُونَ الْكَبَرَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَسُوَا حَظًا مِّمَّا ذَكَرُوا بِهِ وَلَا ثُرَاثٌ نَطَّاعٌ عَلَى خَائِنَتِهِ مِنْهُمْ إِلَّا قَيْلًا مِّنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللّٰهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدah: ١٢] في هذه الآية أمر الله ﷺ نبيه محمدًا ﷺ بالعفو عن هؤلاء

(١) انظر: أسباب النزول، الواحدى (٣٤٧/١)، وأصله في مسلم، كتاب: الإيمان، باب: أول الإيمان قول لا إله إلا الله، حدث رقم: (٣٩). (٢٣/١).

(٢) انظر: رحمة للعلميين محمد رسول الله، نشأته وأخلاقه ومعجزاته وعموم رسالته ﷺ في ضوء الكتاب والسنة، سعيد القحطاني (١٥١/١).

ال القوم، الذين همُوا أن يسطوا أيديهم إليه من اليهود. يقول الله ﷺ له: اعف، يا محمد، عن هؤلاء اليهود، الذين همُوا بما همُوا به من بسط أيديهم إليك وإلى أصحابك بالقتل، واصفح لهم عن جرمهم بترك التعرض لمكرورهم، فإني أحب من أحسن العفو والصفح إلى من أساء إليه<sup>(١)</sup>.

قال السعدي مفسراً هذه الآية، ومبيناً أن العفو والصفح من الإحسان، **﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحُ﴾** أي: لا تؤخذهم بما يصدر منهم من الأذى، الذي يقتضي أن يعفو عنهم، واصفح، فإن ذلك من الإحسان<sup>(٢)</sup> **﴿وَاحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾** [البقرة: ١٩٥]، ولا شك، أن العفو والصفح عنهم من الرحمة بهم.

قال ابن عاشور: ”وأمره بالعفو عنهم والصفح حمل على مكارم الأخلاق“، وذلك فيما يرجع إلى سوء معاملتهم للنبي ﷺ. وليس المقام مقام ذكر المناوأة القومية أو الدينية، فلا يعارض هذا قوله في براءة **﴿فَتَلَوُا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحِمِّلُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوُا الْجِزَيْةَ عَنْ يَدِهِمْ صَغِرُونَ﴾** [التوبه: ٢٩]: لأن تلك أحكام التصرفات العامة، فلا حاجة إلى القول بأن هذه الآية نسخت بآية براءة<sup>(٣)</sup>.

قال تعالى: **﴿فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسُوفَ يَعْلَمُونَ﴾** [الزخرف: ٨٩]. في الآية إرشاد وتسلية من الله ﷺ لنبيه. أي: فأعرض عنهم، ولا تطمع في إيمانهم لشدة كفرهم<sup>(٤)</sup>. وقد تضمنت هذه الآية الكريمة ثلاثة أمور: الأول: أمره **﴿بِالصَّفَحِ عَنِ الْكُفَّارِ﴾**. والثاني: أن يقول لهم سلام. والثالث: تهديد **﴿الْكُفَّارَ بِأَنَّهُمْ سَيَعْلَمُونَ حَقِيقَةَ الْأَمْرِ وَصَحَّةَ مَا يَوْعَدُ بِهِ الْكَافِرُ مِنْ عَذَابٍ**

(١) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبراني (٢٥٥/٨).

(٢) انظر: تيسير الكريمة الرحمن في تفسير كلام المتن، عبد الرحمن السعدي (ص: ٢٢٦).

(٣) انظر: التحرير والتواتير، الطاهر بن عاشور (١٤٥/٦).

(٤) انظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد الطنطاوي (١٠٨/١٢).

النار<sup>(١)</sup>. كما أَنْ فِي هَذِهِ الآيَةِ أَمْرًا مِنَ اللَّهِ لَنَبِيِّهِ بِأَنْ يُعْرِضَ عَنْهُمْ  
وَلَا يَحْزُنْ لِحَالِهِمْ، فَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ مِنْ رَحْمَتِهِ بِهِمْ كَانَ كَثِيرُ الصَّفَحِ  
وَالْعَفْوُ عَنْهُمْ.

وَهَذَا مَا أَلْمَحَ إِلَيْهِ ابْنُ عَاشُورَ بِقُولِهِ فِي مَعْنَى هَذِهِ الآيَةِ: "فَاصْفَحْ  
عَنْهُمْ، أَيْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَلَا تَحْزُنْ لَهُمْ وَقُلْ لَهُمْ إِنْ جَادَلُوكُمْ: سَلَامٌ، أَيْ  
سَلَمْنَا فِي الْمُجَادَلَةِ وَتَرَكْنَاهَا"<sup>(٢)</sup>.



(١) انظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الشنقيطي (٣٣٥/٧).

(٢) انظر: التحرير والتووير، الطاهر بن عاشور (٢٧٣/٢٥).

## المبحث الثاني

### تحسر النبي ﷺ وأساه وحزنه على عدم هداية الكفار

#### المطلب الأول

#### تحسر النبي ﷺ، وأساه على عدم هداية الكفار

أبان القرآن الكريم أن من نعم الله على البشرية أن رسول الله ﷺ بُعث بالرحمة للناس جميعاً، كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء]، ورحمة النبي ﷺ بال المسلمين المؤمنين به أمر معلوم، لكن رحمته ﷺ لم تقتصر عليهم، بل شملت حتى الكافرين به، فما كان من حالهم إلا أن قابلوه بالرد والتکذیب والاستکبار عن قبول الحق، ومع هذا كله لم يكن همه ﷺ إلا أن ينقذهم من النار، ويؤكد الرسول ﷺ ذلك بقوله: (أنا...نبي الرحمة) <sup>(١)</sup>.

قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَقَّنْ تُقْبِلُونَ الْتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِّنْ رَّبِّكُمْ وَلَيَزِدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَّبِّكَ مُطْغِيَنَّا وَكُفَّارًا فَلَا تَأْسُ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة: ٦٨]. قال الطبرى: "يقول تعالى ذكره لنبيه: لا تحزن، يا محمد، على تکذیب هؤلاء الكفار من اليهود والنصارى من بني إسرائىل لك، فإن مثل ذلك منهم عادة وخلق في التعامل مع أنبيائهم، فكيف

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب: في أسمائه ﷺ، حديث رقم: (١٢٦). (١١٠٦/٢).

فيك<sup>(١)</sup> وفي الآية «استخفاف بأمر أهل الكتاب- وصرف النظر عنهم، وتركهم في ضلالهم يعمهون، ليلقوا المصير السيء الذي يلاقه المحادون لله، الكافرون به، غير مأسوف عليهم.. إذ كان ذلك من صنع أيديهم، وما جنته عليهم أنفسهم، وقد نصحوا فلم ينتصروا، وأنذروا فلم تغفهم النذر.. ومن كان هذا شأنه فلا يستحق أن يأسى (أي يحزن) عليه أحد»<sup>(٢)</sup>. قال الألوسي قوله: **﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾** أي: «لا تأسف ولا تحزن عليهم لزيادة طغيانهم وكفرهم، فإن غائلة ذلك موصولة بهم وتبعته عائدة إليهم، وفي المؤمنين غنى لك عنهم، ووضع المظهر موضع المضرmer للتسجيل عليهم بالرسوخ في الكفر، وقيل: المراد لا تحزن على هلاكهم وعداهم، ووضع الظاهر موضع الضمير للتبيه على العلة الموجبة لعدم الأسى، ولا يخلو عن بعد إن الذين آمنوا كلام مستأنف مسوق للترغيب في الإيمان والعمل الصالح»<sup>(٣)</sup>.

وقد سلّى الله رسوله ﷺ بقوله: **﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾** فالفاء للفصيحة لتتم التسلية: لأن رحمة الرسول ﷺ بالخلق تحزنه مما بلغ منهم من زيادة الطغيان والكفر، فتبهت فاء الفصيحة على أنهم ما بلغوا ما بلغوه إلا من جراء الحسد للرسول ﷺ، فحقيقة أن لا يحزن لهم<sup>(٤)</sup>.

قال أبو حيان في تفسيره لهذه الآية قال تعالى: **﴿فَلَا تَذَهَّبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِ حَسَرَتْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾** [فاطر: ٨]. «هذا من فرط رحمته للناس، ورأفته بهم»<sup>(٥)</sup> والآية بمعنى: لا تهلك نفسك حزناً على ضلالهم وكفرهم بالله وتكتذبهم لك<sup>(٦)</sup> وقال الشوكاني: «إن الله عز وجل نهى نبيه ﷺ عن شدة الاغتمام

(١) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبرى (٥٤٧/٨).

(٢) انظر: التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم الخطيب (٣/ ١١٤٣).

(٣) انظر: روح المعانى في تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى، شهاب الدين الألوسي (٢٠٠/٦).

(٤) انظر: التحرير والتورى، الطاهر بن عاشور (٦/ ٢٦٧).

(٥) انظر: البحر المحيط في التفسير، أبو حيان الأندلسى (١٢٦/٣).

(٦) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبرى (٣٣٤/١٩)، الوسيط في تفسير القرآن المجيد، =

بهم والحزن عليهم<sup>(١)</sup>. ﴿فَلَا نَذَهَبْ نَفْسَكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَتِ﴾ أي فلا تفعل ذلك، أي لا ينفي لك ذلك؛ فإنهم أوقعوا أنفسهم في تلك الحالة بتزيين الشيطان لهم ورؤيتهم ذلك حسناً وهو من فعل أنفسهم فلماذا تتحسر عليهم<sup>(٢)</sup>.

قال تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ بَدْخُونَقَسَكَ عَلَىٰءَاثِرِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسْفًا﴾ [الكهف]. دلت هذه الآية بمفهومها على نهي النبي ﷺ عن إهلاك نفسه أسفًا على المكذبين. قال ابن كثير: يقول تعالى مسلياً رسوله ﷺ في حزنه على المشركين، لتركهم الإيمان وبعدهم عنه، كما قال تعالى: ﴿فَلَا نَذَهَبْ نَفْسَكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَتِ﴾ [فاطر:٨] وقال: ﴿لَعَلَّكَ بَدْخُونَقَسَكَ أَلَا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء:٢] باخ: أي مهلك نفسك بحزنك عليهم؛ ولهذا قال ﴿فَلَعَلَّكَ بَدْخُونَقَسَكَ عَلَىٰءَاثِرِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ﴾ يعني: القرآن، أسفًا يقول: لا تهلك نفسك أسفًا، أي: لا تأسف عليهم، بل أبلغهم رسالة الله، فمن اهتدى فلنفسه، ومن ضل فإنما يضل عليها، فلا تذهب نفسك عليهم حسرات<sup>(٣)</sup>. قال أبو حيان عند ذكر معاني لعل عند تفسير قوله تعالى ﴿فَلَعَلَّكَ بَدْخُونَقَسَكَ﴾: "والذي يظهر أنها للإشفاق أشفق أن يبخ الرسول ﷺ نفسه لكونهم لم يؤمنوا"<sup>(٤)</sup>.

وعند قوله تعالى: ﴿لَعَلَّكَ بَدْخُونَقَسَكَ أَلَا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء:٢] يقول تعالى ذكره: لعلك يا محمد قاتل نفسك ومهلكها إن لم يؤمن قومك بك، ويصدقوك على ما جئتم به، والبخ: هو القتل والإهلاك في كلام العرب<sup>(٥)</sup>; لأن نفسه الليلة كادت تهلك وتتلف؛ إشفاقاً عليهم بما ينزل بهم بتركهم الإسلام، وهذا ليس على النهي، ولكن على تسكين نفسه وتقريرها

= لعلي الواحدى (٢/٥٠١).

(١) انظر: فتح القدير، محمد الشوكاني (٤/٤٤٨).

(٢) انظر: التحرير والتبيير، الطاهر بن عاشور (٢٢/٢٦٤).

(٣) تفسير ابن كثير: (٥/١٣٧).

(٤) البحر المحيط: (٦/٩٦).

(٥) انظر: جامع البيان في تأویل القرآن، الطبرى (١٧/٥٤٣).

على ما هي عليه<sup>(١)</sup>. قال ابن كثير ”وقوله: ﴿لَعَلَّكَ بَدْجُونَ تَفَسَّكَ﴾ أي: مهلك ﴿تَفَسَّكَ﴾ أي: مما تحرص (عليهم) وتحزن عليهم ﴿أَلَا يَكُونُنَا مُؤْمِنِينَ﴾، وفي هذا تسلية من الله لرسوله، ﷺ، في عدم إيمان مَنْ لم يؤمن به من الكفار”<sup>(٢)</sup>.

## المطلب الثاني حزن النبي ﷺ على عدم هداية الكفار

لقد أبان القرآن الكريم في مواضع كثيرة حزن النبي ﷺ من عدم استجابة الكفار لدعوته، وما ذاك إلا لكمال شفقته ورحمته بهم طمئناً منه ﷺ في إيمانهم، حيث لم تقف رحمته ﷺ عند الإعراض عن أذيّتهم، والحلم عن جهالتهم، بل إنها تعدّت ذلك إلى مجال أرحب وأفسح، يتجلّى في حرصه البالغ على دعوتهم وهدايتهم، وإنقاذهم من النار، وهذه هي غاية الرحمة التي اتصف بها نبي الرحمة، وما ذكره المفسرون عند كلامهم على الآيات الدالة على حزن النبي ﷺ من عدم استجابتهم للحق دليلاً واضحاً على رحمته بهم، ومن تلك الآيات:

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسْرِعُونَ فِي الْكُفَّارِ إِنَّهُمْ لَنْ يَضْرُبُوا اللَّهَ شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَلَا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٧٦]. هذه الآية فيها التقليل من شأن المكذبين؛ ولذلك نهى الله ﷺ نبيه عن الحزن على أولئك المكذبين، «فاغتم النبي ﷺ بذلك، فسلامه الله ﷺ، ونهاه عن الحزن، وعلل ذلك بأنهم لن يضروا الله شيئاً، وإنما ضروا أنفسهم بأن لا حظ لهم في الآخرة، ولهم عذاب عظيم»<sup>(٣)</sup>.

(١) انظر: تأويلاً لأهل السنة، محمد الماتريدي (١٣١/٨).

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (١٣٥/٦).

(٣) انظر: فتح القدير، محمد الشوكاني (٦٥٣/١).

كان النبي ﷺ حريصاً على الخلق، مجتهداً في هدايتهم، وكان يحزن إذا لم يهتدوا، قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَرِّعُونَ فِي الْكُفْرِ﴾ من شدة رغبتهم فيه، وحرصهم عليه ﴿إِنَّهُمْ لَن يَصْرُوُ اللَّهَ شَيْئًا﴾ فالله ناصر دينه، ومؤيد رسوله، ومنفذ أمره من دونهم، فلا تبالهم ولا تحفل بهم، إنما يسعون في ضر أنفسهم، بفوائط الإيمان في الدنيا، وحصول العذاب الأليم في الآخرة، من هوانهم على الله وسقوطهم من عين (رعايته)، وإرادته أن لا يجعل لهم نصيباً في الآخرة من ثوابه؛ فخذلهم ولم يوفقهم لما وفق له أولياءه، ومن أراد به خيراً، عدلاً منه وحكمة؛ لعلمه بأنهم غير زاكين على الهدى، ولا قابلين للرشاد، لفساد أخلاقهم وسوء قصدهم<sup>(١)</sup>.

فهذه الآية دلت على أن النبي ﷺ لكثير اهتمامه وألمه بحال أولئك حزن عليهم؛ وهذه هي غاية الرحمة والشفقة، خاصة أن هذا الحزن كان على أولئك القوم، الذين لم يستجيبوا لدعوته، ومع هذا حزن النبي ﷺ من عدم انصياعهم للحق الذي جاء به، وهذا مصدق قوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٧]، فوجه الله ﷺ الخطاب للنبي ﷺ بأن لا يتأثر بحال أولئك القوم، وأن لا يهتم بأمرهم.

يختلف أسلوب القرآن من موضع إلى آخر في تسلية النبي ﷺ ومواساته في عدم التأثر بحال المكذبين الذين حزن النبي ﷺ من عدم استجابتهم رحمة بهم، قال تعالى: ﴿يَتَأْيَهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَرِّعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ﴾ [المائد: ٤١]. حيث أخبره الله ﷺ في هذه الآية الكريمة أن قلوب أولئك صادة عن قبول الحق، الذي جاء به النبي الرحمة وقد ورد في سبب نزولها ما رواه البراء بن عازب قال: مر رسول الله ﷺ بيهودي مهمنا<sup>(٢)</sup> مجلوداً، فدعاهم، فقال: «أهكذا

(١) انظر: تيسير الكريمين الرحمن في تفسير كلام المتن، عبد الرحمن السعدي (١٥٨-١٥٧).

(٢) مسوّد الوجه، من الحمّة: الفحمة، وجمعها حمم. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة حمم، ابن الأثير (٤٤٤/١).

تجدون حد الزاني في كتابكم» قالوا: نعم، قال: فدعا رجلاً من علمائهم فقال: أنسدك الله الذي أنزل التوراة على موسى أنك نشدتي لم أخبرك، نجد حد الزاني في كتابنا الرجم، ولكنه كثُر في أشرافنا، فكنا إذ أخذنا الشريف تركناه، وإذا أخذنا الوضيع أقمنا عليه الحد، فقلنا: تعالوا نجتمع على شيء نقيمه على الشريف والوضيع فاجتمعنا على التحريم والجلد مكان الرجم، فقال رسول الله ﷺ «اللهم إني أول من أحيا أمرك إذ أماتوه»، فأمر به فرجم، فأنزل الله تعالى: **﴿يَأَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ﴾** إلى قوله: **﴿إِنَّ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ﴾** [المائدة: ٤١].<sup>(١)</sup>

في هذه الآيات تأثير كفراً بهم في نفس النبي ﷺ وحزنه مما يقولون في نبوته، وسلامه عن ذلك ببيان سنته ﷺ في الرسل مع أقوامهم وإيساه من إيمان الجاحدين المعاندين منهم<sup>(٢)</sup> فسلامه الله بقوله: **﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ لَأُتَّهِمُ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ يَعِيشُونَ اللَّهُ يَحْمَدُونَ﴾** [الأنعام: ٢٢]

وقد جاء في سبب نزول هذه الآية الكريمة ما ذكره الواحدى، قال السدى:

”التقى الأحسن بن شريق وأبو جهل بن هشام، فقال الأحسن لأبي جهل: يا أبا الحكم أخبرني عن محمد أصادق هو أم كاذب؟ فإنه ليس هنا من يسمع كلامك غيري، فقال أبو جهل: والله إن محمدًا لصادق، وما كذب محمد قط، ولكن إذا ذهب بنو قصي باللواء والسباحة والحجابة والندوة والنبوة فماذا يكون لسائر قريش؟ فأنزل الله ﷺ هذه الآية“<sup>(٣)</sup>.

ويضيف أبو السعود في تفسيره بعد بيانه: أن ذلك تسليمة للنبي ﷺ، بأن مكانته ﷺ عظيمة عند الله ﷺ وأن إيذاء النبي ﷺ إيذاء لله ﷺ، فيقول:

”وهذا استئنافٌ مسوقٌ لتسليمة رسول الله ﷺ عن الحزن الذي يعتريه، مما

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الحدود، باب: رجم اليهود أهل الذمة في الزنى، حديث رقم: (٢٨). (٢٨-٨١٢/٢).

(٢) انظر: تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رضا (٧/٣١٠).

(٣) انظر: أسباب النزول، الواحدى (١/٢١٨).

حُكِي عن الكفرا من الإصرار على التكذيب والبالغة فيه ببيان أنه عليه الصلاة والسلام بمكانة من الله ﷺ، وأن ما يفعلون في حقه فهو راجع إليه ﷺ في الحقيقة، وأنه ينتقم منهم لا محالة أشدّ انتقاماً<sup>(١)</sup>.

وعند قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعَزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [يوسوس: ٦٥]. قال الطبرى: ”يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: لا يحزنك، يا محمد، قول هؤلاء المشركين في ربهم ما يقولون، وإشراكهم معه الأوّلان والأصنام فإن العزة لله جمِيعاً، فإن الله هو المنفرد بعزة الدنيا والآخرة، لا شريك له فيها، وهو المنتقم من هؤلاء المشركين القائلين فيه من القول الباطل ما يقولون، فلا ينصرهم عند انتقامه منهم أحد؛ لأنَّه لا يعاذه شيءٌ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ”， يقول: وهو ذو السمع لما يقولون من الفرية والكذب عليه، وذو علم بما يضمروننه في أنفسهم ويعلنونه، محسن ذلك عليهم كله، وهو لهم بالمرصاد<sup>(٢)</sup>، وإلى هذا المعنى الذي ذكره الطبرى في تفسير الآية أشار عدد من المفسرين<sup>(٣)</sup>.

ثم أمره الله بعدم النظر إلى هؤلاء المترفين بقوله: ﴿لَا تَمْدَنَ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا خُفْضَ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر: ٨٨]. أي: لا تتمنّين يا محمد ما جعلنا من زينة هذه الدنيا متابعاً للأغنياء من قومك، الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر، يتمتعون فيها، فإن من ورائهم عذاباً غليظاً ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ يقول: ولا تحزن على ما متّعوا به فعجل لهم؛ فإن لك في الآخرة ما هو خير منه، مع الذي قد عجلنا لك في الدنيا من الكرامة بإعطائنا السبع المثاني والقرآن العظيم<sup>(٤)</sup>. قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْزَنْ

(١) انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمامي (١٩٥-١٩٦).

(٢) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبرى (١٢/ ٢٢٦).

(٣) انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، محمود الزمخشري (٢/ ٢٢٨)، فتح القدير، محمد الشوكانى (٢/ ٦٤٣-٦٤٤)، روح المعانى في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين الألوسي (١١/ ١٧٩).

(٤) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبرى (١٤/ ١٢٧، ١٢٦).

**عَلَيْهِمْ** أي ولا تحزن على المشركين إن لم يؤمنوا، وقيل: المعنى لا تحزن على ما متعوا به في الدنيا فلك في الآخرة أفضل منه، وقيل: لا تحزن عليهم إن صاروا إلى العذاب فهم أهل العذاب<sup>(١)</sup>.

ثم أمره ﷺ بالصبر، فقال: **«وَاصْبِرْ وَمَا صَبَرْتَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزُنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَأْكُفْ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ**» [النحل: ١٢٧]. قال الطبرى: واصبر يا محمد على ما أصابك من أذى في الله. **«وَمَا صَبَرْتَ إِلَّا بِاللَّهِ**» يقول: وما صبرك إن صبرت إلا بمعونة الله، وتوفيقه إياك لذلك **«وَلَا تَحْزُنْ عَلَيْهِمْ**» يقول: ولا تحزن على هؤلاء المشركين يكذبونك وينكرنون ما جئتم به في آن ولوا عنك وأعرضوا عما أتيتهم به من النصيحة **«وَلَا تَأْكُفْ ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ**» يقول: ولا يضق صدرك بما يقولون من الجهل، ونسبتهم ما جئتم به إلى أنه سحر أو شعر أو كهانة، مما يمكرنون: مما يحتالون بالخدع في الصد عن سبيل الله، من أراد الإيمان بك، والتصديق بما أنزل الله إليك»<sup>(٢)</sup>.

قال تعالى: **«وَلَا تَحْزُنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ**» [النمل: ٧٠]. فقوله: **«وَلَا تَحْزُنْ عَلَيْهِمْ**» يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ولا تحزن على إدبار هؤلاء المشركين عنك وتكذيبهم لك **«وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ**» يقول: ولا يضق صدرك من مكرهم بك، فإن الله ناصرك عليهم، ومهلكهم قتلاً بالسيف<sup>(٣)</sup>، ويدرك ابن كثير في تفسيره لهذا الآية تسلية الله جل وعلا لنبيه ﷺ في نهييه عن الحزن على هؤلاء، الذين اهتم بشأنهم شفقة ورحمة بهم، حيث قال: «ثم قال ﷺ مسلياً لنبيه، صلوات الله وسلامه عليه: **وَلَا تَحْزُنْ عَلَيْهِمْ**» أي: المكذبين بما جئت به، ولا تأسف عليهم، وتذهب نفسك عليهم حسرات»<sup>(٤)</sup>.

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (٢٥٤/١٢).

(٢) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبرى (٤٠٧/١٤).

(٣) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبرى (١١٢/١٨).

(٤) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٢٠٨/٦).

قال تعالى: «وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزُنْكَ كُفُورُهُ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنَتَّهُمْ بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلَيْمٌ بِذَنَاتِ الْأَصْدُورِ» [لقمان: ٢٢]. يقول تعالى ذكره: «وَمَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ فَلَا

يَحْزُنْكَ كُفُورُهُ، وَلَا تَذَهَّبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً، فَإِنْ مَرْجِعُهُمْ وَمَصِيرُهُمْ يَوْمُ الْقِيَامَةِ إِلَيْنَا، وَنَحْنُ نَخْبِرُهُمْ بِأَعْمَالِهِمُ الْخَبِيَّةِ الَّتِي عَمِلُوهَا فِي الدُّنْيَا، ثُمَّ نَجَازِيَهُمْ عَلَيْهَا جَزَاءَهُمْ، يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ عَلَيْمٌ بِذَنَاتِ الْأَصْدُورِ» أَيْ: إِنَّ اللَّهَ ذُو عِلْمٍ بِمَا تَكَنَّهُ صُدُورُهُمْ مِنَ الْكُفُورِ بِاللَّهِ، وَإِيَّاثَارِ طَاعَةِ الشَّيْطَانِ»<sup>(١)</sup>. فَهَذِهِ نَهَايَةُ مَنْ يَكْفُرُ وَيَخْدُعُهُ مَتَاعُ الْحَيَاةِ، نَهَايَتُهُ فِي الدُّنْيَا تَهْوِينَ شَأنِهِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ. «وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزُنْكَ كُفُورُهُ» فَشَانِهِ أَهُونُ مِنْ أَنْ يَحْزُنْكَ، وَأَصْغَرُ مِنْ أَنْ يَهْمِكَ<sup>(٢)</sup>. وَانشَفَالُهُ ﷺ وَحْزَنُهُ فِي شَانِ أُولَئِكَ الْقَوْمِ، دَلِيلٌ وَاضْعَفُ عَلَى الرَّحْمَةِ، الَّتِي يَحْوِيَهَا قَلْبُهُ عليه السلام، فَهُوَ يَنْظَرُ إِلَيْهِمْ نَظَرَ الشَّفَقَةِ وَالرَّحْمَةِ فَرَأَفَ بِهِمْ، وَأَبَى أَنْ يَهْلِكُهُمْ وَهُمْ عَلَى حَالِهِمْ، فَجَاءَهُ الْوَحْيُ مِنَ اللَّهِ عليه السلام تَسْلِيَةً لَهُ عليه السلام بِأَنَّ لَا يَحْزُنْ عَلَيْهِمْ لَأَنَّ الْهُدَى يَبْدُلُ اللَّهُ عليه السلام.



(١) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبراني (٥٧٠/١٨).

(٢) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب (٢٧٩٤/٥).

### المبحث الثالث

## وصف النبي ﷺ بأنه رحمة للمنافقين<sup>(١)</sup>، واستغفاره لهم

### المطلب الأول

## رحمة النبي ﷺ بالمنافقين

كان بعض المنافقين في المدينة إذا خلوا إلى بعضهم أخذوا يتحدثون في النبي ﷺ بما يؤذيه، ويسيرون منه، وينقصون من قدره، وكان ﷺ يطلع على كثير مما يدور بينهم، أحياناً عن طريق الوحي، وأحياناً عن طريق بعض المؤمنين الذين يؤلمونه ما يسمعونه عنه ﷺ. حيث كان النبي ﷺ يغض عن أولئك المنافقين كرماً منه وتسامحاً، وإذا جاؤوا إليه معتذرين لم يجبرهم باللوم والتعسف، بل يقبل منهم ظواهرهم، ويكل سرائرهم إلى الله ﷺ. ومع هذا فقد كانوا يخافون من اكتشاف أمرهم باطلاع النبي ﷺ على ما يقولونه في حقه من الكلام السيئ، ولكن بعضهم لكثرة ما يعاملهم به النبي ﷺ من العفو قد ظنوا أن أمرهم قد خفي عليه، وأنه يصدقهم في كل ما يقولونه له وقبل جميع اعتذاراتهم، فلجوا في الطغيان في غوايthem حتى بلغ لؤمهم وخيث نفوسهم أن اعتبروا ما كان يعاملهم به ﷺ من العفو والسماحة نوعاً من الغفلة والبله، فنزل القرآن يكشف حقيقتهم وبين لهم خطأ ما توهموه في النبي ﷺ من أنه يقبل اعتذاراتهم<sup>(٢)</sup>.

٣٣٨

(١) اقتصرت في هذا المبحث على هذه الآية لورود لفظ الرحمة فيها.

(٢) انظر: المنافقون في القرآن الكريم، عبدالله الحميدي (ص: ٤١٨).

قال تعالى: «وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذِنُونَ أَنَّهُ يَوْمٌ وَيَقُولُونَ هُوَ أَذْنٌ قُلْ أَذْنُ خَيْرٍ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذِنُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ» [التوبه: ٦١]. قال الرازى: ”كان النبي ﷺ يسعى في إيصال الخير والرحمة إلى المنافقين مع كونهم في غاية الخبر والخزي، ثم إنهم بعد ذلك يقابلون إحسانه بالإساءة وخیراته بالشرور“<sup>(١)</sup>; وقد جرأهم على ذلك إغضاوه ﷺ عن اجرامهم واماھالهم حتى يتمكن من الإيمان من وفقه الله للإيمان منهم<sup>(٢)</sup>; فإنه لو أمره الله ﷺ أن يعاملهم بما يخفون من الكفر لكان ذلك أمراً بقطع رقابهم، وبقاوهم خير لهم بالمعنى الذي يعتقدونه من لفظ الخير، وخیر لهم في نفس الأمر؛ لأنه إمهال لهم يرجى أن يتوب بسببه من فيه استعداد للإيمان منهم بما يراه من آيات الله وتأييده لرسوله وللمؤمنين<sup>(٣)</sup>.

وقد خُصَّ المؤمنون في قوله: «وَرَحْمَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ» وإن كان رحمة للعالمين؛ لأن ما حصل لهم بالإيمان بسبب الرسول ﷺ لم يحصل لغيرهم، وخصوصا هنا بالذكر وإن كانوا قد دخلوا في العالمين؛ لحصول مزيتهم<sup>(٤)</sup>. وعلى هذا يكون المراد بالذين آمنوا: من اتبعه واهتدى بهداه، وصدق بما جاء به من عند ربها؛ لأن الله استقذهم به من الضلال، وأورثهم باتباعه جنّاته<sup>(٥)</sup>؛ ولذا قال أبو الليث السمرقندى: ”لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ“ في السر والعلانية<sup>(٦)</sup>. ويؤيد هذا القول: قوله تعالى: «وَالَّذِينَ يُؤْذِنُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بُرِيدٌ» فهو مقابل قوله: «وَرَحْمَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ» على إيداء الرسول

(١) انظر: مفاتيح الخير التفسير الكبير، محمد بن عمر الرازى (٩٤/١٦).

(٢) انظر: التحرير والتتوير، الطاهر بن عاشور (٢٤٣/١٠).

(٣) انظر: تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رضا (٤٤٨/١٠).

(٤) انظر: البحر المحيط في التفسير، أبو حيان الأندلسى (٤٤٩/٥).

(٥) انظر: جامع البيان في تأویل القرآن، الطبرى (٥٣٩/١١)، التحرير والتتوير، الطاهر بن عاشور

(٦) (٢٤٤/١٠)، تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رضا (٤٤٨/١٠).

(٧) انظر: بحر العلوم، نصر بن محمد السمرقندى (٥٨/٢).

بالقول أو الفعل ينافي الإيمان الذي هو سبب الرحمة، فجزاؤه ضد جزائه وهو العذاب الشديد الإيّلام<sup>(١)</sup>. وقيل: إنَّ المراد بالذين آمنوا هنا: المظاهرين بالإيمان الباطئين للكفر، وهم المنافقون<sup>(٢)</sup>. وكونه رحمة لهم؛ لأنَّه قبل منهم الإيمان الظاهر لا تصدِّقاً لهم بل رفقاً بهم، ولم يكشف أسرارهم ولم يهتك أستارهم، وأنَّه رحمة لهم بقبول ظواهرهم ومعاملتهم بها معاملة المؤمنين<sup>(٣)</sup>. ويؤيد هذا أنَّ الله قال: ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ فعبر عنهم بالفعل، ولم يقل المؤمنين بالوصف<sup>(٤)</sup>. وهذا القول لم يرتضه عدد من أهل العلم؛ لأنَّ النبي ﷺ إنما بعث رحمة لمن آمن به حقاً، وأما غير المؤمنين فإنَّهم لم يقبلوا هذه الرحمة بل ردوها، فخسروا دنياهم وآخرتهم<sup>(٥)</sup>. وأما قولهم: إنَّ الله قال: ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ فعبر عنهم بالفعل، ولم يقل المؤمنين بالوصف؛ فهذا القول ضعيف؛ لأنَّ كثيراً مَا ناط التزييل الجزاء على الإيمان بالتعبير عن أهله بالفعل الماضي<sup>(٦)</sup>. وأما تفسيرهم كونه رحمة بالمنافقين بستره عليهم وقبول الإيمان منهم ظاهراً؛ فهو خطأ أيضاً؛ لأنَّ ذلك يُعدُّ استدراجاً من الله لهم، وكيف يكون رحمة لهم وهم يعيشون في الدنيا في أسوأ حال، وهم يتوقعون في كل يوم أن يوقع بهم النبي ﷺ إذا انكشفوا وظهرت حقيقتهم، وسيؤول أمرهم في الآخرة إلى أسوأ حال، حيث يكونون في الدرك الأسفلي من النار؟!<sup>(٧)</sup>، ولما كان كل منهم يدعى الإيمان كان قوله ﴿مِنْكُمْ﴾، تعرضاً

(١) انظر: تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رشيد رضا (٤٤٩/١٠).

(٢) انظر: التحرير والتوبيخ، الطاهر بن عاشور (٢٤٤/١٠).

(٣) انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التزييل، محمود الزمخشري (٦١/٣)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي، (٤/٧٧)، فتح القدير، محمد الشوكاني (٢/٥٣٥)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى، شهاب الدين الآلوسي (١٢٧/١٠).

(٤) انظر: تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رضا (٤٤٨/١٠).

(٥) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن السعدي (ص ٣٤٢)، تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رضا (٤٤٨/١٠)، تفسير المراغي، أحمد مصطفى المراغي (١٤٨/١٠)، المنافقون في القرآن الكريم، عبدالله الحميدي (ص: ٤١٩).

(٦) انظر: تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رضا (٤٤٨/١٠).

(٧) انظر: المنافقون في القرآن الكريم، عبدالله الحميدي (ص: ٤١٩).

بغير الصادقين منهم. والذى يظهر لي والله أعلم ثبوت رحمة النبي ﷺ للمنافقين أحداً من قوله تعالى: «وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ» (١٠٧) [الأنباء]. قال ابن القيم في تفسير هذه الآية: "... وأما المنافقون فحصل لهم بإظهار الإيمان به حقن دمائهم وأموالهم وأهلهم واحترامها وجريان أحكام المسلمين عليهم في التوارث وغيره" (١). و قال محمد رشيد رضا: "وتخصيص رأفته ورحمته ﷺ بالمؤمنين في مقابلة ما أمر به من الغلظة على الكفار والمنافقين - لا يعارض كون رسالته رحمة للعالمين، كما هو ظاهر، فإن هذه الرحمة مبذولة لجميع الأمم، لعموم بعثته ﷺ ولكن منهم من قبلها ومنهم من ردّها، وقد بينا في تفسير «وَأَغْلَظُ عَلَيْهِمْ» [التوبه: ٧٣] أنه إنما أمر بذلك صلوات الله تعالى عليه، لأن الغالب على طبعه الشريف الرقة والرحمة والأدب في المقابلة والمعاشة" (٢)، وقد قال تعالى: «وَلَوْ كُنْتَ فَطَّا غَلِظًا لَّقَلْبِ لَأَنْفَضُوا مِنْ حَوْلَكَ» [آل عمران: ١٥٩]. وقد اشتغلت هذه الآية بوجازة ألفاظها على مدح الرسول ﷺ، ومدح مرسله ﷺ، ومدح رسالته؛ لأن كانت مظهر رحمة الله ﷺ للناس كافة، وبأنها رحمة الله ﷺ بخلقه (٣).

والرحمة على عمومها في الآية الكريمة، وهذا العموم يتحمل وجهين: أحدهما: أن عموم العالمين حصل لهم النفع برسالته (٤)؛ لأن الناس كانوا ثلاثة أصناف: مؤمن، وكافر، ومنافق، وكان رحمة للمؤمنين، حيث هدتهم طريق الجنة، ورحمة للمنافقين حيث أمنوا القتل، ورحمة للكافرين بتأخير العذاب (٥). الوجه الثاني: أنه رحمة لكل أحد، لكن المؤمنين قبلوا

(١) انظر: جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام، ابن قيم الجوزية (ص: ١٩٦). وأما دلالة الآية الكريمة على رحمته ﷺ بالمنافقين على قراءة الخفاض ففيها عدم ظهور لهذا المعنى كما تقدم النقل عن الشنقيطي.

(٢) انظر: تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رضا (٧٢/١١).

(٣) انظر: التحرير والتتوير، الطاهري بن عاشور (١٦٥/١٧).

(٤) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبراني (٥٥٢/١٨).

(٥) انظر: بحر العلوم، السمرقندى (٣٨٢/٢)، جلاء الأفهام، ابن قيم الجوزية (ص: ١٩٦).

هذه الرحمة فانتفعوا بها دنيا وأخرى، والكفار ردوها، فلم يخرج بذلك عن أن يكون رحمة لهم لكن لم يقبلوها<sup>(١)</sup>.

## المطلب الثاني استغفار النبي ﷺ للمنافقين

كان النبي ﷺ يسعى في إيصال الخير والرحمة إلى المنافقين بالاستغفار لهم تارة وبدعوتهم تارة أخرى مع كونهم في غاية الخبث والخزي، حيث قابلوا إحسانه بالإساءة وخيراته بالشرور، مع علمه ﷺ أن الاستغفار لا يفيد شيئاً، ولا ينفع لمثل حال أولئك المنافقين لكن شفقة منه ﷺ عليهم ورحمة بهم، استغفر لبعضهم.

الآية الأولى: قال تعالى: ﴿أَسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا سَتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ سَتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِإِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبه: ٨٠].

قال ابن كثير "يخبرنا نبيه ﷺ بأن هؤلاء المنافقين ليسوا أهلاً للاستغفار، وأنه لو استغفر لهم، ولو سبعين مرة، فإن الله لا يغفر لهم. وقد قيل: إن السبعين إنما ذكرت حسماً لمدة الاستغفار لهم؛ لأن العرب في أساليب كلامها تذكر السبعين في مبالغة كلامها، ولا تريد التحديد بها، ولا أن يكون ما زاد عليها بخلافها"<sup>(٢)</sup>. وقال الشوكاني "وليس المراد من هذا أنه لو زاد على السبعين لكان ذلك مقبولاً كما في سائر مفاهيم الأعداد، بل المراد بهذا المبالغة في عدم القبول. فقد كانت العرب تجري ذلك مجرى المثل

(١) انظر: جلاء الأفهام، ابن قيم الجوزية (ص: ١٩٦)، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٣٨٥/٥)، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الشنقطي (٢٨٨/٤)، و تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المnan، عبد الرحمن السعدي (ص: ٥٣٢).

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٤/١٨٨).

في كلامها عند إرادة التكثير، والمعنى: أنه لن يغفر الله لهم، وإن استغفرت لهم استغفاراً بالغاً في الكثرة، غاية المبالغة<sup>(١)</sup>، فهذه الآية دلت على أن الاستغفار لا ينفع لمثل حال أولئك المنافقين، لكن شفقة منه ﷺ ورحمة بهم استغفر لبعضهم مع علمه ﷺ أن الاستغفار لا يفيدهم شيئاً، وذلك عندما طلب ابن عبد الله بن أبي ابن سلول من النبي ﷺ أن يصلي على أبيه وأن يشعره قميصه، فعن ابن عمر قال: (ما توفي عبد الله بن أبي جاء ابنه عبد الله بن عبد الله إلى رسول الله ﷺ فسألته أن يعطيه قميصه يكفن فيه أباً، فأعطاه ثم سأله أن يصلي عليه، فقام رسول الله ﷺ ليصلي، فقام عمر فأخذ بشوب رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله تصلي عليه وقد نهاك ربك أن تصلي عليه؟ فقال رسول الله ﷺ: «إنما خيرني الله فقال: ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا سَتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ سَتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً﴾ وسأزيده على السبعين»، قال: إنه منافق، قال: فصلى عليه رسول الله ﷺ فأنزل الله ﷺ ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَّا تَأْبَى وَلَا تَنْهُمْ عَلَى قَبْرِهِ﴾<sup>(٢)</sup>. وقول ابن حجر في شرحه لهذا الحديث قد جلى الاستشكال الذي في هذا الحديث من أن النبي ﷺ لم يأخذ بقول عمر في الصلاة على عبد الله بن أبي ابن سلول فنقل قول الخطابي في ذلك وأن النبي ﷺ فعل ذلك لكمال شفنته على من تعلق بطرف من الدين ولتطييب قلب ولده فقال: وإنما لم يأخذ النبي ﷺ بقوله وصلى عليه إجراء له على ظاهر حكم الإسلام واستصحاباً لظاهر الحكم، وما فيه من إكرام ولده الذي تحققت صلاحيته ومصلحة الاستخلاف لقومه، ودفع المفسدة، وكان النبي ﷺ في أول الأمر يصبر على أذى المشركين ويعفو ويصفح، ثم أمر بقتل المشركين فاستمر صفحه وعفوه عنمن يظهر الإسلام ولو كان باطنه

(١) انظر: فتح القدير، محمد الشوكاني (٢/٥٤٩).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب قوله: ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا سَتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ سَتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ (النمل:٧)، حديث رقم: (٤٦٧٠)، (٦/٦٧)، ومسلم في صحيحه، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، حديث رقم: (٣)، (٢/١٢٨٠).

على خلاف ذلك؛ مصلحة للاستئلاف وعدم التغافل عنه؛ ولذلك قال: (لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه)، فلما حصل الفتح ودخل المشركون في الإسلام، وقلَّ أهل الكفر وذلوا، أمر بمجاهدة المنافقين، وحملهم على حكم مر الحق، ولا سيما وقد كان ذلك قبل نزول النهي الصريح عن الصلاة على المنافقين، وغير ذلك مما أمر فيه بمجاهرتهم وبهذا التقرير يندفع الإشكال عمما وقع في هذه القصة بحمد الله تعالى.

ويقول د. صلاح الخالدي: ”ولكن الرسول ﷺ غلب جانب الرحمة والشفقة من رسالته وشخصيته فصلى عليه، ومشى في جنازته ووقف على قبره“<sup>(١)</sup>.

الآية الثانية: قال تعالى: ﴿وَلَا تُصْلِلْ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَاتَ أَبْدًا وَلَا نَقْمَ عَلَىٰ قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَا تُرْأُوا وَهُمْ فَنَسُقُونَ﴾ [التوبه: ٨٤]. قال الطبرى: ”يقول جل ثاؤه لنبيه محمد ﷺ: ولا تصل، يا محمد، على أحد مات من هؤلاء المنافقين الذين تخلفوا عن الخروج معك أبداً ﴿وَلَا نَقْمَ عَلَىٰ قَبْرِهِ﴾، يقول: ولا تتول دفنه وتقبيره“<sup>(٢)</sup>، حيث ورد في سبب نزول هذه الآية أنه لما توفي عبد الله بن أبي جاء ابنه إلى رسول الله صلوات الله عليه وقال: أعطني قميصك حتى أكفنه فيه وأصلي عليه واستغفر له، فأعطاه قميصه ثم قال: «آذني حتى أصلي عليه»، فادنه، فلما أراد أن يصلي عليه جذبه عمر بن الخطاب وقال: أليس قد نهاك الله أن تصلي على المنافقين؟ فقال: «أنا بين خيرتين: استغفر لهم أو لا تستغفر»، ثم نزلت عليه هذه الآية: ﴿وَلَا تُصْلِلْ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَاتَ أَبْدًا وَلَا نَقْمَ عَلَىٰ قَبْرِهِ﴾ فترك الصلاة عليهم<sup>(٣)</sup>، ويقول القرطبي: ”في توجيهه استغفار النبي ﷺ“

(١) انظر: عتاب الرسول ﷺ في القرآن تحليل وتوجيه، د. صلاح عبد الفتاح (ص: ٧٦).

(٢) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبرى (٦١٠/١١).

(٣) تقدم تحريرجه .

للمناافقين وصلاته على ابن أبي ابن سلو «وَأَمَا الْاسْتَغْفَارُ لِلْمَنَافِقِينَ الَّذِي خَيْرٌ فِيهِ فَهُوَ اسْتَغْفَارٌ لِسَانِي لَا يَنْفَعُ وَغَایَتُهُ تطْبِيبُ قُلُوبِ بَعْضِ الْأَحْيَاءِ مِنْ قَرَابَاتِ الْمُسْتَغْفِرِ لَهُ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ»<sup>(١)</sup>.

الآية الثالثة: قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَاللَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَى قُرْبَةٍ مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ [التوبه: ١١٢]. هذه الآية اختلف أهل التأويل في نزولها على أربعة أقوال: فقال بعضهم: نزلت في شأن أبي طالب عم النبي ﷺ؛ لأن النبي ﷺ أراد أن يستغفر له بعد موته، وقال آخرون: بل نزلت في سبب أم رسول الله ﷺ، وذلك أنه أراد أن يستغفر لها، فمنع من ذلك. وقال آخرون: بل نزلت من أجل أن قوماً من أهل الإيمان كانوا يستغفرون لموتاهم من المشركين، فنهوا عن ذلك. وقد تأول قول الله: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَاللَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَى قُرْبَةٍ﴾، الآية أن النهي من الله عن الاستغفار للمشركين بعد مماتهم، لقوله: «من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم» وقال آخرون نزلت في رجل استغفر لأبويه، وكانا مشركين، فقال له علي بن أبي طالب: أستغفر لهم وهم مشركون؟ فقال: أ ولم يستغفر إبراهيم لأبيه؟ فذكر ذلك علي للنبي ﷺ فنزلت هذه الآية والتي بعدها<sup>(٢)</sup>. والذي عليه جمهور المفسرين أن الآية نزلت في أبي طالب. قال ابن عطية: ”وأختلف المفسرون في سبب هذه الآية، فقال الجمهور: ومداره على ابن المسيب وعمرة بن دينار، نزلت في شأن أبي طالب»<sup>(٣)</sup> فعن سعيد بن المسيب، عن أبيه قال: لما حضر أبا طالب الوفاة دخل عليه رسول الله ﷺ وعنه أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية فقال: (أي عم قل معي لا إله إلا الله

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (١٠/٣٢٢).

(٢) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبراني (١٢/١٩-٢٤)، زاد المسير في علم التفسير، لجمال الدين ابن الجوزي (٣/٥٠٧).

(٣) انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية (٣/٦٠).

أحاج لك بها عند الله)، فقال أبو جهل وابن أبي أمية: يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فلم يزالا يكلمانه حتى قال آخر شيء كلامهم به على ملة عبد المطلب، فقال النبي ﷺ: (وَاللَّهُ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكُمْ مَا لَمْ أُنْهَىْ عَنْكُمْ)، فنزلت: «مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَنْ يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُواْ أُولَئِنَّ قُرُونَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ»<sup>(١)</sup> أما بالنسبة ل الكلام المفسرين عن هذه الآية فقال أبو حيان: ”ودلت الآية على المبالغة في إظهار البراءة عن المشركين والمنافقين والمنع من مواصلتهم ولو كانوا في غاية القرب، ونبه على الوصف الشريف من النبوة والإيمان، وأنه مناف للاستغفار لمن مات على ضده وهو الشرك بالله“<sup>(٢)</sup>. والآية متضمنة لقطع الموالاة للكفار، وتحريم الاستغفار لهم، والدعاء بما لا يجوز لمن كان كافراً، ولا ينافي هذا ما ثبت عنه ﷺ في الصحيح أنه قال يوم أحد حين كسر المشركون رباعيته وشجعوا وجهه: (اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون)؛ لأنه يمكن أن يكون ذلك قبل أن يبلغه تحريم الاستغفار للمشركين، وعلى فرض أنه قد كان بلغه، كما يفيده سبب النزول، فإنه كان قبل يوم أحد بمدة طويلة، فتصدور هذا الاستغفار منه لقومه إنما كان على سبيل الحكاية عمن تقدمه من الأنبياء، فعن عبد الله، قال: كأني أنظر إلى النبي ﷺ يحيى نبياً من الأنبياء ضربه قومه، وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول: «رب اغفر لقومي، فإنهم لا يعلمون»<sup>(٣)</sup> وفي البخاري، قال عبد الله: كأني أنظر إلى النبي ﷺ، يحيى نبياً من الأنبياء، ضربه قومه فأدموه، وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول: «اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون»<sup>(٤)</sup> قوله:

(١) أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب قوله: «مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَنْ يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ» [التوبة: ١١٢]، حديث رقم: (٤٦٧٥)، (٦/٦٩)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب: باب أول الإيمان قول لا إله إلا الله، حديث رقم: (٣٩)، (١/٣٢).

(٢) انظر: البحر المحيط في التفسير، أبو حيان الأندلسبي (١٠٨/٥).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الجهاد والسير، باب: غزوة أحد، حديث رقم: (١٠٥)، (٢/٨٦٢).

(٤) أخرجه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب: حديث الغار: حديث رقم: (٣٤٧٧)، (٤/١٧٦).

﴿مَنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحَّامِ﴾ هذه الجملة تتضمن التعليل للنهي عن الاستغفار، والمعنى: أن هذا التبيين موجب لقطع المواصلة من كان هكذا، وعدم الاعتداد بالقرابة؛ لأنهم ماتوا على الشرك.

وقد قال ﷺ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشَرِّكَ بِهِ﴾ [النساء: ٤٨]؛ فطلب المغفرة لهم في حكم المخالف لوعده الله ووعيده<sup>(١)</sup>.



## الخاتمة

الحمد لله الذي امتن علينا بنبي الرحمة ﷺ، وجعله رحمة للعالمين، وبعد تلك الرحلة العلمية الممتعة، يحسن إيراد بعض النتائج والتوصيات التي تم التوصل إليها من خلال البحث، والمتأصلة فيما يأتي:

١. لفظ الرحمة من الألفاظ العامة والشاملة، التي يدخل في معناها كل خير ونفع يعود إلى الإنسان في دنياه وأخرته.

٢. وردت ألفاظ في القرآن الكريم، هي نظائر لكلمة الرحمة، حيث تقاربها في المعنى والدلالة وهي: اللين، الحنان، الرأفة.

٣. دلت هذه الدراسة على أن الرحمة أصل من أصول الأخلاق؛ فلابد أن تعطى حقها من الإيضاح والدعوة.

٤. أثبتت هذه الدراسة فطرية الرسول ﷺ على الرحمة، وتأصلها في خلقه نفسه، بدلالة آيات الكتاب العزيز.

٥. أشاد الله ببيان رحمته ﷺ؛ ولذا في بيان رحمته أمر في غاية الأهمية للمسلمين وغيرهم.

٦. يؤكد البحث أن الرسول ﷺ كان رحيمًا بأعدائه مشفقاً عليهم، بل كان يدعو لهم بالهدایة، ولا يدعو عليهم بالهلاك.

٧. أشار البحث إلى أن مبعثه ﷺ رحمة للعالمين.
٨. أكدت الآيات سعي النبي ﷺ في إيصال الخير والنفع إلى المنافقين، رحمة بهم مع كونهم في غاية الخبث والخزي.

الوصيات:

١. تركيز المؤتمرات حول جانب معين من جوانب شخصيته ﷺ لتعزيز الدراسات حوله.
٢. إفراد مصنفات في جانب رحمته ﷺ، وخاصة جانب رحمته بأعدائه؛ لأنه الأكثر دلالة وقوة.
٣. التغطية الإعلامية المباشرة لواقع المؤتمر بلغات مختلفة، وعلى فضائيات متعددة، حيث يسهم هذا في الدفاع عنه ﷺ.



## فهرس المصادر والمراجع

١. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود، محمد ابن محمد العمادي (ت: ٩٨٢هـ)، تحقيق: عبدالقادر أحمد عطا، مطبعة السعادة- مصر، دون ذكر الطبعة والتاريخ.
٢. أسباب النزول، أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي، (ت: ٤٦٨هـ)، تحقيق: كمال بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ١٤١١هـ.
٣. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي (ت: ١٣٩٣هـ)، تحقيق: بكر بن عبدالله أبو زيد، دار عالم الفوائد- مكة، دون ذكر الطبعة والتاريخ
٤. إغاثة اللھفان من مصائد الشیطان، محمد بن أبي بکر بن أیوب ابن قیم الجوزیة (ت: ٧٥١هـ)، تھیق: علی بن حسن الحلبي، دار ابن الجوزی- الدمام، دون ذکر الطبعة والتاريخ.
٥. بحر العلوم، لنصر بن محمد السمرقندی، تھیق: عادل احمد عبدالموجود، علی محمد معوض، وآخرون، دار الكتب العلمية- بيروت، ط١، ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م.
٦. البحار المحيط، أبو حیان محمد بن یوسف بن حیان (ت: ٧٤٥هـ)، تھیق: عادل احمد عبدالموجود، علی محمد معوض، دار الكتب العلمية- بيروت، ط١، ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م.
٧. تفسیر أسماء الله الحسنى، أبو إسحاق، إبراهيم بن السري الزجاج (ت: ٣١١هـ)، تھیق: أحمد یوسف الدقاقي، دار المؤمن للتراث- بيروت، ط٥، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.

٨. التحرير والتويير، الطاهر بن عاشور، محمد الطاهر بن عاشور (ت: ١٣٩٣هـ) دار سجنون-تونس، ١٩٨٤م، دون ذكر الطبعة.
٩. تفسير القرآن، أبو المظفر، منصور بن محمد السمعاني (ت: ٤٨٩هـ)، تحقيق: أبي تميم ياسر بن إبراهيم، دار الوطن-الرياض، ط١، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.
١٠. تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير (ت: ٧٧٤هـ)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة-الرياض، ط٢، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.
١١. تفسير القرآن الكريم، من سورة الحجرات وحتى الحديد، محمد ابن صالح العثيمين، دار الشريا-عنيزة، ط١، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.
١٢. التفسير القرآني للقرآن، عبدالكريم يونس الخطيب (ت: بعد ١٣٩٠هـ)، دار الفكر العربي - القاهرة، دون ذكر الطبعة والتاريخ.
١٣. تفسير الماتريدي، تأویلات أهل السنة، أبو منصور، حمد بن محمد الماتريدي (ت: ٣٣٣هـ)، تحقيق: مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م
١٤. تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي (ت: ١٣٧١هـ)، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده- مصر
١٥. التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر- القاهرة، ط١، ١٩٩٨م.
١٦. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي (ت: ١٣٧٦هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا الويحق، مؤسسة الرسالة- بيروت، ط١، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.
١٧. الرحمة في القرآن الكريم، موسى عبده عسيري، مكتبة الرشد- الرياض، ط١، ١٤١٢هـ-١٩٩١م.

١٨. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر، محمد بن جرير الطبرى (ت: ٣١٠ هـ)، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركى، دار هجر- القاهرة، ط١، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١ م.
١٩. الجامع لأحكام القرآن، أبو عبدالله محمد بن أحمد القرطبي (ت: ٦٧١ هـ)، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركى، مؤسسة الرسالة- بيروت، ط١، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦ م.
٢٠. جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١ هـ)، تحقيق: زائد بن أحمد النشيري، دار عالم الفوائد- مكة، دون ذكر الطبعة والتاريخ.
٢١. دار الكتب العلمية- بيروت، ط١، ١٤١٥هـ- ١٩٩٤ م.
٢٢. رحمة للعالمين محمد رسول الله، نشأته وأخلاقه ومعجزاته وعموم رسالته ﷺ في ضوء الكتاب والسنّة، سعيد بن علي بن وهف القحطاني، مؤسسة الجريسي- الرياض، ط١، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦ م.
٢٣. الرسالة المحمدية وشواهدتها، محمود عبد الوهاب، مكتبة القاهرة- القاهرة، ط١، ١٣٨٩هـ- ١٩٦٩ م.
٢٤. روح المعانى في تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى، لشهاب الدين الآلوسى، اعتنى به: السيد محمود شكري الآلوسى، دار إحياء التراث- بيروت، دون ذكر الطبعة والتاريخ.
٢٥. زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن ابن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧ هـ)، المكتب الإسلامي- دمشق، ط٤، ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤ م.
٢٦. صحيح البخاري، أبو عبدالله، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجا، ط١، ١٤٢٢هـ.
٢٧. صحيح مسلم، أبو الحسن، مسلم بن الحاج النيسابوري (ت: ٢٦١ هـ)،

- تحقيق: أبو قتيبة نظر بن محمد الفارابي، دار طيبة- الرياض، ط١، ٢٠٠٦هـ- م٢٠٢٧.
٢٨. ط١، ١٣٦٥هـ - م١٩٤٦.
٢٩. عتاب الرسول ﷺ في القرآن تحليل وتوجيه، صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار القلم- دمشق، دون ذكر الطبعة والتاريخ.
٣٠. فتح الرحيم الملك العلام في علم العقائد والتوحيد والأخلاق والأحكام المستنبطة من القرآن، عبدالرحمن السعدي اعتنى به: عبدالرازق بن عبد المحسن البدر، دار الفضيلة- الجزائر، ط١، ١٤٣٠هـ- م٢٠٠٩.
٣١. فتح القدير، لمحمد علي الشوكاني، تحقيق: عبدالرحمن عميرة، دار الوفاء- مصر، ط٢، ١٤١٨هـ- م١٩٩٧.
٣٢. الكشاف عن حقائق غواص التزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو الزمخشري (ت: ٥٢٨هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود، علي محمد معوض، آخرون، مكتبة العبيكان- الرياض، ط١، ١٤١٨هـ- م١٩٩٨.
٣٣. الكليات، أبو البقاء، أيوب بن موسى الكفووي، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، دار: الرسالة- بيروت، ط٢، ١٤١٩هـ- م١٩٩٨.
٣٤. لسان العرب، أبو الفضل، محمد بن مكرم بن على، جمال الدين ابن منظور الأنصاري (ت: ٧١١هـ)، تحقيق: أمين محمد عبد الوهاب ومحمد الصادق العبيدي، دار إحياء التراث- بيروت، ط٣، ١٤١٩هـ- م١٩٩٩.
٣٥. مجاز القرآن، أبو عبيدة معمر بن المثنى البصري (ت: ٢٠٩هـ)، تحقيق: محمد فواد سرکین، مكتبة الخانجي - القاهرة، ١٣٨١هـ، دون ذكر الطبعة.

٣٦. مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف- المدينة النبوية، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م، دون ذكر الطبعة.

٣٧. مجموع الفتاوى، أبو العباس، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية (ت: ٧٢٨هـ)، تحقيق: عبدالرحمن بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف- المدينة المنورة، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م، دون ذكر الطبعة.

٣٨. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية (ت: ٥٤٢هـ)، تحقيق: عبدالسلام محمد، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.

٣٩. المخصص، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (ت: ٤٥٨هـ)، تحقيق: خليل جفال، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط١، ١٤١٧هـ ١٩٩٦م.

٤٠. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، تحقيق: رضوان جامع رضوان، مؤسسة المختار- القاهرة، ط١، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م.

٤١. معالم التنزيل في تفسير القرآن، أبو محمد، الحسين بن مسعود البغوي (ت: ٥١٠هـ). تحقيق: محمد النمر وعثمان ضميرية وسلiman الحرش، دار طيبة- الرياض، ط٤، ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م.

٤٢. مفاتيح الغيب، أبو عبدالله محمد بن عمر الرazi (ت: ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي- بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ.

٤٣. المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت: ٥٠٢هـ)، تحقيق: مركز الدراسات والبحوث بمكتبة نزار مصطفى الباز، مكتبة: نزار مصطفى الباز، دون ذكر الطبعة والتاريخ.

٤٤. مقاييس اللغة، أبو الحسين، أحمد بن فارس بن زكريا الرازى، (ت: ١٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر- بيروت، ١٣٩٩هـ -

١٩٧٩م، من دون ذكر الطبعة.

٤٥. المنافقون في القرآن الكريم، عبدالله الحميدى، دار المجتمع- جدة، ط١، ١٤٠٩-١٩٨٩م.

٤٦. النهاية في غريب الحديث والأثر، أبو السعادات، محمد بن محمد بن ابن الأثير (ت: ٦٠٦هـ)، طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، دون ذكر الطبعة.

٤٧. الوسيط في تفسير القرآن المجيد، أبو الحسن علي بن أحمد الواحدى، (ت: ٤٦٨هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود، علي محمد معوض، وأخرون، دار الكتب العلمية- بيروت، ط١، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.



# المؤتمر الدولي في الرحمة في الإسلام

The International Conference on Mercy in Islam  
قسم الدراسات الإسلامية - كلية التربية



# مظاهر الرحمة في حفظ الضرورات الخمس من خلال سورة البقرة

إعداد:

د. عبد الله بن سالم بن يسلم بافرج

أستاذ التفسير وعلومه المشارك

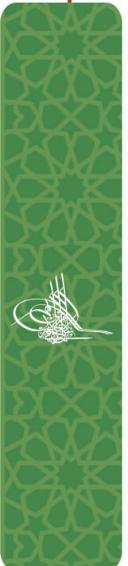
جامعة أمر القرى

كلية الشريعة والدراسات الإسلامية

مركز الدراسات الإسلامية

# المؤتمر الدولي في الرحمة في الإسلام

The International Conference on Mercy in Islam  
قسم الدراسات الإسلامية - كلية التربية



## المحدرة

إن الحمد لله نحده، ونستعينه، ونستهديه، ونستغفره، ونعود بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضللا فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ، **يَأَيُّهَا النَّاسُ أَتَقْوَى رِبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِّنْ نَّفْسٍ وَجَهَنَّمَ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَ مِنْهَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَأَتَقْوَا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا** ﴿١﴾ [النساء]، **يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَتَقْوَا اللَّهَ وَقُولُوا قُولًا سَدِيدًا** ﴿٧﴾ يُصلح لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِر لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَزًا عَظِيمًا ﴿٦﴾ [الأحزاب]، **يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَتَقْوَا اللَّهَ وَلَتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَيْرٍ وَأَتَقْوَا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ** ﴿١٨﴾ [الحشر]، أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلاله<sup>(١)</sup>.

وإن من الموضع التي ينبغي دراستها وإمعان النظر فيها لتجليتها وإياضها لعموم الناس بيان رحمة الله ﷺ، الذي خلق الخلق برحمته، وأرسل إليهم الرسل برحمته، وأمرهم ونهاهم وشرع لهم الشرائع برحمته،

(١) هذه خطبة الحاجة التي رواها جابر بن عبد الله وابن عباس عن النبي ﷺ، أخرجهما مسلم في صحيحه، في كتاب الجمعة، باب: تخفيف الصلاة والخطبة ١١/١، ح: (٢٠٤٢)، (٢٠٤٥).

وأسبغ عليهم نعمه الظاهرة والباطنة برحمته، ودبر لهم أنواع التدبير وصرفهم بأنواع التصريف برحمته، وملاً الدنيا والآخرة من رحمته، فلا طابت الأمور، ولا تيسرت الأشياء، ولا حصلت المقصود وأنواع المطالب إلا برحمته، ورحمته فوق ذلك، وأجل وأعلى<sup>(١)</sup>، ومظاهر رحمة الله ﷺ كثيرة لا تعد ولا تحصى؛ فحاولت الكتابة في بيان مظاهر رحمة الله ﷺ في حفظ الضرورات الخمس، والمقصود بها: الدين، والنفس، والعقل، والنسل، والمال، وسميت بذلك؛ لأن الإنسان مضطرب إليها، ومحاج إليها في غاية درجات الاحتياج، وجاءت شريعة الإسلام بأحكام وافية لحفظ هذه الضروريات الخمس، سواء من حيث الوجود؛ إذ شرعت لها ما يحقق وجودها في المجتمع، أو من حيث البقاء والاستمرار بإنماطها وحمايتها من أسباب الفساد والزوال، وبحفظها يعيش المسلم في هذه الدنيا آمناً مطمئناً يعمل لدنياه وأخرته، ويعيش المجتمع المسلم أمة واحدة متمسكة، وبفقدانها لم تجر حياة الناس في الدنيا على استقامة، وإنما تتعطل معاشهم، ويعترضها الفساد، وكذلك حياتهم الأخرى يعترضها الفساد من جهة فوات النعيم المقيم في الجنة؛ فحاولت جاهداً للكتابة في هذا الموضوع من خلال سورة البقرة؛ لاشتمالها على هذه الضرورات واخترت عنوان البحث: (مظاهر الرحمة في حفظ الضرورات الخمس من خلال سورة البقرة)، وسأقتصر على عرض بعض آيات من السورة المباركة.

### أسباب اختيار الموضوع:

أسباب اختيار الموضوع ترجع لأمور:

١. الحاجة لتأصيل خلق الرحمة من خلال القرآن الكريم، وقد اختارت بيان مظاهر الرحمة في حفظ الضرورات الخمس من خلال سورة البقرة.

٣٦٠

(١) ينظر: تفسير أسماء الله الحسنى للسعدي ص: ٥١.

٢. أهمية استشعار عظمة رحمة الله ﷺ بعباده، وتناولها لجميع جوانب الحياة اليومية، للفرد والجماعة.

٣. الدفاع عن الإسلام؛ إذ كثر في الآونة الأخيرة جرائم الاعتداء عليه، وعلى ثوابته بشكل لم يعرف له مثيل من قبل ووصفه بما لا يليق من أنه عدواني وهمجي.

٤. المشاركة في المؤتمر الدولي عن الرحمة في الإسلام المقامة بجامعة الملك سعود بالرياض المملكة العربية السعودية.

#### هدف البحث:

بيان كيفية تناول القرآن الكريم لمظاهر رحمة الله ﷺ؛ وذلك من خلال سورة البقرة، وربط الموضوع بالواقع من خلال حفظ الضرورات الخمس.

#### الدراسات السابقة:

لم أقف على دراسة سابقة في هذا الموضوع بهذا العنوان، والذي وقفت عليه من الدراسات السابقة كان بموضوعات مختلفة، وجزئيات متفرقة.

والجديد في بحثي هذا أنه دراسة تطبيقية على سورة من سور القرآن الكريم، وهي دراسة تساعد الطالب وتفيده وتنمي لديه القدرة على كيفية تناول مثل هذا الموضوع، واستخراج اللطائف والفوائد منه، وربطه بالواقع المعاصر.

#### مشكلة البحث وتساؤلاته:

يعتبر إبراز مظاهر الرحمة من خلال القرآن الكريم في الوقت

الحاضر الذي كثُر فيه الطعن في الإسلام من أهم الأمور التي ينبغي على أهل العلم أن يعتنوا بها؛ لما فيها من بيان عظمة الإسلام وع神性 مبادئه، وهذا البحث يجلي جانباً من جوانب الرحمة، ألا وهو جانب حفظ الضرورات الخمس التي بها يسعد الإنسان والمجتمع بحفظها.

وتتلخص مشكلة البحث فيما يلي:

١. تجاذب النص الواحد في الاستدلال على نوع الضرورة.
٢. الحيرة في الاستدلال على نوع الضرورة نظراً للتردد بين العلماء رحمهم الله في ضبط الضرورة وما هييتها.
٣. قلة النصوص عند من اعتبر بأمر الضرورات وما شاكلها خصوصاً ما يتعلق بسورة البقرة.
٤. لم يسبقني أحد فيما علمت في استخراج مثل ذلك في سورة البقرة.  
لذلك سيكون هذا البحث إن شاء الله في إبراز مظاهر الرحمة في حفظ الضرورات الخمس من خلال سورة البقرة.

ومن استعراض المشكلة فيما سبق يمكن صياغة تساؤلات الدراسة في أربعة أسئلة رئيسية هي:

١. ما معنى الرحمة؟
٢. هل اشتملت سورة البقرة عليها؟
٣. ما هي مظاهر الرحمة في حفظ الضرورات الخمس؛ وهي الدين والنفس والعقل والنسل والمال من خلال سورة البقرة؟
٤. هل أبرز المفسرون رحمهم الله ﷺ مظاهر الرحمة في حفظ الضرورات الخمس في سورة البقرة؟

## خطة البحث:

تكونَ البحث من مقدمة وتمهيد وخمسة مطالب وخاتمة وفهارس  
وفق الترتيب الآتي:

المقدمة: فيها أسباب اختيار الموضوع، وهدفه، والدراسات السابقة،  
وخطة البحث، ومنهجه.

التمهيد: بيان معنى الرحمة واحتتمال سورة البقرة عليها.

المطلب الأول: مظاهر الرحمة في حفظ الدين من خلال سورة البقرة.

المطلب الثاني: مظاهر الرحمة في حفظ النفس من خلال سورة البقرة.

المطلب الثالث: مظاهر الرحمة في حفظ العقل من خلال سورة البقرة.

المطلب الرابع: مظاهر الرحمة في حفظ النسل من خلال سورة البقرة.

المطلب الخامس: مظاهر الرحمة في حفظ المال من خلال سورة البقرة.

الخاتمة: أهم النتائج والتوصيات.

الفهارس: وتشمل فهرس المصادر والمراجع وفهرس الموضوعات.

## منهج البحث:

١. اعتمدت في البحث على طريقة المنهج الوصفي الذي يجمع بين الاستقراء والتحليل لآيات السورة الكريمة لتبني مظاهر الرحمة.

٢. رتبت الضرورات حسب ترتيب الغزالي في المستصفى<sup>(١)</sup>.

٣. حاولت جاهداً أن أنوع بين الآيات، وإن كان في بعضها دلالة على أكثر من ضرورة فإني أكتفي بذكر ضرورة واحدة فقط من خلال تلك الآية المستشهد بها.

(١) ينظر: المستصفى للغزالي ٤١٧/١

٤. وثبتت النصوص التي أنقلها، توثيقاً علمياً دقيقاً من مصادرها الأصلية، ما أمكنني ذلك.
٥. عزوّت الآيات القرآنية إلى سورها.
٦. خرجت الأحاديث التي ورد ذكرها، وذكرت أقوال أهل العلم في بيان درجتها.
٧. عند الإحالة إلى صفحة النص المنقول فإن الإحالة تكون للصفحة التي فيها بدايته.
٨. المعول عليه في معرفة طبعات المصادر والمراجع هو الفهرس الخاص بذلك في آخر البحث، وقد التزمت طبعة واحدة لكل كتاب.
٩. ضبطت بالشكل ما يحتاج إلى ضبط، مما قد يُشكّل قراءته، ويلتبس نطقه.
١٠. ذيلت البحث بفهارس للمصادر والمراجع، والمواضيعات.

وفي الختام أسأّل الله تبارك وتعالى أن يتقبل مني هذا العمل، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، وأن يكون موافقاً للصواب، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.



## التمهيد

### بيان معنى الرحمة واشتمال سورة البقرة عليها



أثبت الله ﷺ لنفسه صفة الرحمة، وهي حقيقة دلّ عليها السمع، والعقل؛ أما السمع: فهو ما جاء في الكتاب والسنة من إثبات الرحمة لله، وهو كثير جدًا، وأما العقل: فكل ما حصل من نعمة، أو اندفع من نعمة فهو من آثار رحمة الله<sup>(١)</sup>.

والرحمن والرحيم أسمان من أسماء الله ﷺ يدلان على الذات، وعلى صفة الرحمة، وعلى الأثر؛ أي: الحكم الذي تقتضيه هذه الصفة<sup>(٢)</sup>، ذهب الجمهور إلى أن الرحمن اسم مشتق من الرحمة مبني على المبالغة؛ إذ بناء فعلان يدل على المبالغة، ومعنى: ذو الرحمة التي لا نظير له فيها؛ ولذلك لا يُشَتَّى ولا يجمع، كما يُشَتَّى الرحيم ويجمع، قال الخطابي رحمه الله : ”فالرحمن ذو الرحمة الشاملة التي وسعت الخلق في أرزاقهم، وأسباب معايشهم، ومصالحهم، وعمت المؤمن والكافر، والصالح والطالع، وأما الرحيم فخاص للمؤمنين كقوله: «وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا» [الأحزاب: ٤٢]، والرحيم وزنه فعال، أي: راحم، وبناء فعال أيضًا للمبالغة

(١) ينظر: تفسير ابن عثيمين ٢/٢.

(٢) ينظر: تفسير ابن عثيمين ٢/٢.

كعالِمٌ وَعَلِيمٌ، وَقَادِرٌ وَقَدِيرٌ<sup>(١)</sup>، وَرَحْمَنٌ أَشَدُ مِنْ رَحْمَةِ رَحِيمٍ، وَفِي تَفْسِيرِ بَعْضِ السَّلْفِ مَا يَدْلِي عَلَى ذَلِكَ<sup>(٢)</sup>؛ فَعَنْ أَبْنَابِ عَبَاسٍ قَالَ: الرَّحْمَنُ وَهُوَ الرَّحِيقُ، الرَّحِيمُ وَهُوَ الْعَاطِفُ عَلَى خَلْقِهِ بِالرِّزْقِ، وَهُمَا اسْمَانُ رَقِيقَانَ، أَحَدُهُمَا أَرْقَ مِنَ الْآخَرِ<sup>(٣)</sup>.

وَهُمَا صَفَتَانِ مِنْ صَفَاتِ اللَّهِ يُشَيِّعُ عَلَيْهِ بَهْمَاهُ، وَيُعَظِّمُ بَهْمَاهُ؛ فَفِي الْحَدِيثِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ يَقُولُ: «قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ؛ فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة]، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: حَمَدَنِي عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [الفاتحة]، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي»... الْحَدِيثُ.<sup>(٤)</sup>

وورد اسم الرحمن في القرآن الكريم سبعاً وخمسين مرة، وورد اسم الرحيم خمساً وتسعين مرة.<sup>(٥)</sup>

وجاء وصف القرآن الكريم بأنه رحمة في أحدى عشرة آية في تسع سور، وهي: الأنعام والأعراف ويونس ويوسف والنحل والإسراء والنمل ولقمان والجاثية، وتلك الآيات هي: قول الله تبارك وتعالى: **﴿فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيْنَهُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةً﴾** [الأنعام: ١٥٧]، قوله: **﴿وَلَقَدْ حِثَّنَاهُمْ بِكِتَبٍ فَصَلَّنَاهُ عَلَى عِلْمٍ هُدَى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾** [الأعراف]، قوله: **﴿هَذَا بَصَارِثٌ مِّنْ رَبِّكُمْ وَهُدَى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾** [الأعراف: ٢٠٢]، قوله: **﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةً مِّنْ رَبِّكُمْ وَشَفَاءً لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾** [يونس: ٥٧]

(١) أورده عنه البيهقي، ينظر: الأسماء والصفات للبيهقي ١/١٣٥.

(٢) ينظر: تفسير ابن كثير ١/١٢٤.

(٣) رواه الطبراني في تفسيره ١/١٢٨، والبغوي في تفسيره ١/٥١، والبيهقي في الأسماء والصفات ١/١٣٩.

(٤) رواه مسلم في صحيحه، كتاب: الصلاة، باب: وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة، وإنَّه إِذَا لم يُحْسِنْ الْفَاتِحةَ وَلَا أَمْكَنَهَا تَعْلَمُهَا قَرَأَ مَا تَيَسَّرَ لَهُ مِنْ غَيْرِهَا، ٢/٩، ح: ٩٠٤).

ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم مادة (رح م).

وقوله: ﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَكِنْ تَصَدِّيقًا لِّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَقَصْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدَىٰ وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف: ١١١]، قوله: ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَبَ إِلَّا لِتُبَيَّنَ لِهِمُ الَّذِي أَخْنَلُفُوا فِيهِ وَهُدَىٰ وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ <sup>(٦)</sup>  
 [النحل: ٦٤]، قوله: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَبَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدَىٰ وَرَحْمَةٌ وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩]، قوله: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْءَانِ مَا هُوَ شَفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ <sup>(٨)</sup> [الإسراء]، قوله: ﴿وَإِنَّهُ هُدَىٰ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ <sup>(٧)</sup> [النمل]، قوله: ﴿هُدَىٰ وَرَحْمَةٌ لِلْمُحْسِنِينَ﴾ <sup>(٢)</sup> [لقمان]، قوله: ﴿هَذَا بَصَرٌ لِلنَّاسِ وَهُدَىٰ وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ <sup>(٩)</sup> [الجاثية].

ويلاحظ في الآيات السابقة ما يلي:

١. كل السور الوارد فيها وصف القرآن الكريم بأنه رحمة مكية.
٢. أن الهدى مقترن بالرحمة في عشر آيات؛ وذلك والله أعلم؛ لأن الهدى والرحمة جنسان عامان يشملان أنواع البصائر فالهدي يقارن البصائر، والرحمة غاية لل بصائر، وأن الهدى والرحمة معنيان كليان يصلحان للعدد الكبير؛ وأن الهدى ما يرجع من التبيان إلى تقويم العقائد والأفهام، والإنقاذ من الضلال، وطريق نفع لم اتبع إرشاده فاتباعه كالاهتداء للطريق الموصولة إلى المقصود، والمراد بالرحمة: ما يشمل رحمة الدنيا وهي: استقامة أحوال الجماعة وانتظام المدنية، ورحمة الآخرة وهي: الفوز بالنعيم الدائم.<sup>(١)</sup>
٣. أن الهدى والرحمة خاصة المسلمين والمؤمنين والمحسنين والمؤمنين؛ وذلك لأنهم انتفعوا به فصار هدى لهم يهتدون به إلى أمر دينهم ودنياهم، ورحمة ينالون به كل خير في الدنيا والآخرة، فالهدي ما نالوه به من علم نافع وعمل صالح، والرحمة ما ترتب على ذلك من

(١) ينظر: تفسير ابن عاشور ٨/٤٠٩، ١٣/٤٠٤.

ثواب الدنيا والآخرة، كصلاح القلب وبره وطمأنينته، وتمام العقل الذي لا يتم إلا بتربيته على معانيه التي هي أجل المعاني وأعلاها، والأعمال الكريمة والأخلاق الفاضلة، والرزق الواسع، والنصر على الأعداء بالقول والفعل، ونيل رضا الله ﷺ وكرامته العظيمة التي لا يعلم ما فيها من النعيم المقيم إلا رب الرحيم.<sup>(١)</sup>

وبين الله تبارك وتعالى أن اتباع القرآن الكريم من أسباب نيل رحمة الله ﷺ؛ فقال تعالى: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَّكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعْنَكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأنعام].

وشملت سورة البقرة أمهات الأحكام ومعظم أصول الدين وفروعه، والإرشاد إلى كثير من مصالح العباد، ونظام المعاش، ونجاة المعاد<sup>(٢)</sup>، قال العيني رحمه الله : (هي أول سورة نزلت بالمدينة في قول، وقيل لها: فسطاط القرآن، فيها خمسة عشر مثلاً، وخمسماة حكمة، وفيها ثلاثة وستون رحمة)<sup>(٣)</sup>، وذكر اسم الرحمن فيها مرتين، واسم الرحيم ثلاث عشرة مرة، وجاء الاسم رحمه مرتين، وبنسبة الرحمة لله ﷺ ثلث مرات، وبدعاء المؤمنين لتحصيلها مرة واحدة؛ لذا سأذكر بإذن الله ﷺ مظاهر رحمة الله ﷺ في حفظ الضرورات الخمس من خلال سورة البقرة.



(١) ينظر: تفسير السعدي ص: ٤٤٦، ٤٤٧، وتفسير الطبرى ١٥/٦٣، وتقىير البحر المحيط ٤٠٩/٨ . وتقىير ابن عاشور ٢٥/٣٦٨.

(٢) ينظر: فيض القدير للمناوي ٤/١٩٦.

(٣) ينظر: عمدة القارئ ٢٦/٣٨٨، والبرهان ١٩٤/١، والإتقان ١/٣٩.

## المطلب الأول

### مظاهر الرحمة في حفظ الدين من خلال سورة البقرة

قدر الإسلام ما للدين من أهمية في حياة الإنسان؛ حيث يلبي النزعة الإنسانية إلى عبادة الله، ولما يمد به الإنسان من وجدان وضمير، ولما يقوى في نفسه من عناصر الخير والفضيلة، وما يضفي على حياته من سعادة وطمأنينة.

#### ١. فمن مظاهر الرحمة في حفظ الدين:

أن أهل الحق والحكمة حريصون على صلاح أنفسهم وصلاح أمتهم، حريصون على دوام الحق في الناس متبعاً مشهوراً؛ فكان من سننهم التوصية لمن يظنونهم خلفاً عنهم في الناس؛ بأن لا يحيدوا عن طريق الحق، ولا يفرطوا فيما حصل لهم منه؛ فإن حصوله بمجاهدة نفوس ومرور أزمان؛ فكان ذلك أمراً نفيساً يجدر أن يحتفظ به، وقد كانت هذه الوصية من الرسل عليهم السلام لمن بعدهم، فنفذها إبراهيم ويعقوب عليهما السلام كما قال تعالى: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَاٰ إِبْرَاهِيمَ بْنِهِ وَيَعْقُوبَ بْنَهُ إِنَّ اللَّهَ أَصَطَّفَ لَكُمُ الَّذِينَ فَلَا تَمُؤْنَ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٢٣] اختار الدين وتخيره لعباده رحمة بهم، وإحساناً إليهم، فينبغي أن يقوموا به، ويتصفوا بشرائعه، وينصبغوا بأخلاقه، حتى يستمروا على ذلك؛ فلا

يفارقوا هذا الدين وهو الإسلام أيام حياتهم؛ وذلك أن أحداً لا يدرى متى تأتيه منيته من ليل أو نهار؛ فينبغي الإحسان في حال الحياة ولزوم الدين ليرزقهم الله الوفاة عليه؛ فإن المرء يموت غالباً على ما كان عليه، ويبعث على ما مات عليه، وقد أجرى الله الكريم عادته بأن من قصد الخير وفُقِّد له ويسر عليه، ومن نوى صالحًا ثبت عليه، وهذا على الحقيقة نهي عن تعاطي الأشياء التي تكون سبباً للموافاة على غير الإسلام<sup>(١)</sup>، وهذا من مظاهر الرحمة في حفظ الدين.

## ٢. ومن مظاهر الرحمة في حفظ الدين:

تفضيل الله ﷺ لهذه الأمة على سائر الأمم، وجعلها أمّة وسطًا عدوًّا خيارًا في كل أمور الدين قال الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لَّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونُ الرَّسُولُ عَنْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٢]؛ فخصّها الله ﷺ بأكمل الشرائع وأقوم المناهج وأوضح المذاهب، فهم أهل دين وسط بين الغلو والتقصير؛ لأنهما مذمومان في الدين؛ فلا هم أهل تقصير فيه، تقصير اليهود الذين بدلوا كتاب الله، وقتلوا أنبياءهم، وكذبوا على ربهم وكفروا به، ولا هم أهل غلو فيه، غلو النصارى الذين غلوا بالترهب، وقولهم في عيسى عليه السلام ما قالوا فيه؛ ولكنهم أهل توسط واعتدال فيه؛ فوصفهم الله بذلك، وهم وسط في الشريعة؛ فلا تشديدات اليهود وأصارهم، ولا تهاون النصارى، ففي باب الطهارة والمطاعم لا كاليهود الذين لا تصح لهم صلاة إلا في بيعهم وكنائسهم، ولا يطهرهم الماء من النجاسات، وقد حرمت عليهم الطيبات؛ عقوبة لهم، ولا كالنصارى الذين لا ينجسون شيئاً، ولا يحرمون شيئاً، بل أباحوا ما دب ودرج، بل طهارتهم أكمل طهارة وأتمها، وأباح الله لهم الطيبات من المطاعم والمشابب والملابس

(١) ينظر: تفسير الطبرى /٢٥٨٠، وتفسير البحر المحيط /٦٣٨، وتفسير ابن كثير /٤٤٦، وتفسير السعدي ص: ٦٦، وتفسير أضواء البيان /٩٣، وتفسير ابن عاشور /٧٠٧.

والمناكح، وحرم عليهم الخبائث من ذلك؛ فلهذه الأمة من الدين أكمله، ومن الأخلاق أجلها، ومن الأعمال أفضلها، وووهبهم الله من العلم والحلم والعدل والإحسان، ما لم يهبه لأمة سواهم، فلذلك كانوا **أمةً وسَطَا**<sup>(١)</sup>.

### ٣. ومن مظاهر الرحمة في حفظ الدين:

أنه لا إكراه لأحد على الدخول في الإسلام؛ فكفل حرية العقيدة والتدين وحماها، وسمح بتعايش مختلف الأديان داخل دياره وفي رحاب دولته، ويترك الحرية لأهل الأديان في عقائدهم وممارساتهم التعبدية وتصرفاتهم المدنية، فالحق بين واضح، ودلائله وبراهينه جلية، وتبيّن أعلامه للعقل، وظهرت طرقه، وتبيّن أمره، وهو دين العقل والعلم، ودين الفطرة والحكمة، ودين الصلاح والإصلاح، ودين الحق والرشد؛ فلكماله وقبول الفطرة له، لا يحتاج إلى الإكراه عليه؛ فالموفق إذا نظر أدنى نظر إليه آثره واختاره، والإكراه إنما يقع على ما تفتر منه القلوب، ويتنافى مع الحقيقة والحق، أو لما تخفي براهينه وأياته، فمن هداه الله للإسلام وشرح صدره ونور بصيرته دخل فيه على بينة، ومن أعمى الله قلبه وختم على سمعه وبصره؛ فإنه لا يفيده الدخول في الدين مكرهاً مقصوراً؛ لأنَّه كان سيئقصد فاسد الإرادة، خبيث النفس يرى الحق فيختار عليه الباطل، ويبصر الحسن فيميل إلى القبيح، وهذا ليس لله حاجة في إكراهه على الدين؛ لعدم النتيجة والفائدة فيه، والمُكره ليس إيمانه صحيحًا<sup>(٢)</sup>، قال الله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ بَيَّنَ الرَّشُدُ مِنَ الْغَيْرِ فَمَن يَكْفُرُ بِالظَّلْعَوْتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا أَنْفَصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعُ عَلَيْهِ﴾ [البقرة: ٢٠٥].

فقوله تعالى: **﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾** هذه الجملة نفي يحتمل وجهين:

(١) ينظر: تفسير الطبرى /٦٢٦/٢، وتفسير البغوى /١٥٨/١، وتفسير ابن كثير /٤٥٤/١، وتفسير السعدي ص: ٧٠.

(٢) ينظر: تفسير السعدي ص: ١١٠.

الأول: بمعنى النهي؛ والمعنى: لا تكرهوا أحداً على الدين.

الثاني: بمعنى النفي؛ والمعنى: أنه لن يدخل أحد دين الإسلام مكرهاً؛ بل عن اختيار؛ وبيّنت السنة كيف نعامل الكفار؛ وذلك بأن ندعوهم إلى الإسلام؛ فإن أبوا فايلى بذل الجزية؛ فإن أبوا قاتلناهم<sup>(١)</sup>.

فالإكراه في الحقيقة إلزام الغير فعلاً لا يرى فيه خيراً يحمله عليه، ولكن ﴿فَدَبَّيَنَ الرُّشْدَ مِنَ الْغَيْرِ﴾، فتميّز الإيمان من الكفر بالآيات الواضحة، ودللت الدلائل على أن الإيمان رشد يوصل إلى السعادة الأبدية، والكفر غيّ يؤدي إلى الشقاوة السرمدية، والعاقل متى تبيّن له ذلك بادرت نفسه إلى الإيمان طلباً للفوز بالسعادة والتجلّة ولم يحتج إلى الإكراه والإلقاء<sup>(٢)</sup>.

#### ٤. ومن مظاهر الرحمة في حفظ الدين:

أن الله ﷺ بين طبيعة عداوة المشركين للمؤمنين، وبين غاية مرادهم من قتالهم للمؤمنين؛ بأن يترك المؤمنون دينهم، ومن مظاهر الرحمة تحذير الله تبارك وتعالى من ترك الدين والارتداد عنه؛ قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَرَأُونَ يُقْتَلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَنِ دِينِكُمْ إِنَّ أَسْتَطَعْتُمْ وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنِ دِينِهِ فَيَمْتُ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حِيطَتْ أَعْمَلُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَذِلُونَ﴾ [البقرة: ٢١٧].

فقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنِ دِينِهِ﴾ الردة: الرجوع عن الإسلام إلى الكفر، أي: من يرجع منكم عن دينه، والتقييد في قوله: ﴿فَيَمْتُ وَهُوَ كَافِرٌ﴾ يفيد أن عمل من ارتد إنما يبطل إذا مات على الكفر، والمعنى: من يرجع عن دينه دين الإسلام فيموت قبل أن يتوب من كفره فهو الذي حبط عمله<sup>(٣)</sup>، قوله:

(١) ينظر: تفسير ابن عثيمين ٥/٢٠٦، ٥/٢٠٩.

(٢) ينظر: تفسير ابن كثير ١/٦٢٨، وتفسير البيضاوي ١/٥٥٧، وتفسير السعدي ص: ١١٠، ص: ٩٥٤.

(٣) ينظر: تفسير الشوكاني ١/٢٩١.

**﴿حِطَّتْ أَعْمَلُهُمْ﴾** الحبوط: بطلان العمل وفساده، ومنه الحبط، وهو: فساد يلحق الماشي في بطونها من كثرة أكلها للكلأ، فتنتفخ أجوفها، وربما تموت من ذلك<sup>(١)</sup>، والمعنى: بطلت أعمالهم وذهبوا، وبطلان ثوابها: ذهاب ثوابها، وبطلان الأجر عليها والجزاء في دار الآخرة، قوله: **﴿وَأُولَئِكَ أَصْحَبُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَلِدُونَ﴾** يعني: الذين ارتدوا عن دينهم فماتوا على كفرهم، هم أهل النار المخلدون فيها، وإنما جعلهم أهلها؛ لأنهم لا يخرجون منها، فهم سكانها المقيمون فيها، قوله: **﴿هُمْ فِيهَا خَلِدُونَ﴾** أي: لا يثون لبناً من غير أمد ولا نهاية<sup>(٢)</sup>.

#### ٥. ومن مظاهر الرحمة في الآية:

تحذير الله ﷺ للمؤمنين من الاغترار بالكافر، والدخول فيما يريدونه من ردّهم عن دينهم الذي هو الغاية لما يريدونه من المقاتلة للمؤمنين.

#### ٦. ومن مظاهر الرحمة في الآية:

بيان أنه لا يبقى للمرتد حكم المسلمين في الدنيا، فلا يأخذ شيئاً مما يستحقه المسلمون، ولا يظفر بحظ من حظوظ الإسلام، ولا ينال شيئاً من ثواب الآخرة الذي يوجبه الإسلام، ويستحقه أهله؛ وفي هذا حث للمسلمين ليثبتوا على دين الإسلام<sup>(٣)</sup>، وهذا من مظاهر الرحمة في حفظ الدين.

#### ٧. ومن مظاهر الرحمة في الآية الكريمة:

بيان أن القلب الذي يذوق الإسلام ويعرفه، لا يمكن أن يرتد عنه ارتداداً حقيقياً أبداً، إلا إذا فسد فساداً لا صلاح له، وهذا أمر غير التقى من الأذى البالغ الذي يتتجاوز الطاقة؛ فالله رحيم رخص للمسلم - حين يتتجاوز

(١) ينظر تفسير القرطبي ٤٦/٣

(٢) ينظر: تفسير الطبرى ٦٦٦/٣

(٣) ينظر: تفسير الشوكاني ٢٩١/١

العذاب طاقته- أن يقي نفسه بالظهور، مع بقاء قلبه ثابتًا على الإسلام مطمئنًا بالإيمان، ولكنه لم يرخص له في الكفر الحقيقي، وفي الارتداد الحقيقي، بحيث يموت وهو كافر.. والعياذ بالله<sup>(١)</sup>.

#### ٨. ومن مظاهر الرحمة:

ما تجلى في حكمة تشريع قتل المرتد مع أن الكافر بالأصل لا يقتل؛ لأن الارتداد خروج فرد أو جماعة من الجماعة الإسلامية، فهو بخروجه من الإسلام بعد الدخول فيه ينادي على أنه لما خالط هذا الدين وجده غير صالح، ووجد ما كان عليه قبل ذلك أصلح؛ فهذا تعريض بالدين واستخفاف به، وفيه أيضًا تمهيد طريق لمن يريد أن ينسى من هذا الدين؛ وذلك يفضي إلى انحلال الجماعة المسلمة؛ فلو لم يجعل لذلك زاجراً ما انزجر الناس، ولا يوجد شيء زاجر مثل توقع الموت؛ فلذلك جعل الموت هو العقوبة للمرتد حتى لا يدخل أحد في الدين إلا على بصيرة، وحتى لا يخرج منه أحد بعد الدخول فيه، وليس هذا من الإكراه في الدين المنفي بقوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهٌ فِي الدِّينِ﴾ [آل عمران: ٢٥٦]<sup>(٢)</sup>، قال ابن قدامة: ”وأجمع أهل العلم على وجوب قتل المرتد، وروي ذلك عن أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، ومعاذ، وأبي موسى، وابن عباس، وخالد، وغيرهم، ولم ينكر ذلك، فكان إجماعاً“<sup>(٣)</sup>.



(١) ينظر: تفسير في ظلال القرآن / ٢٢٨.

(٢) ينظر: تفسير ابن عاشور / ٣١٩.

(٣) ينظر: الأم الشافعي / ١٥٦.

(٤) ينظر: المغني لابن قدامة / ٤٤٤.

## المطلب الثاني

# مظاهر الرحمة في حفظ النفس

## من خلال سورة البقرة

النفس في الإسلام ملك لله تعالى؛ شرع تبارك وتعالى لبقاء نوعها على الوجه الأكمل الزواج والتسلل؛ ليعمر العالم وتشكل بذرة الحياة الإنسانية في الجيل الخالف، وأوجب الله الابتعاد مما يضرها ويتلفها من طعام وشراب وغير ذلك، وأوجب الله دفع الضرر عنها؛ ففرض القصاص والدية، وحرم كل ما يلقي بها إلى التهلكة.

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا أَخْذَنَا مِيقَاتَكُمْ لَا سَفِكُونَ دَمَاءَ كُمْ﴾ [البقرة: ٨٤]؛ فهذه الآية وإن كان المراد بها بنو إسرائيل إلا أنه دخل فيها بالمعنى من بعدهم <sup>(١)</sup>، والمعنى: لا تفعلوا ذلك بأنفسكم لشدة تصيبكم وحق يلحقكم؛ فعن أبي هريرة الله قال: قال رسول الله الله: «مَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِحَدِيدَةٍ؛ فَحَدِيدَتُهُ فِي يَدِهِ يَتَوَجَّأُ بَهَا فِي بَطْنِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخْلَدًا فِيهَا أَبَدًا، وَمَنْ شَرَبَ سَمًا؛ فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَهُوَ يَتَحَسَّأُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخْلَدًا فِيهَا أَبَدًا، وَمَنْ تَرَدَّى مِنْ جَبَلٍ؛ فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَهُوَ يَتَرَدَّى فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخْلَدًا فِيهَا أَبَدًا» <sup>(٢)</sup>، ويجوز أن يكون معنى قوله: ﴿لَا سَفِكُونَ دَمَاءَ كُمْ﴾ أي: لا

(١) ينظر: تفسير القرطبي ١٨/٢.

(٢) رواه مسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: غلط تحريرم قتل الإنسان نفسه، وإن من قتل نفسه بشيء عذب به في النار، وأنه لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة، ٧٢١، ح: (٢١٣).

يقتل الرجل منكم الرجل منكم، فيقاد به قصاصاً، فيكون بذلك قاتلاً نفسه؛ لأنَّه كان الذي سبب لنفسه ما استحقت به القتل، فأضيف بذلك إليه قتل ولِي المقتول إيهَا قصاصاً بوليِّهِ، كما يقال للرجل يرتكب فعلًا من الأفعال يستحق به العقوبة فيعاقب: أنت جنِّيت هذا على نفسك، فلا تسفكوا دماء غيركم فتسفك دماءكم، فكأنَّكم سفكتم دماء أنفسكم<sup>(١)</sup>، وقيل معناه: لا تسفكوا دماء الناس، فإنَّ من سفك دماءهم سفوكوا دمه، وقيل: معناه: لا تقتلوا أنفسكم بارتكابكم ما يوجب ذلك، كالارتداد والزنا بعد الإِحْسَانِ، والمحاربة، وقتل النفس، بغير حق ونحو ذلك مما يزيل عصمة الدماء<sup>(٢)</sup>.

## ١. فمن مظاهر الرحمة في هذه الآية:

الأمر بالاحترام من قتل الإنسان نفسه أو قتل نفس غيره؛ وذلك لما في هذا الفعل من تجني على النفس البشرية وحرمان للإنسان من نعمة الحياة والازدياد من فعل الخير.

## ٢. ومن مظاهر الرحمة في حفظ النفس:

أنَّ الله ﷺ حرم تعلم كل ما يوصل إليها الضرر، ومن ذلك تعلم السحر، الذي قال الله ﷺ فيمن يتعلمه: «وَيَعْلَمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ» [البقرة: ١٠٢]؛ فالسحر لا يعود على صاحبه بفائدة، ولا يجلب إليه منفعة، بل هو: ضرر محض، وخسران بحت<sup>(٣)</sup>، وهو ضرر في الدين، وليس فيه نفع في المعاد، وإنْ كان في الدنيا قد يكون به مكسباً وإصابة معاش، وقيل: الضرر وعدم النفع مختص بالآخرة، وقيل: هو في الدنيا والآخرة; فإنَّ

(١) ينظر: تفسير الطبرى/٢٠١، وتفسير البنوى/١١٧.

(٢) ينظر: تفسير البحر المحيط/٤٦٥، وتفسير البيضاوى/٣٥٤، وتفسير الألوسى/٣١٠، وتفسير الخازن/٥٨، وتفسير ابن عاشور/٥٦٨.

(٣) ينظر: تفسير الشوكانى/١٥١.

تعلمـه إن كان غير مباح فهو يجر إلى العمل به، وإلى التكـيل بـصـاحـبـه إذا عـثـرـ عـلـيـهـ، وإـلـىـ أنـ ماـ يـأـخـذـهـ عـلـيـهـ حـرـامـ، هـذـاـ فـيـ الدـنـيـاـ، وـأـمـاـ فـيـ الـآـخـرـةـ فـلـمـ يـتـرـبـ عـلـيـهـ مـنـ العـقـابـ.<sup>(١)</sup>

قال الإمام الشنقيطي رحمه الله: "اعلم أن الناس اختلفوا في تعلم السحر من غير عمل به، هل يجوز أو لا؟ والتحقيق وهو الذي عليه الجمهور: هو أنه لا يجوز، ومن أصرح الأدلة في ذلك تصريحة رحمه الله بأنه يضر ولا ينفع في قوله: ﴿وَيَعْلَمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ﴾، وإذا أثبت الله أن السحر ضار ونفي أنه نافع، فكيف يجوز تعلم ما هو ضرر محض لا نفع فيه؟"<sup>(٢)</sup>.

### ٣. ومن مظاهر الرحمة في حفظ النفس:

ما جاء في قول الله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيْبَتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلّهِ إِن كُنْتُمْ إِيمَانًا تَعْبُدُونَ ﴾<sup>(١)</sup> إِنَّمَا حَرَمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَكَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ<sup>(٢)</sup>﴾ [البقرة: ١٧٦]؛ فهذا أمر للمؤمنين خاصة؛ وذلك لأنهم هم المنتفعون على الحقيقة بالأوامر والنواهي؛ بسبب إيمانهم، فأمرهم بأكل الطيبات من الرزق، والشكر لله على إنعمـهـ، باـسـتـعـمالـهـ بـطـاعـتـهـ، والتـقـويـ بـهاـ عـلـىـ ماـ يـوـصـلـ إـلـيـهـ.

### ٤. ومن مظاهر الرحمة في حفظ النفس في هذه الآية:

ما أمر الله سبحانه به من الأكل من طيبات ما رزقهم؛ قال الله تعالى: ﴿كُلُوا مِن طَيْبَتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾؛ وهذا الأمر للوجوب إن كان الهلاك، أو الضرر بترك الأكل<sup>(٣)</sup>؛ فيجب على الإنسان أن يمد نفسه بوسائل الإبقاء على حياته من

(١) ينظر: تفسير البحر المحيط /٥٣٥/١، والأم للشافعي .٢٥٦/١.

(٢) ينظر: تفسير أضواء البيان /٤٥/٤، وينظر: تفسير الطبرى /٣٦٢/٢، وتفسير القرطبي /٥٥/٢، وتفسير ابن كثير /٣٦٤/١.

(٣) ينظر: تفسير الرازى /١٩٠/٥، وتفسير ابن عثيمين /٤٢٠/٤.

تناول للطعام والشراب، ويحرم عليه أن يمتنع عن هذه الضروريات إلى الحد الذي يهدد بقاء حياته.<sup>(١)</sup>

#### ٥. ومن مظاهر الرحمة في حفظ النفس في هذه الآية:

الأمر بالأكل مما طاب من الرزق الذي أحله الله لعباده؛ فطاب بتحليل الله ﷺ إياه بدلاً مما حرموه على أنفسهم من المطاعم والمشارب متبعين في تحريم خطوات الشيطان.<sup>(٢)</sup>

#### ٦. ومن مظاهر الرحمة في حفظ النفس في هذه الآية:

ما ذكره ﷺ من تحريم الخبائث فقال: «إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمُ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أَهْلَبَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ»؛ فالله ﷺ حرم علينا هذه الخبائث ونحوها، لطفاً بنا، وتنزيهاً عن المضر، وهي غير محصورة في هذه المحرمات، وإنما جيء به لبيان أنواع الخبائث.<sup>(٣)</sup>

والميته: ما مات بغير تذكرة شرعية؛ لأن الميته خبيثة مضره، لردايتها في نفسها، ولأن الأغلب أن تكون عن مرض، فيكون زيادة ضرر، فالحيوان لا يموت غالباً إلا وقد أصيب بعلة، والعلل مختلفة، وهي ترك في لحم الحيوان أجزاء منها، فإذا أكلها الإنسان قد يخالف جزءاً من دمه جراثيم الأمراض، مع أن الدم الذي في الحيوان إذا وقفت دورته غلت فيه الأجزاء الضارة على الأجزاء النافعة؛ ولذلك شرعت الذكرة؛ لأن المذكى مات من غير علة غالباً، ولأن إراقة الدم الذي فيه تجعل لحمه نقىًّا مما يخشى منه من أضرار<sup>(٤)</sup>؛ فالميته مستودع للجراثيم، ومستودع للأمراض الفتاكه، والقوانين في أوروبا تحرم أكل الميته<sup>(٥)</sup>، والطب الحديث يؤكّد الأضرار

(١) ينظر: مقاصد الشريعة لليبوبي ص: ٢٣١.

(٢) ينظر: المواقف للشاطبي ١٩٨/١.

(٣) ينظر: تفسير السعدي ص: ٨١، والمبسط للسرخسي ٤٢/١٤.

(٤) ينظر: تفسير ابن عاشور ١١٦/٢.

(٥) من حوار علمي أجرته الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة مع الدكتور جون =

الناجمة عن أكل الميّة بسبب التغيرات التي تحدث بعد موت الحيوان من ترسب الدم في جسمه بما يسمى في الطب بـ «الزرقة الجيفية» وتكون أحماض، بعدها تتكون الجراثيم الهوائية واللاهوائية التي تؤدي إلى تعفن الحيوان، وتكون روائح كريهة وآثار سامة، أضف إلى ذلك أحياناً أن موت الحيوان يكون بسبب مرض عانى منه الحيوان؛ فهذه الأضرار التي أكدتها الطب الحديث كفيلة ببيان حكم تحريم الميّة.<sup>(١)</sup>

واستثنى الشارع من هذا العموم ميّة الجراد والسمك؛ فإنهم حلال طيب؛ فعن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: «أَحَلَّتْ لَكُمْ مَيَّتَانَ وَدَمَانَ؛ فَأَمَّا الْمَيَّتَانِ فَالْحُوتُ وَالْجَرَادُ، وَأَمَّا الدَّمَانِ فَالْكَبِيدُ وَالطَّحَالُ». <sup>(٢)</sup>

## ٧. ومن مظاهر الرحمة في حفظ النفس في هذه الآية:

ما ذكره ﷺ من تحريم الدّم المسقوح كما قيد في الآية الأخرى، وهي قوله تعالى: ﴿وَذَمَّا مَسْقُوقًا﴾ [الأنعام: ١٤٥]، وحكمه تحريم الدم أن شربه يورث ضراوة في الإنسان، فتغليظ طباعه ويصير كالحيوان المفترس، وهذا مناف لمقصد الشرعية؛ لأنها جاءت لإتمام مكارم الأخلاق، وإبعاد الإنسان عن التهور والهمجية<sup>(٣)</sup>، ومن ناحية طبية فإن الدم يحتوي على كمية كبيرة من حمض البولييك، وهو مادة سامة تضر بالصحة لو استعملت كغذاء.<sup>(٤)</sup>

## ٨. ومن مظاهر الرحمة في حفظ النفس في هذه الآية:

ما ذكره ﷺ من تحريم لحم الخنزير؛ وبين أنه نجس في قوله تعالى:

= هونوفر لارسن أستاذ البكتيريا في مستشفى غيس هوسبيتال - المستشفى الرسمي - أكبر مستشفيات كوبنهاغن، موقع الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة.

<sup>(١)</sup> مجلة البحوث الإسلامية: العدد: ٧١، ص: ٣٦٣.

<sup>(٢)</sup> رواه الإمام أحمد في مسنده، ٩٧/٢، ح: ٥٧٢٣)، وقال شعيب الأرنؤوط: حسن.

<sup>(٣)</sup> ينظر: تفسير ابن عاشور ١١٧/٢.

<sup>(٤)</sup> ينظر: موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة المطهرة ص: ٥٩.

٩. ومن مظاهر الرحمة في حفظ النفس في هذه الآية:

ما ذكره ﷺ من تحريم ما ذبح لغير الله، كالذى يذبح للأصنام والأوثان  
من الأحجار والقبور ونحوها<sup>(٣)</sup>؛ حماية للتوحيد؛ إذ أنه من أعمال الوثنية،

(١) من أبحاث المؤتمر العالمي العاشر للإعجاز العلمي في القرآن والسنة بتركيا ٢٠١١هـ - ٤٢٢هـ، أ. د/ حنفي محمود مدبولي، موقع الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، وينظر: موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة المطهرة ص: ٦٤٨.

(٢) ينظر: تفسير ابن عاشور ١١٨/٢ .

(٣) ينظر: تفسير ابن عاشور ١١٩/٢ .

ولأن ما ذبح على هذه الصفة قد اكتسب خبثاً أوجب تحريمه، فهو ملحق بالنجاسة المادية والقدارة الحقيقة.<sup>(١)</sup>

#### ١٠. ومن مظاهر الرحمة في حفظ النفس في هذه الآية:

ما أمر الله ﷺ به من الأكل منه مما هو محرم في الأصل، وهي **«الميّتةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَكَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ»**<sup>(٢)</sup>; فأباحها ﷺ عند الضرورة، والاحتياج إليها عند فقد غيرها من الأطعمة، فقال تعالى: **«فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ»** أي: غير قاطع للسبيل، أو مفارق للأنمة، أو خارج في معصية الله؛ فله الرخصة، ومن خرج باغيًا أو عاديًا أو في معصية الله فلا رخصة له، وإن اضطر إليه.<sup>(٣)</sup>

#### ١١. ومن مظاهر الرحمة في حفظ النفس في هذه الآية:

قوله تعالى: **«فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ»** أي: لا جناح عليه، وإذا ارتفع الإثم رجع الأمر إلى ما كان عليه، والإنسان بهذه الحالة مأمور بالأكل، بل منهي أن يلقي بيده إلى التهلكة، وأن يقتل نفسه؛ فيجب إذاً عليه الأكل، ويأثم إن ترك الأكل حتى يموت؛ فيكون قاتلاً لنفسه.<sup>(٤)</sup>

#### ١٢. ومن مظاهر الرحمة في حفظ النفس في هذه الآية:

ما جاء في ختام الآية الكريمة بهذين الاسميين الكريمين المناسبين غاية المناسبة فقال: **«إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ»** وذلك لما يلي:

أولاً: لما كان الحل مشروطاً بعدم البغي وعدم الاعتداء، وكان الإنسان في هذه الحالة، ربما لا يستقصي تمام الاستقصاء في تحقيقها

(١) ينظر: تفسير في ظلال القرآن / ١٥٧.

(٢) ينظر: تفسير الطبرى / ٣٥.

(٣) ينظر: تفسير الطبرى / ٣٥، وتفسير ابن كثير / ٤٨٢.

(٤) ينظر: تفسير السعدي ص: ٨١، ومقاصد الشريعة لليوبى ص: ٢٣٣.

أَخْبَرَ اللَّهُ أَنَّهُ غَفُورٌ؛ فَيَغْفِرُ مَا أَخْطَأَ فِيهِ فِي هَذِهِ الْحَالِ، خَصَوصًا

وَقَدْ غَلَبَتِ الضرورةُ، وَأَذْهَبَتِ حَوَاسِهِ الْمَشَقَةَ. <sup>(١)</sup>

ثَانِيًّا: لَعَلَّ الْمُضطَرِ يُزِيدُ عَلَى تَنَاهُ الْحَاجَةِ، فَهُوَ **غَفُورٌ** بِأَنَّ يَغْفِرُ ذَنْبَهُ فِي تَنَاهُ الْزِيَادَةِ، رَحِيمٌ حَيْثُ أَبَاحَ فِي تَنَاهُ قَدْرِ الْحَاجَةِ.

ثَالِثًا: أَنَّ هَذِهِ الْإِبَاحَةِ وَالْتَوْسِعَةِ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ **بِعِبَادِهِ**، فَغَفُورٌ لِلْعَصَمَةِ إِذَا تَابُوا، رَحِيمٌ بِالْمُطَيِّعِينَ الْمُسْتَمِرِينَ عَلَى نَجْحِ حُكْمِهِ **بِاللَّهِ**. <sup>(٢)</sup>

### ١٣. ومن مظاهر الرحمة في حفظ النفس:

ما أوجبه اللَّهُ **بِاللَّهِ** مِنَ الْقَصَاصِ فِي الْقَتْلِ الْعَمَدِ، وَالْدِيَةِ وَالْكُفَّارِ فِي الْقَتْلِ خَطَأً؛ فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُثُبَرَ عَلَيْكُمُ الْقَصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحَرُثُ بِالْحَرُثِ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَإِنَّمَا يُعَذَّبُ بِمَا مَرَأَ وَأَدَاءَ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَعْتَدَ لِبَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ **١٧٦** وَلَكُمْ فِي الْعَصَاصِ حَيَاةٌ يَتَأْوِلُ إِلَيْهِ لَعَلَّكُمْ تَسْقُونَ **١٧٦**﴾ [البقرة].

### ١٤. ومن مظاهر الرحمة في حفظ النفس في هذه الآية:

ما جاء في قول الله تعالى: **الْحَرُثُ بِالْحَرُثِ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى** وجملة الحكم فيه أنه إذا تكافأ الدمان من الأحرار المسلمين، أو العبيد من المسلمين، أو الأحرار من المعاهدين، أو العبيد منهم؛ قتل من كل صنف منهم الذكر إذا قتل بالذكر وبالأنثى، وتقتل الأنثى إذا قتلت بالأنثى وبالذكر<sup>(٣)</sup>، قال ابن قدامة: "هذا قول عامة أهل العلم: منهم النخعي، والشعبي، والزهري، وعمر بن عبد العزيز، ومالك، وأهل المدينة،

(١) ينظر: تفسير السعدي ص: ٨١.

(٢) ينظر: تفسير الرازبي ١٩٤/٥.

(٣) ينظر: تفسير البغوي ١٨٩/١.

والشافعي، وإسحاق، وأصحاب الرأي، وغيرهم<sup>(١)</sup>.

#### ١٥. ومن مظاهر الرحمة في حفظ النفس في هذه الآية:

خروج الأبوين وإن علوا من عموم هذا، فلا يقتلان بالولد، لورود السنة بذلك؛ فعن ابن عباس رض أنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «لَا يُقْتَلُ بِالوَالِدِ الْوَالِدُ»<sup>(٢)</sup>، مع أن في قوله: الْقَصَاصُ ما يدل على أنه ليس من العدل، أن يقتل الوالد بولده، ولأن في قلب الوالد من الشفقة والرحمة ما يمنعه من القتل لولده إلا بسبب اختلال في عقله، أو أذية شديدة جداً من الولد له<sup>(٣)</sup>.

#### ١٦. ومن مظاهر الرحمة في حفظ النفس في هذه الآية:

أن الذمي والكافر خرجا من عموم الآية بالسنة، فلا يقاد المسلم بالذمي ولا بالكافر<sup>(٤)</sup>؛ فعن أبي جحيفة قال: سألت عليا رض: هل عندكم شيء مما ليس في القرآن؟ فقال: والذى فلق الحبة وبرأ النسمة ما عندنا إلا ما في القرآن، إلا فهما يعطى رجل في كتابه، وما في الصحيح، قلت: وما في الصحيح؟ فقال: العقل، وفكاك الأسير، وأن لا يقتل مسلم بكافر<sup>(٥)</sup>، ولأن الآية في خطاب المؤمنين خاصة، وأيضاً فليس من العدل أن يقتل ولی الله بعده، ويقاد الذمي بالمسلم.<sup>(٦)</sup>

#### ١٧. ومن مظاهر الرحمة في حفظ النفس في هذه الآية:

أن العبد يقاد بالعبد، ذكرًا كان أو أنثى، تساوت قيمتهما أو اختلفت،

(١) ينظر: المغني ٣٦٣/١٨.

(٢) رواه ابن ماجه في سنته، كتاب: الديات، باب: باب لَا يُقْتَلُ وَالدُّ بِوَلَدِهِ، ٢/٨٨٨، ح: ٢٦٦١، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجة ٢/١٠١، ح: ٢٦٥١.

(٣) ينظر: تفسير البغوي ٩/١٨٩، وتفسير السعدي ص: ٨٤.

(٤) ينظر: فيض القدير للمناوي ٦/٥٨٦.

(٥) رواه البخاري في صحيحه، كتاب: الديات، باب: لَا يُقْتَلُ الْمُسْلِمُ بِالْكَافِرِ، ٩/١٦، ح: ٦٩١٥.

(٦) ينظر: تفسير البغوي ١/١٨٩، وتفسير السعدي ص: ٨٤.

ودللت الآية بمفهومها على أن الحر لا يقتل بالعبد لكونه غير مساو له، ويقاد العبد بالحر.<sup>(١)</sup>

#### ١٨. ومن مظاهر الرحمة في حفظ النفس في هذه الآية:

ما جاء في قول الله تعالى: ﴿ذَلِكَ تَحْفِيفٌ مِّنْ رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ﴾؛ فتحفيضه ﴿تَحْفِيفٌ﴾ لنا مما أثقل على غيرنا بتحريم ذلك عليهم ورحمة منه ﴿رَحْمَةٌ﴾ لنا<sup>(٢)</sup>، عن قتادة رض قال: ”إنما هي رحمة رحم الله بها هذه الأمة أطعهم الدية، وأحلها لهم، ولم تحل لأحد قبلهم، فكان أهل التوراة إنما هو القصاص أو العفو، وليس بينهم أرش، وكان أهل الإنجيل إنما هو عفو أمروا به، فجعل الله لهذه الأمة القود، والعفو، والدية إن شاءوا، أحلها لهم ولم تكن لأمة قبلهم“<sup>(٣)</sup>.

#### ١٩. ومن مظاهر الرحمة في حفظ النفس في هذه الآية:

جواز أخذ مال بسببها، وأنه ليس من المال الذي يؤخذ من غير وجهه<sup>(٤)</sup>.

#### ٢٠. ومن مظاهر الرحمة في حفظ النفس في هذه الآية:

ما جاء في قول الله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولَئِكَ الْأَلَبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقَوْنَ﴾؛ فهذا من الكلام البليغ الوجيز، ومعناه: أن القصاص إذا أقيمت وتحقق الحكم فيه ازدجر من يريد قتل آخر، مخافة أن يقتضي منه فحييا بذلك معا؛ فتحقق بذلك الدماء، وتترقى به الأشقياء؛ لأن من عرف أنه مقتول إذا قتل، لا يكاد يصدر منه القتل، وإذا رأى القاتل مقتولاً انذر بذلك غيره وانزجر، فلو كانت عقوبة القاتل غير القتل لم يحصل انكفار

(١) ينظر: تفسير البغوي /١٨٩، وتفسير السعدي ص: ٨٤، والمغني لابن قدامة /١٨٢٤.

(٢) ينظر: تفسير الطبرى /٣، ١١٣، ٩٣، وتفسير ابن كثير /٤٩١، والأم للشافعى /٦.

(٣) ينظر: تفسير الطبرى /٣، ١١٣، ٩٣، وتفسير ابن كثير /٤٩١، والأم للشافعى /٦.

(٤) ينظر: تفسير البحر المحيط /٢، ١٤٢، والأم للشافعى /٧.

الشر، الذي يحصل بالقتل؛ فمشروعية القصاص مصلحة عامة، وإبقاء القاتل والعفو عنه مصلحة خاصة به؛ فتقديم المصلحة العامة لتعذر الجمع بينهما<sup>(١)</sup>، وهكذا سائر الحدود الشرعية، فيها من النكارة والانزجار، ما يدل على حكمة الحكيم الغفار، وكانت العرب إذا قتل الرجل الآخر حمي قبلاً لهم وتقاتلوا، وكان ذلك داعياً إلى قتل العدد الكبير، فلما شرع الله القصاص قفع الكل به وتركوا الاقتتال؛ فلهم في ذلك حياة<sup>(٢)</sup>؛ ولذا نكر الله ﷺ لفظ حَيَاةٌ لِإفادة التعظيم والتکثير<sup>(٣)</sup>.

## ٢١. ومن مظاهر الرحمة في حفظ النفس في هذه الآية:

ما جاء في آخرها في قوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ وذلك أن من عرف ربه، وعرف ما في دينه وشرعه من الأسرار العظيمة والحكم البدعة والآيات الرفيعة؛ أوجب له ذلك أن ينقاد لأمر الله، ويعظم معاصيه فيتركها؛ فيستحق بذلك أن يكون من المتقين، وفي ذلك حث على الابتعاد عن القتل وأسبابه.<sup>(٤)</sup>

## ٢٢. ومن مظاهر الرحمة في حفظ النفس:

ما جاء في النهي عن الإلقاء باليد إلى التهلكة كما قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا يَأْيِدِيكُمْ إِلَى التَّهْلِكَةِ﴾ [آل عمران: ١٩٥]؛ فهذه الآية وإن نزلت في النفقة كما جاء عن حدائق الله<sup>(٥)</sup>، إلا أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب؛ فكل ما صدق عليه أنه تهلكة في الدين أو الدنيا، وكل ما كان سبباً موصلاً إلى

(١) ينظر: تفسير البحر المحيط/ ١٥٣/٢، ومقدمة الشرعية للبيبي ص: ٢٢٠.

(٢) ينظر: تفسير القرطبي/ ٢٥٦/٢.

(٣) ينظر: تفسير ابن عاشور/ ١٤٣/٢.

(٤) ينظر: تفسير السعدي ص: ٨٤، ومقدمة الشرعية للبيبي ص: ٢١٦.

(٥) رواه البخاري في صحيحه، كتاب: التفسير، باب: قوله: ﴿وَأَنْفَقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا يَأْيِدِيكُمْ إِلَى التَّهْلِكَةِ وَلَا خِسْوَانِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ /٦، ح: ٤٥٦.

تلف النفس أو الروح؛ فهو داخل في هذا<sup>(١)</sup>؛ ولذا يجب على العبد فعل المكره عليه مثل ما إذا أكره على شرب الخمر، أو أكل الخنزير، أو أكل الميتة؛ فيجب عليه الأكل؛ وذلك لأن صون الروح عن الفوات واجب، ولا سبيل إليه في هذه الصورة إلا بهذا الأكل، وليس في هذا الأكل ضرر على حيوان، ولا فيه إهانة لحق الله تعالى؛ فوجب عليه أن يفعل ذلك لقوله تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْمَانِكُمْ إِلَى الْتَّهْلِكَةِ﴾<sup>(٢)</sup>، كما يجب عليه ترك ما فيه تغريب نفسه في مقاتلة، أو سفر مخوف، أو محل مسبعة أو حيات، أو يصعد شجرًا أو بنيناً خطراً، أو يدخل تحت شيء فيه خطر ونحو ذلك؛ فمن فعل هذا ونحوه كان من ألقى بيده إلى التهلكة.<sup>(٣)</sup>

## ٢٣. ومن مظاهر الرحمة في حفظ النفس:

ما جاء في الأمر برعاية اليتامي والإحسان إليهم بشتى صور الإحسان لينشأوا تنمية اجتماعية مثل؛ تعينهم على اجتياز مهنة اليتيم، والخروج للمجتمع كأفراد فاعلين، لا يحقدون علىبني جنسهم، ولا يسلكوا سبيل الانحراف أو العزلة، قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيشَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَمَّ وَالْمَسْكِينَ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنَا وَأَقِمُوا الصَّلَاةَ وَإِذَا وَأَتُوا الْزَكَوَةَ ثُمَّ تَوَلَّتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ﴾ [٨٢] [البقرة]، وقال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ حَيْرٍ فِلَوْلَدَيْنِ وَالْأَقْرَبَيْنِ وَالْيَتَمَّ وَالْمَسْكِينَ وَابْنِ السَّكِيلِ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ﴾ [١٥] [البقرة]؛ فأمر الله بالعطاف على اليتامي ورحمتهم والرأفة بهم، وحضر على كفالتهم وحفظ مالهم، وكل

(١) ينظر: تفسير الشوكاني ٢٥٦/١.

(٢) ينظر: تفسير الرازبي ٢٧٥/٢٠، وينظر: تفسير أضواء البيان ٦٥/١، ومقاصد الشريعة للبيوي ص: ٢٣١.

(٣) ينظر: تفسير السعدي ص: ٩٠.

إحسان قولي وفعلي، ونهى عن الإساءة إليهم، أو عدم الإحسان والإساءة؛ لأن الواجب الإحسان، والأمر بالشيء نهي عن ضده.<sup>(١)</sup>

ومن الآيات العظيمة التي اشتملت على جمل عظيمة، وقواعد عميقة، وعقيدة مستقيمة، قوله تعالى: ﴿لَيْسَ الِّرَّأْنَ تُولُواْ بُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلِكُنَّ الِّرَّأْنَ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّنَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ، ذَوِي الْقُرْبَىِ وَالْيَتَمَّ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الْصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكُوَةَ وَالْمُؤْمِنُونَ يَعْهِدُهُمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُنَّقُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٧] .

#### ٢٤. فمن مظاهر الرحمة في حفظ النفس في هذه الآية الكريمة:

أن الله ﷺ أوصى العباد، وفرض عليهم في أموالهم الإحسان إلى اليتامي الذين فقدوا أباءهم قبل البلوغ، ولا كاسب لهم، وليس لهم قوة يستغون بها، فهم مظنة الضعف بفقدتهم ما كان ينالهم من والدهم من رفاهية العيش، وانقطعت بهم الحيلة من كل الوجوه؛ فإيتاؤهم المال يجبر صدع حياتهم؛ ليصيروا كمن لم يفقد والده، وأن الجزاء من جنس العمل؛ فمن رحم يتيم غيره رُحْمٌ يتيمه، وهذا من رحمته ﷺ بالعباد، الدالة على أنه ﷺ أرحم بهم من الوالد بولده.<sup>(٢)</sup>

#### ٢٥. ومن مظاهر الرحمة في حفظ النفس:

ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَمَّ قُلْ إِصْلَاحُهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تَخَاطُطُهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسَدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتُكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [آل عمران: ٢٢٠]؛ فاطف الله ﷺ وإحسانه وتوسيعه على المؤمنين

(١) ينظر: تفسير الطبرى /٢، ١٩٢ /٢، وتفسير القرطبي /٢، ١٤ /٢، وتفسير السعدي ص: ٥٧.

(٢) ينظر: تفسير الرازى /٥، ٢١٦ /٥، وتفسير ابن كثير /١، ٤٨٥ /٤، وتفسير السعدي ص: ٨٣، وتفسير ابن عاشور /٢، ١٣٠ /٢.

في مخالطة اليتامي، وإنما فلو شاء الله لشق علينا بعدم الرخصة بذلك وأحرجنا<sup>(١)</sup>، قال ابن قدامة: ”ومتي كان خلط مال اليتيم أرفق به، وألين في الخبر، وأمكن في حصول الأدم، فهو أولى“<sup>(٢)</sup>.

## ٢٦. ومن مظاهر الرحمة في حفظ النفس في الآية الكريمة:

ما جاء في قوله تعالى: ﴿فَلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ﴾؛ فكلمة: ﴿إِصْلَاحٌ﴾ تعني أنه ينبغي على الناس اتباع ما هو أصلح لهم في جميع الشؤون، سواء كان ذلك في التربية أو في المال، وسواء كان ذلك بالإيجاب أم السلب؛ فائيء يكون إصلاحاً لهم فهو خير، ومحنة المفضل عليه للعموم<sup>(٣)</sup>.

## ٢٧. ومن مظاهر الرحمة في حفظ النفس في الآية الكريمة:

أن النظر في مصالح الأيتام من أهم مقاصد الشريعة في حفظ النظام.<sup>(٤)</sup>

## ٢٨. ومن مظاهر الرحمة في حفظ النفس:

أن أفعال الله ﷺ وأحكامه تابعة لحكمته، فلا يخلق شيئاً عبثاً، بل لا بد له من حكمة، عرفناها أم لم نعرفها، وكذلك لم يشرع لعباده شيئاً مجرداً عن الحكمة، فلا يأمر إلا بما فيه مصلحة خالصة أو راجحة، ولا ينهى إلا عمما فيه مفسدة خالصة أو راجحة؛ لتمام حكمته ورحمته<sup>(٥)</sup>.



(١) ينظر: تفسير السعدي ص: ٩٩.

(٢) ينظر: المغني ٤٤٦/٨.

(٣) ينظر: تفسير ابن عثيمين ٥٥/٥.

(٤) ينظر: تفسير ابن عاشور ٣٣٦/٢.

(٥) ينظر: تفسير السعدي ص: ٩٩.

### المطلب الثالث

## مظاهر الرحمة في حفظ العقل من خلال سورة البقرة

ميز الله ﷺ بنى آدم بالعقل، والعقل: المنع، ومنه عقال البعير؛ لأنَّه يمنع عن الحركة، ومنه العقل للدية، لأنَّه يمنع ولِي المقتول عن قتل الجاني، ومنه اعتقال البطن واللسان، ومنه يقال للحسن: عقل، والعقل: نقىض الجهل<sup>(١)</sup>، والعقل يعقل به ما ينفع من الخير، وينعقل به عما يضر من الشر<sup>(٢)</sup>، والعقل نوعان: عقل هو مناط التكليف، وهو إدراك الأشياء وفهمها؛ وهو الذي يتكلم عليه الفقهاء في العبادات والمعاملات وغيرها، عقل الرشد، وهو أن يحسن الإنسان التصرف؛ وسمى إحسان التصرف عقلاً؛ لأنَّ الإنسان عَقْل تصرفه فيما ينفعه<sup>(٣)</sup>.

وأوجب الله ﷺ حفظ العقل من كل ما يسيء إليه ويعطل الانتفاع به سواءً في أمور الدين أو أمور الدنيا.<sup>(٤)</sup>

### ١. فمن مظاهر الرحمة في حفظ العقل:

ما أوجب الله ﷺ من منع تقليد الآباء في الباطل؛ إذ بذلك يتحرر

(١) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن للأصفهاني ص: ٥٧٨، وتقسيير القرطبي ٣٦٩/١.

(٢) ينظر: تفسير السعدي ص: ٥١.

(٣) ينظر: تفسير ابن عثيمين ١٠٩/٣.

(٤) مقاصد الشريعة الليبي ص: ٢٣٥.

العقل حرية حقيقة كاملة، ويقوم بعملية التثبت والتبين قبل الإقدام أو الاعتقاد والتصديق، كما حرم كل مسكر، وعاقب من يتناوله.

## ٢. ومن مظاهر الرحمة في حفظ العقل بما يضره في أمور الدين:

ما ذكره الله ﷺ عن نهيبني إسرائيل من أمر الناس بالبر ونسيان أنفسهم عن فعله في قوله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْإِلْحَانِ وَتَنْسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَنْتَلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٢٣] فالاستفهام في قوله تعالى: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ للتوبیخ، فالله ﷺ يوبخبني إسرائيل على قبح ما أتوا من المعاصي مع نهيهم الناس عن اقترافها، فالعقل يحث صاحبه أن يكون أول فاعل لما يأمر به، وأول تارك لما ينهى عنه، فمن أمر غيره بالخير ولم يفعله، أو نهاه عن الشر فلم يتركه، دل على عدم عقله وجهله، خصوصاً إذا كان عالماً بذلك، قد قامت عليه الحجة، وهذه الآية وإن كانت نزلت في سبببني إسرائيل فهي عامة لكل أحد.<sup>(١)</sup>

## ٣. ومن مظاهر الرحمة في حفظ العقل:

ما جاء في الحض على الاعتبار في قول الله تعالى: ﴿فَقُلْنَا أَضْرِبُوهُ بِعَصِّيَّا كَذَلِكَ يُحِيِّي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَرُبِّكُمْ إِيمَانِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٢٣] فهذا خطاب من الله ﷺ لعباده المؤمنين، واحتجاج منه ﷺ على المشركين المكذبين بالبعث، وأمرهم بالاعتبار بما كان منه جل شاؤه من إحياء قتيلبني إسرائيل بعد مماته في الدنيا، والمعنى: أيها المكذبون بالبعث بعد الممات، اعتبروا بإحيائي هذا القتيل بعد مماته، فإني كما أحivته في الدنيا فكذلك أحivi الموتى بعد مماتهم، فأبعثهم يوم البعث وأريكم أيها الكافرون المكذبون بمحمد ﷺ وبما جاء به من عند الله من أعلامه وحججه الدالة على نبوته، لتعقلوا وتفهموا أنه محق صادق فتومنوا به وتتبعوه.<sup>(٢)</sup>

(١) ينظر: تفسير الطبرى ٦١٦/١، وتفسير السعدي ص: ٥١.

(٢) ينظر: تفسير الطبرى ٢/١٢٨، وتفسير ابن عطية ١/١٠١، وتفسير البيضاوى ١/٣٤٤ =

#### ٤. ومن مظاهر الرحمة في حفظ العقل:

ما وجه الله تعالى إليه من علم النظر والتفكير في عجائب الصنع، ليعلم أنه لا بد له من فاعل لا يشبهه شيء<sup>(١)</sup>؛ فقال عليه السلام: «إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَآخْتِلَافِ الْأَيَّلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَأَيَّتِ لِقَوْمٍ يَعْقُلُونَ» [البقرة: ٢٩]؛ فكلما تدبر العاقل في هذه المخلوقات، وتغفل فكره في بدائع المبدعات، وازداد تأمله للصنعة وما أودع فيها من لطائف البر والحكمة، علم بذلك أنها خلقت للحق وبالحق، وأنها صحائف آيات، وكتب دلالات، على ما أخبر به الله تعالى عن نفسه ووحدانيته، وما أخبرت به الرسل عليهم السلام من اليوم الآخر، وأنها مسخرات، ليس لها تدبير ولا استعصاء على مدبرها ومصرفها، وأن العالم العلوي والسفلي كلهم إلى الله مفتقرون، وإليه صامدون، وأنه الغني بالذات عن جميع المخلوقات، فلا إله إلا الله، ولا رب سواه<sup>(٢)</sup>.

#### ٥. ومن مظاهر الرحمة في حفظ العقل:

العقل لما ضربه الله تعالى مثلاً محسوساً للكافر في قلة فهمه عن الله ما يتلى عليه من كتابه، وسوء قبوله لما يدعى إليه من توحيد الله، فمثله مثل البهيمة التي تسمع الصوت إذا نعم بها ولا تعقل ما يقال لها<sup>(٣)</sup>؛ فما هم فيه من الغي والضلال والجهل كالدوااب السارحة التي لا تفقه ما يقال لها، بل إذا نعم بها راعيها، فدعها إلى ما يرشدها، لا تفقه ما يقول ولا تفهمه،

= وتفسیر ابن کثیر ١/٣٠٣، وتفسیر أضواء البيان ١/٣٨.

(١) ينظر: تفسير القرطبي ٢/١٩٠.

(٢) ينظر: تفسير السعدي ص: ٧٨.

(٣) ينظر: تفسير الطبری ٢/٤٤، ومقاصد الشريعة لليوبی ص: ٢٤٣.

بل إنما تسمع صوته فقط<sup>(١)</sup>، وقوله: «صُمْ بِكُمْ عُمَىٰ» أي: صُمْ عن سماع الحق، بُكُمْ لا يتفوهون به، عُمَىٰ عن رؤية طريقه ومسلكه «فَهُمْ لَا يَعْقُلُونَ» أي: لا يعقلون شيئاً ولا يفهمونه<sup>(٢)</sup>؛ فهل يستريب العاقل، أن من دعى إلى الرشاد، وذيد عن الفساد، ونهي عن اقتراف العذاب، وأمر بما فيه صلاحه وفلاحة وفوزه ونعمته؛ فعصى الناصح، وتولى عن أمر ربه، واقتصر النار على بصيرة، واتبع الباطل، ونبذ الحق، أن هذا ليس له مسكة من عقل، وأنه لو اتصف بالمكر والخداعة والدهاء، فإنه من أسفه السفهاء<sup>(٣)</sup>، وفي هذا أجل رحمة، وأعظم دعوة في إعمال العقل لقبول الحق وإتباعه، ونبذ الباطل والابتعاد عنه ولو كان العامل به أقرب قريب وأعز عزيز.

## ٦. ومن مظاهر الرحمة في حفظ العقل:

ما جاء في التفكير للمقارنة بين مضار الخمر والميسر ومنافعهما لاجتثابهما، وبيان مقدار ما يتصدق به المرء، والتفكير في الدنيا وسرعة انقضائهما وفي الآخرة وبقاءها، فكل هذا البيان للأحكام وما اشتتملت عليه من أسرار إنما هي من رحمة الله تعالى: «يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرٌ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوُ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَتِ لَعَلَّكُمْ تَنْفَكِرُونَ ﴿٢١٩﴾ في الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ» [البقرة: ٢١٩-٢٢٠]؛ فهذه دعوة من الله تعالى لعباده للتفكير وإعمال العقل للمقارنة بين مضار الخمر والميسر ومنافعهما لاجتثابهما؛ حتى يحفظ العقل ويحفظ المال، فتصلح الدنيا والآخرة، فقوله تعالى: «قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ» بيان لكبر الإثم على المنافع؛ فإثمهما في الدين، وأما المنافع فدنيوية؛ من حيث إن فيها نفع

(١) ينظر: تفسير ابن كثير / ٤٨٠ .

(٢) ينظر: تفسير ابن كثير / ٤٨٠ .

(٣) ينظر: تفسير السعدي ص: ٨١ .

البدن، وتهضيم الطعام، وإخراج الفضلات، وتشحذ بعض الأذهان، ولذة الشدّة المطرية التي فيها، وبيعها والانتفاع بثمنها، وما كان ينتفع بعضهم من الميسر فينفقه على نفسه أو عياله، ولكن هذه المصالح لا توازي مضرّته ومفسدته الراجحة لتعلقها بالعقل والدين.<sup>(١)</sup>

#### ٧. ومن مظاهر الرحمة في حفظ العقل في الآية الكريمة:

أن الله ﷺ بين الحكم مع بيان علته حتى تتلقاه الأمة بطيب نفس، وحتى يلحوظوا به نظائره، ومن مظاهر الرحمة في حفظ العقل بيان لقاعدة الإنفاق بما لا يشدّ عن أحد من المنافقين<sup>(٢)</sup>.

#### ٨. ومن مظاهر الرحمة في حفظ العقل في الآية الكريمة:

تعليق البيان؛ فاللام في **﴿لَكُم﴾** للتعليق، وهو امتنان وتشريف بهذه الفضيلة؛ لإشعاره بأن البيان على هذا الأسلوب مما اختصت به هذه الأمة؛ ليتلقو التكاليف على بصيرة، بمنزلة الموعظة التي تلقى إلى كامل العقل موضحة بالعواقب؛ لأن الله أراد لهذه الأمة أن يكون علماؤها مشرعين<sup>(٣)</sup>.

#### ٩. ومن مظاهر الرحمة في حفظ العقل في الآية الكريمة:

أن الله ﷺ لما بينَ هذا البيان الشافي، وأطلع العباد على أسرار شرعيه قال: **﴿عَلَّمْتُمْ تَنفِكُونَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ﴾**<sup>(٤)</sup> أي: ليحصل للأمة تفك وعلم في أمور الدنيا وأمور الآخرة؛ لأن التفك مظروف **﴿فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ﴾**، فتقدير المضاف لازم بقرينة قوله: **﴿وَالآخِرَةِ﴾**، إذ لا معنى لوقوع التفك يوم القيمة، فلو اقتصر على بيان الحظر والوجوب، والثواب والعقاب؛ لكان

(١) ينظر: تفسير ابن كثير ٤٧٩/١.

(٢) ينظر: تفسير ابن عاشور ٢٣٤/٢.

(٣) ينظر: تفسير ابن عاشور ٢٣٤/٢.

بياناً للتفكير في أمور الآخرة خاصة، ولو اقتصر على بيان المنافع والمضار،  
بأن قيل: قل فيهما نفع وضر؛ لكن بياناً للتفكير في أمور الدنيا خاصة،  
ولكن ذكر المصالح والمفاسد، والثواب والعقاب؛ تذكيراً بمصلحتي الدارين،  
وفي هذا تتويه بشأن إصلاح أمور الأمة في الدنيا والآخرة<sup>(١)</sup>.

## ١٠. ومن مظاهر الرحمة في حفظ العقل في الآية الكريمة:

الأمر بالتفكير في الدنيا وسرعة انقضائها، فلا ير肯 إليها، والتفكير  
في الآخرة وبقائها، وأنها دار الجزاء فيستعد لها وتعمر<sup>(٢)</sup>.

## ١١. ومن مظاهر الرحمة في حفظ العقل:

ما جاء من تحريم نكاح المشركين والشركات لما في نكاحهما من ضرر  
عظيم على الزوج المسلم وذرته؛ لأنهم يدعون إلى العمل بما يدخل النار  
من الكفر بالله ورسوله، ولا يألفون المسلمين خبلاً، والله ﷺ يدعو إلى  
الجنة بإعلامه سبيله وطريقه الذي به الوصول إلى الجنة والمغفرة، قال  
الله تعالى: ﴿وَلَا تُنَكِّحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنْ لَأَمَّةٌ مُّؤْمِنَةٌ حَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَاتِهِنَّ وَلَوْ أَعْجَبْتُكُمْ وَلَا تُنَكِّحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ حَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبْكُمْ أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيَبْيَنُ إِيمَانَهُ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [البقرة]: فالله ﷺ يوضح حججه وأداته في  
كتابه الذي أنزله على لسان رسوله ﷺ لعباده ليتذكروا فيعتبروا، ويميزوا  
بين الأمرين اللذين أحدهما دعاء إلى النار والخلود فيها، والآخر دعاء إلى  
الجنة وغفران الذنوب، فيختاروا خيرهما لهم، ولم يجهل التمييز بينها  
إلا ضعيف الرأي والعقل.<sup>(٣)</sup>

(١) ينظر: تفسير ابن عطية /٢٤٥، وتفسير السعدي ص: ٩٨، وتفسير ابن عاشور ٢/٣٣٤، وتفسير ابن عثيمين ٥/٥٤.

(٢) ينظر: تفسير ابن كثير /١٥٨٠، وتفسير السعدي ص: ٩٨.

(٣) ينظر: تفسير الطبرى /٣٧١٩، ومقاصد الشريعة ص: ٢٣٦.

## ١٢. ومن مظاهر الرحمة في حفظ العقل في الآية الكريمة:

أن الله ﷺ يظهر آياته ويكشفها بحيث لا يحصل فيها التباس على أحد من الناس؛ فالآية متى كانت جلية واضحة، كانت بصدق أن يحصل بها التذكر، فيحصل الامتنال لما دلت عليه تلك الآيات، ولما ركز في العقول من ميل للخير ومخالفة للهوى<sup>(١)</sup>.

## ١٣. ومن مظاهر الرحمة في حفظ العقل:

ما جاء في الثناء عليه حيث جعله الله غاية لأمر محمود وهو تبيين الآيات؛ والمراد عقل الرشد السالم من الشبهات والشهوات والإرادات السيئة<sup>(٢)</sup>؛ فقال الله تعالى: ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَيْتَهُ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٢٢٥]؛ فالله ﷺ يبيّن الأحكام العظيمة المشتملة على الحكمة والرحمة، ويمتن بها على العباد لما فيها من تبيين الحدود، والحلال والحرام، والمنافع العظيمة الدنيوية والأخروية؛ لعل العباد يعقلونها فيعرفونها ويعرفون المقصود منها؛ فإن من عرف ذلك أوجب له العمل بها، وكم عقله وانصرف عقله إليها فتدبرها، وفهم ما أريد منها<sup>(٣)</sup>.

## ١٤. ومن مظاهر الرحمة في حفظ العقل:

ما جاء في أن المعتبر والمتفهم للأمثال والمعاني، والمنزل لها على المراد منها إنما هم العاملون بالله ﷺ ومراده؛ فلذا عملوا بأمره واجتبوا نهيه، فمن كان له أدنى مسكة من عقل لم يقدم على ما فيه مضرته ونهاية حسرته، ولكن ضعف الإيمان والعقل، وقلة البصيرة، يصير صاحبه إلى حالة لو صدرت من مجنون لا يعقل لكان ذلك عظيماً وخطره جسيماً؛ فلهذا أمر ﷺ

(١) ينظر: تفسير البحر المحيط /٤٢١/٢، وتفسير البيضاوي /٥٠٨/١.

(٢) ينظر: تفسير ابن عثيمين /٥١٥/٥.

(٣) ينظر: تفسير ابن كثير /٦٦٠/١، وتفسير الألوسي /٥٥٢/١، وتفسير السعدي ص: ١٠٦.

بالتذكر وحث عليه؛ فقال الله تعالى: ﴿أَيُّوْدَ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا نَهْرٌ لَهُ، فِيهَا مِنْ كُلِّ الشَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ، ذُرِّيَّةٌ ضُعْفَاءٌ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ [البقرة] <sup>(١)</sup>.

## ١٥. ومن مظاهر الرحمة في حفظ العقل:

ما جاء في بيان الحكمه وتخصيص أولوا الألباب بالذكر والتفهم لأوامر الله ﷺ؛ فقال تعالى: ﴿يُوْقِنِ الْحِكْمَةُ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُوْقِنِ الْحِكْمَةُ فَقَدْ أُوْتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَكَّرُ إِلَّا أُولَئِكُمُ الْأَلْيَبُ﴾ [البقرة]، وفي معنى الحكمه أقوال؛ فقال السدي رضي الله عنه: هي النبوة، وقال ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة والضحاك ومجاهد رحمهم الله: القرآن والفهم فيه، وقال ابن أبي نجيح رضي الله عنه: الإصابة في القول والفعل، وقال إبراهيم النخعي رضي الله عنه: معرفة معاني الأشياء وفهمها<sup>(٢)</sup>، وكل هذه الأقوال صحيحة، فالحكمة مأخوذة من الحكم وفصل القضاء، والإصابة بما دل على صحته الدليل؛ لأن الإصابة في الأمور إنما تكون عن فهم بها وعلم ومعرفة وخشية لله وفقه، والنبوة من أقسامها؛ لأن الأنبياء مسددون، وموافقون لإصابة الصواب؛ فالله ﷺ يؤتي العلم النافع والعمل الصالح ومعرفة أسرار الشرائع وحكمها وإصابة الصواب في القول والفعل من يشاء من من علية وآتاه الحكمة<sup>(٣)</sup>؛ فمن مظاهر الرحمة في حفظ العقل إن من أعطى الحكمه والقرآن فقد أعطى أفضل ما أعطى من جمع علم كتب الأولين من الصحف وغيرها<sup>(٤)</sup>، وأي خير أعظم من خير فيه سعادة الدارين والنجاة من شقاوتهما ! فكمال العبد

(١) ينظر: تفسير الطبرى /٤٦٩٢، وتفسير ابن كثير /١٦٩٦، وتفسير السعدي ص: ١١٤.

(٢) ينظر: تفسير البغوى /١٣٤٠.

(٣) ينظر: تفسير الطبرى /٥١٢، وتفسير السعدي ص: ١١٥.

(٤) ينظر: تفسير القرطبي /٣٣٠.

متوقف على الحكمة، إذ كماله بتكميل قوته العلمية والعملية؛ فتكميل قوته العلمية بمعرفة الحق ومعرفة المقصود به، وتكميل قوته العملية بالعمل بالخير وترك الشر؛ وبذلك يتمكن من الإصابة بالقول والعمل، وتنزيل الأمور منهاها في نفسه وفي غيره، وبدون ذلك لا يمكنه ذلك<sup>(١)</sup>.

## ١٦. ومن مظاهر الرحمة في حفظ العقل في الآية الكريمة:

بيان أنه ما يتعظ بما وعظ به الله في أي كتابه، فيذكر وعده ووعيده فيها، فينذر عما زجره عنه ربه، ويطيعه فيما أمره به، إلا أولو العقول الذين عقلوا عن الله ﷺ أمره ونهيه، فأخبر جل ثاؤه أن الموعظ غير نافعة إلا لأولي الحجا والأحلام، وأن الذكرى غير ناهية إلا لأهل النهى والعقول؛ وفي هذا بيان فضيلة العقل<sup>(٢)</sup>.

## ١٧. ومن مظاهر الرحمة في حفظ العقل:

ذم المعرضين عن التذكر وبيان نقص عقولهم؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَا يَدْكُرُ إِلَّا أُولَأُلَئِكَ﴾؛ فإن الحكم إذا علق بوصف ازداد قوة بقوه ذلك الوصف، ونقص بنقص ذلك الوصف<sup>(٣)</sup>.



(١) ينظر: تفسير السعدي ص: ١١٥.

(٢) ينظر: تفسير الطبراني ١٢٥، وتفسير ابن كثير ٧٠١/١، وتفسير ابن عثيمين ٢٨٠/٥.

(٣) ينظر: تفسير ابن عثيمين ٥/٢٨٠.

## المطلب الرابع مظاهر الرحمة في حفظ النسل من خلال سورة البقرة

نسل: قال ابن فارس: ”النون والسين واللام أصلٌ صحيح يدلُّ على سَلٌّ شيءٍ وانسلاه، والنَّسْلُ: الولد؛ لأنَّه يُنْسَلُ من والدته، وتتَّسَلُوا: ولد بعضهم من بعض“<sup>(١)</sup>، قال السرخسي: ”ولده جزء منه فينفق عليه من ماله حفظاً لنسله“<sup>(٢)</sup>، وحفظ النسل ضروري، لأنَّه يتربَّ على فقده انقطاع الوجود الإنساني وإنهاوه وخراب العالم وفساده<sup>(٣)</sup>، قال الشاطبي: ”ولو عدم النسل لم يكن في العادة بقاء“<sup>(٤)</sup>.

وتستمد الأحكام التفصيلية للمحافظة على النسل وإعداده للاستخلاف من الشريعة الإسلامية، وإن كانت طرق رعاية الأولاد وتربيتهم قد جبل عليها الإنسان بفطرته؛ إلا أن الشارع الحكيم أسس قواعد وحدد ضوابط تقوم عليها الرعاية في كل زمان ومكان، تماشياً مع الفطرة، وتصحِّحاً للطبايع القبيحة؛ فعن عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍ قال: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ :

”كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْؤُلٌ؛ فَالإِمَامُ رَاعٌ وَهُوَ مَسْؤُلٌ، وَالرَّجُلُ رَاعٌ عَلَى أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْؤُلٌ، وَالمرأةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ زَوْجِهَا وَهِيَ مَسْؤُلَةٌ، وَالْعَبْدُ رَاعٌ عَلَى مَالِ سَيِّدِهِ وَهُوَ مَسْؤُلٌ، أَلَا فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْؤُلٌ“<sup>(٥)</sup>.

(١) ينظر: معجم مقاييس اللغة / ٥ / ٤٢٠.

(٢) ينظر: الميسوط للسرخسي / ١٣ / ٩٤.

(٣) ينظر: مقاصد الشريعة للليبي ص: ٢٥٤.

(٤) ينظر: المواقف للشاطبي ب: ٢٢ / ٢.

(٥) رواه البخاري في صحيحه، كتاب: النكاح، باب: **﴿فَوَأْفَسَكُوا وَهَلَكُوا نَارًا﴾** [التحرير: ٦، ٧، ٣٤، ح: ٥١٨٨].

وهذه الضوابط لا يمكنها أن تؤدي دورها في غياب المحضن الأسري الذي يجمع أفراد العائلة الواحدة؛ الذين جمعهم عقد زواج شرعي بين الأب والأم، وتحقق المقصود الأصلي بالتسلسل؛ فالنسل هو خلف الزواج، وبوجود الأسرة وتعدد الأفراد فيها، تتعدد وظيفة كل فرد في هذه الأسرة، حقوقاً وواجبات، بما يحقق التكامل الذي يتکفل بالنسل رعاية وتنشئة؛ فرعاية النسل، والحفاظ عليه حتى يبلغ أشدّه ويقوم بأداء واجبه تجاه خالقه وأمته، لا يتحقق إلا داخل المحيط الأسري؛ لأن الأسرة هي الكفيلة بتهيئة المناخ الذي يحقق مصالح النسل في حفظه ورعايته وتربيته وتنشئته، ومن ثمة تتحدد للأسرة وظائفها، الأمر الذي بيّنته نصوص الشريعة، وبإيجاد النسل يكتمل البناء الأسري، وهكذا تتعدد وظائف الأسرة بين إنجاب الأولاد الشرعيين، ثم رعايتهم منذ الولادة والعناية برضاعتهم وحضانتهم، وتتحدد أسس الرأفة والحنو برضاعة الوليد وحضانته في السنوات الأولى من الميلاد إلى الصبا، ورعايته وتربيته في السنوات التالية التي ينشأ فيها ويتربع<sup>(١)</sup>، وجاء بيان أحكام الرضيع في قول الله تعالى: ﴿وَالْوَلَدَاتُ يُرْضِعُنَّ أُولَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتَمَّ الرَّضَاةُ وَعَلَى الْمُؤْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلُّ نَفْسٌ إِلَّا وُسِعَهَا لَا تُضَارَّ وَالْمَوْلَدُ لَهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فَصَالًا عَنْ تَرَاضِ مِنْهُمَا وَتَشَوُرٍ فَلَا جَنَاحَ عَلَيْهِمَا وَلَنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أُولَادَكُمْ فَلَا جَنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَمْتُمْ مَا أَئْتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [آل عمران: ٣٢]، مدللاً على مظاهر الرحمة في حفظ النسل.

**١. فقول الله تعالى: ﴿وَالْوَلَدَاتُ﴾ أي: المطلقات اللائي لهن أولاد في سن الرضاعة، دليل التخصيص أن الخلاف في مدة الإرضاع لا**

= ومسلم في صحيحه، كتاب: الإمارة، باب: فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائز والحدث على الرفق بالرغبة والنهي عن إدخال المشقة عليهم، ٦/٧، ح: ٤٨٢٨.

ينظر: حفظ النسل من خلال التنشئة والرعاية، د. فريدة صادق زوزو، موقع بحوث ودراسات.

يقع بين الأب والأم إلا بعد الفراق، ولا يقع في حالة العصمة؛ إذ من العادة المعروفة عند العرب ومعظم الأمم أن الأمهات يرضعن أولادهن في مدة العصمة، وأنهن لا تتمتع منه من تمتّع إلا لسبب طلب التزوج بزوج جديد، بعد فراق والد الرضيع؛ فإن المرأة المرضع لا يرغب الأزواج فيها؛ لأنها تشتعل برضيعها عن زوجها في أحوال كثيرة<sup>(١)</sup>؛ فهذا خبر من الله ﷺ وهو بمعنى الأمر تزيلاً له منزلة المتقرر، الذي لا يحتاج إلى أمر بأن ﴿رِضِيَنَ أُولَادَهُنَ حَوْلَيْنَ كَامِلَيْنَ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتَمَّ الرَّضَاْعَةَ﴾<sup>(٢)</sup>، وإنما عبر عن الأمر بالخبر للمبالغة، ومعناه الندب، أو الوجوب في شخص في حال الزوجية، وإذا عدم الأب لاختصاصها به، وإذا لم يرتكب الصبي إلا من أمه، أو لم يوجد له ظئر، أو عجز الوالد عن الاستئجار<sup>(٣)</sup>؛ فهذا من مظاهر الرحمة في حفظ النسل.

## ٢. ومن مظاهر الرحمة في حفظ النسل:

أن في هذا إرشاد من الله ﷺ للوالدات أن يرضعن أولادهن كمال الرضاعة؛ وهي سنتان<sup>(٤)</sup>، وهو قول ابن مسعود وابن عباس وابن عمر رضي الله عنهما، وقول عطاء والثوري رحمهما الله<sup>(٥)</sup>.

## ٣. ومن مظاهر الرحمة في حفظ النسل:

أن الحولين أو النقصان منهما إنما يكون عند عدم الإضرار بالمولود وعند رضا الوالدين.<sup>(٦)</sup>

(١) ينظر: تفسير ابن عاشور ٤٠٩/٢.

(٢) ينظر: تفسير السعدي ص: ١٠٤.

(٣) ينظر: أحكام القرآن لابن العربي ٤٠٢/١، وتفسير البيضاوي ٥٢٤/١، وحاشية الدسوقي ٢٥٥/١٨، بدأة المجتهد ٥٦/٢، والمغنى لابن قدامة ٣٨٢/١٠.

(٤) ينظر: تفسير ابن كثير ٦٣٣/١، والأم للشافعي ٢٦٥/٥، والمنقى شرح الموطأ للباجي ٢٦٥/٣.

(٥) تفسير الطبراني ٢٠٧/٤، والمغنى لابن قدامة ١٨/٢١٦، ٨٢/٢١٦.

(٦) ينظر: تفسير القرطبي ١٦٢/٣، والأم للشافعي ٥/٢٨، وفتح القدير للكمال بن الهمام ٧/٣٩٦.

#### ٤. ومن مظاهر الرحمة في حفظ النسل:

بيان أن رحمة الله ﷺ أعظم من رحمة الأم بولدها؛ إذ أمرها أن ترضع طفليها، مع أن فطرتها، وما جبت عليه تستلزم الإرضاع.<sup>(١)</sup>

وفي قول الله تعالى: «وَعَلَى الْمُؤْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكَسُوتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ» <sup>٢</sup> أن على والد الطفل نفقة الوالدات وكسوتهن بما جرت به عادة أمثالهن في بلد़هن من غير إسراف ولا إقتار، بحسب قدرته في يساره وتوسطه وإقتاره، قال الضحاك: إذا طلقَ الرجل زوجته وله منها ولد، فأرضعت له ولده وجب على الوالد نفقتها وكسوتها بالمعروف<sup>(٣)</sup>; ففي هذه التوصية من الله ﷺ للأب برعاية جانب الأم حتى تكون قادرة على رعاية مصلحة الطفل<sup>(٤)</sup> من مظاهر الرحمة في حفظ النسل.

#### ٥. ومن مظاهر الرحمة في حفظ النسل:

في قوله تعالى: «لَا تُضَارَّ وَلِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ» <sup>٥</sup> فلا تدفعه عنها لتضر أباه بتربيتها، وليس لها دفعه إذا ولدته حتى تسقيه اللب الذي لا يعيش بدون تناوله غالباً، ثم بعد هذا لها رفعه عنها إذا شاءت، ولكن إن كانت مضارة لأبيه فلا يحل لها ذلك، كما لا يحل له انتزاعه منها لمجرد الضرار لها؛ ولهذا قال: «وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ» أي: بأن يريد أن ينتزع الولد منها إضراراً بها، قاله مجاهد وقتادة والضحاك والزهرى والسدى والثوري وابن زيد وغيرهم رحمهم الله.<sup>(٦)</sup>

#### ٦. ومن مظاهر الرحمة في حفظ النسل:

أن الله ﷺ وصى الورثة بالرضيع في قوله تعالى: «وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلِ

(١) ينظر: تفسير ابن عثيمين ١١٥/٥.

(٢) ينظر: تفسير ابن كثير ١/٢٣٤، والموسوعة الفقهية الكويتية ٤١/٧٨.

(٣) ينظر: تفسير الرازى ٦/٤٦١.

(٤) ينظر: تفسير ابن كثير ١/٢٣٤، وينظر: الغرر البهية للأنصارى ٤/٤٠٠.

﴿ذلِكَ﴾ قيل: في عدم الضرار لقريبه قاله مجاهد والشعبي والضحاك، وقيل: عليه مثل ما على والد الطفل من الإنفاق على والدة الطفل والقيام بحقوقها وعدم الإضرار بها<sup>(١)</sup>، قال ابن قدامة في قوله تعالى ”﴿وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ﴾“ فأوجب على الأب نفقة الرضاع، ثم عطف الوارث عليه، فأوجب على الوارث مثل ما أوجب على الوالد<sup>(٢)</sup>.

## ٧. ومن مظاهر الرحمة في حفظ النسل:

في قوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاءُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾ أنه إذا اتفقا والدا الطفل على فطامه قبل الحولين، ورأيا في ذلك مصلحة له، وتشاورا في ذلك، وأجمعوا عليه: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾ في ذلك، وأن انفراد أحدهما بذلك دون الآخر فيؤخذ منه، ولا يجوز لواحد منها أن يستبدل بذلك من غير مشاورة الآخر قاله الثوري وغيره، وهذا فيه احتياط للطفل، وإلزام للنظر في أمره، وهو من رحمة الله بعباده، حيث حجر على الوالدين في تربية طفليهما وأرشدهما إلى ما يصلحه ويصلاحهما.<sup>(٣)</sup>



(١) ينظر: تفسير ابن كثير ٦٣٥/١.

(٢) ينظر: المغني لابن قدامة ١٧٣/١٨.

(٣) ينظر: تفسير ابن كثير ٦٣٥/١، والميسوط للسرخسي ٣٧٥/٦، والمغني لابن قدامة ٢١٦/١٨.

## المطلب الخامس مظاهر الرحمة في حفظ المال من خلال سورة البقرة

لا تستقيم الحياة إلا بالمال فهو عصبها، وقد جبل الإنسان على حبه للمال قال الله تعالى: ﴿وَءَاقَ الْمَالَ عَلَىٰ حُمَّيْدٍ﴾ [البقرة: ١٧٧]، يعني وأعطي ماله وأخرجه في حين محبته إياه وضنه به وشحه عليه<sup>(١)</sup>.

### ١. فمن مظاهر الرحمة في حفظ المال:

أن الله ﷺ ملك العباد إياه، ونسبة إليهم، وأباح التملك الفردي قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِإِيمَانٍ وَأَنَّهَا رِزْقٌ مِّنْ رَّبِّهِمْ فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ إِنَّ رَبَّهُمْ وَلَا حَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَعْزَزُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٩]، وقال تعالى: ﴿وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُسُ أَمْوَالِكُمْ﴾ [البقرة: ٢٧٩].

### ٢. ومن مظاهر الرحمة في حفظ المال:

أن الله ﷺ ملكهم إياه بالطرق المشروعة كتحصيله عن طريق الوصية التي كانت فريضة في ابتداء الإسلام للوالدين والأقربين على من مات وله مال<sup>(٢)</sup>؛ فقدر الله ﷺ للوالدين الورثين وغيرهما من الأقارب الوارثين هذا المعروف في آيات المواريث، بعد أن كان مجملًا وبقي الحكم فيمن

(١) ينظر: تفسير الطبراني ٧٨/٣، وتفسير ابن كثير ٤٨٦/١.

(٢) ينظر تفسير البغوي ١٩٢/١.

لم يرثوا من الوالدين الممنوعين من الإرث وغيرهما ممن حجب بشخص أو وصف، فإن الإنسان مأمور بالوصية لهم وهم أحق الناس ببره، قال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتَ إِنْ تَرَكَ خِزِيرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدِينِ وَالْأَقْرَبَيْنَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُنَفِّيَنَ﴾ [البقرة: ١٨٠].<sup>(١)</sup>

### ٣. ومن مظاهر الرحمة في حفظ المال:

أن الله ﷺ ملك العبد المال عن طريق بذل الجهد البدني أو الفكري أو البيع والشراء؛ وذلك لما فيه من عموم المصالحة، وشدة الحاجة، وحصول الضرر بحريمه، قال الله تعالى: ﴿وَأَحَلَ اللَّهُ الْبَيْعَ﴾ [البقرة: ٢٧٥]، وهذا أصل في حل جميع أنواع التصرفات الكسبية حتى يرد ما يدل على المنع.<sup>(٢)</sup>

### ٤. ومن مظاهر الرحمة في حفظ المال:

أن الله ﷺ حث على كسب المنافع الأخروية؛ فلا ينصرف هم العبد للمنافع الدنيوية فقط، وقرب ﷺ للناس فضل الإنفاق في سبيله بما يفهمونه والله هو الغني الحميد، فشبه ﷺ عطاء المؤمن في الدنيا بما يرجو ثوابه في الآخرة بالقرض<sup>(٣)</sup>؛ فقال الله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَعِّفُهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْطِئُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة: ٤٤٥]، وبدئت الآية بالاستفهام للحث والتشويق للبذل والعطاء في سبيل الله<sup>(٤)</sup>، ولم يبين ﷺ هنا قدر هذه الأضعاف الكثيرة، ولكنه بينه ﷺ في قوله: ﴿مَثُلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلَ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُبْلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَعِّفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلَيْهِمْ﴾ [البقرة: ٤٥٦]<sup>(٥)</sup>؛ ففي الآية بيان شرف النفقة في سبيل الله وحسنها،

(١) ينظر: تفسير السعدي ص: ٨٠.

(٢) ينظر: تفسير السعدي ص: ١١٦، وينظر: مقاصد الشريعة لليبوبي ص: ٢٨٣.

(٣) ينظر: تفسير القرطبي ٣/٢٤٠، وتفسير البحر المحيط ٢/٥٦٥، وتفسير الشوكاني ١/٣٥٣.

(٤) ينظر: تفسير ابن عاشور ٤٥٩/٢، وتفسير ابن عثيمين ٥/١٥٧.

(٥) تفسير أضواء البيان ١/١٥٣.

وضمنها التحريض على ذلك بالمثل المضروب، وهو أبلغ في النفوس من ذكر عدد السبعمائة؛ فإن هذا فيه إشارة إلى أن الأعمال الصالحة ينميها الله ﷺ لأصحابها كما ينمي الزرع من بذره في الأرض الطيبة.<sup>(١)</sup>

## ٥. ومن مظاهر الرحمة في حفظ المال:

أن الله ﷺ جعل الزكاة نماء للمال وبركة، وبسببها يحصل الأجر للمزكي، وتظهر نفسه من حب المال<sup>(٢)</sup>، وأماراة على صدق الإيمان؛ إذ قال لبني إسرائيل: «وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكُوْةَ وَأَزْكُوْا مَعَ الزَّكِيْنَ» <sup>(٣)</sup> [البقرة: ٤٣]، وبين تبارك وتعالى أن مما أمر به بنو إسرائيل من الأوامر، وأخذ الميثاق عليهم فيه بإيتاء الزكاة، قال تعالى: «وَإِذَا أَخْذَنَا مِثْقَلَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهُ وَبِإِلَوَالِدِينِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَفُؤُلُوا لِلنَّاسِ حُسْنَاتِكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكُوْةَ ثُمَّ تَوَلَّتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعَرِّضُونَ» <sup>(٤)</sup> [البقرة: ٨٣]، وتحث ﷺ المؤمنين على الاستغفال بما ينفعهم وتعود عليهم عاقبتهم يوم القيمة، من إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وفعل كل القراءات، ووعدهم أنهم مهما فعلوا من خير؛ فإنه لا يضيع عند الله، بل يجدونه عنده وافرا موفرًا قد حفظه قال تعالى: «وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكُوْةَ وَمَا نَعَمِمُ لِأَنَّفْسَكُمْ مَنْ خَيْرٍ تَحْدُوْهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ» <sup>(٥)</sup> [البقرة: ١١٠]

## ٦. ومن مظاهر الرحمة في حفظ المال:

أن الله ﷺ أمر بالإإنفاق في سبيله في سائر وجوه القراءات، ووجوه الطاعات، وخاصة صرف الأموال في قتال الأعداء؛ إذ في ذلك من

(١) ينظر: تفسير القرطبي ٣٠٣/٣، وتفسير ابن كثير ١/٦٩١.

(٢) ينظر: تفسير البغوي ٨٨/٨، وتفسير القرطبي ١/٣٤٣.

(٣) ينظر: تفسير ابن عاشور ٤٥٧/١.

(٤) ينظر: تفسير ابن كثير ١/٣١٦.

(٥) ينظر: تفسير ابن كثير ١/٢٨٣، وتفسير السعدي ص: ٦٢.

المصالح العظيمة، من الإعانة على تقوية المسلمين، وعلى توهيه الشرك وأهله، وعلى إقامة دين الله وإعزازه؛ فالجهاد في سبيل الله لا يقوم إلا على ساق النفقة؛ فالنفقة له كالروح، لا يمكن وجوده بدونها، وفي ترك الإنفاق في سبيل الله، إبطال للجهاد، وتسليط للأعداء، وشدة تکالبهم، وأخبر ﷺ أن من ترك فعل ذلك ولزمه واعتاده أدى بنفسه للهلاك والدمار؛ فقال تعالى: ﴿وَأَنْفَقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُرُّ إِلَى الْهَنْكَةِ وَأَخْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [١٩٥] [البقرة].<sup>(١)</sup>

#### ٧. ومن مظاهر الرحمة في حفظ المال:

أن الله ﷺ بين المصارف التي يجعل فيها الإنفاق، ومن مظاهر الرحمة في حفظ المال أن الله ﷺ بين مقدار ما ينفق العبد، فمهما أنفق من خير قل أو كثر؛ فإن الله ﷺ يعلم كنهه ويوفي ثوابه؛ فقال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا آفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلَّهِ الْدِيْنُ وَالْأَقْرَبُينَ وَالْيَتَمَّ وَالْمَسْكِينَ وَابْنِ الْسَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فِيَنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ [٢١٥] [البقرة].<sup>(٢)</sup>

#### ٨. ومن مظاهر الرحمة في حفظ المال:

أن الله ﷺ حرم العداوة على المال وأخذه بالباطل وبغير وجه حق قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَطْلِ وَتُدْلُوْبِهَا إِلَى الْحُكَمَاءِ إِنَّكُلُوا فِرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [١٨٦] [البقرة]؛ فالخطاب بهذه الآية يتضمن جميع أمة محمد ﷺ، والمعنى: لا يأكل بعضكم مال بعض بغير حق؛ فيدخل في هذا: القمار والخداع والغصب والنهب والرشوة والخيانة، وما لا تطيب به نفس مالكه، أو حرمته الشريعة وإن طابت به نفس مالكه؛ كمهر البغي وحلوان الكاهن وثمن الخمور والخنازير،

(١) ينظر: تفسير ابن كثير /١٥٣٠، وتفسير السعدي ص: ٩٠.

(٢) ينظر: تفسير البيضاوي /١٤٩٩، وتفسير السعدي ص: ٩٦، وتفسير ابن عثيمين ٥/٣٦.

وغير ذلك من الملاهي والقيان والشرب والبطالة، وجحد الحقوق؛ كما لو حصل فيه النزاع، وحصل الارتفاع إلى حاكم الشرع، وأدلى من يريد أكلها بالباطل بحجة، غلت حجة الحق، وحكم له الحاكم بذلك؛ فإن حكم الحاكم لا يبيح محراً، ولا يحل حراماً، إنما يحكم على نحو مما يسمع، وإن فحقائق الأمور باقية؛ فليس في حكم الحاكم للمبطل راحة ولا شبهة؛ فمن أدلى إلى الحاكم بحجة باطلة وحكم له بذلك؛ فإنه لا يحل له، ويكون آكلاً مال غيره بالباطل والإثم، وهذا فيسائر الأموال.<sup>(١)</sup>

#### ٩. ومن مظاهر الرحمة في حفظ المال:

ما جاء في تحريم الميسر؛ قال الله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْتَفِعُ لِلنَّاسِ وَإِنَّمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوُ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ [آل عمران: ٢١٦] والميسري يطلق على سائر ضروب القمار؛ وهو كل كسب عن طريق المخاطرة والغالبة، وضابطه: أن يكون فيه بين غانم وغارم، والإجماع منعقد على تحريميه، قال علي وابن عباس رض وعطاء وابن سيرين والحسن وابن المسيب وقتادة وطاوس ومجاحد ومعاوية بن صالح رحمهم الله: كل شيء فيه قمار من نرد وشطرنج وغيره فهو ميسر؛ حتى لعب الصبيان بالكعب والجوز، إلا ما أبيح من الرهان في الخيول، والقرعة في إبراز الحقوق، وأصل المقصد من الميسر الربح واللهو المحروم، فالمนาفع في الميسر خاصة وعامة إنما هي دنيوية كلها، والإثم الذي فيه هو ما يوقعه من العداوة والبغضاء، ومن إضاعة الوقت، والاعتياض على الكسل والبطالة واللهو، والصد عن ذكر الله وعن الصلاة وعن التفقه في الدين، وترك التجارة ونحوها مما به قوام المدنية.<sup>(٢)</sup>

(١) ينظر: تفسير البغوي /١٠، وتفسير القرطبي /٢٣٨، وتفسير السعدي ص: ٨٨.

(٢) ينظر: تفسير البحر المحيط /٤٠٣، وتفسير ابن عاشور /٢٣١، وتفسير ابن عثيمين ٥٢/٥.

## ١٠. ومن مظاهر الرحمة في حفظ المال:

ما جاء في تحريم كسبه عن طريق الربا؛ فهو مختلف للأموال مهلك للناس، وفيه ظلم وسوء عاقبة، ويذهب برقة المال ويهلكه، وجاء بيان التحريم في صور شتى؛ فبين الله ﷺ أن أكل الربا لا يقوم من قبره يوم القيمة إلا كما يقوم الذي يتخطي الشيطان من المس بقوله: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الْرِبَاً لَا يَقُولُونَ إِلَّا كَمَا يَقُولُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الْرِبَا﴾ [آل عمران: ٢٧٥]، وصرح ﷺ بتحريم الربا بقوله: ﴿وَحَرَمَ الْرِبَا﴾ [آل عمران: ٢٧٥]، وبين ﷺ أنه محق بركته بقوله: ﴿يَمْحُقُ اللَّهُ الْرِبَا﴾ [آل عمران: ٢٧٦]، وبأن المتعامل بالربا محارب لله تعالى بقوله: ﴿يَتَأْيِهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَتَقُولُوا اللَّهُ وَذَرُوا مَا بَقَىٰ مِنَ الْرِبَاٰ إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ٢٧٨] فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوْا فَأَذْنُوْا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تُظْلِمُونَ وَلَا تُظْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٢٧٩] [١].

## ١١. ومن مظاهر حفظ المال:

ما جاء في الأمر بتوثيق الديون والإشهاد عليها قال الله تعالى: ﴿يَتَأْيِهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَائِنُوكُمْ بِدِينِكُمْ إِلَى أَجْكَلٍ مُّسْكَنٍ فَأَكْتُبُهُ وَلَيَكُتبَ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَمَهُ اللَّهُ فَلَيَكُتبَ وَلَيُمْلِلَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلَيَسْتَقِعَ اللَّهُ رَبُّهُ وَلَا يَبْخَسَ مِنْهُ شَيْئًا فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِعُ أَنْ يُمْلِلَ هُوَ فَلَيُمْلِلَ وَلَيُهُوَ بِالْعَدْلِ وَاسْتَهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رِجَلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأٌ كَانَ مِنَ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضْعِلَ إِحْدَاهُمَا فَتَذَكَّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءِ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا سَعُوا أَنْ تَكْنُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَى أَجْلِهِ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ

(١) ينظر: تفسير ابن عطية /٣٥٤، وتفسير البيضاوي /٥٧٥، وتفسير السعدي ص: ١١٦، وتفسير أضواء البيان /١٦٠.

لِلشَّهَدَةِ وَأَدْقَنَ أَلَا تَرْتَابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدْبِرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَا تَكْنُبُوهَا وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايعُتُمْ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ إِلَيْكُمْ وَأَتَقْوَا اللَّهَ وَيُعَلَّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ يُكَلِّ شَيْءٍ عَلَيْمٌ<sup>(١)</sup> وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَنْ مَقْبُوضَةً فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فَلَيُؤْدِيَ الَّذِي أَوْتُمْ أَمْتَنَهُ وَلَيُتَقَوَّلَ اللَّهُ رَبُّهُ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَدَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ ظَالِمٌ قَبِيلُهُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلَيْمٌ<sup>(٢)</sup> [البقرة].

## ١٢. فمن مظاهر الرحمة في حفظ المال في الآية الكريمة:

الأمر بتوثيق الديون بالكتابة؛ فهي أمر مفروض بالنص غير متrox للاختيار في حالة الدين إلى أجل **وَلَيُكْتُبَ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ**، قال القرطبي رحمه الله : ”لما أمر الله سبحانه وتعالى بالكتب والإشهاد وإخذ الرهان كان ذلك نصاً قاطعاً على مراعاة حفظ الأموال وتنميتها“.<sup>(٣)</sup>

## ١٣. ومن مظاهر الرحمة في حفظ المال في الآية الكريمة:

الأمر بتعيين شخص يقوم بكتابة الدين للاحتياط والحيدة المطلقة، وهذا الكاتب مأمور بأن يكتب بالعدل، فلا يميل مع أحد الطرفين، ولا ينقص أو يزيد في النصوص.<sup>(٤)</sup>

## ١٤. ومن مظاهر الرحمة في حفظ المال في الآية الكريمة:

الأمر بأن لا يمتنع الكاتب ما دام الضرر عنه منفي **وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلِمَهُ اللَّهُ فَلَيَكُتُبْ**؛ فهي وفاء لفضل الله عليه.<sup>(٥)</sup>

## ١٥. ومن مظاهر الرحمة في حفظ المال في الآية الكريمة:

أن المدين الذي عليه الحق هو الذي ي ملي على الكاتب اعترافه بالدين،

(١) ينظر: تفسير القرطبي ٤١٧/٣.

(٢) ينظر: أحكام القرآن للجصاصين ٢٠٨/٢، والموسوعة الفقهية الكويتية ١٤٣/١٤.

(٣) ينظر: تفسير السعدي ص: ١١٨.

ومقدار الدين، وشرطه وأجله؛ لكي لا يقع الغبن على المدين لو أملأ الدائن **﴿وَلِيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلَيُسْتَقِعَ اللَّهُ رَبُّهُ وَلَا يَبْخَسَ مِنْهُ شَيْئًا﴾**.<sup>(١)</sup>

#### ١٦. ومن مظاهر الرحمة في حفظ المال في الآية الكريمة:

أنه إذا كان المدين سفيهاً لا يحسن تدبير أموره أو ضعيفاً كالصغير وضعيف العقل، أو لا يستطيع أن يمل هو؛ إما لعي أو جهل أو آفة في لسانه، أو لأي سبب من الأسباب المختلفة الحسية أو العقلية، فليمللولي أمره القيم عليه **﴿فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِعُ أَنْ يُمْلِلَ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُهُ بِالْعَدْلِ﴾**.<sup>(٢)</sup>

#### ١٧. ومن مظاهر الرحمة في حفظ المال:

الشهادة، إذ لا بد من شاهدين على العقد **﴿مِنَ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاء﴾**.<sup>(٣)</sup>

#### ١٨. ومن مظاهر الرحمة في حفظ المال:

أنه قد لا يتيسر وجود شاهدين من الرجال؛ فيسر الله تشريع شهادة النساء؛ **﴿فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَأَمْرَأٌ كَانَا مِنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى﴾**، قال الكاساني رحمه الله: "الشهادة على الأموال، فالذكورة ليست فيها بشرط، والأنوثة ليست بمانعة بالإجماع، فتقبل فيها شهادة النساء مع الرجال".<sup>(٤)</sup>

#### ١٩. ومن مظاهر الرحمة في حفظ المال:

**﴿أَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ لِلشَّهادَةِ وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا﴾**.<sup>(٥)</sup>

(١) ينظر: الأم للشافعي ٢١٨/٢.

(٢) ينظر: الأم للشافعي ٢١٨/٢.

(٣) ينظر: الفتاوى الكبرى لابن تيمية ٥/٥٧٤.

(٤) ينظر: بدائع الصنائع للكاساني ١٤/٣٦٤.

(٥) ينظر: الأم للشافعي ٢/٩٢، والمبوسط للسرخسي ١٩/٢٩٩، والمغني لابن قدامة ٢٢/١٣٤.

## ٢٠. ومن مظاهر الرحمة في حفظ المال:

أن الشهادة على شيء مكتوب أقوم من الشهادة الشفوية التي تعتمد على الذاكرة وحدها، وشهادة رجلين أو رجل وامرأتين أقوم للشهادة، وأصح من شهادة الواحد، أو الواحد، والواحدة **﴿وَأَدْنَى الْأَنْتَرَابُوا﴾**.<sup>(١)</sup>

## ٢١. ومن مظاهر الرحمة في حفظ المال:

عدم المضارة بالكاتب أو الشهيد؛ ففيجب الله ﷺ لهم الحماية والرعاية ليتوازن الحق والواجب في أداء التكاليف العامة **﴿وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَأَتَّقُوا اللَّهَ وَيُعْلَمُ كُمْ اللَّهُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ كُلَّ شَيْءٍ عَلَيْهِ﴾**؛ فلا يقع ضرر على كاتب أو شهيد، بسبب أدائه لواجبه الذي فرضه الله عليه.<sup>(٢)</sup>

## ٢٢. ومن مظاهر الرحمة في حفظ المال:

حين يكون الدائن والمدين على سفر فلا يجدان كاتباً؛ فتيسيراً للتعامل، مع ضمان الوفاء، رخص الشارع في التعاقد الشفوي بلا كتابة مع تسليم رهن مقبوض للدائن ضامن للدين **﴿وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فِيهِنَّ مَقْبُوضَةً﴾**.<sup>(٣)</sup>



(١) ينظر: تفسير في ظلال القرآن /١٣٦.

(٢) ينظر: المغني لابن قدامة /٢٢، ١٢٤، والموسوعة الفقهية الكويتية /٢، ٣٤٠.

(٣) ينظر: تفسير في ظلال القرآن /١٣٥، ٣٣٥، والأم للشافعي /٣، ٨٨، والموسوعة الفقهية الكويتية

. ١١٤/٣٣

## الخاتمة

في نهاية هذا البحث الذي أرجو من الله تعالى أن يتقبله مني أذكر أهم وأبرز ما توصلت إليه من نتائج وتوصيات:

### أولاً: النتائج:

١. بين البحث أهمية استشعار عظمة رحمة الله تعالى بعباده، وتناولها لجميع جوانب الحياة اليومية، للفرد والجماعة.
٢. بين البحث شيئاً من كيفية تناول القرآن الكريم لمظاهر رحمة الله تعالى؛ وذلك من خلال سورة البقرة، وربط الموضوع بالواقع من خلال حفظ الضرورات الخمس.
٣. يُعدّ البحث دراسة تطبيقية على سورة من سور القرآن الكريم، وهي دراسة تساعد الطالب وتفيده وتنمي لديه القدرة على كيفية دراسة مثل هذا الموضوع، واستخراج اللطائف والفوائد منه، وربطه بالواقع المعاصر.

### ثانياً: التوصيات:

١. إن الحاجة لتأصيل خلق الرحمة من خلال القرآن الكريم ملحة ولعل مما يعين على تأصيلها:

أ. ضرورة غرس وتعزيز ثقافة خلق الرحمة في المجتمع، عبر المناهج والمقررات الدراسية في المدارس والمعاهد والجامعات، ووسائل الإعلام والواقع الإلكتروني، والمؤسسات الاجتماعية ليصبح هذا الخلق عادة ومنهجاً تقبل عليه كل فئات المجتمع؛ لا سيما الأجيال الناشئة باعتباره مظهراً لالتزام الفرد بدينه وقيمه ومسؤولياته تجاه نفسه ومجتمعه.

ب. كتابة رسائل علمية في خلق الرحمة في حفظ الضرورات الخمس من خلال القرآن الكريم، يشترك فيه كل من اشتغل بالتفسير والفقه والأصول؛ بحيث يكون مشروعًا علميًّا يبرز عظمة هذا الخلق وشدة اهتمام الإسلام به.

ج. إنشاء مراكز وكراسي بحثية لدراسات القيم الإسلامية، وتنظيم الندوات العلمية، والدورات التدريبية التي تتناول هذه القيم.

د. إعداد خطة علمية لإعداد البحوث العلمية في شتى القيم الإسلامية بالتعاون مع الجامعات ومراكز البحث العلمي.

٢. الدفاع عن الإسلام؛ إذ كثري في الآونة الأخيرة جرائم الاعتداء عليه، وعلى ثوابته بشكل لم يعرف له مثيل من قبل، ووصفه بما لا يليق من أنه عدواني وهمجي، ولا يكون ذلك إلا بالدعوة إلى هذا الدين ومبادئه، وإظهار محاسنه بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



## فهرس المصادر والمراجع<sup>(١)</sup>

أولاً: الكتب العلمية:

١. القرآن الكريم
٢. ابن العربي، أبو بكر محمد بن عبد الله. أحكام القرآن، تحقيق: علي محمد البجاوي. بدون رقم طبعة؛ بيروت: دار المعرفة، بدون تاريخ طبع.
٣. ابن تيمية، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم الحراني. الفتاوى الكبرى. تحقيق: محمد عبد القادر عطا - مصطفى عبد القادر عطا، الطبعة الأولى؛ بيروت: دار الكتب العلمية، ٤٠٨هـ.
٤. ابن حنبل، الإمام أحمد بن محمد الشيباني. المسند، أشرف عليه ورقمه وأعد فهارسه: بدر الدين جتين أر. بدون رقم طبعة؛ تونس: دار سحنون، ١٤١٣هـ.
٥. ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر التونسي. التحرير والتوير، الطبعة الأولى؛ بيروت: مؤسسة التاريخ العربي، ١٤٢٠هـ.
٦. ابن فارس؛ أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا. معجم مقاييس اللغة. تحقيق: عبدالسلام محمد هارون. بدون رقم طبعة، بيروت: دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
٧. ابن قدامة، موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد. المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني. دون رقم طبعة؛ دون بلد طبع: دون دار طبع، دون سنة طبع.
٨. الأرنووط، شعيب. تحقيق مسند الإمام أحمد، تحقيق مجموعة من الأساتذة بإشراف الشيخ شعيب الأرنووط. الطبعة الأولى؛ بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٩هـ.

(١) رتب هذا الفهرس حسب الترتيب الهجائي لأنقاب المؤلفين.

٩. الأشقر، عمر بن سليمان بن عبد الله. أسماء الله الحسنى الهادية إلى الله والمعرفة به، الطبعة الثانية؛ الأردن: دار النفائس، ١٤٢٧هـ.

م٢٠٠٧

١٠. الأصفهاني، الراغب الأصفهاني. مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق: صفوان بن عدنان الداودي. الطبعة الثالثة؛ دمشق، بيروت: دار القلم، والدار الشامية، ١٤٢٣هـ.

١١. الآلوسي، محمود بن عبد الله الحسيني. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: على عبدالباري عطية. بدون رقم طبعة؛ بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ.

١٢. الأندلسي، أبو عبدالله محمد بن يوسف بن حيان. البحر المحيط، تحقيق: صدقى محمد جميل. الطبعة الأولى؛ بيروت: دار الفكر، ١٤٢٠هـ.

١٣. الأندلسي، أبو محمد عبد الحق بن عطية. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: السيد عبدالعال السيد إبراهيم. بدون رقم طبعة؛ بدون بلد نشر: بدون دار نشر، بدون سنة طبع.

١٤. البخاري، الإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل. الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، الطبعة الأولى؛ القاهرة: دار الشعب، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

١٥. البغوي، الحسين بن مسعود. معالم التنزيل، تحقيق: محمد عبد الله النمر وعثمان جمعة ضميرية وسليمان مسلم الحرش. الطبعة الرابعة؛ الرياض: دار طيبة، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

١٦. البيضاوى، عبدالله بن محمد الشيرازي. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق: عبدالقادر عرفات. بدون رقم طبعة؛ بيروت: دار الفكر، ١٤٢٥هـ.

١٧. الباقي، سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب. المتنقى شرح الموطأ.  
دون رقم طبعة؛ دون بلد طبع؛ دون دار طبع، دون سنة طبع.
١٨. البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي. الأسماء والصفات، تحقيق:  
عماد الدين أحمد حيدر. الطبعة الثانية؛ بيروت: دار الكتاب العربي،  
١٤٩٤هـ - ١٩٩٤م.
١٩. الجصاص، أحمد بن علي المكني بأبي بكر الرazi الجصاص الحنفي.  
أحكام القرآن، تحقيق: محمد الصادق قمحاوي، بدون رقم طبعة،  
بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٥هـ.
٢٠. الحاج أحمد، يوسف. موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم  
والسنة المطهرة. الطبعة الثانية؛ دمشق: دار ابن حجر، ١٤٢٤هـ.
٢١. الخازن، على بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن. لباب  
التأويل في معاني التزيل، ضبطه وصححه: عبدالسلام محمد  
علي شاهين. الطبعة الأولى؛ بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٥هـ.
٢٢. الدسوقي، محمد بن أحمد. حاشية الدسوقي على الشرح الكبير.  
دون رقم طبعة؛ دون بلد طبع؛ دون دار طبع، دون سنة طبع.
٢٣. الرazi، محمد بن عمر بن الحسين. التفسير الكبير، بدون رقم  
طبعة؛ بيروت: دار إحياء التراث العربي، بدون سنة طبع.
٢٤. الزركشي، محمد بن عبدالله بن بهادر. البرهان في علوم القرآن،  
تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. الطبعة الأولى؛ مصر: دار  
إحياء الكتب العربية، ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م.
٢٥. السرخيسي، محمد بن أحمد بن أبي سهل. المبسوط. دون رقم  
طبعة؛ دون بلد طبع؛ دون دار طبع، دون سنة طبع.
٢٦. السيوطي، عبد الرحمن بن الكمال. الإتقان في علوم القرآن، بدون  
رقم طبعة؛ بدون بلد نشر؛ بدون دار نشر، بدون سنة طبع.

٢٧. السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله. تفسير أسماء الله الحسنى، دراسة وتحقيق: عبيد بن علي العبيد. بدون رقم طبعة، المدينة المنورة: مجلة الجامعة الإسلامية، العدد ١١٢ - السنة ٣٣ - ١٤٢١هـ.
٢٨. السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. تحقيق: عبد الرحمن بن معاذ اللويفي. الطبعة الأولى؛ بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
٢٩. الشاطبى؛ إبراهيم بن موسى بن محمد. المواقفات. تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان
٣٠. الطبعة الأولى؛ بدون بلد نشر: دار ابن عفان، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م.
٣١. الشافعى، محمد بن إدريس أبو عبد الله. الأم. دون رقم طبعة؛ بيروت: دار المعرفة، دون سنة طبع.
٣٢. الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار الجكنى. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، مع تتمته للشيخ عطية محمد سالم. بدون رقم طبعة؛ بيروت: دار الفكر، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
٣٣. الشوكاني، محمد بن علي بن محمد. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدرایة من علم التفسير، بدون رقم طبعة؛ بيروت: دار الفكر، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م.
٣٤. الطبرى، أبو جعفر محمد بن جرير. جامع البيان عن تأويل آى القرآن، تحقيق: عبدالله بن عبد المحسن التركى بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هجر. الطبعة الأولى؛ الجizza: دار هجر، ١٤٢٢هـ.
٣٥. العينى، بدر الدين محمود بن احمد بن موسى الحنفى. عمدة القاري شرح صحيح البخارى، بدون رقم طبعة؛ بدون بلد نشر: بدون دار نشر، بدون سنة طبع.

٣٦. عبدالباقي، محمد فؤاد. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، بدون رقم طبعة؛ استانبول: المكتبة الإسلامية، ١٩٨٢م.
٣٧. العشيمين، محمد بن صالح بن محمد. تفسير القرآن، بدون رقم طبعة؛ بدون بلد نشر: بدون دار نشر، بدون سنة طبع.
٣٨. الغزالى، أبو حامد محمد بن محمد الغزالى الطوسي. المستصنفى في علم الأصول، تحقيق: محمد بن سليمان الأشقر. الطبعة الأولى؛ بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
٣٩. القرشى، أبو الفداء إسماعيل بن كثير. تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة. الطبعة الثانية؛ المدينة المنورة: دار طيبة، بدون سنة طبع.
٤٠. القرطبي، محمد بن أحمد. الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيفش. الطبعة الثانية؛ القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.
٤١. القرطبي، محمد بن أحمد بن محمد الشهير بابن رشد الحفيد. بداية المجتهد ونهاية المقتضى. الطبعة الرابعة؛ مصر: مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ١٣٩٥هـ.
٤٢. القزويني، الحافظ محمد بن يزيد. سنن ابن ماجه، تعليق: محمد فؤاد عبدالباقي، والأحاديث مذيلة بأحكام الألباني عليها. بدون رقم طبعة؛ بيروت: دار الفكر، بدون سنة طبع.
٤٣. قطب، سيد قطب إبراهيم. في ظلال القرآن، بدون رقم طبعة؛ القاهرة: دار الشروق، بدون سنة طبع.
٤٤. المناوى، زين الدين محمد المدعو بعبدالرؤوف بن تاج العارفين. فيض القدير شرح الجامع الصغير. الطبعة الأولى؛ بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

٤٥. القشيري، أبو الحسين مسلم بن الحاج. صحيح مسلم، وقف على طبعه وتحقيق نصوصه وتصحيح وترقيمه وعد كتبه وأبوابه وأحاديثه وعلق عليه: محمد فؤاد عبدالباقي، بدون رقم طبعة؛ بيروت: دار الجيل ودار الأفاق الجديدة، بدون سنة طبع.
٤٦. الكاساني، أبو بكر بن مسعود بن أحمد. بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع. دون رقم طبعة؛ بيروت: دار المعرفة، دون سنة طبع.
٤٧. وزارة: الأوقاف والشؤون الإسلامية. الموسوعة الفقهية الكويتية. الأجزاء ٢٣-١: الطبعة الثانية؛ الكويت: دار السلاسل. الأجزاء ٢٤-٢: الطبعة الأولى؛ مصر: مطباع دار الصفوة. الأجزاء ٤٥-٣٩: الطبعة الثانية؛ الكويت: طبع الوزارة، من ١٤٠٤ - ١٤٢٧ هـ.
٤٨. اليوبي، محمد سعد بن أحمد بن مسعود. مقاصد الشريعة الإسلامية وعلاقتها بالأدلة الشرعية. الطبعة الثانية؛ الرياض، المملكة العربية السعودية: دار الهجرة، ١٤٢٣ هـ.

**ثانياً: المجالات العلمية:**

١. مجلة البحوث الإسلامية. الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء. دون رقم طبعة؛ الرياض: بدون دار طبع، العدد: ٧١، من ذو القعدة إلى صفر لسنة ١٤٢٤ هـ.

**ثالثاً: الواقع الإلكترونية:**

١. موقع الهيئة العالمية لإنجاز العلمي في القرآن والسنة.  
٢. موقع بحوث ودراسات.





مظاهر الرحمة  
في مواقف النبي ﷺ  
من اجتهادات الصحابة الفقهية

إعداد:

حمد بن حسين بن صالح الجعدي

المؤتمر الدولي في الحكمة في الإسلام

The International Conference on Mercy in Islam  
قسم الدراسات الإسلامية - كلية التربية



٤٢٢

المؤتمر الدولي في الحكمة في الإسلام

## سقراط

بعث النبي ﷺ رحمة للعالمين، وعلى ذلك قامت شريعته بشقيها العلمي والعملي، فكانت نعمة ومنة من الله أتمها الله على هذه الأمة. وقد اكتملت أصول هذا الدين وأسسها ونصوصه في زمانه ﷺ، وتعلم أصحابه ﷺ منه منهج التعامل مع الأحداث والمستجدات وما يواجههم من أزمات في ضوء أصول هذا الدين ومقاصده، فكان ما حدث في زمن الصحابة من المستجدات وتعاملهم معها واجتهاز لهم في التوصل إلى الحكم فيها وتنوع فقههم في تناولها أنموذجاً استفاد منه الفقهاء المجتهدون الذين اتباعوهم بإحسان، فورثوا منهاجًا، وبنوا علمًا على هذا التنوع الفقهي الموروث عن أصحاب النبي ﷺ في الأصول والفروع، واتسعت حدة الرؤية للرحمة في ذلك باتساع دائرة الفقه الإسلامي واستيعابه لكل القضايا والمحدثات والمستجدات، ووجد من العلماء والخلفاء من يغتبط بهذا التعدد الفقهي والتنوع العلمي في تناول المسألة الواحدة من قبل أصحاب النبي ﷺ في التوسعة على من بعدهم والهداية لمناهج في التفكير في تناول القضايا الفقهية على أساس علمية مبنية على أصول الدين التي تربّوا عليها ووعوها جيداً في زمن نبيهم وإمامهم ﷺ، فكانوا النموذج الأمثل في حياة الأمة

لتطبيق الإسلام وتحقيق مقاصده لما ياشتهم منبهه ومصدره في شخص رسول الله ﷺ، واستفادتهم من توجيهاته وتسديداته، واجتهدن بين يديه وفي حياته وتزويدهم بالتجذية الراجعة في صحة الاجتهاد ومنهجه أو تعديله وتصويبه والتوجيه له الوجهة السليمة، وهو يُعدّهم في ذلك كله لتحمل مَد الرسالة المباركة من بعده، فلم يغادر الدنيا ﷺ إلا وقد قرّت عينه ﷺ بأنه سيترك من خلفه مَن هو أهل لحمل هذا الدين على أصوله إلى الآفاق، ويشهد لهذا اغتيابه ﷺ في مرض موته بتراث الصحابة في الصلاة خلف من رشحه لهم عندما يشغر مكانه أبو بكر الصديق ؓ، والقيام بهذا الواجب العظيم خلف هذا الإمام على أحسن حال<sup>(١)</sup>.

**تحمّل الصحابة ﷺ** تلك الأمانة وقد استفادوا من مدرسة النبوة العلم وفقه العمل والتطبيق، ووعوا الدرس جيداً، لما عاصروا من التنزيل والتأويل والبيان النبوي لمراد الله وتحقيق مقاصد هذا الدين العظيم، فتلك العصبة من الأمة صُنعت على عين الله فكانوا نبراساً يهتدى بهم ومقاييساً تفاص على أقوالهم الأقوال وعلى أفعالهم الأفعال. وكان من فضل تلك النخبة المصطفاة لصحبة نبيه ﷺ على الأمة أن حوادث وقعت منهم كانت بركة في سبب نزول آية أو توجيه نبوي كريم يتبع منه مراد الله، ويتبين منه منهج في هذا الدين القويم، ويترتب عليه حكم ينفع المسلمين، وكان أمثالهم لأمر رسول الله ﷺ فيما يأمرهم به، وانتهاؤهم بما ينهاهم عنه، سبباً في جعل أحكام هذا الدين سهلة ميسورة، فلم تُحمّل الصحابة أمة محمد ﷺ ما حمل أصحاب الرسل السابقين أممهم من التكاليف التي ترتب على كثرة أسئلتهم لأنبيائهم واختلافهم عليهم.

(١) روى البخاري في صحيحه عن أنس بن مالك ﷺ، أن المسلمين بينما هم في الفجر يوم الاثنين، وأبو بكر ؓ يصلّي بهم، ففجئهم النبي ﷺ قد كشف ستر حجرة عائشة ؓ فنظر إليهم وهم صافوف، فتبرّس يضحك، فنكح أبو بكر ؓ على عقبيه، وظن أن رسول الله ﷺ يريد أن يخرج إلى الصلاة، وهو المسلمون أن يفتتحوا في صلاتهم، فرحاً بالنبي ﷺ حين رأوه، فأشار بيده: أن أتموا، ثم دخل الحجرة، وأرخى الستر، وتوفي ذلك اليوم. صحيح البخاري، ٦٢، حديث رقم ١٢٥٥.

إن مما بدر من الصحابة وكان له أثر في فقه الأمة الاجتهد في تطبيق دين الله وتحقيق مراده ﷺ منهم، ومن هذا الاجتهد ما وقع في زمن النبي ﷺ، وقد جاءت حوادث وواقع تدل على حدوثه فعلًا، فضلاً عن إمكاناته، وهو على قسمين: منه ما كان في وجود النبي ﷺ وبعد إذنه، ومنه ما كان يحتاج إليه الصحابي لبعده عن النبي ﷺ حتى إذا عاد إلى النبي ﷺ أخبره بما وقع منه، فيقره أو يصح له، ومن رحمة الله بهذه الأمة في هذا الجانب أن تبين لهم حكم الله ابتداءً في تلك الواقع، بالإضافة إلى التأسيس لأصل الاجتهد في التوصل للحكم الشرعي ومشروعيته. وفي هذا البحث نتعرف على مظاهر الرحمة في مواقف النبي ﷺ من اجتهدات الصحابة ﷺ الفقهية في عهد النبوة.

### أهداف البحث:

يهدف البحث إلى:

١. بيان رحمة النبي ﷺ بأمته في أحكامه على اجتهدات أصحابه .
٢. إبراز جوانب اليسر والرفق في تعامل النبي ﷺ مع اجتهدات أصحابه ﷺ .
٣. بيان إمكانية وقوع الاجتهد من الصحابة في زمن النبي ﷺ .
٤. إبراز فقه الصحابة بأصول الشريعة ومقاصدها .

### منهج البحث:

أما منهج البحث فهو منهج مسحي وصفي، مادته العلمية اجتهدات الصحابة الفقهية في زمن النبي ﷺ، لإثبات أن موقف النبي ﷺ وحكمه على تلك الاجتهدات تتجلّى فيه الرحمة بالأمة، ولبيان ذلك يمتد وجهي

شطر كتب السنة والأثر استطعها المواقف التي حدث فيها أعمال اجتهادية من الصحابة في زمن النبي ﷺ فوجدت عدداً منها يفي ببيان المقصود بالبحث، فصنفتها في أربعة مستويات:

الأول: ما أقره النبي ﷺ مطلقاً.

الثاني: ما أقره النبي ﷺ ولكن بعض من وقع منهم الاجتهد أحظى بالقرب إلى سماحة الشريعة من الآخر مع تصويب الجميع.

الثالث: ما أقر النبي ﷺ اجتهاد قوم في مسألة وخطأ اجتهاد آخرين فيها.

الرابع: ما خطأ النبي ﷺ فيه الاجتهد مع بيان البديل الصحيح.  
ولم أتطرق لأقوال الفقهاء في هذه المسائل التي ذكرت، إذ أن مسألة البحث في هذه الاجتهادات ليس القصد منها بيان الحكم الشرعي بل المقصود بيان الرحمة وانسجام الاجتهد مع الحقيقة العامة التي قامت عليها هذه الشريعة وهي الرحمة والسعة واليسر، ووضع الأمور في مواضعها. وغالب الأحاديث التي ذكرتها مما ثبتت من صحيح السنة والأثر، وما كان منها ضعيفاً فإنني اعتمدت في إيراده على قول من أهل الشأن في الحديث باعتباره.

وقد جاءت خطة البحث في مقدمة وتمهيد وأربعة مباحث وخاتمة. أبرزت في المقدمة أهداف البحث ومنهجه وخطوة بحثي التي سرت عليها، وفي التمهيد أبرزت إمكانية الاجتهد من الصحابة في زمن النبي ﷺ ووقوعه، وبيان فقه الصحابة بمقاصد الشريعة في اجتهاداتهم التي وقعت بالفعل منهم عند الحاجة إليها أو أذن الرسول ﷺ لهم فيها، وإرجاعهم الأمر لصاحب الشريعة فيقرر من أصاب ويصح من أخطأ فينشأ بذلك

زيادة بيان لمناهج الشريعة في الوصول إلى الحكم الشرعي مع زيادة تأكيد على قيام هذه الشريعة على اليسر وعدم المشقة، وعلى الحكمة والرحمة.

أما المباحث الأربع فقد جاءت على النحو التالي:

المبحث الأول: مظاهر الرحمة فيما أقره النبي ﷺ من اجتهادات الصحابة مطلاً.

المبحث الثاني: مظاهر الرحمة فيما أقر النبي ﷺ الجميع عليه، ولكن بعضهم حظه من الصواب أكبر من الآخر.

المبحث الثالث: مظاهر الرحمة فيما أقر النبي ﷺ من أصاب في اجتهاده وتتبّيه من ابتعد عن الصواب.

المبحث الرابع: مظاهر الرحمة فيما نبه النبي ﷺ على خطأ الاجتهاد فيه وتشريع البديل.

أما الخاتمة فقد جعلتها في أهم نتائج البحث، وما تراءى لي من توصيات. ثم ذيلت البحث بقائمة المراجع والمصادر التي استقيت مادة البحث منها مرتبة بحسب الفنون الشرعية مبتدأ بالقرآن وعلومه، ثم السنة وعلومها، ثم العقيدة، فكتب الفقه وأصوله، وأخيراً كتب اللغة. والله الموفق.



## تمهيد

اتفق الأصوليون على جواز اجتهد الصحابة ﷺ بعد عصر النبوة وانقطاع الوحي، واختلفوا في اجتهد الصحابة في زمن النبي ﷺ، فالجمهور على جوازه، وهو اختيار كثير من المحققين، ومنع منه قليل من الأصوليين<sup>(١)</sup>، بحجة إمكانية الرجوع في زمن النبي ﷺ إلى النص ومصدره فضمن يقينية الحكم، فلا داعي للاجتهد الذي يؤدي إلى الظن في إصابة الحكم، فصار اجتهادهم في هذا الموضع كاجتهاد علماء الأمة في موضع النص<sup>(٢)</sup>. ولكن هذا مردود بأن إمكان النص لا يجعل النص موجوداً، حتى يقال لا يسوغ الاجتهد مع النص<sup>(٣)</sup>، وأن الصحابي إذا اجتهد في زمن النبي ﷺ فإن العلم بصحبة نتيجة اجتهاده يؤخذ من إقرار النبي ﷺ له، فإذا كان الاجتهد خاطئاً فإن النبي ﷺ يصوب له ما أخطأ فيه، فكان مؤدي اجتهد الصحابي في زمن النبي ﷺ مصيره العلم لا الظن<sup>(٤)</sup>. والحكم في زمن النبي ﷺ لا يبني على اجتهد الصحابي فهو ليس مشرعاً في زمن التشريع، ولكن إقرار النبي ﷺ له أو تصحيح ما وقع فيه باجتهاده هو المعتمد، إلا أن اجتهد الصحابة ﷺ في زمن النبي ﷺ يفيدهنا في أمور

(١) الإحکام في أصول الأحكام، الآمدي ١٧٥/٤ . وارشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، الشوكاني، ٢٢١/٢

(٢) انظر: قواطع الأدلة في الأصول، منصور بن محمد المروزي ٢/١٠٣ . المستحسن، الغزالى ٢/٢٩٩ . وروضۃ الناظر وجنة المناظر، ابن قدامة ٣/٩٦٥ . والإحکام في أصول الأحكام، الآمدي ٤/١٧٧ .

(٣) انظر: المستحسن، الغزالى ٢/٢٩٩ . وروضۃ الناظر وجنة المناظر، ابن قدامة ٣/٩٦٧ .

(٤) انظر: العدة، الفراء، القاضي أبو يعلى، ٥/١٥٩٣ . التبصرة في أصول الفقه للشیرازی ١/٥٢٠ .

وقواطع الأدلة في الأصول، منصور بن محمد المروزي ٢/١٠٥

كثيرة منها نقداً في ضوء مقومات هذا الدين ومن أعظمها الرحمة التي هي الأساس الذي قام عليه، بالإضافة إلى أن الاجتهد في زمان النبي ﷺ يعطي بعدها آخر وهو تدريب الأمة على مواجهة المستجدات وتلمس الأحكام لها في أصول الشريعة، وقد وجه النبي ﷺ أصحابه لضرورة إعمال الفكر للوصول إلى الحكم الشرعي، فبشرهم بأن المجتهد لن يعدم الأجر ما أخذ بأدوات الاجتهد في الوصول إلى الحكم الشرعي فقال ﷺ: (إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب، فله أجران، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ، فله أجر)<sup>(١)</sup>، وفي حديث معاذ المشهور مشروعية الاجتهد لاستباط الأحكام الشرعية، فقد روي عن معاذ: أن رسول الله ﷺ حين بعثه إلى اليمن، قال: «كيف تصنع إن عرض لك قضاء؟» قال: أقضى بما في كتاب الله. قال: «فإن لم يكن في كتاب الله؟» قال: فبسنة رسول الله ﷺ. قال: «فإن لم يكن في سنة رسول الله ﷺ؟» قال: أجتهدرأيي، لا آلو. قال: فضرب رسول الله ﷺ صدري، ثم قال: «الحمد لله الذي وفق رسول الله لما يرضي رسول الله»<sup>(٢)</sup>. وهو حديث مشهور قد تلقته الأمة بالقبول<sup>(٣)</sup>، وقد حكم الرسول ﷺ سعد بن معاذ فيبني قريظة لما طلبوا ذلك<sup>(٤)</sup>، وما روي أنه ﷺ كلف عمرو بن العاص ﷺ بالحكم بين خصمين فإن أصاب فله عشر حسنات، وإن أخطأ فله حسنة<sup>(٥)</sup>، وغيرها من الواقئ التي تضمنت اجتهادات من الصحابة ﷺ في زمان النبي ﷺ منها ما كان في حضرته ﷺ وبعد إذنه في ذلك، ومنها ما كان في غيبته ﷺ، وقد جزم ابن حجر في فتح الباري بثبوت وقوع الاجتهد من الصحابة ﷺ في زمان النبي ﷺ

(١) رواه البخاري، صحيح البخاري ١٠٨/٩ حديث رقم: ٧٣٥٢. ومسلم، صحيح مسلم ١٢٤٢/٣ حديث رقم: ١٧٦.

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند ٢٢٣/٢٦ حديث رقم: ٢٢٠٧ . وأبو داود في السنن ٤٤٣/٥ حديث رقم: ٣٥٩٢ تحقيق الأرناؤوط . والترمذى ٦٠٨/٣ حديث رقم: ١٣٢٧ تحقيق أحمد شاكر.

(٣) المستصفى، الغزالى ٢٠٠/٢

(٤) رواه البخاري، صحيح البخاري ١١٢/٥ حديث رقم: ٤١٢١ .

(٥) رواه الإمام أحمد في المسند، ٣٥٧/٢٩ حديث رقم: ١٧٨٢٤ .

في حضرته<sup>(١)</sup> وجاءت آثار تدل على اجتهد الصحابة في غيبته في زمن النبوة<sup>(٢)</sup>، وفي مباحث الدراسة نذكر بعض الواقع التي حدث فيها اجتهد من الصحابة في زمن النبي ﷺ وإن كانت الحوادث فردية وفي قضايا جزئية، وثبوتها ظني، لأنها من أخبار الآحاد، فإن (المقصود من الأخبار المذكورة إنما هو الدلالة على وقوع الاجتهد في زمن النبي ﷺ من عاصره)<sup>(٣)</sup>، ولن يست المعول عليها في التشريع، فالتشريع من صاحب الشرع والعبرة بإقراره لها، ولكن المرجو من تحقيق هذه المسألة وإيراد الأمثلة من اجتهادات الصحابة ﷺ إبراز جانب الرحمة في تقويم النبي ﷺ لاجتهادات الصحابة ﷺ في عصره، وهي فائدة بالإمكان تلمسها وإظهارها، لأن هذه الشريعة قامت على الرحمة والميسر والحكمة والعدل، فلابد أن تسجم تلك الاجتهادات معها بإقرار النبي ﷺ أو تصحيحة لها وردها إلى هذا الأصل العظيم، فكان اجتهادهم على كل حال رحمة بالأمة، إذ لا شك أن إعطاء النبي ﷺ أصحابه فرصة في الاجتهد للوصول إلى الحكم الشرعي وإذنه لهم في ذلك بين يديه وعمل الصحابة بذلك عند احتياجهم لمعرفة حكم شرعي في غيبتهم عن رسول الله ﷺ وسؤالهم له عما فعلوا وإقراره لهم أو تصحيحة لاجتهادهم من رحمة الله بهذه الأمة حتى تواجه المستجدات القادمة بعد انقطاع الوحي بوفاته ﷺ بأصل أقره النبي ﷺ وهو الاجتهد المبني على أصول الشريعة. فإن مما وعاه الصحابة ﷺ من معاصرة التنزيل والتأويل الصحيح من النبي ﷺ لمراد الله ﷺ من الخطاب الشرعي اكتساب ملكة الفقه للشريعة والعلم بمقاصد التشريع، وإن كانوا يختلفون بمقتضى الطبيعة البشرية في القدرة على الاستبطاط، ولكنهم يشترون جميعاً في علمهم بأن هذا التشريع يقوم

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر ٧/٤٨٠.

(٢) منها الأحاديث التي تعتمد其 الدراسة، وسيأتي بيانها في مواضعها.

(٣) الإحکام في أصول الأحكام، الأمدي ٤/١٧٧.

على أصول وعوها وأدركوها، فكان اجتهادهم يدور في فلكها. ولم يكن استيعاب هذا الدرس وإتقان تطبيقه وسنّ المنهج في تحقيقه اعتباطاً أو ارتجالاً، بل جاء نتيجة ذلك التدريب والتصويب من النبي ﷺ عندما كان يعطيهم فرصة أمامه للاجتهاد في إيقاع بعض الأحكام على النوازل، أو إبداء الرأي في بعض القضايا، ثم يقر ذلك أو يعقب عليه بالتصويب أو التصحيح، وكذلك ما كان من اجتهادهم في غيابهم وبعدم عنده ﷺ لحاجتهم إلى الاجتهاد في أمر لا يتحمل التأخير؛ فكان من فقه الصحابة للدرس الاجتهادي في زمانه عليه الصلاة والسلام أن يحدث لأحدهم أو مجموعة منهم أمر وهم بعيدون عن النبي ﷺ ولا يمكنهم تأخير الأمر حتى يعودوا إليه ﷺ فيعرفوا حكم الله فيما جدّ أو حدث، فيجتهدون في الحكم وتطبيق ما يدينون الله به شرعاً في هذا الظرف، فإذا عادوا إلى رسول الله ﷺ عرضوا عليه ما حدث لهم وما حدث منهم اجتهاداً في الوصول لحكم الله، فيقر النبي ﷺ من أصاب ويصحح لمن أخطأ، وربما وجد أن كل فريق عند اختلافهم قد أصاب؛ ولكن أحدهم أقرب من الآخر لمقتضى الشرع؛ فيدعهم بالقول الذي يطمئنهم على نتيجة اجتهادهم أو يقرهم جميعاً.



## المبحث الأول

# مظاهر الرحمة فيما أقر النبي ﷺ من اجتهادات الصحابة مطلقاً



حدثت للصحابة ﷺ مواقف في حياة النبي ﷺ اقتضت منهم الاجتهاد فيها لبعدهم عنه ﷺ، ثم يطعون الرسول ﷺ عليهما فيقرهم، وقد يؤيد صحة اجتهادهم بالفعل أو القول أو السكوت المتضمن الإقرار لصواب اجتهادهم، ومن هذه المواقف ما يلي:

1. جاء في صحيح مسلم ومسند الإمام أحمد وغيرهما من كتب السنة عن جابر بن عبد الله ﷺ، قال: بعثنا رسول الله ﷺ وأمر علينا أبا عبيدة، نلقى عيراً لقريش، وزودنا جراباً من تمراً لم يجد لنا غيره، فكان أبو عبيدة يعطيانا تمرة تمرة، قال: فقلت: كيف كنتم تصنعون بها؟ قال: ننصها كما ينص الصبي، ثم نشرب عليها من الماء، فتكلفينا يومنا إلى الليل، وكنا نضرب بعصيننا الخبط<sup>(١)</sup>، ثم نبله بالماء فنأكله، قال: وانطلقنا على ساحل البحر، فرفع لنا على ساحل البحر كهيئة الكثيب الضخم، فأتيناه فإذا هي دابة تدعى العنبر، قال: قال أبو عبيدة: ميّة، ثم قال: لا، بل نحن رسول رسول الله ﷺ، وفي سبيل الله، وقد اضطربتم فكلوا، قال: فأقمنا عليه شهراً ونحن ثلات

(١) الخبط: الخبط ورق الشجر يضرب بالعصا فيسقط. معالم السنن، الخطابي ٤٥٢

مائة حتى سمنا، قال: ولقد رأيتنا نفترف من وقب عينه<sup>(١)</sup> بالقلال الدهن، ونقطع منه الفدر<sup>(٢)</sup> كالثور، أو كقدر الثور، فلقد أخذ منا أبو عبيدة ثلاثة عشر رجلاً، فأقعدهم في وقب عينه، وأخذ ضلعاً من أصلاعه فأقامها ثم رحل أعظم بغير معنا، فمر من تحتها وتزودنا من لحمه وشائق<sup>(٣)</sup>، فلما قدمنا المدينة أتينا رسول الله ﷺ، فذكرنا ذلك له، فقال: «هو رزق آخرجه الله لكم، فهل معكم من لحمه شيء فتطعمونا؟»، قال: فأرسلنا إلى رسول الله ﷺ منه فأكله<sup>(٤)</sup>.

فيظهر من هذه الحادثة أن الصحابة ﷺ لم يكن عندهم حكم شرعي خاص في ميّة البحر، ولهذا اجتهد أبو عبيدة بناء على ما يعرفه من الشريعة أن الميّة تباح للمضطرب غير باع ولا عاد، وهذا الحوت ميّة، وهم رسول الله خارجون في طاعة الله غير باugin ولا عادين، وقد بلغ بهم الجوع مبلغاً تباح لهم به الميّة لقول الله تعالى ﴿إِنَّمَا حَرَمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَالْخِنْزِيرُ وَمَا أَهْلَلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ أَضْطُرَّ عَبَرَ بَاغَ وَلَا عَادَ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النحل] فبناء على هذا النص المسوغ لهم في تلك الحال الأكل من الميّة - وهو ما اجتهدوا في صوئه - أكلوا من ذلك الحوت على أنه ميّة تباح في حالة استثنائية، والدليل على أنهم اجتهدوا في أمر ليس عندهم فيه نص أنهم لما رجعوا إلى النبي ﷺ عرضوا عليه ما حدث معهم. ولم يكن الإشكال عند أولئك النفر من الصحابة في إباحة أكل الحوت

(١) وقب العين: ما تقرع منها. والوقب كالنقرة في الشيء. كشف المشكل من حديث الصحيحين، ابن الجوزي ٢٦٤/١.

(٢) الفدر جمع فدرة: وهي القطعة من اللحم. المرجع السابق ٢٦٥/١.

(٣) الوشائق: جمع وشيقه وهي اللحم يغلى إغلاعه دون أن ينضج ليحمل في السفر. غريب الحديث، أبو عبيد القاسم بن سلام ٣٢/٣.

(٤) رواه الإمام أحمد في المسند ٢٤٢/٢٢ حديث رقم: ١٤٣٣٨ . ومسلم، صحيح مسلم ١٥٣٥/٣ حديث رقم: ١٩٣٥ .

فقد استقر عندهم إباحته بما امتن الله به عليهم بما خلق لهم في البحر مما يأكلون ويلبسون كما في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي سَحَرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا﴾ [النحل: ١٤] لكن هذا الحوت وجدوه ميتة قد قذف به البحر أو جزر عنه فمات، فاجتهد أبو عبيدة رض في ضوء ما عنده من النصوص، ثم توصل إلى حكم جواز أكلهم من هذه الميتة البحرية، لعموم إباحة أكل الميتة للمضطر، ولكن الرسول ص بعد ما بلغه أمرهم أراد أن يبين لهم صحة ما فعلوا من جواز الأكل من ذلك الحوت، ليس لأنه ميتة اضطروا إليها، بل إن له حكمًا آخر وهو حل ميتة البحر مطلقاً للمضطر وغيره، فأراد النبي ص أن يطمئن قلوبهم بأن ما بدر منهم من أكل ذلك الحوت الميت حلال، وزادهم ص حكمًا آخر عملياً في إباحة ميتة البحر للمضطر وغيره عندما أكل منه ولم يكن مضطراً كحالهم التي استساغوا بها الأكل من ذلك الحوت بناء على اجتهاد أبي عبيدة، وهذا الحكم الجديد هو ما أكدته نصوص الشريعة بعد ذلك<sup>(١)</sup>، كما في قول الله تعالى في سورة المائدة: ﴿أَحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ، مَتَعَا لَكُمْ وَلِلسَّيَارَةِ وَحُرْمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دَمْثَرَ حُرْمَ﴾ [المائدة: ٩٦] قال عمر بن الخطاب رض طعامه ما رمى به، وقال ابن عباس رضي الله عنهم: طعامه ميتته<sup>(٢)</sup>، وما رواه أبو هريرة رض أن رسول الله ص قال عن البحر: (هو الطهور مأوه الحل ميتته)<sup>(٣)</sup>، وذلك لما سأله رجل، وفي رواية أناس يركبون البحر للصيد فيمكثون فيه أيامًا هل يتوضؤون من ماء البحر؟ فأجابهم الرسول بذلك وزادهم حكمًا في إباحة ميتة البحر، وظاهر. أن هذا

(١) يرجح ابن حجر العسقلاني في فتح الباري أن حادثة سرية أبي عبيدة المذكورة هنا كانت في السنة الثانية من الهجرة. انظر: فتح الباري، ابن حجر ٥٣٥/٩.

(٢) رواه البخاري، صحيح البخاري ٨٩/٧

(٣) رواه الإمام مالك، الموطأ، كتاب الطهارة بباب الطهور لل موضوع ٢٢/١. والإمام أحمد، في المسند

٤٣٤

٨٧٣٥/١٤ حدث رقم:

السؤال للنبي ﷺ عن ذلك الحكم لأنّاس اعتصموا بالبحر في تحصيل مصالحهم من صيد أو غيره، ولن يكون هذا إلا متأخراً عن حادثة أبي عبيدة رض التي وقعت في السنة الثانية للهجرة على ما رجح ابن حجر في فتح الباري<sup>(١)</sup>; وبيان ذلك أن حدود الإسلام وأهله في السنة الثانية للهجرة لا تتجاوز المدينة، وسؤال هؤلاء البحارة واستفتاؤهم يدل على أن الإسلام قد جاوز حدود المدينة وضرب في الأفاق حتى شملت أحكامه أناس يركبون البحر عادة، ولن يكون ذلك قريباً من السنة الثانية للهجرة قطعاً، فدل على أن هذا التصرّيف لهم بآن ميّة البحر مباحة حكم متأخر على حادثة أبي عبيدة رض وأصحابه، فلم يكن ثمّ تمتّذ هذا الحكم، فاجتهد أبو عبيدة رض في حدود ما يعلم من الشريعة وأعتبره ميّة يجوز لمن اضطر إلى الأكل أن يأكل منها، فكان من رحمة الله بهذه الأمة أن اتسعت دائرة ما يباح من الميّة في بيان حكم ميّة البحر. وهذا الحدث في هذا الحديث يدل على وجود الاجتهد من الصحابة في زمن النبي ﷺ. قال ابن القيم عن هذه القصة: (وفيها دليل على جواز الاجتهد في الواقع في حياة النبي ﷺ وإقراره على ذلك، لكن هذا كان في حال الحاجة إلى الاجتهد، وعدم تمكّنهم من مراجعة النص)<sup>(٢)</sup>، وقال النووي عند شرح هذا الحديث في صحيح مسلم: (وفيه جواز الاجتهد في الأحكام في زمن النبي ﷺ كما يجوز بعده)<sup>(٣)</sup>. وهذا الاجتهد وموقف النبي ﷺ منه تتجلّى فيه مظاهر الرحمة من عدة جوانب منها:

الأول: فتح باب رحمة على الأمة في حل ميّة البحر مطلقاً، وأنه ليس كميّة البر التي تباح في حالة الاضطرار.

(١) فتح الباري، ابن حجر ٥٢٥/٩

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ٣٤٧/٣

(٣) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحاج، النووي ٦٨/١٣

الثاني: رفق النبي ﷺ ولطفه بأصحابه وتطييب خواطركم في مشاركتهم فيما اجتهدوا في أكله.

الثالث: إقرار النبي ﷺ لأصحابه على الاجتهاد، الذي ستحتاجه الأمة بعد انقطاع الوحي.

٢ . عن علي رضي الله عنه، قال: بعثي رسول الله ﷺ إلى اليمن، فانتهينا إلى قوم قد بنوا زيبة<sup>(١)</sup> للأسد، فبينما هم كذلك يتدافعون إذ سقط رجل، فتعلق باخر، ثم تعلق رجل باخر، حتى صاروا فيها أربعة، فجرحهم الأسد، فانتدب له رجل بحرية فقتله، وما توا من جراحتهم كلهم، فقام أولياء الأول إلى أولياء الآخر، فأخرجوا السلاح ليقتلوا، فأتاهم علي رضي الله عنه على تفية ذلك<sup>(٢)</sup>، فقال: تريدون أن تقاتلوا ورسول الله ﷺ حي؟ (وفي رواية فقال لهم علي: أتقتون مائتين في أربعة؟) إني أقضي بينكم قضاء إن رضيتم فهو القضاء، وإلا حجز بعضكم عن بعض حتى تأتوا النبي ﷺ فيكون هو الذي يقضي بينكم، فمن عدا بعد ذلك فلا حق له، أجمعوا من قبائل الذين حضروا البئر ربع الديمة، وثلث الديمة، ونصف الديمة، والديمة كاملة، فللأول الربع، لأنه هلك من فوقه، وللثاني ثلث الديمة، وللثالث نصف الديمة، (وللرابع الديمة كاملة). فأبوا، أن يرضوا، فأتوا النبي ﷺ وهو عند مقام إبراهيم، فقصّوا عليه القصة، فقال: «أنا أقضي بينكم» واحتبى، فقال: رجل من القوم: إن علياً قضى علينا، فقصوا عليه القصة، فأجازه رسول الله ﷺ<sup>(٣)</sup>.

(١) الزيبة بضم الزياء، وإسكان الباء: الحفرة تixer في المكان المرتفع لاصطياد بعض السباع. انظر: كتاب العين، الفراهيدي ٣٩٢/٧. وغيره الحديث، أبو عبيد القاسم بن سلام ٢٢٤/٣.

(٢) على تفية ذلك، تفية الشيء: حينه وزمانه، ودخل على تفية: دخل على أثره. انظر: المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده ٥١٣/٩. وتأج العروس، الزبيدي ١٦٠/١. والقاموس المحيط، الفيروزآبادي ص ٤٣.

(٣) رواه الإمام أحمد في المسند ٤١١/١ حديث رقم ٥٧٣، ٤١٢/١ حديث رقم ٥٧٤، ٥٧٤/٢ حديث =

إن هذه الحادثة من الناحية التاريخية وقعت في أواخر عهد النبوة، فالنبي ﷺ أرسل علياً إلى اليمن قبل حجة الوداع بأشهر.

وقد أعمل على الحكم والرحمة التي عرفها من طول الفترة التي قضاهما في هذا الدين وتعامله مع الأحداث والمستجدات، وفي موقفه هذا لعلمه أن هذا الدين جاء ليذهب عن العرب وغيرهم عبّية الجاهلية وأعباءها، أول ما عمله أن لفت أنظارهم إلى خطئهم في موقفهم الذي اعتادوا عليه في الجاهلية من ردود الفعل عندما تحدث فيهم جنائية القتل بقيام الثارات والثورات التي يتسلل على إثرها القتل عندما قال لهم: (أنقتلون مائتين في أربعة؟) فأنتم تزيدون المشكلة لا تحلونها بإيجابية تقطع القتل وتنهيه، وهنا تبرز الرحمة والحكمة في العقل المسلم، وهو العقل العربي الجديد الذي أصبح يقيس الأمور بميزان العدل والنقد البناء<sup>(١)</sup>، ويرجع الأمر إلى أهله (تريدون أن تقاتلوا رسول الله ﷺ حي؟) صاحب الحق والعدل والمنهج السوي في التعامل مع الحياة، وقد أنزل إليه الحكم في الجنائيات عمدها وخطئها، والمرجعية عند الاختلاف والتباين، فقد رحّمكم الله بوجود الحق الذي ترجعون إليه<sup>(٢)</sup>، فلماذا

= رقم ١٠٦٣، ١٤٠٩ / ٢، حديث رقم ١٢٠٩، وقد صلح أسناده محقق المسند المحدث أحمد محمد شاكر. ومدار الحديث على رواية حنش بن المعتمر عن علي بن أبي طالب ﷺ، وحسن بن المعتمر الكتاني تكلموا فيه، وقيل عنه: إنه ثقة ولم يتابع، وقيل: صدوق له أوهام. انظر تحرير الحديث في: تحقيق شعيب الأرناؤوط وآخرون لمسند الإمام أحمد ١٥/٢ حديث رقم: ٥٧٣. وتحقيق محمد شاكر ١١٤/١ حديث رقم: ٥٧٣.

(١) ربي القرآن الصحابة ﷺ على الارتفاع بمستوى التفكير، والتعقل في الأمور وضبطها بمقاييس الحكمة، وفي قصة الإفك درس عملي وتربيوي للأمة في تحكيم العقل في مواجهة الشائعات، والترفع على جهالات الجاهلية وضلاليتها.

(٢) إن ما تحتاجه الأمة اليوم فقه هذا المنهج في أهمية إرجاع الأمر إلى أهله، وتوحيد الرؤية، حتى لا تخترق ويعبث بها كل ناعق. وقد نبه القرآن إلى خطورة الفوضى والتصرف الفردي وبخاصة فيما يتعلق بحق الأمة ومصيرها وما يؤثر عليها قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ هُمْ أَمْرُمُونَ أَلَّا يَرْجِعُوْا إِلَيْهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَّا كُلُّ أَمْرٍ مِّنْهُمْ﴾ [النساء: ٨٣] فإيجاد أهل الحل والعقد والخبراء في جميع شؤون الحياة واتخاذهم في مجلس يرجع إليه أمر ضروري للأمة.

هذه الفوضى؟ (إني أقضى بينكم قضاء إن رضيتم فهو القضاء، وإلا حجز بعضكم عن بعض حتى تأتوا النبي ﷺ فيكون هو الذي يقضي بينكم، فمن عدا بعد ذلك فلا حق له) إنه الضبط للنفس والاتزان في التصرف، حكم خذوه مؤقتاً إن لم ترضوا به مطلقاً، فهو يمنع بعضكم من الاعتداء على بعض، إنه مقتضى الحكمة والعقل والرحمة التي تعلمها علي ﷺ من نبيه ﷺ.

اجتهد علي ﷺ في القضاء بينهم وحل المشكلة في ضوء ما تعلمه من الحكمة النبوية، فالجناية خطأ وفيها الديمة، وبالنظر الموفق كلف من تسبب في هذه الجناية بجمع الديمة ابتداءً ممن حفر الرزبة ومن زاحم حولها ومن جذب غيره ممن سقطوا فيها، وقسمها بين الھلکي بحسب تسببهم في وفاة غيرهم، فالاول جذب الثاني، والثاني جذب الثالث، والثالث جذب الرابع فكان لهم نصيب من الجناية، فنقص نصيب كل واحد من القتلى بمقدار ما تسبب في وفاة الآخرين في هذه المهلكة التي آلتها الأسد الذي جرّهم جميعاً فماتوا من جراحته، فتركت الجناية من فعل مضمون وهو التسبب في الھلکة بالدفع والجذب، ومھدر وهو مباشرة الأسد للجرح، فسقط ما يقابل المھدر، واعتبر ما يقابل المضمون<sup>(١)</sup>، فكان للأول من الديمة الربع فقط، لأنه تسبب في قتل ثلاثة، وللثاني الثلث، لأنه تسبب في قتل اثنين، وللثالث النصف، لأنه تسبب في قتل واحد، وللرابع الديمة كاملة، لأنه لم يتسبب في قتل أحد. قال ابن العربي معلقاً على هذا الحكم: (وهذا من بديع الاستبطاط)<sup>(٢)</sup>. وقال ابن القيم رداً على بعض الفقهاء الذي يرون أن هذا الحكم جاء على خلاف القياس: (ما قضى به علي أفقه؛ فإن

(١) انظر: إعلام الموقعين، ابن القيم ٢٠ / ٢

(٢) أحكام القرآن، ابن العربي ٤ / ٤٤.

الحاضرين الجأوا الواقفين بمزاحمتهم لهم فعواقلهم أولى بحمل الدية من عواقل الهاكلين، وأقرب إلى العدل من أن يجمع عليهم بين هلاك أوليائهم وحمل دياتهم، فتتضاعف عليهم المصيبة، ويكسروا من حيث ينبغي جبرهم، ومحاسن الشريعة تأبى ذلك، وقد جعل الله ﷺ لكل مصاب حظاً من الجبر، وهذا أصل شرع حمل العاقلة الدية جبراً للمصاب وإعانته له<sup>(١)</sup>.

أما موقف النبي ﷺ من هذه القضية والقضاء فيها؛ فإنه لما عرض عليه أهل اليمن القضية عدّل جلسه استعداداً للقضاء فيها، فأخبر أن علياً قضى فيها، ثم عرضوا عليه قضاء على فأقره. وربما حكم النبي ﷺ فيها بمثل هذا أو غيره بما يتضمن العدل والحق لا محالة، ولكن لما سمع قضاء علي فأقره، وإقرار النبي ﷺ بذلك دليل على أن له وجهاً شرعاً ونصيباً من الصحة، إذ لو كان باطلاً لنقضه النبي ﷺ، وفي هذا درس نبوى في احترام القضاء إذا كان له نصيب من الصواب.

وقد كان النبي ﷺ حريصاً على تعويذ أصحابه على فصل القضاء وحثهم على الاجتهاد فيه، وربما أمر أحدهم بالحكم بين يديه في بعض ما يعرض عليه من م Rafعات، وذلك لأن القضاء والحكم بين الناس مما يبتلى به الناس في كل زمان ومكان، ويحتاجه كل تجمع بشري، وتتجدد وسائله بتطور المجتمعات، فلا بد من أصول ثابتة ووسائل متطرفة، واجتهاد متجدد، ولذلك من رحمة الرسول ﷺ بأمته أن فسح المجال لأصحابه في الاجتهاد القضائي تحت نظره وتحفيزه، وأحياناً إبداء إعجابه بأسلوب فض المنازعات كما في شأنه ﷺ على أبي شريح الذي

(١) إعلام الموقعين، ابن القيم ٢٢/٢

كان يدعى أبو الحكم، فاستفسر عنه النبي ﷺ عن سبب هذه التسمية فقال: إن قومه إذا اختلفوا أتوا فيفصل بينهم فيذهب كل فريق راض بحكمه، فقال النبي ﷺ: (ما أحسن هذا!)<sup>(١)</sup> لأنّه يحقق مقصدًا شرعياً هو العدل بين الناس وفض المنازعات بالتي هي أحسن. وكان من تحفيزه ل أصحابه للاجتihad في القضاء والحكم أن وعد القاضي بالأجر، فإن أصاب فله الأجر كاملاً، وإن أخطأ فلن يُعدم الحسنة بشرط أن يجتهد في التوصل للحكم الصواب، ففي الصحيحين عن عمرو بن العاص رض أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر»<sup>(٢)</sup> وقد روي عن عبد الله بن عمرو عن عمرو بن العاص، قال: جاء رسول الله ﷺ خصمان يختصمان، فقال لعمرو: «اقض بينهما يا عمرو»، فقال: أنت أولى بذلك مني يا رسول الله، قال: «وإن كان» قال: فإذا قضيت بينهما فما لي؟ قال: «إن أنت قضيت بينهما فأصبت القضاء، ذلك عشر حسنات، وإن أنت اجتهدت وأخطأت، ذلك حسنة»<sup>(٣)</sup>، ويروى نحوه عن عقبة بن عامر<sup>(٤)</sup>.

وفي هذا الفضل من الحسنات عند الإصابة والسداد في الحكم دافع لتحرى الصواب والحرص عليه وتحصيل أدواته، وإن أخطأ بعد استفراغ الجهد في التوصل للصواب فلن يُعدم أجر الاجتهد.

(١) رواه أبو داود، سنن أبي داود ٢٠٩/٧ حديث رقم: ٤٩٥٠. والنسائي، سنن النسائي ٢٢٦/٨ حديث رقم: ٥٣٨٧. وصححه الألباني، صحيح سنن النسائي ٤٢٣/٣ حديث رقم: ٥٤٠٢.

(٢) رواه البخاري، صحيح البخاري، حديث رقم: ٧٣٥٢. ومسلم، حديث رقم: ١٧١٦.

(٣) رواه الإمام أحمد في المسند، ٣٥٧/٢٩ حديث رقم: ١٧٨٢٤ . وأورده الحاكم في المستدرك ٩٩/٤ حدث رقم ٧٠٠٤ وقال: (هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه بهذه السياقة). وقد خطأه محقق المسند في تصحيحه هذا، وحكم على الحديث بالضعف، مسند الإمام أحمد ٣٥٨/٢٩.

(٤) رواه الإمام أحمد في المسند ٣٥٨/٢٩ حديث رقم: ١٧٨٢٥ . ولفظه: «إن اجتهدت فأصبت ذلك عشرة أجور، وإن اجتهدت فأخطأت فلack أجر واحد» واعتبر الهيثمي في مجمع الزوائد رجاله رجال الصديق ٤/١٩٥ حديث رقم ٧٠٠٢ . وضعفه محققو المسند شعيب الأرناؤوط ورفاقه ٣٥٩/٢٩.

ومن مظاهر الرحمة في هذه القضية ما يلي:

أولاً: إن هذه التربية على الاجتهد في الحكم والقضاء بين الناس رحمة بالأمة لتدبر شؤونها وتحمل منهم من تأهل لهذه المسؤولية القيام بها دون أن يجبن عنها بداع الورع والتقوى المطلوبة شرعاً من كل مؤمن، فهو مأجور غير مأذور ما دام حق الشرط الشرعي وهو الاجتهد واستفراغ الطاقة والواسع في التوصل إلى الصواب في الحكم والقضاء.

ثانياً: احترام القضاء إذا كان له وجه من الصواب، وعدم نقضه، ويظهر هذا في إمضاء النبي ﷺ قضاء علي بن أبي طالب ﷺ وإقراره في قضية الزبيبة.

ثالثاً: أن علياً ﷺ بحكمة الشريعة ورحمتها حجز القوم عن بعضهم من الوقوع في الاقتتال بينهم، وقد تهيئوا له، عندما ذكرّهم بأهمية تحكيم العقل والشرع، وبادرهم بالحل الاجتهادي المبني على معرفة بالشريعة، وطلب منهم قبوله مؤقتاً حتى يرجعوا إلى مصدر الشرع نبي الله ﷺ فيتبينوا حكمه في قضيّتهم.

رابعاً: ظهور النضج الفكري والقدرة على إدارة الأزمات في موقف علي بن أبي طالب ﷺ في هذه القضية، مما يعكس حكمة الرسول ﷺ في اختيار الرجل المناسب للعمل المناسب<sup>(١)</sup>.

٣. عن عمرو بن العاص ﷺ لما بعثه رسول الله ﷺ عام ذات السلاسل، قال: فاحتملت في ليلة باردة شديدة البرد، فأشفقت إن اغتسلت أن أهلك، فتيممت ثم صلّيت ب أصحابي صلاة الصبح. قال: فلما

(١) هذه رحمة في السنة تحتاجها الأمة لتلافي الواقع في المخاطر بوضع الشخص المناسب في المكان المناسب وبخاصة ما يتعلق بقضايا الأمة المهمة.

قدمنا على رسول الله ﷺ ذكرت ذلك له، فقال: «يا عمرو، صليت بأصحابك وأنت جنب؟» قال: قلت: نعم يا رسول الله، إنني احتلمت في ليلة باردة شديدة البرد، فأشفقت إن اغتسلت أن أهلك، وذكرت قول الله ﷺ: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء: ٢٩]. فتيممت، ثم صليت. فضحك رسول الله ﷺ ولم يقل شيئاً<sup>(١)</sup>.

قال العيني في فوائد الحديث التي ذكرها: (جواز الاجتهاد في زمن النبي ﷺ في غيبته)<sup>(٢)</sup>. واجتهد الغائب عن مجلس النبي ﷺ جائز بلا شك<sup>(٣)</sup>. والاجتهد الذي وقع من عمرو بن العاص ﷺ هو أنه رأى أن عليه الغسل من أجل الجنابة التي وقعت له، ولكن الجو بارد والماء كذلك، ورأى أنه لو اغتسل فلربما هلك، وإهلاك النفس عظيم في شرع الله، لأن الله يقول: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء: ٢٩]، ومن رحمته ﷺ أن شرع البديل في التيمم لفاقد الماء، فتيمم ﷺ وصلى بأصحابه لثقتهم التامة بصحة ما قام به، واعتبر الخوف من استعمال الماء كعدم الماء، فإذا كان عدم وجود الماء مبيحاً للتيمم، فإن وجوده مع الخوف من ضرره كعدمه مبيح للتيمم أيضاً، ولا عبرة بصورة الوجود، فإبقاء النفس من العدم أهم في شرع الله من حكم شرع بناءً على عدم الماء، فالتييم لبقاء النفس مع وجود الماء في ميزان الشرع أولى منه عند عدم الماء، وهذا فقه في تطبيق الأحكام الشرعية وتحقيق المناط، قال الخطابي في معالم السنن عند شرحه لهذا الحديث: (فيه من الفقه أنه جعل عدم إمكان استعمال الماء كعدم عين الماء)<sup>(٤)</sup>.

(١) رواه الإمام أحمد في المسند في المسند ٣٤٦/٢٩ حديث رقم: ١٧٨١٢ . وأبو داود، سنن أبي داود ٢٤٩/١ حديث رقم: ٣٢٤ . وصححه محقق مسند الإمام أحمد شعيب الأرناؤوط ورفاقه.

(٢) شرح سنن أبي داود، العيني ١٥٠/٢

(٣) المحسن، الرازمي ٢١/٦

(٤) معالم السنن، الخطابي ١٠٣/١

وهذا عين الفقه، ففيه جمع بين النصوص وفقه بمقاصد الشريعة وأولوياتها، فالحافظ على النفس أصل شرعي. ويؤيد صحة فقه عمرو رض في هذه المسألة إقرار النبي ص له، وذم رسول الله ص في موقف آخر أولئك النفر الذين كانوا في سفر فأجنب أحدهم، وفي رأسه شجة، فلما سألهم أ Zimmerman بالغسل، فاغتسل فمات، فحملهم الرسول ص مسؤولية إفتأتهم بغير علم، واعتبر ما قالوا به جهلاً، وقال: (قتلوه قتلهم الله، ألا سأّلوا إذ لم يعلموا، فإنما شفاء العي السؤال)<sup>(١)</sup>، فإذا لم يكونوا أهلاً للعلم بمقاصد الشريعة والاجتهاد والنظر فهلا سأّلوا!!!.

وإذا نظرنا إلى هذه الحادثة التي وقعت في زمن النبي ص وموقف النبي ص منها وإقراره لفعل عمرو بن العاص ولم يزد على أن سكت فلم يأمره بإعادة ولم يلمه على الصلاة بأصحابه، وقد تيمم من جنابة، وربما فيهم أوكلهم قد توضأوا بالماء، ولم يسأله النبي ص هل بإمكانه أن يسخن ماء ثم يغتسل وغير ذلك من الاحتمالات، وقارنا ذلك بأقوال الفقهاء فيما بعد وتشدد بعضهم في عدم الرخصة من وجد الماء أن يتيمم مع شدة البرد والخوف من الهلكة، لأن هذا الحديث واحد للماء فلا رخصة له مطلقاً، وتفريق بعضهم بين السفر والحضر من كانت هذه حالة، وترخيص بعضهم له أن يتيمم ولكن يلزمته بالإعادة<sup>(٢)</sup> علمنا أن اجتهاد الصحابة رض وإقرار الرسول ص لهم على اجتهاداتهم رحمة للأمة وأنهم رض فقهوا مقاصد الدين ويسره ورحمته بالمكلف ورعايته لحقوقه.

(١) أبو داود، سنن أبي داود ٢٥٢/١ حديث رقم: ٣٣٧، وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود ١٥٨/٢ حديث رقم: ٣٦٤.

(٢) انظر أقوال العلماء في: هذه المسألة في معالم السنن للخطابي ١٠٣/١، وفتح الباري لابن رجب، ٢٧٩/٢

ومن مظاهر الرحمة في هذه الحادثة:

أولاً: تقدير الأولويات في الشريعة والحرص على الأهم قبل المهم، فحفظ النفس أولى من الغسل الواجب مع هلاك النفس، وهو ما اعتمدته عمرو بن العاص رض في اجتهاده واستدل عليه الآية التي نهت عن قتل النفس فالله رحيم بالأمة وَلَا تُقْتَلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا [النساء: ٢٩] ولذلك أقره النبي صل على اجتهاده واستدلاله، واعتماده على سعة رحمة الله.

ثانياً: تلطف الرسول صل بأصحابه إذ أظهر تعجبه في ضحكته من فعل عمرو صل مع إقراره التام على ما فعله باجتهاده.

٤. عن ابن عمر رض، قال: قال النبي صل لنا لما رجع من الأحزاب: «لا يصلين أحد العصر إلا فيبني قريطة»، فأدرك بعضهم العصر في الطريق، فقال بعضهم: لا نصلي حتى نأتيها، وقال بعضهم: بل نصلي، لم يرد منا ذلك، فذكر للنبي صل، فلم يعنف واحداً منهم <sup>(١)</sup>.

هذا الموقف من أصحاب رسول الله صل من أعظم أعمالهم واجتهاداتهم بركرة ورحمة على الأمة، فقد فتح لها آفاق مناهج الفقه الإسلامي بين ظاهر القول وأبعاده ومعانيه ومقاصده، وعلى هذين المنهجين سار الفقه الإسلامي على طول تاريخه وتطوره بين مدرسة المعنى ومدرسة الظاهر، قال ابن عبدالبر: (هذه سبيل الاجتهاد على الأصول عند جماعة الفقهاء) <sup>(٢)</sup>، فمن الصحابة من نظر إلى ما قال النبي صل، فاكتفى بظاهر النص، فلم يصل العصر إلا بعد غروب الشمس حيث وصل المكان الذي أمر النبي صل بالصلاحة فيه بحسب

(١) رواه البخاري، صحيح البخاري / ٢ / ١٥ حديث رقم: ٩٤٦.

(٢) جامع العلم وفضله، ابن عبدالبر / ٢ / ٨٧٦.

ما فهم من النص، وبعضهم ذهب إلى أبعد مما ظهر على سطح العبارة، ففهم أن المراد المعنى الذي هو الحث على المبادرة بالذهاب إلى ديار بنى قريظة، فأعمل النصوص كاملة بين الأمر بالصلوة في وقتها والقيام بالمراد من هذا الحديث، (فأخذ بعض أصحابه بظاهر اللفظ ولم يصلوا إلا هناك، وتعلق آخرون بالمعنى فقالوا: إنما أراد الاستعجال، فصلوا ولحقوا، فلم يعنف واحداً من الفريقين، لأن كلتا بدليلاً<sup>(١)</sup>، وقد دل عدم تعنيف النبي ﷺ لأحد منهم، على إقراره لكتاب الطريقتين في فقه النصوص والعمل بها على مشروعية المنهجين، لأن السُّكُوت على فعل أمر كالقول بإجازته<sup>(٢)</sup>، (ففيه دلالة من يقول بالمفهوم والقياس ومراعاة المعنى، ولمن يقول بالظاهر أيضاً)<sup>(٣)</sup>.

ومن مظاهر الرحمة في هذه الحادثة:

أولاً: أن هذا الاجتهد من الصحابة ﷺ في هذا الموقف وموقف النبي ﷺ منه تعلم منه الأمة مشروعية الاجتهد للوصول إلى الحكم وضوابطه.

ثانياً: أن الحكم المبني على اجتهد في فهم النصوص بوجه يحتمله النص سائغ.

ثالثاً: أدب الاختلاف والاختلاف في مسائل الاجتهد، فلا يعنّف مجتهد توصل لحكم شرعي باجتهده إذا بذل وسعه في الاجتهد في الوصول إليه وكان أهلاً له ملتزماً بأصوله، وكان موضوعه مما يسوغ الاجتهد والاختلاف فيه<sup>(٤)</sup>.

(١) كشف المشكل من حديث الصحيحين، ابن الجوزي ٥٥٩/٢

(٢) التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ابن الملقن ٤٥/٨

(٣) شرح صحيح مسلم، النووي ٩٨/١٢

(٤) انظر: المراجع السابقة نفسه ٩٨/١٢

رابعاً: إقرار النبي ﷺ لأصل عمل به العلماء في تعاملهم مع النصوص من حيث استتباط الحكم الشرعي، وذلك فيما نتج من مناهج فقهية يعتمد أكثرها المعنى، وتعتمد الأخرى الظاهر، مما كان له الأثر البالغ في إثراء الفقه الإسلامي الذي هو من أعظم النعم على الأمة الإسلامية والناس عامة لو كانوا يعلمون.



## المبحث الثاني

### مظاهر الرحمة فيما أقر النبي ﷺ الجميع عليه، ولكن بعضهم حظه من الصواب أكبر من الآخر

قد يجتهد أكثر من صحابي في مسألة واحدة في موقف واحد فيختلف اجتهادهم، فيعمل كل منهم بما توصل إليه من حكم يدين الله به باجتهاده في اعتماده على أصل شرعي، وقد يصيب أو يقترب من الصواب أو يخطئ، وفي هذا المطلب سنتطرق إلى مواقف اجتهادية للصحابة اختلفت وجهات نظرهم فيها، وكل عمل بما أداء اجتهاده، ولكن الرسول ﷺ أقر الجميع على اجتهادهم إلا أنه رجح أحد الاجتهادين على الآخر، ومن هذه الاجتهادات التي يكون لأحد them نصيب من الصواب أكثر من الآخر ما يلي:

١. عن أبي سعيد الخدري، قال: خرج رجلان في سفر، فحضرت الصلاة وليس معهما ماء، فتيمماً صعيداً طيباً، فصلّيا، ثم وجد الماء في الوقت، فأعاد أحدهما الصلاة والوضوء، ولم يعد الآخر، ثم أتيا رسول الله ﷺ فذكرا ذلك له، فقال للذى لم يعد: «أصبت السنة وأجزأتك صلاتك» وقال للذى توضأ وأعاد: «لك الأجر مرتين»<sup>(١)</sup>.

في هذه الحادثة اثنان من أصحاب النبي ﷺ تدرکهما الصلاة في

(١) رواه أبو داود، سنن أبي داود ٢٥٣ / ١ حديث رقم: ٣٢٨. وصححه الألباني، صحيح أبي داود - ١٦٥ / ٢ حديث رقم: ٣٦٦.

سفر وليس معهما ماء للوضوء، فتيمما عملاً بالبديل المشروع عند عدم الماء لأداء الصلاة، ثم صليا الفريضة بطهارة شرعية بديلة للوضوء عند عدم الماء، وبعد قليل من الزمن وجدا الماء وما زال في الوقت متسع لتلك الصلاة؛ فتوضاً أحدهما وأعاد الصلاة؛ إما احتياطاً أو ظناً منه أن الصلاة في هذه الحالة بعد وجود الماء لا تحل بذلك التيمم، وأما الآخر فاكتفى بأداء تلك الصلاة بذلك التيمم ولم يعد، لأنه يرى أنه أدى صلاة بطهارة مشروعة في ظرفها ذلك. وهنا قد اجتهادا في أمر هذه الصلاة وعمل كل واحد بما رأى أنه الصواب، فلما رجعا للنبي ﷺ وأخبراه الخبر، قال من لم يعد الصلاة: «أصبت السنة»، أي: وافقت الشريعة السمحنة، ومن أصاب السنة في اجتهاده فهو أفقه بلا شك، وقد وفق لمقاصد الشريعة، «وأجزأتك صلاتك»، لأنها وقعت على مراد الله، وجاءت كاملة بشرطها، وعلى وفق ما شرع الله من الرخصة في التيمم لها عند عدم الماء، والله يحب أن تؤتى رخصه، وأن يعمل بشرطه في ظرفه، وهو ما كلف الإنسان به ليعبر عن طاعته وانقياده لأمر الله وقد حصل منه ذلك فأصاب سنت هذه الشريعة الرحمة الرحبة. وقال للآخر الذي توضاً وأعاد الصلاة: «لك أجرك مرتين» أجر الصلاة الأولى، وهذا يدل على قبولها ووقعها على وفق الشريعة كاملة، وأجر الصلاة الأخرى التي ربما تكون له نافلة.

وهنا النبي ﷺ أقرهما جميعاً على فعليهما، وبين أن أحدهما أقرب لموافقة الشريعة، وحظه من سنتها ومنهجها أكبر من صاحبه، وكل واحد منها على خير. وفي هذا من المنهجية الشرعية والرحمة أن من أخذ بالأرقاق الموافق للمشروع فهو على خير وهدى لموافقة الشريعة السمحنة القائمة على اليسر، ومن أخذ بالأحوط فلا

تشريع عليه، وفي هذا الإقرار والبيان رحمة بالأمة لا يزال العمل به، وجريان الفتوى عليه عند العلماء؛ فمن المفتين من يرافق بالسائلين ويفتي لهم بالأيسر ما دام داخلاً في نطاق الشريعة وله مستند وأصل يسوغ الفتوى به، ومنهم من يفتى لهم بالأحوط ويلزمهم به إما احتياطاً لذمته من تبعة الفتوى، وإما حملًا للناس عليه، لأنه يرى أن الذمة تبرئ به بدون شك، وما وافق هدي الشرعية وممقاصدها العامة القائمة على الحكمة والرحمة ورعاية المصلحة وتحقيقها هو السنة التي جاءت في الحديث.

ومن مظاهر الرحمة في هذه الحادثة:

أولاً: أن الرخصة رحمة بالأمة، والأخذ بها في ظروفها أفضل من تكفل العزيمة.

ثانياً: من رحمة الله بالأمة أن من أخذ بالأمر الذي له مستند شرعي، ومن أخذ بالأحوط كلهما على خير.

ثالثاً: رفق النبي ﷺ بأصحابه، وتطيب خواطرهم بتزكية أفعالهم.

٢. عن عبد الله بن أبي قتادة، أن أباه، أخبره أن رسول الله ﷺ خرج حاجاً، فخرجوا معه، فصرف طائفة منهم فيهم أبو قتادة، فقال: «خذوا ساحل البحر حتى نلتقي» فأخذوا ساحل البحر، فلما انصرفوا، أحرموا كلهم إلا أبو قتادة لم يحرم، فبينما هم يسيرون إذ رأوا حمر وحش، (وفي رواية قال أبو قتادة: وأنا مشغول أخصف نعلي، فلم يؤذنوني له<sup>(١)</sup>، وأحبوا لو أني أبصرته، فالتفت فأبصرته) فحمل أبو قتادة على الحمر فعقر منها أتناً، فنزلوا فأكلوا من لحمها، وفي رواية (فقال بعضهم: كلوا، وقال بعضهم: لا تأكلوا

(١) فلم يؤذنوني له: أي: فلم يعلموني. ارشاد الساري لشرح صحيح البخاري، القسطلاني ٢٢٥/٨

وفي رواية (فأبى بعضهم، وأكل بعضهم) وقالوا: أَنَّا كُلُّ لَحْمٍ صَيْدٍ وَنَحْنُ مُحَرَّمُونَ؟ وفي رواية (ثُمَّ إِنَّهُمْ شَكَوُا فِي أَكْلِهِمْ إِيمَانَهُمْ وَهُمْ حَرَمٌ) وفي رواية (فَأَكَلُوا فَنَدَمُوا) فَحَمَلْنَا مَا بَقِيَ مِنْ لَحْمِ الْأَتَانِ، فَلَمَّا أَتَوْا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّا كَنَا أَحْرَمْنَا، وَقَدْ كَانَ أَبُو قَتَادَةَ لَمْ يَحْرِمْ، فَرَأَيْنَا حَمْرًا وَحْشًا فَحَمَلْنَا عَلَيْهَا أَبُو قَتَادَةَ، فَعَفَرَ مِنْهَا أَتَانَا، فَنَزَلْنَا، فَأَكَلْنَا مِنْ لَحْمِهَا، ثُمَّ قَلَّنَا: أَنَّا كُلُّ لَحْمٍ صَيْدٍ وَنَحْنُ مُحَرَّمُونَ؟ فَحَمَلْنَا مَا بَقِيَ مِنْ لَحْمِهَا، قَالَ: «أَمْنِكُمْ أَحَدُ أَمْرَهُ أَنْ يَحْمِلَ عَلَيْهَا، أَوْ أَشَارَ إِلَيْهَا». قَالُوا: لَا، قَالَ: «فَكُلُّو مَا بَقِيَ مِنْ لَحْمِهَا».<sup>(١)</sup>

الصياد عملية اقتناص وترصد أو مطاردة ومباغطة لحيوان آمن يعيش في بيئته، فضل الله الإنسان عليه، وأكرمه بالاستقدادة منه بأي وسيلة من وسائل الانتفاع المباحة له. وفي فترة زمنية يدخل فيها المسلم في حرم الله الزمانى أو المكانى وتنتسع فيها دائرة التحرير، التي هي أضيق شيء في الشريعة، لتشمل في هذه الحال التحرير المؤقت ما كان حلالاً من صيد البر الذي نهى الله المؤمنين المحرمين عنه، وابتلى أصحاب نبيه ﷺ به في أحد إحراماتهم بأن يأتي الصياد إلى رحالهم ويمر من أمامه تاله أيديهم ورماحهم في أمنة وسكونية تنزل في قلوب تلك الحيوانات البرية التي من عادتها الفرار من الإنسان، لأن الله أمنها منهم بأمره القوم بكف أيديهم عنها، فلتتعش في أمن، ولتستمتع به، لأمر الله الشرعي للعصبة المسلمة المحرومة بعدم الاعتداء عليها، فلتنعم بالأمان المؤقت، هذه ظاهرة لم تتكرر ولن تتكرر، ولكن ليعلمنا الله أن هذا ما يجب أن يكون عليه المسلم المؤمن بأمر الله المتبع له به يؤمنه من أمره الله بكف أذاه عنه فضلاً عن ضرره.

(١) رواه البخاري في صحيحه حديث رقم: ١٨٢٤ وجميع الروايات المدرجة من صحيح البخاري في مواضع أخرى انظر: حديث رقم: ١٨٢٣ وحديث رقم: ٥٤٠٧ وحديث رقم: ٥٤٩٢ وحديث رقم: ٢٥٧٠ وحديث رقم: ٢٨٥٤.

وفي قصة أبي قتادة وأصحابه ﷺ يقصد القوم مكة مع نبيهم ﷺ ويكلفهم الرسول الأعظم ﷺ بمهمة فيؤدونها ويقفلون راجعين إلى النبي ﷺ ليلتقاو به فيكملوا مسيرهم إلى مكة المقدسة، لأداء النسك الذي خرجوا من المدينة لأجله، يحرم أصحاب أبي قتادة ويبقى حلالاً فيعرض لهم صيد من الحمر الوحش، وقد علموا من حكم الله أنه لا يحل لهم الصيد ما داموا حرمًا، ففتوق أنفسهم له وتشتهيه وودوا لو رأه أبو قتادة فهو لا يحرم عليه أن يصيده، لأنه لم يحرم بعد، كان منشغلًا بإصلاح نعله فلما رفع رأسه رأى الصيد عارضاً من بعيد، ولم يبدر من القوم ما يعينه على اصطياده من إشارة أو قول ولم يعرّبوا عما حال في أنفسهم من الرغبة فيه وبقي الأمر حديث نفس، حمل أبو قتادة على الصيد فاقتصر واحداً منها وجاء به إليهم، وهنا انقسم القوم إلى فريقين، حول حكم هذا المصيد أيأكلون منه وهم حرم أم لا يأكلون؟ فأكل بعضهم مجتهداً في حله لهم، لأنهم لم يصيدوه بأيديهم ولا بالاتهم ولم يعيّنوا على صيده، وحملوا تحريم الصيد على عملية الاصطياد، فحملوا لفظ الصيد المحرام على المصدر لا على المصيد فأكلوا منه، وامتنع الآخرون وعمموا لفظ الصيد على عملية الصيد والاقتناص وعلى لحم المصيد ما داموا حرمًا، لكن الرجوع للنص قريب لا يحول بينهم وبينه إلا أن يلحقوا بالنبي ﷺ، فلما أدركوا النبي الرحمة سأله عما وقع لهم وبين لهم الرسول الكريم ﷺ أنها طعمة أطعمهم الله إياها إذ لم يباشر المحرمون صيده ولم يعيّنوا عليه، ولم يؤثر ما وقع من حديث النفس في حل ذلك الصيد، إذ أن حديث النفس معفو عنه ما لم يعمل الإنسان أو يتكلم.

ومن مظاهر الرحمة بالأمة في هذه الحادثة ما يلي:

أولاً: أن فيها التفسير الوسطي لما يحل ويجرم من الصيد اقتناصاً أو أكلًا.

ثانياً: البيان العملي لفقه نص تحريم الصيد على المحرّم.

ثالثاً: العفو عن حديث النفس.



### المبحث الثالث

## ظواهر الرحمة فيما أقر النبي ﷺ من أصاب في اجتهاده من أصحابه وتنبيه من ابتعد عن الصواب

بعث رسول الله ﷺ جيشاً، وأمر عليهم رجلاً، فأوقد ناراً، وقال: ادخلوها، فأراد ناس أن يدخلوها، وقال الآخرون: إننا قد فررنا منها، فذكر ذلك لرسول الله ﷺ، فقال للذين أرادوا أن يدخلوها: «لودخلتموها لم تزالوا فيها إلى يوم القيمة»، وقال للآخرين قوله حسناً، وقال: «لا طاعة في معصية الله، إنما الطاعة في المعروف»<sup>(١)</sup>.

حقيقة الاجتهد في هذه القصة تتبيّن من افتراق المجموعة إلى فريقين: فريق همّ أن يدخل النار بناء على وجوب طاعة الأمير، وفريق نظر وقدّر فرأى أنه إنما اتبع النبي ﷺ فراراً من النار، فكيف يدخلها مجرد أمر من شخص تعسف في استخدام الحق، وليس هناك مصلحة شرعية تقضي بهذه الطاعة، فامتنعوا عن دخولها وأعلنوا الرفض لهذا الأمر، فلما ذكروا ما كان منهم وموقف الفريقين من أمر أميرهم لرسول الله ﷺ، حكم الرسول ﷺ على تصرفهم، وبين لهم أصلاً شرعاً في الطاعة، فقال معاذًا للذين همّوا، بدخول النار ظناً منهم أن طاعة الأمير

واجبة مطلقاً: (لو دخلتموها لم تزالوا فيها إلى يوم القيمة) بياناً لسوء تصرفهم لو حصل ذلك منهم وخطورته، وقال للآخرين الأكثر فقهًا وقرىًّا لحقيقة الشريعة قوله حسنًا، لا شك أنه يتضمن مدحًا وثناءً على تصرفهم و موقفهم من ذلك الأمر من أميرهم المتعسف في استعمال حقه في الطاعة، ثم بين الرسول ﷺ القاعدة الشرعية في الطاعة لمن تولى أمرًا بقوله ﷺ: (لا طاعة في معصية الله، إنما الطاعة في المعروف).

ومن مظاهر الرحمة في هذه الحادثة:

أولاً: أن الصحابة الذين امتنعوا عن دخول النار ورفضوا طاعة أميرهم مع أن طاعة الأمير أصل شرعي للمحافظة على نظام المجتمع أنهم بنوا اجتهادهم في الرفض لطاعة الأمير على فقهه لحقيقة الشريعة أقره النبي ﷺ وهو أنهم أسلموا هرباً من النار بطاعة الله، فكيف يدخلونها بأمر من طاعته تبعاً لطاعة الله؟.

ثانياً: وضع القاعدة الشرعية الضابطة لحقوق الوالي والرعاية في الطاعة الشرعية (لا طاعة في معصية الله، إنما الطاعة في المعروف).



## المبحث الرابع

### ظواهر الرحمة فيما نبه النبي ﷺ على خطأ الاجتهاد فيه وتشريع البديل

لا يقر النبي ﷺ فعلاً أو قولاً لا يتفق مع حقيقة هذا الدين ومنهجه وما يريده الله للناس في ضوء مبادئه، فإذا كان العمل الذي اجتهد فيه الصحابي لم يصب به الشريعة بين له النبي ﷺ الصواب المواجب لها. روى أبو موسى عن عمار رض إذ قال: بعثي رسول الله ﷺ في حاجة، فأجبنت فلم أجد الماء، فتمرغت في الصعيد كما تمرغ الدابة، فذكرت ذلك للنبي ﷺ، فقال: «إنما كان يكفيك أن تصنع هكذا، فضرب بكفه ضربة على الأرض، ثم نفضها، ثم مسح بهما ظهر كفه بشماله أو ظهر شماله بكفه، ثم مسح بهما وجهه»<sup>(١)</sup>.

الصعيد الطيب الظاهر ظهور المسلم البديل الذي يستحل به مزاولة العبادات التي يشترط لها الطهارة، يعرف عمار رض ذلك فقد أَمَّ الصعيد يتظاهر به، ولكنه ظن أن الطريقة التي تجزئه أن يعمم جميع بدنـه منه، فتمرغ في التراب ليصيب كل بدنـه قياساً على أن الطهارة بماء من الجنابة التي ينبغي أن تعم جميع البدن، ولما رجع رض إلى النبي ﷺ وأخبره بصنعيه في طلب الطهارة بالصعيد الطيب، لم يقره النبي ﷺ على فعله ذلك، وبين

(١) رواه البخاري، صحيح البخاري / ١٧٧ حديث رقم: ٣٤٧.

له أن الأمر أيسر من ذلك، فيكيفه أن يضرب بكفيه التراب ثم ينفضهما ليتخلص من الغبار أو التراب الزائد؛ ثم يمسح ظهر يمينه بشماله والعكس ويمسح بكلتا كفيه وجهه، بدلاً من مشقة القلب في التراب وما يترب على ذلك من أذى، فالمقصد الامتثال لأمر الله بتيمم صعيد طيب من الأرض يمسح منه الإنسان أشرف عضوين فيه الوجه والكفين تعبدًا، وهذا الفعل الموحد في الكيفية كاف لرفع الحدث الأصغر والأكبر على حد سواء، فما عليك إلا أن تضرب الأرض بكفيك وتمسح وجهك وظاهر يديك على خلاف بين الفقهاء في عدد الضربات هل تكفي واحدة للوجه والكفين أو للوجه واحدة ولليدين أخرى، وهل يكتفى بظاهر الكفين أو يمتد المسح إلى المرفقين وجواباً أو استحباباً<sup>(١)</sup>، كل هذه التفصيات ضررنا عنها صفحًا هنا، لأن المراد بيان اجتهاد عمار رض الذي صححه له النبي صل بصورة بسيطة تغنىه عن التمرغ في التراب.

ومظاهر الرحمة في هذه الحادثة تتجلّى فيما يلي:

أولاً: يسر الشريعة في طهارة التيمم للحدثين، إذ أن صفتة وكيفيته واحدة كافية مجزئة لرفع الحدث سواء كان أكبر أو أصغر.

ثانياً: بعد أحكام هذه الشريعة عن التكلف والمشقة.

هذه بعض النماذج من اجتهدات الصحابة رض في زمان النبي صل وموقف النبي صل منها في الإقرار لها أو الرفض والتصحيح لاجتهاد من أخطأ منهم فيه، ومدارها على الرحمة بالعباد؛ إما في إقرار التتوّع في الاجتهاد في العمل الواحد، واعتبار كل مجتهد في ذلك العمل مصيّباً على حد سواء، أو أن بعضهم أوفر حظاً وأكثر قرباً للصواب في اجتهاده مع

(١) انظر: معلم السنن، الخطابي ٩٩ /١ وما بعدها. فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن رجب ٢٤٥/٢ وما بعدها.

تسویغ الاجتہاد الآخر، أما إذا كان الاجتہاد بعيداً عن الصواب ويسلك منهجاً لا يتفق مع الحقيقة التي تقوم عليها هذه الشريعة السمحۃ شریعۃ الرحمة فإن النبي ﷺ يبین ذلك بما يتفق مع هذه الشريعة التي قیامها على الرحمة والحكمة والعدل ومراعاة مصالح العباد في الدنيا والآخرة، (فإن الشريعة مبناتها وأساسها على الحكم ومصالح العباد في المعاش والمعاد، وهي عدل كلها، ورحمة كلها، ومصالح كلها، وحكمة كلها؛ فكل مسألة خرجت عن العدل إلى الجور، وعن الرحمة إلى ضدها، وعن المصلحة إلى المفسدة، وعن الحكمة إلى العبث؛ فليست من الشريعة وإن أدخلت فيها بالتأویل)<sup>(١)</sup>، واجتهادات الصحابة التي وقعت في عهد النبوة وموقف النبي ﷺ منها بیینت لنا قیام الشريعة الإسلامية المبارکة على الرحمة الخاصة والعامّة.



## الخاتمة

ستكون الخاتمة في أهم النتائج والتوصيات.

### أولاً : نتائج البحث:

- أن الاجتهادات التي أقرها النبي ﷺ مدارها على اليسر والسهولة، وما صححها النبي ﷺ نجد فيها تكلفاً وقع من الصحابي لا يتفق مع اليسر والسعة والرحمة التي قامت عليها الشريعة.
- أغلب الاجتهادات التي وقعت من الصحابة في زمن النبي ﷺ قد أقرّها ﷺ لتوافقها مع روح الشريعة، وجميعها تتسم بالرفق والرحمة ورفع المشقة عن الأمة، مما يعني قوة إدراك الصحابة لمقاصد الشريعة والحقيقة التي قامت عليها من اليسر والسعة والرفق والرحمة.
- تلطّف الرسول ﷺ ب أصحابه ﷺ في تقويم اجتهاداتهم، ورفقه بهم، فكان كما وصفه الله ﷺ **﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾** [التوبه: ١٢٨].
- أن الاجتهادات التي وقعت من الصحابة في زمن النبي ﷺ يمكن أن نقسمها إلى:

١. اجتهد مع عدم النص، وأمده الرجوع إلى النبي ﷺ والعثور على النص المؤيد أو المصحح.

٢. اجتهد في فهم النص، ومثاله ما حديث الصحابة من اجتهد في فهم نص: (لا يصلين أحدكم العصر إلا في بنى قريظة).

٣. اجتهد في الخيار بين البديلتين النصيّة، كما حديث من عمرو بن العاص رضي الله عنهما في العدول عن الغسل إلى التيمم لخوف من ضرر استعمال الماء.

وفي جميع هذه الأنواع من الاجتهدات تظهر رحمة الله بالأمة وفضله عليها في بيان مناهج الفقه والاجتهد والاستباط.

- أن اجتهدات الصحابة رضي الله عنهما تقوم على العلم بالحق وإدراك رحمة الشريعة بالخلق، فكانوا خيراً على من بعدهم.

- الرحمة في مشروعية الاجتهد للوصول للحكم الشرعي.

- أن العمل بالظن المستند إلى أصل شرعي جائز، وهذا من الرحمة بالأمة.

- استفاد الصحابة رضي الله عنهما من الممارسات الاجتهادية في زمن النبي ﷺ وتوسعت مدارك الاجتهد عندهم، ولذلك ساروا على هذا الأصل في الوصول إلى الأحكام بعد وفاة النبي ﷺ بعد أن اتضح لهم منهج الاجتهد في زمنه وتحت إشرافه رضي الله عنهما. فتعددت اجتهداتهم وتتنوعت، ولكنها لم تخرج من إطار الشريعة ودائرة في فلوكها، فكان فيها التوسيعة على الأمة والرحمة التي اغتبط بها الفقهاء وأصحاب القرار في الأمة من بعدهم، وعددها كثير من أصحاب المذاهب الفقهية في أصول مذاهبهم.

- ضرورة إرجاع الأمر إلى أهله، فلا ينفرد أحد باجتهاد تعود تبعاته على الأمة بعامة، وبخاصة فيما يتعلق بقضايا الأمة الكبرى كالسياسة والجهاد وال العلاقات الدولية.
- الحرص على الائتلاف وتقريب الخلاف ما وجد لذلك مسلكاً، حتى لا يكون الاختلاف سبباً للافتراء والشقاق.

### ثانياً: التوصيات.

- السنة النبوية مصدر من مصادر تأمين المجتمع من الانحرافات وإمداده بالأفكار الصحيحة في التعامل مع الأحداث والأزمات، فيعني بالأبحاث التي تبرز هذا الجانب مساهمة في حماية شباب الأمة من الاسترسال في الأفكار المنحرفة.
- عنابة محاضن التربية، ومراكز التوجيه، وصناعة الفكر بتعويم الشباب على إرجاع الأمر لأهله.
- ضرورة قيام المؤسسات التي تعنى بالتفكير الجماعي الفاعل لتواجه الأمة التحديات بفكر موحد.

والله الموفق.



## فهرس المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم.
٢. أحكام القرآن. ابن العربي، محمد بن عبد الله (ت: ٥٤٣هـ). تحقيق: محمد عبدالقادر عطا. الطبعة الثالثة بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.
٣. الموطأ. الإمام مالك بن أنس (ت: ١٧٩هـ). تصحيف وتحريج: محمد فؤاد عبدالباقي. د. ط بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م.
٤. مسنن الإمام أحمد بن حنبل. الإمام أحمد (ت: ٢٤١هـ). تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرون. الطبعة الأولى، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.
٥. مسنن الإمام أحمد بن حنبل. الإمام أحمد (ت: ٢٤١هـ). تحقيق: أحمد محمد شاكر. الطبعة الأولى، القاهرة: دار الحديث، ١٤٩٥هـ/١٩٩٥م.
٦. صحيح البخاري. البخاري، محمد بن إسماعيل (ت: ٢٥٦هـ). تحقيق: محمد زهير الناصر. الطبعة الأولى دار طوق النجا، د. م ١٤٢٢هـ.
٧. صحيح مسلم. الإمام مسلم (ت: ٢٦١هـ). تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي. د. ط بيروت دار إحياء التراث العربي، د. ت.
٨. سنن أبي داود، أبو داود، سليمان بن الأشعث (ت: ٢٧٥هـ). تحقيق: شعيب الأرناؤوط ومحمد كامل قره بالي. الطبعة الأولى، د. م دار الرسالة العالمية ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.

٩. سنن الترمذى. الترمذى، محمد بن عيسى (ت: ٢٧٩هـ). تحقيق: أحمد محمد شاكر و محمد فؤاد عبد الباقي وإبراهيم عطوة. الطبعة الثانية، مصر: مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي، ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م.
١٠. معالم السنن. الخطابي، حمد بن محمد (ت: ٣٨٨هـ). الطبعة الأولى حلب: المطبعة العلمية ١٣٥١هـ / ١٩٣٢م.
١١. غريب الحديث. أبو عبيد، القاسم بن سلام (ت: ٢٢٤هـ). تحقيق: محمد عبد المعيد خان. الطبعة الأولى، حيدر آباد - الدكن: مطبعة دار المعارف العثمانية ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م.
١٢. جامع بيان العلم وفضله. ابن عبدالبر، يوسف بن عبدالله (ت: ٤٦٣هـ). تحقيق: أبو الأشبال الزهيري. الطبعة الأولى، الدمام: دار ابن الجوزي، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م.
١٣. كشف المشكّل من حديث الصحيحين. ابن الجوزي، أبو الفرج، عبد الرحمن بن علي (ت: ٥٩٧هـ). تحقيق: علي حسين البواب. الطبعة الأولى، الرياض: دار الوطن، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م.
١٤. المستدرک على الصحيحين. الحكم، محمد بن عبد الله (ت: ٥٤٠هـ). تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا. الطبعة الأولى بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١١هـ / ١٩٩٠م.
١٥. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد. الهيثمي، علي بن أبي بكر (ت: ٨٠٧هـ). تحقيق: حسام الدين القدسي. د. ط القاهرة مكتبة القدسي، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م.
١٦. إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، أحمد بن محمد القسطلاني، (ت: ٩٢٣هـ) الطبعة السابعة مصر، المطبعة الكبرى الأميرية، ١٣٢٣هـ.
١٧. التوضيح لشرح الجامع الصحيح. ابن الملقن، عمر بن علي (ت: ٤٨٠هـ). الطبعة الأولى، دمشق: دار التوادر ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م.

١٨. فتح الباري شرح صحيح البخاري. ابن رجب، عبد الرحمن بن أحمد (ت: ٧٩٥هـ). تحقيق: محمود بن شعبان بن عبد المقصود وأخرون.

الطبعة الأولى، المدينة: مكتبة الغرباء الأثرية، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

١٩. فتح الباري بشرح صحيح البخاري. ابن حجر، أحمد بن علي (ت: ٨٥٢هـ). تحقيق: محب الدين الخطيب. الطبعة الأولى، القاهرة: دار الريان، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م.

٢٠. شرح سنن أبي داود. العيني، بدر الدين، محمود بن أحمد (ت: ٨٥٥هـ). تحقيق: خالد بن إبراهيم المصري. الطبعة الأولى، الرياض: مكتبة الرشد ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

٢١. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج. النwoي، يحيى بن شرف (ت: ٦٧٦هـ). الطبعة الثانية، بيروت: دار إحياء التراث العربي ١٣٩٢هـ.

٢٢. زاد المعاد في هدي خير العباد. ابن القيم، محمد بن أبي بكر (ت: ٧٥١هـ). الطبعة السابعة والعشرون، بيروت: مؤسسة الرسالة - الكويت: مكتبة المنار الإسلامية د. ت.

٢٣. صحيح سنن أبي داود (الأم). الألباني، محمد ناصر الدين (ت: ١٤٢٠هـ). الطبعة الأولى، الكويت: مؤسسة غراس، ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م.

٢٤. العدة في أصول الفقه. الفراء، القاضي أبو يعلى، محمد بن الحسين (ت: ٤٥٨هـ). تحقيق: أحمد سير مباركي. الطبعة الثانية، د.ن ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

٢٥. قواطع الأدلة في الأصول. المرزوي السمعاني، أبو المظفر، منصور ابن محمد (ت: ٤٨٩هـ). تحقيق: محمد حسن إسماعيل الشافعي. الطبعة الأولى، بيروت: دار الكتب العلمية ١٤١٨هـ/١٩٩٩م.

٢٦. صحيح سنن النسائي. الألباني، محمد ناصر الدين (ت: ١٤٢٠هـ).  
الطبعة الأولى، الرياض: مكتبة المعرفة، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م.
٢٧. التبصرة في أصول الفقه، الشيرازي، أبو إسحاق، إبراهيم بن علي (ت: ٤٧٦هـ). تحقيق: محمد حسن هيتو. الطبعة الأولى، دمشق: دار الفكر، ١٤٠٣هـ.
٢٨. المستصفى من علم الأصول. الغزالى، أبو حامد، محمد بن محمد (ت: ٥٥٠٥هـ). الطبعة الأولى، صيدا - بيروت: المكتبة العصرية، ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٨م.
٢٩. المحصول. الرازى، فخر الدين، محمد بن عمر (ت: ٦٠٦هـ).  
تحقيق: طه جابر فياض العلوانى. الطبعة الثالثة، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م.
٣٠. روضة الناظر وجنة المناظر. ابن قدامة، عبدالله بن أحمد (ت: ٦٢٠هـ). تحقيق: عبدالكريم النملة. الطبعة السادسة، الرياض: مكتبة الرشد، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م.
٣١. الإحکام في أصول الأحكام. الأمدي، علي بن محمد (ت: ٦٣١هـ).  
تحقيق عبد الرزاق عفيفي. د. ط. بيروت - دمشق: المكتب الإسلامي، د. ت.
٣٢. إعلام الموقعين عن رب العالمين. ابن القيم، محمد بن أبي بكر (ت: ٧٥١هـ). تحقيق: محمد عبدالسلام إبراهيم. الطبعة الأولى، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١١هـ / ١٩٩١م.
٣٣. كتاب العين. الفراهيدي، الخليل بن أحمد (ت: ١٧٠هـ). تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي. د. ط. د. م. دار ومكتبة الهلال، د. ت.
٣٤. القاموس المحيط. الفيروزآبادى، محمد بن يعقوب (ت: ٨١٧هـ).  
الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م بيروت مؤسسة الرسالة.

٣٥. إرشاد الفحول إلى تحقق الحق من علم الأصول. الشوكاني، محمد ابن علي (ت: ١٢٥٥هـ). تحقيق: أحمد عزو عنابة. الطبعة الأولى، د.م، دار الكتاب العربي ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م.
٣٦. تاج العروس من جواهر القاموس. الزبيدي، مرتضى محمد بن محمد (ت: ١٢٠٥هـ). د. ط، د. م، دار الهدایة.





معالم الرحمة  
في الدعوة إلى الله  
في القرآن الكريم

”مع سورة الأعراف أنموذجاً“

إعداد:

أ. د. خالد بن عبدالله بن عبد العزيز القاسمي

# المؤتمر الدولي في الرحمة في الإسلام

The International Conference on Mercy in Islam  
قسم الدراسات الإسلامية - كلية التربية



## سهرة

الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعود بالله من شرور أنفسنا  
ومن سيئات أعمالنا.. أما بعد:

### أهمية البحث:

الدعوة إلى الله سبيل الأنبياء وأتباعهم ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلٌ أَدْعُوكُمْ إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسَبَحَنَ اللَّهُ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشَرِّكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨]  
وهي مهمة أمة محمد ﷺ ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرَجْتُ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

والدين إنما يقوم بالدعوة إليه، والدعوة إلى الله إذا قامت كما يجب تأتي بالخير للبشرية جموعاً، وإذا قامت على خلاف منهج الله فإن آثارها تكون عكسية وتكون صدًّا عن سبيل الله.

ومنهج الدعوة يؤخذ من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ومن سمات الدعوة إلى الله التي ينبغي أن تكون في الدعوة دعوتهم الرحمة التي هي رسالة النبي ﷺ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٧].

### هدف البحث:

يهدف البحث إلى إظهار معالم الرحمة في الدعوة إلى الله في القرآن عموماً معأخذ سورة الأعراف أنموذجاً، وما في السنة من المعاني القريبة.

## منهج البحث:

سأنهج في البحث المنهج الاستقرائي الاستباطي من القرآن الكريم  
لآيات الرحمة في الدعوة إلى الله وما تيسر من سنة رسول الله ﷺ.

## الدراسات السابقة:

الدراسات السابقة لا تحصى في أهمية الرحمة في الدعوة إلى الله في الكتاب والسنة أو ضمن صفات الأنبياء وخاصة النبي ﷺ أو صفات الدعاء، وفي هذا البحث سأقتصر على معالم الرحمة في القرآن في الدعوة إلى الله مع سورة الأعراف أنموذجاً، وهو لم يأت في الدراسات التي رأيتها واطلعت عليها.

## مشكلة البحث:

تتكرر آيات الرحمة في القرآن الكريم لا سيما في موضوع الدعوة إلى الله مع إعراض بعض الدعاة عن ذلك في دعوتهم.

ويأتي هذا البحث لبيان أهمية الرحمة في القرآن الكريم وبيان معالمها، مع سورة الأعراف أنموذجاً.

## خطة البحث:

تمهيد في معاني الرحمة والدعوة إلى الله.

المبحث الأول: معالم الرحمة في الدعوة إلى الله في القرآن الكريم.

المطلب الأول: الرحمة في صفات الله في القرآن الكريم وصلته بالدعوة.

المطلب الثاني: الرحمة في ترغيب المخالفين في القرآن الكريم.

المطلب الثالث: وصف القرآن الكريم وبعض الكتب السماوية بالرحمة والهداية.

المطلب الرابع: رحمة الأنبياء في القرآن الكريم.

المطلب الخامس: رحمة النبي ﷺ.

المطلب السادس: رحمة الدعاة في القرآن الكريم.

المبحث الثاني: معالم الرحمة في الدعوة إلى الله في سورة الأعراف أنموذجاً.



## تمهيد معنى الرحمة

الرحمة في اللغة: الرقة والتعطف<sup>(١)</sup>.

الرحمة تقتضي الإحسان إلى المرحوم<sup>(٢)</sup>.

وهي رقة في النفس تبعث على سوق الخير لمن تتعدى إليه<sup>(٣)</sup>.

ومنها الرحم، لأن منها ما يكون يرحم ويرق له من ولد<sup>(٤)</sup>.

وهي بين الزوجين ﴿ وَمَنْ أَيْنَتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذَّاتٍ لِقَوْمٍ يَنْفَكِرُونَ ﴾ ﴿٦١﴾

[الروم: ٢١].

وأعظم رحمة تعريف الناس بربهم وحالتهم وإنقاذهم من الضلال إلى الهدى والنجاة من عذابه في الآخرة، بل إسعادهم في الدنيا والآخرة.

كما أن المعرضين عنه المكذبين له الصادين عنه المقاتلين له يأمر الله بالشدة معهم وقتالهم، وهذا فيه معنى من معاني الرحمة من حماية الدين وقهـر الكفار حتى يدخلوا في الدين وتبيـن لهم حقائقه..

(١) انظر: تهذيب اللغة، الأزهري، ٥٠/٥. لسان العرب، ابن منظور، ١٢/٢٣٠. معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ٤٩٨/٢. القاموس المحيط، الفيروزآبادي، ص ٨١٧.

(٢) انظر: مفردات اللغة، الراغب الأصفهاني، ١/٣٤٧.

(٣) التحرير والتواتر، ابن عاشور، ٢٦/٤٩٨.

(٤) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ٢/٤٩٨.

”وغاية الصراع في الإسلام هي هداية البشرية ودلالتها على سعادتها في الدنيا والآخرة، وترغيبها في الخصوص لربها، وأن تعبده ﷺ كما شرع. وأن تبذر العداوات ويسطير الحب والإخاء على قلوب الناس، وغاية الصراع عند أعداء الحق هي تحطيم البشرية وإضلالها عن الحق، وتوجهها بربها، وتوجهها بأخرتها دار القرار التي هي صائرة إليه، وإفشاء العداوات والأحقاد والفتنة“<sup>(١)</sup>. وهذا غاية الرحمة.

### معنى الدعوة:

#### الدعوة في اللغة:

مأخذة من الدعاء وهو النداء. وتطلق في اللغة على التداعي ودعوة العرس، ودعاء الله والزعم والرغبة والطلب، والدعاة قوم يدعون إلى بيعة هدى أو ضلاله، والمؤذن داعي الله، والنبي ﷺ داعي الأمة إلى توحيد الله وطاعته، والدعوة قد تكون للحق أو للباطل ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ﴾ [الرعد: ١٤]<sup>(٢)</sup>.

#### الدعوة إلى الله اصطلاحاً:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : ”الدعوة إلى الله هي الدعوة إلى الإيمان به وبما جاءت به رسالته، بتصديقهم فيما أخبروا به، وطاعتهم فيما أمروا، وذلك يتضمن الدعوة إلى الشهادتين، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت، والدعوة إلى الإيمان بالله ومלאكته وكتبه ورسله“<sup>(٣)</sup>.

وقيل: ”السعي لدعوة الناس بالقول والعمل إلى الإسلام، وإلى تطبيق منهجه واعتقاد عقيدته وتنفيذ شريعته“<sup>(٤)</sup>.

(١) الصراع بين الحق والباطل كما جاء في سورة الأعراف، عادل محمد صالح.

(٢) تهذيب اللغة، الأزهري، ١٢٢/٣ . لسان العرب، ابن منظور ٢٦٨/٥ .

(٣) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، جمع وترتيب الشيخ عبد الرحمن بن قاسم، ١٥٧/١٥ .

(٤) انظر: الدعوة إلى الله، توفيق الواعي، ص ١٧ .

والدعوة تشمل دعوة الكفار إلى الإسلام، وكذلك دعوة المسلمين إلى أحكام الصلاة ونحوها، ولذا فالآذان هو دعوة للمسلمين، فعن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال: "من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاحة القائمة آتِ محمداً الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته حلت له شفاعتي يوم القيمة" <sup>(١)</sup>.

"المقصود بالرحمة في منهج دعوة الإسلام اشتغال الدين الإسلامي الحنيف على الرحمة والعطف بالخلق ودعوتهم بكل مسلك فاضل ومنهج الدعوة يشتمل على حقيقة الرحمة سواء في محتواه أو في طريق نشره" <sup>(٢)</sup>.

### أهمية الدعوة وفضائلها:

وفضل الدعوة إلى الله عظيم ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّمَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣].

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً، ومن دعا إلى ضلاله كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً» <sup>(٣)</sup>.

والدعوة وبلاع الدين وظيفة الأنبياء وأتباعهم، يأمر الله تعالى فيه النبي ﷺ: «قُلْ هَذِهِ سَيِّلٌ أَدْعُوكُمْ إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَنَ اللَّهِ وَمَا أَنَّمِنَ الْمُشْرِكِينَ» [يوسف: ١٨].

والدعوة في أقل أحوالها فرض كفاية على أمّة محمد ﷺ، وقد تتعين

(١) رواه البخاري، كتاب الآذان، باب الدعاء عند النداء، برقم (٦١٤).

(٢) منهج الدعوة إلى الله في القرآن والسنة، راجح السباتين، من موقعه على الإنترنت.

(٣) رواه مسلم، كتاب العلم، باب من سن سنة حسنة أو سيئة ومن دعا إلى هدى أو ضلاله، برقم (٢٦٧٤).

أحياناً عند وجود النقص وعدم الكفاية، قال ابن باز رحمه الله: دلت الأدلة من الكتاب والسنة على وجوب الدعوة إلى الله عز وجل، وأنها من الفرائض، والأدلة في ذلك كثيرة، منها قوله صلوات الله عليه : **(وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَا عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)** [آل عمران: ١٠٤] ومنها قوله جل وعلا : **(أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَحَدِّلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحَسَنُ)** [النحل: ١٢٥] ومنها قوله صلوات الله عليه : **(وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ)** [القصص: ٨٧] ومنها قوله صلوات الله عليه : **(قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي)** [يوسف: ١٠٨] فبين صلوات الله عليه أن اتباع الرسول صلوات الله عليه هم الدعاة إلى الله، وهم أهل البصائر، والواجب كما هو معلوم هو اتباعه، والسير على منهاجه صلوات الله عليه كما قال تعالى : **(لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لَمَنْ كَانَ يَرْجُوَ اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا)** [الأحزاب: ٢١]، وصرح العلماء أن الدعوة إلى الله عز وجل فرض كفاية بالنسبة إلى الأقطار التي يقوم فيها الدعاة، فإن كل قطر وكل إقليم يحتاج إلى الدعوة وإلى النشاط فيها، فهي فرض كفاية إذا قام بها من يكفي سقط عن الباقين ذلك الواجب، وصارت الدعوة في حق الباقيين سنة مؤكدة، وعملاً صالحًا جليلاً.

وإذا لم يقم أهل الإقليم أو أهل القطر المعين بالدعوة على التمام، صار الإثم عاماً، وصار الواجب على الجميع، وعلى كل إنسان أن يقوم بالدعوة حسب طاقته وإمكانه، أما بالنظر إلى عموم البلاد، فالواجب: أن يوجد طائفة منتخبة تقوم بالدعوة إلى الله جل وعلا في أرجاء المعمورة، تبلغ رسالات الله، وتبيّن أمر الله عز وجل بالطرق الممكنة، فإن الرسول صلوات الله عليه قد بعث الدعاة، وأرسل الكتب إلى الناس، وإلى الملوك الرؤساء ودعاهم إلى الله عز وجل<sup>(١)</sup>.

فالمسلم يدعو إلى الله على بصيرة، ولا يشترط أن يكون من العلماء،

(١) انظر: موقع الشيخ ابن باز بعنوان: حكم الدعوة إلى الله، وانظر أيضًا: مجلة البحوث الإسلامية، الصادرة عن الرئاسة العامة للبحوث والعلمية والافتاء بالسعودية عدد محرم ١٤٩٨هـ.

إنما يكفي أن يدعو بما يعلم أنه حق، فيدعوا إلى لا إله إلا الله وإلى الصلاة وإلى الخير كما قال ﷺ: **وَالْعَصْرِ ۚ إِنَّ الْإِنْسَنَ لَفِي حُسْنٍ ۖ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّلِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ۗ** [الصر: ٢-٣].

وقد قال النبي ﷺ في حجة الوداع مخاطباً أكبر جمع رآه، والخطاب لجميع من آمن به: «ليبلغ الشاهد الغائب، فإن الشاهد عسى أن يبلغ من هو أوعى منه»<sup>(١)</sup>.

وفي صحيح البخاري عن عبد الله بن عمرو رض أن رسول الله ﷺ قال: «بلغوا عني ولو آية»<sup>(٢)</sup> وكان من مع النبي ﷺ يتحول إلى الدعوة من أول يوم كالصديق رض والطفيلي الدوسي رض<sup>(٣)</sup>.



(١) متفق عليه: البخاري، كتاب العلم، باب قول النبي ﷺ: «رب مبلغ أوعى من سامع»، برقم (٦٧).  
ومسلم، كتاب القسمامة والمحاربين والقصاص والديات، باب تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال (١٦٧٩).

(٢) رواه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عنبني إسرائيل، برقم (٣٤٦١).

(٣) انظر قصته في ص ١٨ من هذا البحث.

# المبحث الأول

## معالم الرحمة

### في الدعوة إلى الله في القرآن الكريم

#### المطلب الأول

#### الرحمة في صفات الله في القرآن الكريم

#### وصلته بالدعوة

الرحمة من أعظم صفات الله، والله ﷺ هو أول داعي **﴿وَاللَّهُ يَدْعُونَا إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطِ مُسْتَقِيمٍ﴾** [يونس: ٢٥] **﴿وَاللَّهُ يَدْعُونَا إِلَىٰ الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ﴾** [البقرة: ٢٢١] **﴿يَدْعُوكُمْ لِيغْفِرَ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤْخِرَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمٍ﴾** [إبراهيم: ١٠]، وهو ﷺ الرحمن الرحيم، جاءت في أكثر آية ترددت في القرآن الكريم، وهي البسمة **﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾** [الفاتحة: ١] وفي الفاتحة التي تتردد في كل ركعة من ركعات الصلاة.

والداعي يدعو إلى الله الرحمن الرحيم. قال ابن عباس **رض**: اسمان رقيقان أحدهما أرق من الآخر<sup>(١)</sup>. وقال ابن كثير: والرحمن الرحيم اسمان مشتقان من الرحمة على وجه المبالغة ورحمن أشد مبالغة من رحيم، وفي كلام ابن جرير ما يفهم منه حكاية الاتفاق على هذا<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر: تفسير القرطبي، ١٠٦ .

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ١٢٤/١ .

والرحمن لجميع الخلق، وقد عبر ﷺ في استوائه على العرش وهو أعظم مخلوقاته بالرحمن ليعم جميع خلقه، قال تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ أَسْتَوَى﴾ [طه:٥]، والرحيم بالمؤمنين، قال ﷺ: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب:٤٣]، فخصصهم باسمه الرحيم<sup>(١)</sup>.

فرحمة الله وسعت كل شيء، وهي شاملة لجميع خلقه ومنهم الكفار، ولنتأمل بعض الآيات الكريمة في سعة رحمة الله؛ قال ﷺ: ﴿وَرَحْمَتِي وَسَعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف:١٥٦] ويقول ﷺ مبيناً سعة رحمته في دعاء ملائكته ﴿رَبَّنَا وَسَعَتْ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَأَعْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَأَتَبْعَوْ سَيِّلَكَ وَقَهْمَ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ [غافر:٧]. فبدءوا بالرحمة.

والرحمة وردت في القرآن الكريم في أكثر من (٤٠٠) موضع<sup>(٢)</sup>. وفي الدعوة إلى التوحيد ﴿وَإِنَّهُمْ لَكُلُّهُمْ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة:١٦٢] ترغيباً لهم.

والله ﷺ هو الذي كتب على نفسه الرحمة ﴿كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: ١٢] ورحمة الله سبقت غضبه ﷺ، فعن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «إن رحمتي سبقت غضبي»<sup>(٣)</sup>، والله يأمر نبيه ﷺ بهذا الأمر ﴿نَعِدُكُمْ بِهَذَا الْأَمْرِ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الحجر:٤٩].

فالله ﷺ هو أرحم الراحمين.

﴿وَأَدْخَلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٥١].

﴿فَاللَّهُ خَيْرُ حَفَظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف: ٦٤].

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ١٢٦/١.

(٢) وبحسب البحث في معجم المصحف عن كلمات الرحمة؛ وجد: رحيم: ١١٥، رحمة: ٢٠١، راحم: ٦، غير الرحمة في البسملة ١١٢ مرة دون الفاتحة كل مرة احتوت على كلمتين، ليكون الإجمالي  $6 + 112 = 118$  مرة.

(٣) رواه البخاري، كتاب التوحيد، باب وكان عرشه على الماء، برقم (٧٤٢٢).

﴿قَالَ لَا تَنْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرَحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾

[يوسف: ٩٢]

﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَقِ مَسْنَى الْضُّرِّ وَأَنَّ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣].

﴿إِنَّهُ كَانَ فِرِيقًا مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا أَمَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَأَرْحَمْنَا وَأَنَّ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾

[المؤمنون: ١٠٩].

﴿وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَأَرْحَمْ وَأَنَّ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف: ١١٨].

والإسلام والهدایة من رحمة الله ﴿الَّذِي جَاءَكُم مِّنْ رَحْمَتِهِ فَمَن يَشَاءُ مِنْهُ يَنْهَا﴾ [الفتح: ٢٥].

﴿وَلَكُنْ يُدْخَلُ مَن يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَأَنَّظَلَمُونَ مَا لَهُمْ مِّنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [الشورى: ٨].

﴿يُدْخَلُ مَن يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعْدَدُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الإنسان: ٣١].

ورحمة الله هي سبب نجاة الإنسان وهدايته ﴿فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِّنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [البقرة: ٦٤].

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَمَّا تَطَافَكُهُ مِنْهُمْ أَن يُضْلُلُوكُ﴾ [النساء: ١١٣].

وفضل الله ورحمته هي سبب هداية البشرية وعصمتها من الشيطان

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَا تَبْعَثُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ٨٣].

وهي خير من كل شيء ﴿وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [الزخرف: ٢٢].

ورحمة الله لا ممسك لها ﴿مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا

يُمْسِكَ فَلَا مُرْسِلٌ لَّهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ أَعْزَزُ الْحَكَمِ﴾ [فاطر: ٢].

عن أبي هريرة رض عن النبي ﷺ قال «إن لله مائة رحمة أنزل منها

رحمة واحدة بين الجن والإنس والبهائم والهوام، فبها يتعاطفون، وبها

يتراحمون، وبها تعطف الوحش على ولدها، وأخر الله تسعًا وتسعين رحمة

يرحم بها عباده يوم القيمة»<sup>(١)</sup>.

(١) رواه مسلم، كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقة غضبه، برقم (٢٧٥٢).

## المطلب الثاني الرحمة في ترغيب المخالفين في القرآن الكريم

المتأمل لآيات القرآن الكريم أنه ﷺ يعرض برحمته ﷺ للكفار والعصاة لترغيبهم في التوبة والدخول في رحمة الله ﷺ في آيات كثيرة، ومن ذلك تأتي رحمة الله في ترغيب الكفار للإسلام والتوبة «فَإِنْ أَنْهَاوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ» [البقرة: ۱۹۲].

ومع أهل الكتاب «لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَالِثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَحْدَهُ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَعْمَلُونَ لَيَمْسَسَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ» [المائدة: ۷۳] جاء بعدها «أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَّحِيمٌ» [المائدة: ۷۴].

ويأمر الله نبيه ﷺ بمخاطبة أسرى الكفار ودعوتهم: «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى إِنْ يَعْلَمُ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أَخْذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَّحِيمٌ» [الأنفال: ۷۰].

وفي قصص الأنبياء ودعوة أقوامهم في سورة الشعرا، تتردد الآيات الكريمة ثمانية مرات<sup>(۱)</sup> «وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ» [الشعرا: ۹] فهو ﷺ مع عزته وغلبته إلا أن رحمته باقية ﷺ في ثمان آيات بنفس اللفظ.

ومع الأعداء من الأزواج والأولاد «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ إِنَّمَا إِنْجَاحُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ عَدُوًا لَكُمْ فَاحذَرُوهُمْ» [التغابن: ۱۴]، ومع ذلك يأتي التوجيه الرباني «وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ» [التغابن: ۱۴].

وفي دعوة المكذبين «أَمْ يَقُولُونَ أَفَرَبَّهُ قُلْ إِنْ أَفَرَّتُمْ فَلَا تَنْكِحُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيقُونَ فِيهِ كَفَى بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَيَنْكِحُكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ» [الأحقاف: ۸]. وفي رد على المفترين.

وفي خطاب المكذبين: ﴿وَقَالُوا أَسْطِرُ الْأَوَّلِينَ أَكَتَبَهَا فَهِيَ تُمَلَّ  
عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الفرقان: ٥] يأتي التوجيه الرياني ﴿فُلْ آنَزَهُ اللَّهُ الَّذِي يَعْلَمُ  
السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الفرقان: ٦]. ﴿وَلَلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ  
وَالْأَرْضِ يَعْفُرُ لِمَنِ يَشَاءُ وَيَعْدِلُ مَنِ يَشَاءُ وَكَانَ اللَّهُ عَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الفتح: ١٤]  
 يأتي الترغيب بعد الترهيب.

وفي دعوته للكفار يكرر ﷺ صفة الرحمن في آيات عديدة، ليتعرضوا  
لرحمته بالتوبة، وهي آيات دعوة ﴿أَوْلَئِرَوْا إِلَى الظَّرِيرِ فَوَقَهُمْ صَنْفَتٍ وَيَقِنَّ مَا  
يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ يُكَلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ﴾ [١٩] ﴿أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جَنْدٌ لَكُمْ يَصْرُكُمْ مِنْ دُونِ  
الرَّحْمَنِ إِنَّ الْكَفِرُونَ إِلَّا فِي غُرُوبٍ﴾ [الملك: ٢٠-١٩].  
 ﴿وَلِإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ فَالْأَوْلَوْا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنْسَجَدَ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادُهُمْ نَفْرَةً﴾  
[الفرقان: ٦]. ﴿قُلْ مَنْ يَكُوْنُكُمْ بِأَلَّى وَأَنَّهَا رِبُّكُمْ مِنَ الرَّحْمَنِ بَلْ هُمْ عَنِ ذِكْرِ  
رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: ٤٢].

ومع المنافقين: ﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّدِيقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيَعْذِبَ الْمُنَافِقِينَ إِنَّ  
شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٢٤].

وهذا التوجيه الرياني للنبي ﷺ في دعوته للمكذبين من اليهود ﴿فَإِنْ  
كَذَّبُوكُمْ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَرَسْعَةٍ لَا يُرِدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾  
[الأنعام: ١٤٧] فهو ﷺ يجمع بين الترغيب والترهيب، ومع أنهم يكذبونه إلا  
أن الله يأمره أن يخبرهم بسعة رحمة الله تعالى.

وها هو يرغب أهل الكتاب في دعوتهم إلى الإيمان ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا  
أَتَقْوَا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتُكُمْ كَفَلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلُ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرُ  
لَكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الحديد: ٢٨] جاءت الرحمة والمغفرة في هذه الآية الكريمة.

وها هو المولى ﷺ في معرض تهديده للكفارة الصادين عن سبيل

الله المعذبين المؤمنين بالنار يدعوهم إلى التوبة «إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابٌ جَهَنَّمَ وَلَمْ يَعْذَبُ الْحَرِيقَ» [البروج: ١٠].

يقول الحسن البصري رض: انظروا إلى هذا الكرم والجود، قتلوا أولياءه وهو يدعوهم إلى التوبة والمغفرة<sup>(١)</sup>.

### المطلب الثالث

## وصف القرآن الكريم وبعض الكتب السماوية بالرحمة والهدایة



كتب السماء متضمنة للرحمة، وسبب نزولها هو رحمة الله الناس، وقد ضمن سبعين سورة القرآن الكريم بالبسملة «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾» [الفاتحة: ١].

المتأمل لكلام الله سبعين يجد اقتران الهدایة بالرحمة في آيات عديدة، ولا شك أن هذا المنهج يبيّن أهمية الرحمة في بيان الهدى وأكثر ما ورد في ذلك الكتب التي أنزلها الله، فهي نور ورحمة للناس وهي رحمة بهم تخرجهم من الظلمات إلى النور، قال سبعين عن التوراة: «وَلَمَّا سَكَنَ عَنْ مُوسَى الْغَصَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحُ وَفِي سُخْرَيْهَا هَدَى وَرَحْمَةً لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ» [الأعراف: ١٥٤]، ويقول: «ثُمَّ أَنْذَنَا مُوسَى الْكِتَبَ تَمَامًا عَلَى الْذِي أَحَسَنَ وَتَقْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدَى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ يَلْقَاءُنَّهُمْ يُؤْمِنُونَ» [الأنعام: ١٥٤] ويقول: «وَمَنْ قُتِلَهُ كِتْبٌ مُوسَى إِمَاماً وَرَحْمَةً» [هود: ١٧] والقرآن رحمة «وَلَقَدْ حِشَنَهُمْ بِكِتَبٍ فَصَلَّنَهُ عَلَى عِلْمٍ هَدَى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ» [الأعراف: ١٥٢] ويقول: «وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا» [الإسراء: ٨٢] «وَمَا كُنْتَ تَرْجُوا أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَبُ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَ ظَهِيرًا لِلْكُفَّارِ» [القصص: ٨٦].

١٦ بل إنه ﷺ يصف آيات القرآن ﴿إِنَّمَا تُلَقَّى إِيمَانُكُمْ إِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْكِتَابَ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ﴾ [لقمان: ٢-١]. ﴿أَوْ نَقُولُ أَوْ أَنَا أَنْزَلْتُ عَلَيْكُمُ الْكِتَابَ لَكُمْ أَهْدَى مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ بِسِنَةٍ مِّنْ رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَنَّأَظَمُّ مِمَّنْ كَذَّبَ إِيمَانِنَا اللَّهُ وَصَدَّقَ عَنْهَا سَنَجِزِي الَّذِينَ يَصْدِقُونَ عَنْ إِيمَانِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٧].

قال الزجاج: أي: هادياً ذا رحمة<sup>(١)</sup>، قال ﷺ: «هَذَا بَصَارٌ مِّنْ رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ» [الأعراف: ٢٠٣].

﴿فَقَدْ جَاءَكُمْ بِسِنَةٍ مِّنْ رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ﴾ [الأنعام: ١٥٧].  
 ﴿وَإِذَا مَّا تَأْتِهِمْ بِتَائِيَةٍ قَالُوا لَوْلَا أَجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَا أَتَيْتُكُمْ مَا يُوحَى إِلَيَّ مِنْ رَّبِّيٍّ هَذَا بَصَارٌ مِّنْ رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٣].  
 ﴿يَتَأْيِيْهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةً مِّنْ رَّبِّكُمْ وَشَفَاءً لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يوسوس: ٥٧].

﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّلْأَلْيَّبِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْرَدُ وَلَا كِنْ تَصْدِيقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلٌ كُلُّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف: ١١١].  
 ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لِهُمُ الَّذِي أَخْنَلُفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [النحل: ٦٤].

﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هُؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمْ الْكِتَابَ بِتِبْيَانٍ لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩].

﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَعْصُمُ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [٧٧-٧٦].  
 ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النمل: ٧٧-٧٦].

(١) انظر التفسير المنير، وهبة الزحيلي، (٢٢٦/٨).

قال ﷺ: «هَذَا بَصَرٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُوقَنُونَ» [الجاثية: ٢٠].

القرآن عبر عنه ﷺ بأنه تنزيل منه بصفة الرحمة ﴿١﴾ **تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ** ﴿٢﴾ **كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ** ﴿٣﴾ [فصلت: ١-٢].

وذكر الرحمن الرحيم عند ذكر تنزيل الكتاب يشير إلى الصفة الغالية في هذا التنزيل، وهي صفة الرحمة. وما من شك أن تنزيل هذا الكتاب جاء رحمة للعالمين، رحمة لمن آمنوا به واتبعوه، ورحمة كذلك لغيرهم لا من الناس وحدهم، ولكن للأحياء جميعاً، فقد سن منهجاً ورسم خطة تقوم على الخير للجميع وأثر في حياة البشرية<sup>(١)</sup>.

وفي سورة الرحمن: **الرَّحْمَنُ ۖ ۚ عَلَمَ الْقُرْءَانَ** ﴿١﴾ [الرحمن: ٢-١].

والقرآن العظيم: **تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ** ﴿٢﴾ [فصلت: ٢].

وجاءت رحمته ﷺ بمعنى الهدى، قال ﷺ: **يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ** ﴿١﴾ [الشورى: ٨، الإنسان: ٢١]. **لِيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ** ﴿٢﴾ [الفتح: ٢٥].

#### المطلب الرابع

#### رحمة الأنبياء في القرآن الكريم

الأنبياء هم أرحم الخلق بالخلق، وأكثرهم دعوة إلى الخالق، والقرآن الكريم مملوء بقصص الأنبياء، وما ذاك إلا ليقتدي بهم النبي ﷺ كما قال ﷺ: **أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فِيهِدَنَاهُمْ أَفْتَدَهُمْ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرًا لِلْعَالَمِينَ** ﴿١﴾ [الأنعام: ٩٠].

بل ليقتدي بهم أمته كما قال ﷺ: **شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّنِي بِهِ نُوحًا**

وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَفِيمُوا الَّذِينَ وَلَا  
نَفَرُوا فِيهِ كُبْرٌ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا نَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْعَلُ إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي  
إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ﴿١٣﴾ [الشورى: ١٣]

فالله يأمر الأمة بما أمر به الأنبياء من توحيد الله والدعوة إليه وإقامة الدين.

وأبو الأنبياء إبراهيم عليه الذى أمرنا الله باتباعه ﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ  
أَنِ اتَّعِ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [النحل: ١٢٢] يدعو الله  
بالرحمة ﴿فَنَّ تَعَنِّي فِإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [إبراهيم: ٢٦].

ودعوة إبراهيم عليه مليئة بالشفقة والرحمة، منها وهو يخاطب آباء بالرحمة ويقول له: ﴿يَأَبِتَ لَا تَعْبُدُ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِرَحْمَنِ عَصِيًّا  
يَأَبِتَ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمْسَكَ عَذَابًا مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونُ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾ [مريم: ٤٤-٤٥]  
ترغيباً له.

ويقول الله عن إبراهيم: ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَهُ الْبَشَرَى يُجَدِّلُنَا  
فِي قَوْمٍ لُّوطٍ﴾ [هود: ٧٤].

من رحمة الأنبياء أنهم يحبون لهم الإيمان كما أنه يجلب لهم الخير في الدنيا ترغيباً لهم ﴿فَقُلْتُ أَسْتَغْفِرُ رَبِّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَنَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ  
مَدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمَدِّدُكُمْ بِأَقْوَالِ وَبَنِينَ وَيَجْعَلُ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلُ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لَهُ  
وَفَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقْتُكُمْ أَطْوَارًا﴾ [نوح: ١٠-١٤] ﴿وَنَقَوْمٌ أَسْتَغْفِرُ رَبِّكُمْ شَمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلُ  
السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مَدْرَارًا وَيَزِدُّكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تُنَوِّلُوا مُجْرِمِينَ﴾ [هود: ٥٢].

ومن رحمة الأنبياء الإحسان إلى الناس ودعوتهم بأعمالهم وأخلاقهم كما يدعونهم بأقوالهم، فهذا يوسف عليه وهو في السجن يتآلف الناس بالإحسان إليهم، وحتى كان مرجعاً لهم ولنتأمل هذه الآية الكريمة ﴿وَدَخَلَ

مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانٌ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرِبَّنِي أَغْصَرُ حَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرِبَّنِي أَحْمَلُ  
فَوْقَ رَأْسِي خَبْرًا تَأْكُلُ الْطَّيْرُ مِنْهُ يُنْشَأُ بَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَيْكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٤٠﴾ [يوسف:  
٣٦] قال ابن عثيمين: وكان يوسف عليه السلام قد اشتهر في السجن بالجود والإحسان، فصدقه الحديث، وحسن السمت، وكثرة والإحسان إلى أهل السجن، وعيادة مرضاهم، والقيام بحقوقهم.

قال القرطبي رحمه الله: كان في السجن يعزي فيه الحزين، ويعود فيه المريض، ويداوي فيه الجرحى، ويصلّي الليل كله واستأنس من أهل السجن، فكان إذا خرج الرجل من السجن رجع حتى يجلس في السجن مع يوسف عليه السلام.  
وأحبه صاحب السجن فوسع عليه، فيه ثم قال يا يوسف: لقد أحببتك  
حباً لم أحب شيئاً حبك <sup>(١)</sup>.

وقد استثمر هذه الأخلاق الكريمة لدعوتهم إلى الله ﴿يَصَدِّحُونَ السِّجْنَ  
أَرْبَابُ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أُمِّ الْلَّهِ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾٣٩﴿ مَا عَبَدُوكُنَّ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءَ  
سَمَيَّتُمُوهَا أَنْتُمْ وَإِبْرَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَنٍ إِنَّ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمْرٌ إِلَّا  
تَعْبُدُونَ إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الَّذِينَ الْقَيْمُ وَلَنْكَنَ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[يوسف: ٤٠-٣٩].

وكان رسول الله ﷺ يقص على صحابته رحمة الأنبياء بأقوامهم، بل يحكيها لهم كأنهم يرونها، عن عبد الله بن مسعود قال: كأني أنظر إلى النبي ﷺ يحكينبياً من الأنبياء ضربه قومه فأدموه فهو يمسح الدم عن وجهه ويقول: رب اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون <sup>(٢)</sup>.

وسيأتي ذكر الأنبياء ورحمتهم في سورة الأعراف بمشيئة الله تعالى.

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ١٨٩/٩.

(٢) رواه البخاري، كتاب استتابة المرتدین، باب إذا عرض الذمي وغيره بسب النبي ﷺ برقم (٦٩٢٩).

ومسلم، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة أحد، برقم (١٧٩٢).

## المطلب الخامس

### رحمة النبي ﷺ في القرآن الكريم<sup>(١)</sup>

رسالة النبي ﷺ طابعها وعنوانها الرحمة، كما أخبر ﷺ بيانه للنبي ﷺ **﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾** [الأنباء: ١٠٧] وكفى بهذه الآية بياناً للدعاة من بعده ولمن تبعه على بصيرة أن تتجلى في دعوتهم الرحمة بمن يدعوهם.

وقال ﷺ: **«حَمَّ وَالْكِتَبِ الْمُبِينِ ۖ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَرَّكَةٍ ۖ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ ۖ فِيهَا يُفَرَّقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٌ ۖ أَمْرًا مِّنْ عِنْدِنَا ۖ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ۖ رَحْمَةً مِّنْ رَّبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ»** [الدخان: ٦-١٢]، والرحمة هو النبي ﷺ.

ولنتأمل بعض الآيات الكريمة في وصف النبي ﷺ.

يقول ﷺ: **«لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ»** [التوبه: ١٢٨].

ويقول ﷺ: **«لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتَوَلَّهُ عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ، وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَبَ وَالْحِكَمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ لِفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ»** [آل عمران: ١٦٤] فهو رحمة بهم وهو من أنفسهم وهو يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم.

وها هو ﷺ يخاطب أهل الكتاب ويدعوهم إلى الإيمان بالنبي مبيناً هدایته وبعض صفات الرحمة: **«يَا أَهْلَ الْكِتَبِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَشِّرُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنْتُمْ تُحْقِفُونَ مِنَ الْكِتَبِ وَيَعْقُلُونَ كَثِيرًا قَدْ جَاءَكُمْ مِنْ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَبٌ مُّبِينٌ ۖ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ، سُبْلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلْمَاتِ إِلَى النُّورِ يَادِنِيهِ، وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صَرْطِ مُسْتَقِيمٍ»** [المائدة: ١٥-١٦].

(١) وفي هذا المبحث سنتوسع لنشمل الكتاب والسنة نظراً لورود صفات الرحمة في سنته .

وبين الله ﷺ صفة رسول الله ﷺ: «فِيمَا رَحْمَةٌ مِّنَ اللَّهِ لِنَتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَطَّاً عَلَيْهِ الْقَلْبُ لَا تَنْقُضُوا مِنْ حَوْلِكُ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرُهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ» [آل عمران: ١٥٩].

يقول السعدي رحمه الله تعالى على الآية: «ولَوْ كُنْتَ فَطَّا» من أوجب الواجبات وأهم المهام الاقتداء بأخلاقه الكريمة ومعاملة الناس بما كان يعاملهم به ﷺ من اللين وحسن الخلق والتآليف امتثالاً لأمر الله وجدباً لعباد الله لدين الله<sup>(١)</sup>.

كما يأمر الله نبيه ﷺ بجواب المنافقين إنه رحمة «وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذِنُونَ أَنَّهُمْ وَيَقُولُونَ هُوَ أَذْنُ قُلْ أَذْنُ خَيْرٍ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيَرْجُو مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذِنُونَ رَسُولُ اللَّهِ هُمْ عَذَابُ أَلِيمٍ» [التوبه: ٦١].

كما كان رسول الله ﷺ حريصاً على هداية قومه «فَلَا تَذَهَّبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَتِ» [فاطر: ٨] فَلَعَلَّكَ بَيْخُ نَفْسَكَ عَلَى إِثْرِهِمْ إِنَّ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسْفًا» [الكهف: ٦].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يا أيها الناس إنما أنا رحمة مهداة»<sup>(٢)</sup>.

وعن جبير بن مطعم قال: سمي لنا رسول الله ﷺ نفسه أسماء فقال: «أنا محمد وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر، وأنا الحasher الذي يُحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب الذي ليس بعدهنبي»<sup>(٣)</sup>.

### ومن رحمته وصيته بالرحمة:

عن بريدة عن أبيه قال: كان رسول الله ﷺ إذا أمر أميراً على جيش أو

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن السعدي، ١٥٤/١.

(٢) رواه الحاكم في المستدرك ٣٥/١ وابن سعد في الطبقات ١٩٢/١. وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٤٩٠).

(٣) رواه البخاري، كتاب المناقب، باب ما جاء في أسماء رسول الله ﷺ، برقم (٣٥٣٢) ومسلم، كتاب الفضائل، باب في أسمائه ﷺ، برقم (٦٢٥١).

سرية أوصاه في خاصته بتنبوي الله ومن معه من المسلمين خيراً ثم قال:  
«اغزوا باسم الله في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلوا ولا  
تغدوا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليداً»<sup>(١)</sup>.

عن أسامة بن زيد رض قال: بعثنا رسول الله صل إلى الحرققة فصيبحنا  
ال القوم فهزمناهم ولحقت أنا ورجل من الأنصار رجلاً منهم فلما غشيناه  
قال: لا إله إلا الله، فكف الأنصاري، فطعنته برمحي حتى قتله فلما قدمنا  
بلغ النبي صل فقال: «يا أسامة أقتلته بعد ما قال: لا إله إلا الله»؟! قلت: كان  
متعوداً فما زال يكررها حتى تمنيت أنني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم<sup>(٢)</sup>.

عن عبد الله بن مسعود قال: كأني أنظر إلى النبي صل يحكىنبياً من  
الأنبياء ضربه قومه فأدموه فهو يمسح الدم عن وجهه ويقول: رب اغفر  
لقومي فإنهم لا يعلمون<sup>(٣)</sup>.

يقول ابن القيم رحم: تأمل حال النبي صل إذ ضربه قومه حتى أدموه،  
 يجعل يمسح الدم عنه ويقول: اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون. كيف جمع  
في هذه القامات أربع مقامات من الإحسان قابل به إساءتهم العظيمة له.  
 أحدها: عفوه عنهم. والثاني: استغفاره لهم. والثالث: اعتذار عنهم  
 بأنهم لا يعلمون، والرابع: استعطافه لهم بإضافتهم إليه، كما يقول الرجل  
 ملني يشفع عنده فيمن يتصل به: هذا ولدي<sup>(٤)</sup>.

**ومن رحمته صل النهي عن الظلم حتى مع المخالف.**

عن ابن عباس رض قال: قال رسول الله صل لمعاذ بن جبل حين بعثه

(١) رواه مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب تأمیر الإمام الأمراء على البعثة، ووصيته إياهم بآداب  
الغزو وغيرها برقم (١٧٣١).

(٢) رواه البخاري، كتاب المغازي، باب بعث النبي صل أسامة بن زيد برقم (٤٢٦٩) ومسلم، كتاب  
الإيمان، باب تحريم قتل الكافر بعد أن قل لا إله إلا الله، برقم (٢٨٨).

(٣) رواه البخاري، كتاب استتابة المرتدين، باب إذا عرض الذمي وغيره بسبب النبي صل، برقم (٦٩٢٩).

(٤) التفسير القيم، لابن القيم، دار مكتبة الهلال، ص ٦٥٤.

إلى اليمن: «إنك ستأتي قوماً من أهل الكتاب، فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فإنهم طاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإنهم طاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليكم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم، فإنهم طاعوا لك بذلك فإياك وكرائم أموالهم واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينه وبين الله حجاب»<sup>(١)</sup>.

عن أبي عبدالله الأستدي قال: سمعت أنس بن مالك رضي الله عنه يقول: قال رسول الله صلوات الله عليه وسلم: «اتقوا دعوة المظلوم وإن كان كافراً فإنه ليس دونها حجاب»<sup>(٢)</sup>. فالنبي صلوات الله عليه وسلم في هذا الحديث ينهى عن ظلم الكفار. وهذا من رحمته صلوات الله عليه وسلم بهم.

ومن رحمته صلوات الله عليه وسلم امتناعه عن الدعاء على من عاداه وأذاه، بل وتفكيره صلوات الله عليه وسلم في هداية من في الأصلاب.

جاء في الصحيحين أن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت للنبي صلوات الله عليه وسلم: هل أتي عليك يوم كان أشدّ من يوم أحد؟ قال: «لقد لقيت من قومك ما لقيت، وكان أشدّ ما لقيت منهم يوم العقبة، إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال فلم يجبنني إلى ما أردت، فانطلاقت وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب، فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلمتني، فنظرت فإذا فيها جبريل، فناداني فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك، وما ردّوا عليك، وقد بعث الله إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، فناداني ملك الجبال فسلم علىّ، ثم قال: يا محمد، فقال ذلك فيما شئت، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين، فقال النبي صلوات الله عليه وسلم: بل

(١) رواه البخاري، كتاب المغازي، باب بعث أبي موسى، برقم (٤٣٤٨).

(٢) رواه أحمد في المسند برقم (١٢٥٧١) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٧٦٧).

أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً<sup>(١)</sup>.

وعن أبي هريرة قال: قيل: يا رسول الله ادع على المشركين، قال: «إني لم أبعث لعاناً وإنما بعثت رحمة»<sup>(٢)</sup>.

ومن رحمته رض رفقه بمخالفيه. فعن عائشة زوج النبي ص قالت: دخل رهط من اليهود على رسول الله ص فقالوا: السام عليكم، قالت عائشة: ففهمتها فقلت: وعليكم السام واللعنة، قالت: فقال رسول الله ص: «مهلاً يا عائشة، إن الله يحب الرفق في الأمر كله»، فقلت: يا رسول الله، أو لم تسمع ما قالوا؟ قال رسول الله ص: «لقد قلت وعليكم»<sup>(٣)</sup>.

ومن رحمته رض أمره بالتبشير والتسير ونهيه ص عن التعسير والتتفير، وهذا في مقام الدعوة والتعليم، عن أبي هريرة رض أنه قال: قام أعرابي في المسجد، فتناوله الناس، فقال لهم النبي ص: «دعوه وهريقوا على بوله سجلاً من ماء، أو ذنوباً من ماء، فإنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين»<sup>(٤)</sup>.

وعن أنس بن مالك قال: قال النبي ص: «يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا»<sup>(٥)</sup>.

### ومن رحمته رض رفقه بالشباب العصاة.

عن أبي أمامة قال: أن فتى شاباً أتى النبي ص فقال: يا رسول الله أئذن لي بالزنا، فأقبل القوم عليه فزجروه وقالوا: مه مه، فقال: «أدنه»، فدنا منه

(١) رواه البخاري، كتاب بدء الخلق، باب إذا قال أحدكم: أمين والملاك في السماء: أمين فوافقت إحداهما الآخر عفرله ما تقدم من ذنبه، برقم (٣٢٣١) ومسلم، كتاب الجهاد والسيير، باب ما لقي النبي ص من أذى المشركين والمنافقين، برقم (١٧٩٥).

(٢) رواه مسلم، كتاب البر والصلة والأدب، باب النهي عن لعن الدواب وغيرها، برقم (٢٥٩٩).

(٣) رواه البخاري برقم (٦٠٢٤) ومسلم برقم (٥٧٨٤).

(٤) رواه البخاري، كتاب الوضوء، باب صب الماء على البول في المسجد، برقم (٢٢٠).

(٥) رواه البخاري، كتاب العلم، باب ما كان النبي ص يتخلوهم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا، برقم (٤٦٢٢) ومسلم برقم (٦٩).

قريباً قال: فجلس، قال: «أتحبه لأمك؟» قال لا والله جعلني الله فداءك، قال: «ولا الناس يحبونه لأمهاتهم، قال: أفتحبه لابنتك؟» قال: لا والله يا رسول الله جعلني الله فداءك؟ قال: «ولا الناس يحبونه لبناتهم؟» قال: أفتحبه لأختك؟» قال: لا والله جعلني الله فداءك، قال: «ولا الناس يحبونه لأخواتهم، قال: أفتحبه لعمتك؟» قال: لا والله جعلني الله فداءك، قال: «ولا الناس يحبونه لعماتهم، قال: أفتحبه لخالتك؟» قال: لا والله جعلني الله فداءك، قال: «ولا الناس يحبونه لخالاتهم»، قال: فوضع يده عليه وقال: «اللهم اغفر ذنبه وطهر قلبه وحسن فرجه»، فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء<sup>(١)</sup>.

وكذلك ما فعله الرسول ﷺ مع الطفيلي بن عمرو الدوسي ﷺ، فقد أسلم الطفيلي ابن عمرو الدوسي ﷺ قبل الهجرة في مكة ثم رجع إلى قومه يدعوهم إلى الإسلام، فأمر بأهل بيته، فأسلم أبوه وزوجته، ثم دعا قومه إلى الله ﷺ، فأبانت عليه وعصت، وأبطئوا عليه، فجاء الطفيلي بن عمرو الدوسي إلى رسول الله ﷺ فقال: «إن دوسا قد عصت وأبانت فادع الله عليهم فاستقبل رسول الله ﷺ قبلة ورفع يديه فقال الناس: هلكوا فقال: اللهم اهد دوسا وائت بهم اللهم اهد دوسا وائت بهم»<sup>(٢)</sup>.

### ومن رحمته ﷺ تجاوزه عن مخالفيه.

عن جابر بن عبد الله ﷺ قال: غزونا مع رسول الله ﷺ غزوة نجد، فلما أدركته القائلة وهو في واد كثير العضة، فنزل تحت شجرة واستظل بها وعلق سيفه، فتفرق الناس في الشجر يستظلون، وبينما نحن كذلك إذ دعانا رسول الله ﷺ فجئنا فإذا أعرابي بين يديه فقال: «إن هذا أتاني وأنا نائم فاختلط سيفي فاستيقظت وهو قائم على رأسي مخترط صلتا

(١) روأه أحمد في المسند برقم (٢٢٦٥) وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد وعزاه إلى الطبراني، وقال: رجاله رجال الصحيح / ١٢٩ وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٣٧٠).

(٢) روأه أحمد في المسند برقم (٧٢١٢) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة / ٦ / ٤٤٠.

قال: من يمنعك مني؟ قلت الله. فشامه ثم قعد فهو هذا»، قال: ولم يعاقبه رسول الله ﷺ<sup>(١)</sup>.

ومن رحمته ﷺ فرحة بإسلام الكفار.

عن أنس ﷺ قال: كان غلام يهودي يخدم النبي ﷺ، فمرض فأتاه النبي ﷺ يعوده فقعد عند رأسه فقال: «له أسلم»، فنظر إلى أبيه وهو عنده فقال له: أطع أبا القاسم ﷺ فأسلم فخرج النبي ﷺ وهو يقول: «الحمد لله الذي أنقذه من النار»<sup>(٢)</sup>.

## المطلب السادس رحمة الدعاة في القرآن الكريم

بعد الحديث عن رحمة الأنبياء ورحمة نبينا محمد ﷺ وهو قدوتنا، وهذا بحد ذاته كاف لاقتداء كل مسلم به ﷺ، ولكن من المفيد ذكر بعض النصوص في فضل الرحمة والأمر بها، وأنها لا تختص بالأنبياء، بل هي حتى في أتباعهم.

الرحمة من الله، والرحمة يجعلها الله في قلوب من يشاء من عباده،

﴿ثُمَّ فَقَيَّنَا عَلَىٰ إِائِرَهِمْ بِرْ سُلَيْمَانَ وَفَقَيَّنَا يَعْسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ وَإِاتَّنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ أَبْتَغُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً أَبْدَعُوهَا مَا كَنَّبَنَا عَلَيْهِمْ إِلَّا أَبْتَغَاهُ رِضْوَانَ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقًّا رِعَايَتَهَا فَتَائِنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَسِقُونَ﴾ [الحديد: ٢٧].

بل إنه ﷺ يخبرنا أن النجاة بالتواصي بالرحمة ﴿فَلَا أَفْنَحَ الْعَقَبَةَ﴾<sup>(١)</sup>

(١) رواه البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة بنى المصطلق من خزاعة، برقم (٤١٣٩).

(٢) رواه البخاري، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات، هل يصلى عليه، برقم (١٢٥٦).

وَمَا أَدْرِكَ مَا الْعَقَبَةُ ١٣ فَكَرَبَةٌ ١٤ أَوْ إِطْعَمَهُ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْعَبَةٍ ١٥ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ  
أَوْ مُشْكِنًا ذَا مَرْبَىٰ ١٦ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّدَرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ١٧  
أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْتَةِ ١٨ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِإِيمَانِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَسْمَةِ ١٩ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤَصَّدَةٌ

[البلد: ٢٠-١١].

وَاللَّهُ أَتَىٰ عَلَىٰ الْخَضْرِ بِالرَّحْمَةِ قَبْلَ الْعِلْمِ ۝ فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا  
ءَائِتَنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا ۝ [الكهف: ٦٥].

صاحب يس وهو يدعو قومه بالرحمة والشفقة كما قال ﷺ: «فَوَسَوسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبَدِّيَ لَهُمَا مَا وُرِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْءَاتِهِمَا وَقَالَ مَا هَنَّكُمَا بِكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكِيْنَ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَلَدِيْنَ ۚ وَفَاسِمَهُمَا إِنِّي لِكُمَا لَمَنِ التَّصْحِيفَينَ ۖ فَدَلَّلَهُمَا بِعُرُورٍ فَلَمَّا دَافَأَ الشَّجَرَةَ بَدَّتْ لَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانَ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَمَّا أَنْهِكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقْلَلَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِكُمَا عَدُوٌّ مُّئِنٌّ ۚ قَالَ أَهِيَطُوا بِعَضُّكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلِكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقْرٌ وَمَتَّعْ إِلَى حِينٍ ۚ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرِجُونَ ۚ يَتَبَّعِيْ إَدَمَ قَدْ أَزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِيَاسًا يُورِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِيَاسًا النَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ إِيمَانِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَكَّرُونَ ۚ يَتَبَّعِيْ إَدَمَ لَا يَفْنِنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبُوكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزَعُ عَنْهُمَا لِيَاسًا لِرِيشًا سَوْءَاتِهِمَا إِنَّهُ دِيرَنَكُمْ هُوَ وَقِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا نُرَوُهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيْطَانَ أُولَيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ۝ [يس: ٢٧-٢٠].

فتتأمل الرحمة في دعوته من عدة وجوه:

أولاً: بقوله: (يا قوم) يتحببهم بقرباته منهم ونصحه لهم.

ومنها أنه لا يوبخهم بالشرك، لم يقل لهم: كيف تعبدون وتتخذون آلهة وهي لا تغنى عنكم شيئاً، بل يجعل الأمر على نفسه «إِنَّكُمْ مِنْ دُونِنِّي إِنَّهُمْ إِنْ يُرِدُنَ الرَّحْمَنَ بِصُرُّبٍ لَا تَغْنُ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقَدُونَ» [يس: ٢٢].

ومنها أنه يختار صفة الرحمن ترغيباً لهم ودفعهم للهداية.

ومنها رحمته بهم وشفقته عليهم مع أنهم قتلوا بالحجارة وهو يقول:

﴿فَالَّذِي نَعْلَمُ مِنْ أَهْلِ الْكُرْمَةِ﴾ [سورة البقرة: ٢٦-٢٧].

قال ابن عباس: نصح لقومه حيًّا وميّتاً<sup>(١)</sup>.

يقول قتادة: إنه كان يقول وهم يرمونه بالحجارة: اللهم اهد قومي، اللهم اهد قومي، اللهم اهد قومي<sup>(٢)</sup>.

ويقول ابن مسعود: إنهم وطئوه بأرجلهم<sup>(٣)</sup>.

وفي صفة النبي ﷺ وصحابته الكرام يقول ﷺ: ﴿مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ، أَشَدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحْمَاءُ بَنَاهُمْ تَرَبَّهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثْرِ الْمُسْجُودِ ذَلِكَ مَثْلُهُمْ فِي التَّورَةِ﴾ [الفتح: ٢٩].

عن النعمان بن بشير ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكتى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»<sup>(٤)</sup>.

وعن عبد الله بن عمرو ﷺ قال: قال ﷺ: «الراحمون يرحمون الرحمن»<sup>(٥)</sup>.

وعنه أيضاً قال: قال ﷺ: «ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء»<sup>(٦)</sup>. ومن في الأرض شاملة حتى الكفار.

وعن جرير بن عبد الله ﷺ قال: قال ﷺ: «من لا يرحم الناس لا يرحم الله ﷺ»<sup>(٧)</sup>.

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ١٥/٢٢.

(٢) رواه الترمذى برقم (١٩٢٤) وصححه الألبانى فى صحيح سنن الترمذى ٢/٣٥٠.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٦٧١/٦.

(٤) رواه مسلم، كتاب البر والصلة والأداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم برقم (٦٧٥١).

(٥) رواه الترمذى برقم (١٩٢٤) وأبوداود برقم (٤٩٤٣) وصححه الألبانى فى السلسلة الصحيحة ٢/٦٣٠.

(٦) رواه الترمذى، كتاب أبواب البر والصلة، باب ما جاء فى رحمة المسلمين، برقم (١٩٢٤) وقال: حدیث حسن صحيح.

(٧) رواه مسلم، كتاب الفضائل، باب رحمته ﷺ الصبيان والعيال، برقم (٦١٧٢).

عن عمرة عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف، وما لا يعطى على سواه»<sup>(١)</sup>.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه»<sup>(٢)</sup>.

عن أبي الدرداء رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «من أعطي حظه من الرفق فقد أعطي حظه من الخير، ومن حرم حظه من الرفق فقد حرم حظه من الخير»<sup>(٣)</sup>.

وعنه أيضاً قال: قال ﷺ: «من لا يرحم لا يُرحم»<sup>(٤)</sup>.



(١) رواه مسلم، كتاب البر والصلة والأداب، باب الرفق، برقم (٦٧٦٦).

(٢) رواه مسلم، كتاب البر والصلة والأداب، باب الرفق برقم (٦٧٦٧).

(٣) رواه الترمذى برقم (٢٠١٣) وقال حديث حسن صحيح، وصححه الألبانى فى السلسلة الصحيحة .٤٥٠/٢.

(٤) رواه البخارى، كتاب الأدب، باب راحمة الناس والبهائم، برقم (٦٠١٣).

## المبحث الثاني

### معالم الرحمة في الدعوة إلى الله في سورة الأعراف (أنموذجاً)

سورة الأعراف هي أطول سورة مكية (٢٠٦) آية، وهي في أصلها خطاب للنبي ﷺ في الفترة التي يدعو فيها كفار مكة إلى الإسلام، لذا هي سورة دعوية جاءت فيها قصص الأنبياء ودعوتهم إلى أقوامهم.

وجاءت مقدمة السورة ﴿ كَتَبَ رَبُّكَ أَنْزَلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذَكْرُهُ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾١﴾ أَتَيْمُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِّنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَنْثِيْمُوا مِنْ دُونِهِ أُولَئِكَ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢﴾ وَكَمْ مِنْ قَرِيبٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بِأَسْنَانِ بَيْتَنَا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ ﴿٣﴾ فَمَا كَانَ دَعَوْنَاهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ بِأَسْنَانَ إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٤﴾ فَلَنُنَذِّلَنَّ الَّذِينَ أُرْسَلَ إِلَيْهِمْ وَلَنُنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ ﴿٥﴾ فَلَنُنَقْصَنَّ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ وَمَا كَانُوا غَائِبِينَ ﴿٦﴾ وَلَوْزُنُ يَوْمِدِيْرِ الْحَقِّ فَمَنْ ثُقْلَتْ مَوَازِيْنُهُ فَأَوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٧﴾ وَمَنْ حَفَّتْ مَوَازِيْنُهُ فَأَوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِغَایْتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٨﴾ [الأعراف: ٩-٢].

فمن رحمة الله في الآيات السابقة إرسال النبي ﷺ وإنزال الكتاب، ومن رحمة الله بيان عقوبة المكذبين في الدنيا، ومن رحمته ﷺ أن يقص لنا ذلك لنتعظ ونعتبر، ومن رحمته ﷺ بيان العاقبة الأخرى.

ومن رحمته ﷺ بيان فضله وتمكينه لنا في الأرض، وأيضاً منه علينا التي توجب شكره ﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَنَا مِنْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِي هَا مَعِيشٌ ﴾

قِلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ ﴿١﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ مِّمَّ صَوَرْنَاكُمْ فَلَنَا لِلْمَلَائِكَةُ أَسْجُدُوا لِأَدَمَ فَسَجَدُوا إِلَيْهِ إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِّنَ السَّاجِدِينَ ﴿٢﴾ [الإسراء: ١٠-١١].

ثم تسير السورة في قصة آدم مع إبليس.

ومن رحمته بيان فضل الله علينا وعداؤه الشيطان لنا الذي هو أكبر أسباب الضلال، وهو كان سبب خروج أبانا آدم من الجنة **﴿فَدَلَّهُمَا بِغُرُوبِهِ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَأَتْ لَهُمَا سَوْءَتِهِمَا وَطَفَقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنِ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَفْلَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عُدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾٣﴾ فَالآن رَبَّنَا ظلمَنَا أَنفُسَنَا وَإِنْ لَّمْ تَفْعِلْنَا وَرَحْمَنَا لَنَكُونَنَا مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾٤﴾ [الأعراف: ٢٢-٢٣].**

ورحمة الله تتردد في هذه السورة.

وفي سياق السورة ينادي ربينا **﴿فَإِنَّ رَبَّكَ لَذِكْرُهُ نَدَاءٌ** **﴿وَفِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا** تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ **﴿۵﴾** يَبْيَهِ إَدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِيَأْكُلُوا يُورِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشَانَا وَلِيَأْكُلُ النَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ إِيمَانِ اللَّهِ لِعَلَّهُمْ يَذَكَّرُونَ **﴿۶﴾** يَبْيَهِ إَدَمَ لَا يَقْنَتَنَّكُمْ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبْوَاتِكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِيَأْكُلُوا لِرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا إِنَّهُ يَرِنَّكُمْ هُوَ وَقِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا رَوْهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيْطَانَ أُولِيَّاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ **﴿۷﴾** وَإِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا إِبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمْرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَقْتُلُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ **﴿۸﴾** قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِمُوا وُجُوهَكُمْ عِنَدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلَصِينَ لِهِ الَّذِينَ كَمَا بَدَأْتُمْ تَعُودُونَ **﴿۹﴾** فَرِيقًا هَدَى وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَصْلَالَةُ إِنَّهُمْ أَنْخَذُوا الشَّيْطَانَ أُولِيَّاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ **﴿۱۰﴾** يَبْيَهِ إَدَمَ حَذَّلُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُّوا وَأَشْرَبُوا وَلَا شَرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ **﴿۱۱﴾** قُلْ مَنْ حَرَمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالظَّبِيبَتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ أَمْنَوْا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةٌ يَوْمَ الْقِيَمَةِ **﴿۱۲﴾** كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ قُلْ إِنَّمَا حَرَمَ رَبِّ الْفَوْحَشَ مَا ظَهَرَ مِنَهَا وَمَا بَطَنَ وَإِلَّا مُّنْ وَالْبَغْيَ يُغَيِّرُ الْحَقِّ وَأَنْ تُشَرِّكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنْزِلْ بِهِ سُلْطَنَنَا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ **﴿۱۳﴾** وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ

أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْقِدُمُونَ ﴿٢٤﴾ يَبْنَىَءَادَمَ إِنَّمَا يَأْتِيَكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يُعَصُّوْنَ عَيْنَكُمْ إِيَّاهُ فَمَنْ أَتَقَىَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزُنُونَ ﴿الأعراف: ٢٥-٢٥﴾

ينادينا ربنا ﷺ بقوله: «يَبْنَىَءَادَمَ» ورحمة الله تظهر في هذه النداءات من خلال بيان نعم الله علينا باللباس، وان معصيته ﷺ تنزع عننا هذا اللباس، وأن خير لباس التقوى.

والتحذير من الشيطان، وبيان خطورة القول على الله بغير علم، وبيان أن الله أوامرها إنما هي بالقسط، وأن لا يأمر بالفحشاء، وإنما هو يحرم الفواحش ولا يحرم الزينة والطيبات، وأنه خالصة للمؤمنين يوم القيمة.

وفي الختام يبين أهمية اتباع الرسل وعاقبة التقوى والصلاح.

كما يعرض محاجات أهل النار بعضهم لبعض **﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعْنَتْ أُخْنَهَا﴾** [الأعراف: ٢٨] وهذا من رحمته ﷺ أن بين لنا مصير المكذبين، كما يعرض لمصير المؤمنين **﴿لَهُم مِّنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقَهُمْ غَوَاثٍ وَكَذَلِكَ نَغْزِي الظَّالِمِينَ وَالَّذِينَ إِمَّا تَوْكَدُوا وَإِمَّا كُلِّمُوا الصَّابِرَاتِ لَا نُنَكِّلُ فَقَسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَئِكَ أَصْحَبُ الْجَنَّةَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غُلَمَاجَرِي مِنْ تَحْنِيمِ الْآتَهِرِ وَقَالُوا لَحْمَدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَنَا لِهَذَا وَمَا كَانَ لِهَنْدِي لَوْلَا أَنْ هَدَنَا اللَّهُ لَفَدَ جَاءَتْ رُسُلٌ رَّبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَنْ تَلْكُمُ الْجَنَّةَ أَوْ رَشِّمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾** [الأعراف: ٤٣-٤٢].

فرحمة الله تتجلى في الآيات السابقة بالثناء على المؤمنين، وأنه ﷺ لا يكلف نفساً إلا وسعها، وعاقبة المؤمنين وبيان فضل الله عليهم بهدايتهم.

ثم يعرض رحمة الله ﷺ في قصة أصحاب الأعراف **﴿أَهَتَوْلَاءُ الَّذِينَ أَقْسَمُتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَيْنَكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزُنُونَ﴾** [الأعراف: ٤٩].

والمحظوظون هم الكفار، أقسموا على بعض المؤمنين أو على أصحاب الأعراف ألا يدخلوا الجنة<sup>(١)</sup>.

(١) انظر تفسير سورة الأعراف في: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبرى، (٤٥٩/١٢).

وتمضي الآيات الكريمة بقوله ﷺ: ﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَانَهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ٥٢] فالقرآن الكريم هدى ورحمة.

ومن رحمته ﷺ كمال ربوبيته، وأنه ﷺ كما أنه الخالق وحده فهو الأمر وحده، ثم يدعونا ﷺ إلى دعائه، وبين ذلك بنھينا عن الفساد، وتختم الآيات بمستحق رحمته.

يبين الله ﷺ عظمته وأن كل شيء بيده بلفظ الربوبية، ثم يدعو ﷺ إلى دعائه ورجاء رحمته ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْمَرْسَى يُغْشِي الْأَيَّلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ، حَيْثُ شَاءَ وَالشَّمْسُ وَالقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ إِلَّا لَهُ الْحَقُّ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٦﴾ أَدْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤-٥٦].

كما يعرف بنفسه ﷺ ويرحمته بإنزلال الغيث ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرِسِّلُ الرِّيحَ بُشِّرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقْلَتْ سَحَابًا ثُقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلِيلٍ مَّيْتٍ فَأَنْزَلَنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الْثَّرَاثِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْقَعَ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ وَالْبَلَدُ الْطَّيِّبُ يَخْرُجُ بَنَاهُ، بِإِذْنِ رَبِّهِ، وَالَّذِي خَبَثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْأَيَّتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾ [الأعراف: ٥٧-٥٨] وهو مثل للمؤمن والكافر، فهو ﷺ ينزل الغيث، وهنا يضرب مثلين الأول للبعث وإخراج الموتى كإخراج الزرع، والآخر للمؤمنين والكافرين في الإفادة من القرآن الكريم، فالمؤمنون كالأرض الطيبة التي تستحب من الغيث والكافر كالأرض السبخة.

وهذه الأمثل من رحمة الله بعباده وبيان الحق لهم، وهي مقدمة لقصص الأنبياء.

ثم تمضي الآيات الكريمة إلى قصص الأنبياء، وقد ساق الله القصص

= وتفسیر القرآن العظيم، ابن کثیر، (٤٢١/٣). والجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (٢١٤/٧) في تفسیر الآية.

القرآنى للأنبياء للعبرة والاقتداء ﴿أُوْتِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فِيهِدَنَاهُمْ أَفَتَرَدُ  
قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ٩٠].

فيبدأ بقصة نوح عليه السلام ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَقُولُمْ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا  
لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابًا يَوْمًا عَظِيمٍ ﴾٥٩﴿ قَالَ الْمَلَائِكَةُ مِنْ قَوْمِهِ  
إِنَّا لَنَرَيْكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾٦٠﴿ قَالَ يَقُولُمْ لَيْسَ فِي ضَلَالٍ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ  
الْعَالَمِينَ ﴾٦١﴿ أَبِلَغُكُمْ رِسَالَتِي رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنْ اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ  
أَوْعِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذَكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلَنَنْقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ  
فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلُكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِشَيْئِنَا إِنَّهُمْ  
كَانُوا قَوْمًا عَمِيمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٩-٦٤].

نتأمل معالم الرحمة في دعوة نوح عليه السلام، فهو يخاطب قومه ويسلطفهم يقول: ﴿قَالَ يَقُولُمْ﴾ وأعظم الرحمة أمره لهم بالخير، وأعظمه عبادة الله وحده، وبيانه عليه السلام، أن ليس لهم إله غيره، وبين مظاهر رحمة النبي الله بهم، وخوفه عليهم من عذاب الله. ومع ذلك كانت إجابتهم جانب الأدب، إذ يصفونه بالضلال المبين، وكان ردّه عليهم مظهراً آخر من مظاهر الرحمة، حيث لم يجدهم بأنهم ضلال، ولو قال ذلك لكان حقاً، ولكنه بكل رحمة يسلطفهم بقوله: ﴿قَالَ يَقُولُمْ لَيْسَ فِي ضَلَالٍ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

ثم يبين أن دافعه إبلاغ الرسالة، ونصيحته لهم، كما بين لهم خطأ تعجبهم أن يأتيهم ذكر من ربهم على رجل منهم، فهو ذكر من ربهم وعلى رجل منهم ليس من غيرهم ومقصوده إنذارهم وحصول التقوى منهم وحصول الرحمة لهم فمقصود دعوته الرحمة بقومه.

ونتأمل قوله تعالى: ﴿وَأَنْصَحُ لَكُمْ﴾ أي: أقصد صلاحكم بإخلاص وفي زيادة اللام مبالغة ودلالة على إمحاض النصيحة، وحقيقة النصح إرادة الخير لغيرك مما تريده لنفسك، أو النهاية في صدق العناية<sup>(١)</sup>.

(١) انظر: مدارك التزيل وحقائق التأويل، النسفي، ٥٧٧/١.

وقوله: ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَرْحَمُونَ﴾ ونوح عليه السلام في موضع آخر وهو ينادي ربّه يقول:  
 ﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصْبَعَهُمْ فِي إِذَا نَاهَمْ وَاسْتَغْشَوْا شَابَهُمْ  
 وَأَصْرَوْا وَأَسْتَكَبَرُوا أَسْتِكَبَارًا﴾ [نوح: ٧٦] فمقصود دعوته الرحمة بقومه.

وفي قصة عاد ﴿وَإِنَّ عَادَ إِخْرَاهُمْ هُودًا قَالَ يَقُولُوا أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ إِنَّ اللَّهَ غَنِيمٌ  
 أَفَلَا يَنْقُونُ﴾ ١٥ قال الملا الدين كفروا من قومه إنا لزرك في سفاهة وإنما  
 لظتك من الكاذبين ١٦ قال ينقوم ليس بي سفاهة ولذكري رسول من رب  
 العلمين ١٧ أليلغكم رسالت ربى وأنا لك ناصح أمين ١٨ أو عجبت أن جاءكم  
 ذكر من ربكم على رجل منكم ليذركم وأذكروها إذ جعلكم خلافة من بعد  
 قوم نوح وزادكم في الخلق بصلة فاذكرموا آلاء الله لعلكم نفلحون ١٩ قالوا  
 أحيثنا لنبعد الله وحده ونذر ما كان يعبدوا آباءنا فائنا بما وعدنا إن كنتم من  
 الصادقين ٢٠ قال قد وقع عليكم من ربكم رحمة وغضبة أتجدلونني في  
 أسماء سميت بها أنتم وآباءكم مانزل الله بها من سلطنه فانتظرموا إني معكم  
 من المنتظرين ٢١ فأنجنيه والذين معه رحمة منا وقطعنا دابر الذين كذبوا  
 بنايننا وما كانوا مؤمنين﴾ [الأعراف: ٦٥-٧٢]. نلاحظ رحمة هود عليه السلام على قومه.

فتلحظ قول المولى عليه السلام: ﴿إِخْرَاهُمْ هُودًا﴾ وهذا له مدلوله من الاستعطاف  
 والنصح، ثم هو يدعوهم إلى الخير وأعظمه عبادة الله وحده ويحثهم  
 على التقوى، كما بين لهم دوافعه وهو قيامه بالبلاغ والنصيحة لقومه.

نفس المشهد يتكرر، يقولون له: ﴿إِنَّا لَرَزَكَ فِي سَفَاهَةٍ﴾ وهو يرد عليهم  
 بكل أدب ورحمة: ﴿يَنَقُومُ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٍ وَلَذِكْرِي رَسُولُ مِنْ رَبِّ الْعَلَمِينَ﴾  
 كما بين لهم الباعث له البلاغ والنصيحة ﴿أَلِيْلَغُكُمْ رِسَالَتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ  
 نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾ ويرغبهم بالإيمان، ويدركهم بنعم الله عليهم ﴿فَادْكُرُوهُمْ فَلَنْلُهُونَ﴾.

وفي قصة ثمود تتكرر كثير من المشاهد يقول عليه السلام: ﴿وَإِنَّ شَمُودَ

أَخَاهُمْ صَدِلَحًا قَالَ يَقُولُ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٌ غَيْرُهُ، قَدْ جَاءَتْكُمْ  
بَيْتَنَّهُ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ إِيمَانٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلُ فِي أَرْضِ اللَّهِ  
وَلَا تَمْسُوهَا سُوءٍ فَيَأْخُذُكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ  
عَادٍ وَبَوَّا كُمْ فِي الْأَرْضِ تَنَجَّذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَنَسْجُونُ الْجِبَالَ بُيُوتًا  
فَأَذْكُرُوا إِلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٤-٧٣﴾ [الأعراف: ٧٤-٧٣].

نلاحظ تكرار كثير مما سبق من استعطافهم والنصح لهم، ونلاحظ أيضاً مظاهر أخرى للرحمة بذكر البيانات التي أعطاها الله إياه **(هذيه)**  
**(نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ إِيمَانٌ)**، ويخوفهم من عذاب الله وما ذاك إلا رحمة بهم.

وهو يذكرون أيضاً بنعم الله عليهم **(فَأَذْكُرُوا إِلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ)** وبعد نزول العذاب عليهم يخاطبهم نبيهم صالح بكل رحمة وشفقة **(فَتَوَلَّ عَنْهُمْ وَقَالَ يَقُولُ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحَّثُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ)** [الأعراف: ٧٩].

وفي قصة لوط **(لِلَّهِ)**، يخاطب قومه بكل شفقة: **(وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَجْحَةَ مَا سَبَقُكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ الْعَالَمِينَ)** [الأعراف: ٨٠].

وفي قصة مدين **(وَإِلَى مَدِينَ أَخَاهُمْ شَعِيبًا قَالَ يَقُولُ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٌ غَيْرُهُ، قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيْتَنَّهُ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْحَسُوا أَنَاسًا أَشَيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصْدُونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مِنْ إِيمَانِهِ وَتَبْغُونَهَا عَوْجًا وَأَذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَرْتُمْ وَأَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عِقْبَةُ الْمُفْسِدِينَ)** [الأعراف: ٨٦-٨٥].

سماه الله **(أَخَاهُمْ شَعِيبًا)** وهو يبين لهم أن ما يأمرهم به هو خير لهم،  
ويذكرهم بنعم الله عليهم، ويخوفهم من عاقبة المفسدين.

وفي النهاية، وبعد نزول العذاب ﴿فَنَوَّلَ عَنْهُمْ وَقَالَ يَتَوَمَّ لَقَدْ أَبْلَغْنَاكُمْ رِسْلَتِ رَبِّي وَنَصَحْنَا لَكُمْ فَكَيْفَ إَاسَى عَلَى قَوْمٍ كَفَرُوا﴾ [الأعراف: ٩٢].

ومن رحمته أنه يصيب الأمم بالبلاء حتى يعودوا إلى ربهم ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْبَةِ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَخْذَنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَرَّعُونَ﴾ [الأعراف: ٩٤]، قال الطبرى رحمه الله : هو البؤس وشظف المعيشة وضيقها، والضراء: الضر وسوء الحال في أسباب دنياهם، وقال القرطبي رحمه الله : البأساء في الأموال، والضراء في الأبدان.

قال الطبرى رحمه الله : فعلنا ذلك بهم ليتضرعوا إلى ربهم ويستكينوا إليه وينبوا بالإقلال عن كفرهم والتوبة من تكذيب أنبيائهم.

فهذا البلاء هو من الرحمة ليعودوا إلى ربهم كما قال صلوات الله عليه : ﴿وَلَنْذِيقَنَّهُم مِّنْ الْعَذَابِ الْأَدَمَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [السجدة: ٢١].

ومن ذلك ﴿وَلَقَدْ أَخْذَنَا إِلَّا فَرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقَصَ مِنَ الشَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَدَّكَرُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٠] قال القرطبي رحمه الله : ليتعظوا وترق قلوبهم.

وفي قصة موسى من معالم الرحمة.

فمن رحمة الله ما أعطى الله موسى من بينات ﴿حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقُّ قَدْ جِئْنَكُمْ بِبَيِّنَاتٍ مِّنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسَلْ مَعِيَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [الأعراف: ١٠٥] وبعد أن رأى قومه يعبدون العجل، موسى نفسه يتعرض لرحمة الله ﴿قَالَ رَبِّي أَعْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَادْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّحِيمِينَ﴾ [الأعراف: ١٥١].

كما أن الرب بعد أن توعد عبدة العجل فإنه صلوات الله عليه بين رحمته وقبول توبته عباده، ﴿وَأَنَّ الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَإِمَانُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأعراف: ١٥٢].

وبين الله ما في الألواح من رحمة وهدى ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْفَضَّبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٤].

وها هي الرحمة تتكرر مرة أخرى في دعوة موسى بعد أن أخذت قومه الرجفة ﴿وَأَخْنَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لَمْ يَقِنُّا فَلَمَّا أَخْذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّي لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْنَاهُمْ مِنْ قَبْلٍ وَإِنِّي أَتَهْلِكُكُمَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنْ أَنَّهُ إِلَّا فِتْنَنَكُمْ تُضْلِلُ إِلَيْهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ أَنَّ وَلَيْسَنَا فَاعْفُرْ لَنَا وَأَرْحَمْنَا وَأَنَّ خَيْرَ الْغَنِيِّينَ﴾ [الأعراف: ١٥٥].

ونتأمل دعاء موسى عليه السلام وخطابه لله تعالى، وجوابه عليه، ونتأمل ما فيها من تكرار الرحمة ﴿وَأَخْنَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لَمْ يَقِنُّا فَلَمَّا أَخْذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّي لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْنَاهُمْ مِنْ قَبْلٍ وَإِنِّي أَتَهْلِكُكُمَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنْ أَنَّهُ إِلَّا فِتْنَنَكُمْ تُضْلِلُ إِلَيْهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ أَنَّ وَلَيْسَنَا فَاعْفُرْ لَنَا وَأَرْحَمْنَا وَأَنَّ خَيْرَ الْغَنِيِّينَ﴾ [الأعراف: ١٥٥] ﴿وَأَكْتَبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدُنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءَ وَرَحْمَتِي وَسَعَتْ كُلُّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُ لَهُمَا لِلَّذِينَ يَنْقُونَ وَيُؤْتُونَ الْزَكُوَةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِإِيمَانِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ [١٥٦] الَّذِينَ يَتَبَعُونَ الرَّسُولَ الَّذِي أَمَرَنَا اللَّهُ يَحْدُوْنَهُ مَكْثُوْبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّبِيعَةَ وَمُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبِيثَ وَيَضْعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَأَلْعَلُّ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّزُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا الْوَرَقَ الَّذِي أُنْزَلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧-١٥٦].

فلتأمل هذه العبارة العظيمة ﴿وَرَحْمَتِي وَسَعَتْ﴾ . قال البغوي رحمه الله : أي : عممت كل شيء<sup>(١)</sup> . وقال الحسن وقتادة : وسعت رحمته في الدنيا البر والفاجر ، وهي يوم القيمة للذين اتقوا خاصة<sup>(٢)</sup> .

(١) معالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي، ٢٢٨/٢.

(٢) معالم التنزيل، البغوي، ٢٢٨/٢.

قال ابن كثير في تفسير **«وَرَحْمَتِي وَسَعَتْ»**: «الآية عظيمة الشمول والعموم»<sup>(١)</sup>.

وقال السعدي رحمه الله: وسعت كل شيء من العالم العلوي والسفلي، والبر والফاجر، والمؤمن والكافر، فلا مخلوق إلا وصلت إليه رحمة الله، وغمره فضله وإحسانه، لكن الرحمة الخاصة المقتضية لسعادة الدنيا والآخرة ليست لكل أحد ولهذا قال: **﴿قُلْ هَذِهِ رَحْمَةُ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشَرِّكِينَ وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَنَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشَرِّكِينَ﴾** [يوسف: ١٠٨]

<sup>(٢)</sup>

ثم أثني صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على المتبعين للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهي بشارته، وبيان أنهم يستحقون رحمة الله.

وفي قصة أصحاب السبت الذين عصوا الله بالصيد في يوم السبت فقامت طائفة بنصحهم، وهناك طائفة ثالثة قالت للناصحين: اتركوهם إنهم مهلكون، فأثني الله على أولئك الناصحين وبين نجاتهم **﴿وَإِذْ قَالَ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لَمَّا تَعَظُّونَ قَوْمًا لِّلَّهِ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَاتَلُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَنْفَعُونَ ﴾** [١٦٥] **﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا أُلَّذِينَ يَنْهَا عَنِ السُّوءِ وَأَخْذَنَا أَلَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَعِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُدُونَ﴾** [الأعراف: ١٦٤-١٦٥].

فتتأمل مظاهر الرحمة في نصيحة الناصحين في قولهم: (ولعلهم يتقوون) قال ابن كثير: «ولعل بهذا الإنكار يتقوون ما هم فيه ويتركونه ويرجعون إلى الله تائبين، فإذا تابوا تاب الله عليهم ورحمهم»<sup>(٣)</sup>.

ومع ذكر القرآن مخازيبني إسرائيل وعصيانهم فإن الله يفتح باب الرحمة **﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لِيَعْلَمَ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُوِّمُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾** [الأعراف: ١٦٧].

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٤٨١/٣.

(٢) تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي ٣٥٥/١.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٤٩٤/٣.

ومن رحمته **فَهُنَّ دَلَالٌ لَهُمْ عَلَيْهِ بِالنَّظَرِ فِي حَالِ النَّبِيِّ ﷺ**، وأيضاً في ملوك السموات والأرض وتخويفهم من اقتراب أجهم **﴿أَوْلَمْ يَنْفَكِرُوا مَا يَصَاحِبُهُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾** [١٨٦] **﴿أَوْلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَإِنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدْ أَقْرَبَ أَجْلَهُمْ فَيَأْتِيَ حَدِيثُهُمْ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴾** [الأعراف: ١٨٤-١٨٥].

وكذلك بيان حال هؤلاء الشركاء وضعفهم وعجزهم ليوحدوا الله **ﷻ**، بعد أن ذكر **ﷻ** إشراك الأولين به في خلقه مع أنه هو الذي خلقهم **﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجَدَهُ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيُسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَعَشَّنَهَا حَمَلَتْ حَمَلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَنْفَلَتْ دَعَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لِئَنْ أَتَيْنَا صَلِحًا لِتَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾** [١٩١] **﴿فَلَمَّا آتَاهُمَا صَلِحًا جَعَلَاهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَنَّلَ اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾** [١٩٢] **﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴾** [١٩٣] **﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنفُسُهُمْ يَنْصُرُونَ ﴾** [١٩٤] **﴿وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَتَّبِعُوكُمْ سَوَاءً عَلَيْكُمْ أَدْعَوْنَاهُمْ فَإِنْ أَنْتُمْ صَمِّيْتُمْ ﴾** [١٩٥] **﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلَيَسْتَجِبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَنِدِيقِنَ ﴾** [١٩٦] **﴿أَللَّهُمْ أَرْجُلِي يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدِي يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبَصِّرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلْ أَدْعُوا شُرَكَاءَكُمْ شُمَّ كَيْدُونَ فَلَا نُنْظَرُونَ ﴾** [الأعراف: ١٨٩-١٩٥].

فلنتأمل هذا البيان الشافي الكافي من ربنا **ﷻ** في ضعف وعجز الشركاء.

ثم مظاهر الهدایة بالموعظة والتذکیر **﴿إِنَّ الَّذِينَ أَتَقْوَى إِذَا مَسَّهُمْ طَغِيفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبَصِّرُونَ ﴾** [الأعراف: ٢٠١].

وفي ختام السورة تتجلی الرحمة في موقع منها توجيه للنبي **ﷻ** في دعوته ومکابدته للكفار المعرضين **﴿خُذِ الْعَوْنَ وَأُمَّرِي بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَهَلِيْنَ ﴾** [الأعراف: ١٩٩].

قال الطبرى رض: أمر بذلك نبى الله ﷺ في المشركين ورجح أنه غير منسوخ فيمن لم يؤمر بقتالهم <sup>(١)</sup>.

وقوله ﷺ: «هَذَا بَصَرٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُوقَنُونَ» [الجاثية: آية: ٢٠] ثم الرحمة في استماع القرآن «وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْءَانُ فَلَأْسِمَاعُهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ» [الأعراف: ٤]. ٢٠٤



## الخاتمة

فإني أشير إلى أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال بحثي هذا:

١. أهمية الدعوة إلى الله في إقامة الدين.
٢. وجوب الدعوة على هذه الأمة وفضلها على أفرادها.
٣. الرحمة من أهم صفات الله تعالى.
٤. القرآن الكريم وبعض كتب السماء رحمة وهدى.
٥. دعوة الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم كانت رحمة وبالرحمة، لا سيما دعوة النبي ﷺ طاب بها الرحمه (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين).
٦. أهمية الرحمة في الدعوة إلى الله تعالى.
٧. تبين سورة الأعراف ظهور الرحمة في آيات السورة ومعانيها وقصص الأنبياء.

### الوصيات:

كما نوصي في ختام هذا البحث بما يلي:

١. العناية بالرحمة في المؤتمرات العلمية والبحوث والكتب والندوات الثقافية لتنقيف أمتنا بهذه المعاني السامية في الأوساط الثقافية.
٢. أهمية غرس الرحمة من قبل المعلمين والمربين والآباء في نفوس النساء.
٣. ضرورة عناية الدعاة بخلق الرحمة في دعوتهم لما لها من أهمية بالغة حتى عليها الشرع المطهر.
٤. ضرورة عناية وسائل الإعلام بموضوع الرحمة في الأمة.
٥. أهمية عناية المساجد في الخطب والدروس بغرس الرحمة وتوجيه المسلمين لها.



## المراجع والمصادر

١. القرآن الكريم.
٢. التحرير والتوير، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٢هـ.
٣. تفسير القرآن العظيم، عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير، دار الأندلس للباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة السادسة، ١٤٠٥هـ.
٤. التفسير القيم، لابن القيم الجوزية، دار مكتبة الهلال،.
٥. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، وهبة الزحيلي، دار الفكر المعاصر، دمشق، الطبعة الثانية، ١٤١٨هـ.
٦. تهذيب اللغة، أبي منصور محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق: إبراهيم الإبياري، دار الكاتب العربي، القاهرة، ١٣٧٨هـ.
٧. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن السعدي.
٨. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبي جعفر محمد بن جرير الطبرى، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٨هـ.
٩. الجامع لأحكام القرآن، أبي عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٦٦.
١٠. الدعوة إلى الله، توفيق الواعي، مكتبة الفلاح، الكويت، ط١، ١٤٠٦هـ.
١١. الرحمة وأثرها في الدعوة إلى الله، حمزة سليمان الطيار، موقع طريق الإسلام،
١٢. سلسلة الأحاديث الصحيحة، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، د. ط. ت.
١٣. سنن أبو داود، أبو داود السجستاني، تحقيق: عبدالفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ.

١٤. سنن الترمذى، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذى، بيت الأفكار الدولية، الرياض، ١٤٢٠هـ.
١٥. صحيح البخارى، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخارى، بيت الأفكار الدولية، الرياض، ١٤١٩هـ.
١٦. صحيح مسلم، مسلم بن حجاج النيسابورى، تحقيق: نظر بن محمد الفارابى أبو قتيبة، دار طيبة، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ.
١٧. الصراع بين الحق والباطل كما جاء في سورة الأعراف، عادل محمد صالح، مكتبة الملك عبدالعزيز العامة، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢٣هـ.
١٨. الطبقات الكبرى، ابن سعد.
١٩. في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، لبنان الطبعة الثالثة عشر، ١٤٠٧هـ.
٢٠. القاموس المحيط، الفيروزآبادى، دار إحياء التراث العربى، الطبعة الثانية، ١٤٢٤هـ.
٢١. لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين بن منظور، دار صادر بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ.
٢٢. مجمع الزوائد ونبأ الفوائد، علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.
٢٣. مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، جمع وترتيب الشيخ عبد الرحمن بن قاسم.
٢٤. مدارك التنزيل وحقائق التأويل، عبدالله بن أحمد النسفي
٢٥. المستدرک على الصحيحين، أبو عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري، المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ

٢٦. مسند الإمام أحمد، أحمد بن حنبل، مؤسسة قرطبة، مصر، د. ط. ت.
٢٧. معالم التزيل في تفسير القرآن، البغوي، تحقيق: عبد الرزاق المهدى، دار إحياء التراث العربى - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.
٢٨. معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٩هـ.
٢٩. مفردات اللغة، الراغب الأصفهانى، ..
٣٠. منهاج الدعوة إلى الله في القرآن والسنة، راجح السباتين، من موقعه على الإنترنت.





## فهرس البحوث



٠ بحث: اسم الله "الرحمن" في القرآن الكريم- جَمْع و دراسة.  
د. محمود محروس محمود إبراهيم.

المقدمة .....	٧
المبحث الأول: الدراسة اللغوية .....	٩
المبحث الثاني: مواضع اقتران اسم الله "الرحمن" باسمه "الرحيم" ..	١٧ ..
المبحث الثالث: مواضع انفراد اسم الله "الرحمن" ..	٢٦.....
الخاتمة .....	٤٥.....



٠ بحث: الرحمة بالأطفال وأثارها التربوية من خلال السنة النبوية.

محمد عباس محمد عرابي.

المبحث الأول: الإطار العام للدراسة .....	٥٧.....
المبحث الثاني: مظاهر الرحمة بالأطفال في السنة النبوية .....	٦٦.....
المبحث الثالث: التطبيقات التربوية المستفادة من الرحمة بالأطفال في السنة النبوية .....	٧٤.....
الخاتمة .....	٨٥.....



٠ بحث: الرحمة في ضوء القرآن الكريم.

د. قسيم محمد عليان وردات.

المقدمة .....	٩٥.....
المبحث الأول: مفهوم الرحمة .....	١٠١ ..
المبحث الثاني: الرحمة وموجباتها في ضوء القرآن الكريم ..	١٠٥.....
المبحث الثالث: جوانب رحمة الله تعالى في ضوء القرآن الكريم ..	١١٩ ..
المبحث الرابع: رسائل .....	١٣١ ..
الخاتمة .....	١٣٨ ..

٠ بحث: الرحمة والأسباب الجالبة لها في القرآن الكريم.  
د. نادية بنت إبراهيم النفيضة.

١٤٩.....	المقدمة
١٥٢.....	المبحث الأول: التعريف بالرحمة
١٥٩.....	المبحث الثاني: الرحمة في حق العبد
١٦٧.....	المبحث الثالث: الرحمة في حق الله تعالى
١٨١.....	الخاتمة



٠ بحث: المنهج النبوي في تعزيز قيمة الرحمة لدى الصحابة ﷺ.  
الدكتور أنس سليمان المصري.

١٩١.....	المقدمة
٢٠٢.....	المبحث الأول: المنهج النبوي في الكشف عن خلق الرحمة لدى الصحابة ﷺ
٢٠٦.....	المبحث الثاني: المنهج النبوي في تعزيز خلق الرحمة وتمييته وصقله
٢٢١.....	المبحث الثالث: المنهج النبوي توظيف خلق الرحمة في الدعوة واستغلاله لخدمة الدين
٢٢٦.....	الخاتمة



٠ بحث: حديث جعل الله الرحمة مائة جزء - دراسة تحليلية.  
د. عبد الرحمن عبد الناصر سيد سلطان.

٢٣٥.....	المقدمة
٢٤٠.....	التمهيد: ماهية الرحمة في السنة النبوية
٢٤٥..	المبحث الأول: دلائل الرحمة في حديث جعل الله الرحمة مائة جزء
٢٥٤..	المبحث الثاني: مناقشة أثر اختلاف ألفاظ الحديث في تعدد أوجه الرحمة
٢٦٢.....	الخاتمة

٠ بحث: رحمة الله تعالى بعباده أسبابها وأثارها في ضوء القرآن الكريم.

أ. د عبدالفتاح محمد خضر.

المقدمة .....	٢٧٣
المطلب الأول: تعريف الرحمة في اللغة والاصطلاح والمناسبة بينهما .....	٢٧٥
المطلب الثاني: أسباب رحمة الله لعباده سبحانه .....	٢٧٧
المطلب الثالث: آثار رحمة الله بعباده ومظاهرها .....	٢٩٣
الخاتمة .....	٣٠٩



٠ بحث: رحمة النبي ﷺ بأعدائه دراسة قرآنية.

أ. عبير مشبب محمد آل جعال الأحمري.

المقدمة .....	٢١٥
التمهيد: مفهوم الرحمة ونظائرها في القرآن الكريم .....	٢١٩
المبحث الأول: حرص النبي ﷺ على هداية أعدائه، وعفوه وصفحه عنهم .....	٢٢٣
المبحث الثاني: تحسُّر النبي ﷺ وأساه وحزنه على عدم هداية الكفار .....	٢٣١
المبحث الثالث: وصف النبي ﷺ بأنه رحمة للمنافقين، واستغفاره لهم .....	٢٤٠
الخاتمة .....	٣٥٠



٠ بحث: مظاهر الرحمة في حفظ الضرورات الخمس من خلال سورة البقرة.

د. عبدالله بن سالم بن يسلم بافرج.

المقدمة .....	٣٦١
التمهيد: بيان معنى الرحمة واشتمال سورة البقرة عليها .....	٣٦٧

المطلب الأول: مظاهر الرحمة في حفظ الدين من خلال سورة البقرة ..	٢٧١
المطلب الثاني: مظاهر الرحمة في حفظ النفس من خلال سورة البقرة ..	٣٧٧
المطلب الثالث: مظاهر الرحمة في حفظ العقل من خلال سورة البقرة ..	٣٩١
المطلب الرابع: مظاهر الرحمة في حفظ النسل من خلال سورة البقرة ..	٤٠٠
المطلب الخامس: مظاهر الرحمة في حفظ المال من خلال سورة البقرة ..	٤٠٥
الخاتمة .....	٤١٤



## ٠ بحث: مظاهر الرحمة في مواقف النبي ﷺ من اجتهادات الصحابة الفقهية.

أ. حمد بن حسين بن صالح الجعدي.

المقدمة .....	٤٢٥
المبحث الأول: مظاهر الرحمة فيما أقره النبي ﷺ من اجتهادات الصحابة مطلقاً .....	٤٣٤
المبحث الثاني: مظاهر الرحمة فيما أقر النبي ﷺ الجميع عليه، ولكن بعضهم حظه من الصواب أكبر من الآخر .....	٤٤٩
المبحث الثالث: مظاهر الرحمة، الرحمة فيما أقر النبي ﷺ من أصاب في اجتهاده وتبييه من ابتعد عن الصواب .....	٤٥٥
المبحث الرابع: مظاهر الرحمة فيما نبه النبي ﷺ على خطأ الاجتهد فيه وتشريع البديل .....	٤٥٧
الخاتمة .....	٤٦٠



٠ بحث: معالم الرحمة في الدعوة إلى الله في القرآن الكريم  
”مع سورة الأعراف أنموذجاً“.

أ. د. خالد بن عبدالله بن عبدالعزيز القاسم.

المقدمة .....	٤٧١
التمهيد : معاني الرحمة والدعوة إلى الله .....	٤٧٤
المبحث الأول : معالم الرحمة في الدعوة إلى الله في القرآن الكريم	٤٧٩
المبحث الثاني: معالم الرحمة في الدعوة إلى الله في سورة الأعراف أنموذجاً .....	٤٩٩
الخاتمة .....	٥١١

